

التراث العربي



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

السنة 18 - العددان 71-72

التراث العربي

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

المددان: ٧٢-٧١ ربيع الأول - ١٤١٨ هـ - تموز "يوليو" ١٩٩٨ م - السنة الثامنة عشرة

رئيس التحرير

نصر الدين البحرة

المدير المسؤول

د. علي عقله عرسان

أمين التحرير

محمد الأرناؤوط

هيئه التحرير:

د. عدنان البُني

د. محمد زهير البابا

د. عدنان درويش

د. عمر موسى باشا

د. مسعود بوبو

د. عبد الحفيظ السطّاني

نرسل المقالات والدراسات إلى العنوان التالي :

الدار النازد - اتحاد الكتاب العرب ، مille التراث العربي ، دمشق - من.ب : ٣٢٣٠
هاتف: ٦٦١٢٢٤٠ - ٦٦١٢٣٣١ - ٦٦١٢٢٤٢ - ٦٦١٢٢٤٣ - ٦٦١٢٢٤٤ - ٦٦١٢٢٤٥ - فاكس: ٦٦١٢٢٤٤



اتحاد الكتاب العرب

ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS

دمشق

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي



www.lisanarb.com

مكتبة لسان العرب

تنويه :

- ١ - المواد الواردة إلى المجلة لا تتماد إلى أصحابها سواءً نشرت أم لم تنشر .
- ٢ - يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية وطبيعة .
- ٣ - يرجى من كتاب المجلة التقيد بما يلي :
 - ١ - كتابة دراساتهم بخط واضح ومقروء ، أو طباعتها على الآلة الكاتبة .
 - ٢ - يجب ألا يتجاوز البحث أو الموضوع عن / ٢٠ / صفحة من صفحات المجلة .
 - ٣ - يجب أن يكون البحث أو الموضوع خاصاً بمجلة التراث العربي وغير منشور في كتاب أو دورية أخرى .
 - ٤ - كتابة تعريف وجيز بكاتب الدراسة ، يتضمن أبرز نشاطاته الأدبية والعلمية والمهنية .
 - ٥ - إرسال عنوان الباحث مع البحث أو الدراسة .

الاشتراك السنوي

د. داخل القطر للأفراد	: ١٥٠ ل.من
في الأقطار العربية	: ٣٠٠ ل.من أو (١٥) دولار أمريكي.
خارج الوطن العربي	: ٤٥٠ ل.من أو (٢٠) دولار أمريكي
الدوائر الرسمية داخل القطر	: ٣٠٠ ل.من
الدوائر الرسمية في الوطن العربي	: ٥٠٠ ل.من أو (٢٥) دولار أمريكي
الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي	: ٦٥٠ ل.من أو (٤٠) دولار أمريكي
أعضاء اتحاد الكتاب	: ٧٥ ل.من

■ الاشتراك برسم حوالات بريدية أو شيكًا أو يدفع تقدما إلى : (معايير مجلة التراث العربي)

المدقق اللغوي : مسدوح فاخوردي

المحتوى

ص

□ منشور الفصحى الجميل	نصر الدين البحرة	٧
□ العربية لغة وكتابه	د. محمد المحفل	٢٢
□ اللغات التي دخلت العربية	د. مسعود بوبو	٦٤
□ الاشتقاء النحتي وأثره في وضع المصطلحات	د. ممدوح خسارة	٨٤
□ أهمية لغات المشرق في دراسة النحو العربي	د. إلياس بيطار	٩٦
□ تأثير الحضاراتين واللغتين: اليونانية والسريانية بالعلوم العربية	د. محمد زهير البابا	١١٩
□ اللهجات العربية والصوتيات	د. عبد الإله نبهان	١٣٤
□ كتب الغريب	د. محمد كشاش	١٤٧
□ مصادر التراث الصوتي العربي	د.أحمد عزوز	١٥٨
□ الكتابة العربية الجنوبية في سوريا	مني المؤذن	١٦٨
□ المفردات العربية في اللغة الألبانية	د. محمد الأرناؤوط	١٧٦
□ عالمية اللغة العربية	محمود الأرناؤوط	١٨١
□ ندوة اللغة العربية	د. محمد حسان الطيان	١٨٤
□ عالية الخط العربي معصوم محمد خلف	١٩٤
□ جدلية القديم والجديد بين التقليد والإبداع	د. عمر موسى باشا	٢٠٧
□ مخطوط النشر الزكي - تحقيق وتقديم	محمد أديب عبد الواحد جمران	٢٢٨
□ أدب الفئات الهمashية	أحمد الحسين	٢٥١



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل lisanearb.com

مؤشر الفصحى الجميل

نصر الدين البحرة

نحوية ابن فارس من أمرين ثمين، أولهما أنه قدم في اللغة العربية مصطلحاً جديداً هو "التوقيفية". ففي القرن الرابع الهجري تشهد لأول مرة مصطلحاً جديداً هو "فقه اللغة" في شِنَّة اللغة العربية هي التي يدعوها: "الحمد بن فارس كتابه "الصالحي" في فقه اللغة وسنت العرب في كلها"(١).

وكان متواضعاً حتى أبهى به ذهب إلى أن كتابه ليس جديداً في موضوعه " فقال: "والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفارق في أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين -رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء- وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع مفارق"(٢).

غير أن هذا لم يمنع الدكتور عبد للراجمي من القول: "تكاد نجزم أن ابن فارس هو أول من أطلق هذه التسمية: "فقه اللغة"- إذ لو سبقه إليها سبق لها أغلبها رجال الطبقات على دتقهم في ترجمة الرجال"(٣) ويعتقد هذا الباحث الكبير أن ابن فارس القبس للتسمية من "فقه البدني" فقد كان الرجل قفيها قد اكتفى من كتاب في الفقه فضلاً عن الصلة التي كان يراها ابن فارس وغيره من اللغويين العرب بين اللغة والدين على العموم، وبينها وبين الفقه على وجه الخصوص"(٤).

وما يؤكد أهمية ابن فارس في هذا المجال أن اللغوي المشهور الشعالي اعتمد على كتابه "الصالحي" اعتماداً كبيراً حتى أنه نقل عنه أبوياها بأكملها، لم يغير عناوينها ولا المادة التي تحتويها. من أمثلة ذلك: "تصل في إضافة الشيء إلى من ليس له، لكن أضيف إليه لاتصاله به" و"تصل في النحت" و"تصل في الإتساع والتوكيد"(٥).

أما نظرية ابن فارس في "التوقيف" فسنعرضها لاحقاً.

هذه النسخة من "الصالحي".

في مكتبتي نسخة قديمة طريفة من كتاب "الصالحي" انتهت إلى من مكتبة المرحوم والدي سعيد. ويبعدو أنه اشتراها من مكتبة تتبع كتبًا كثيرة، فقد سجل في أعلى صفحة الغلاف الداخلي أنه اقتتها في ١٣ نيسان ١٩٣٢، في حين طبعت في القاهرة عام ١٣٢٨ - ١٩١٠م في مطبعة المزود. وهذه النسخة العتيقة -جلبتها قبل بضع سنوات- كتب على حاشيتها غلامها الداخلي أيضاً ببرشة حبرها أسود: "هدية إلى جريدة "الوطنية" الظاهرة: ١٢ جمادى الثانية ١٩٢٩. محب الدين الخطيب" وهذا هو أحد مؤسسي المكتبة السالنية بالقاهرة مع زميله: عبد الفتاح القنان. والظاهر أنه -محب الدين- هو الذي أعد الكتاب للنشر، وقدم له، وعرف بمؤلفه. فهو يقول:

"اعتمدنا في إحياء "الصحابي" ونشره على نسخة صحيحة بخط الأستاذ اللغوي الجليل المرحوم "الشيخ محمد محمود بن التلmaid الترکزي الشنقطي" من مكتبه المحفوظة في المكتبة المصرية الخديوية في القاهرة، وقد نقلها عن نسخة في إحدى مكتبات القسطنطينية -استانبول- قرئت على المصنف عام ٣٨٢هـ وعلى ظهرها بخطه ما نصته:

قرأ على أبو محمد نوح بن أحمد الأبيب، أعزه الله هذا الكتاب من أوله إلى آخره، وصححه وقرأه وسمع بقراءته أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان، وأبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زوجلة القاري. وكتبه أحمد بن فارس بن زكرياء بخطه بالمحمديّة في شعبان من سنة الثنتين وثمانين وثلاثمائة".
ويوضح الناشر الشنقطي أنه فرغ من كتابة هذه النسخة من "الصحابي" بعد شهرين، وكان ذلك لعشر خلت من ربيع النبي سنة أربع وثلاثمائة وألف"(١).

اعتمد محب الدين الخطيب في ترجمة ابن فارس على عدد من أمهات المراجع: "معجم الأنبياء" لياقوت الحموي. و"يتيمة الدهر" للتعالي. و"طبقات اللغويين والنحاة" لسيوطى. و"فيات الأعيان" لابن خلكان.

ابن فارس: نسبة وبلده.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن حبيب القزويني - أحد آئمة اللغة العربية في القرن الرابع للهجرة. ولد في جهة "كرسف" و"جيانا باذ" وهو قريتان من "رسقان الزهراء" ولم يقف على تاريخ مولده. ولكن خير الدين الزركلي في "الأعلام" ذكر الميلاد والوفاة [٣٩٥-٣٢٩هـ - ٩٤١-١٠٠٤م] وأضاف أن أصله من قزوين.

وذكر السيوطي أن ابن فارس كان نحوياً على طريقة الكوفيين وقد تعلم العلم عن أبيه. وذكر ياقوت أسماء عدد من أساندته، بينهم أبو عبد الله أحمد بن طاهر المنجم الذي يقول فيه ابن فارس "ما رأيت مثل أبي عبد الله أحمد بن طاهر ولا رأى هو مثل نفسه".

وبين البلدان التي زارها وأقام فيها أزمنة يسيرة بغداد والموصى ومكة وهمدان حيث أقام مدة، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها وإليها نسبته: الرازى.

مكانة ابن فارس

ربما كان التعالي بين أفضل من تحدث عن ابن فارس وبين فضله، فقد ذكره مرثين في "يتيمة الدهر" أولاً وفي "فقه اللغة" ثانياً. ففي الريتية قال: إنه كان من أعيان العلم بهمدان، ومن أفراد الدهر، يجمع إنقاذه العلماء وظرف الكتاب والشعراء. وهو بالجمل كـ"ابن لنكك" بالعراق وـ"ابن خالويه" بالشام وـ"ابن العالاف" بفارس وـ"أبي بكر الخوارزمي" بخراسان.
وفي "فقه اللغة" قال:

كان من أكابر آئمة اللغة، بل هو إمام في علوم شتى. ذكره الصاحب بن عباد فقال: رزق ابن فارس التصنيف وأمن من التصحيف. وله تصانيف جمّة، وألف كتابه "المجمل" في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً. وله رسائل أنيقة ووسائل في اللغة تعلّى به الفقهاء. ومنه اقتبس الحريري صاحب المقامات ذلك

الأسلوب ووضع المسائل الفقهية في المقامات الطبيعية، وهي منه مسألة. وكان مقاماً بهذان وعليه اشتغل بطبع الزمان الهمذاني. وكان ابن فارس كريماً جواداً، فربما وهب السائل ثيابه وفرش بيته^(٧). وفي الري تعرف ابن فارس بـ "الصاحب بن عباد" وزير "فخر الدولة بن بويه" فكان الصاحب يكرمه ويتعلم له. وكان من ثمرات هذه الروابط أن وضع ابن فارس كتابه "الصاحبي" نسبة إلى الوزير "الصاحب"، ولدلة على أنه كتبه ليوضع في خزانة.

شخصية ابن فارس

يبدو ابن فارس تارة محافظاً، كما هو حاله في "الصاحبي" - وإن يكن بين وقت وآخر في الكتاب نفسه يخرج على هذه الحال - ويتراءى تارة أخرى متحرراً. فإن رسالته التي كتبها إلى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب تكشف عن نزعة طلابية تحزيرية حقيقة.

يقول ابن فارس مخاطباً أبا عمرو:

لم تأخذ بقول من قال: ما ترك الأول للأخر شيئاً. وتدع قول الآخر: كم ترك الأول للأخر؟! وهل الدنيا إلا أزمان، وكل زمن منها رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأفهام ونتائج العقول؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم، ووقفها على وقت محدود؟ ولمة لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول، حتى يؤلف مثل تأليفه، ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل ذلك مثل رأيه؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير، ولذهب أدب غزير، ولضلت أفهام ثاقبة، وكانت ألسن لسنة^(٨)...

من رسالته إلى أبي عمرو

ونشر ابن فارس في هذه الرسالة مقططفات مختارة من الأشعار تشير إلى ظرفه وخفة ظله، وفي الأن ذاته تشي بنزوعه إلى التعصيب، كقوله:
وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني، حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكمل، فاحسن أبو محمد بجودة أكله فقال:

كأن في أمعائه معاوية
وصاحب لي بظنه كالهاوية

فانظر إلى وجازة هذا اللقط، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب "معاوية" وتختلف الرسالة بالحكايات التي تؤكد نمو حسن الفكامة عند ابن فارس، إضافة إلى نزعته نحو التصوير المتهكم الساخر، مما يذكر بفن الكاريكاتير في زماننا، وهو هو ذا يتبع قائلًا:
ويقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان، مقللاً عليه عمامه سوداء، وطيلسان أزرق، وقيص شديد البياض، وخفة أحمر، وهو مع ذلك كله تصير، على برؤون أبلق هزيل الخلق طويل الحلق، فقال حين نظره:

وحاكم جاء على أبلق
كعشق جاء على لفتق.

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل..

ابن فارس شاعراً

ليس ابن فارس بين شعراء العربية المعروفيين، من الذين كتبوا القصائد الجيدة وتقربوا لقول الشعر، ذلك أنه كان في شغل شاغل من مسائل اللغة والفقه وسواهما، إلا أنه كان يلجاً إلى الشعر بين وقت وأخر، ليثبت هموم نفسه ويشكر الزمان والخalan، ويعطي رأيه بروح عصره. وربما سمعنا "رثينا محننا بعد كل دعوة تدرك من عيني" ورأينا "اكماماً زاغية تقنع أهدابها سروراً لا بسامة تتجاوز بين فوانده وشفتيه"^(٩). والشكوى عنده مقرونة بالنكحة وخفة الظل، مما يذكرني على نحو ما بالشاعر أبي الحسين الجزار، وهو القائل:

<p>ت حلقنا وأجر الآباء وبالشعر كنت أرجو الكلاب</p> <p>موى ذا، وفي الأحشاء نار تضرمْ أخذت بها نمسين ما كنت أعلم</p> <p>مدبن، وما في جوف بيته(١٠) درهم</p> <p>دخل الأمور لمن يملأه</p> <p>— مَا نقذره بضمك</p>	<p>كيف لاأشكر الجزارة ما عند وبه صارت الكلاب ترتجفني</p> <p>قال ابن فارس وهو في هذان شاكراً: ستى هذان الغيث لمست بقتل</p> <p>واما لي لا أصنفي الدعاء بلدة نسبت الذي أحسنته غير انتي</p> <p>وتبدو في شعره نغمة قدرية واضحة: تبقى لياس الرضا بالقضاء</p> <p>تقذر أنت وجاري القضاء —</p>
--	---

ويصور في شعره النزعة السائدة إلى اكتياز الثروة، وحلول المال كقيمة عليا، محل القيم العليا المعروفة، مما لفت انتباها إليه بديع الزمان المهداني في بعض مقاماته ولا سيما "المقامة المضيرية"، وهو من روح ذاك العصر، عنيت القرن الرابع الهجري:

<p>ما المرء إلا بأصغر بيته</p> <p>ما المرء إلا بدرهم بيته</p> <p>لم يلتفت عمره إليه</p> <p>تبول متئره عليه</p>	<p>قد قال فيما مضى حكيم فقلت قول امرئ لبيب</p> <p>من لم يكن معه درهماه</p> <p>وكان من ذلـه حقيراً</p>
--	---

وهو في إخوانياته متشائم يشك في الآخرين. وفي شکواه يصل إلى درجة التنمر من مهنة الأدب:

أراد في جنبات الأرض مضطربا
وصاحب لي أنتي يستشير وقد
منه الموارد إلا الطم والأنباء
قلت: اطلب أي شيء شئت واسع ورذ

مؤلفات ابن فارس

أخصبى لأبي الحسين أحمد بن فارس واحداً وثلاثين مؤلفاً، تتراوح بين ثمانى صفحات، كما هو الحال في "أوجز السير لخير البشر" وأربع مجلدات مثل "جامع التأويل" في تفسير القرآن، وستة أجزاء لكتاب "مقاييس اللغة". وبعضها مطبوع مثل هذا الكتاب، و"النيلوز" في نوادر المخطوطات و"نم الخطأ في الشعر" و"النصيح" و"متخيز الأنفاظ" و"الإتياع والمزاوجة" وبعضها الآخر مخطوط مثل "المجمل" وكتاب "الثلاثة" (١١).

وله رسائل أئمة مثل رسالته إلى أبي عمرو الألف ذكرها.

العرب وحب العرب في "الصاحبي"

وضع ابن فارس كتاب الصاحبى في فترة متأخرة من حياته، بعد أن كثيرة من كتبه التي أتينا على ذكر بعضها. وهو يشير في الصفحة الأخيرة من كتابه إلى أنه أنهى كتابته سنة ٣٨٢هـ، أي قبل وفاته بثلاث عشرة سنة (١٢)، دون أن يغفل الثناء مرة أخرى، مثلاً فعل في مقدمة الكتاب، على الصاحب بن عباد قائلاً: وهذا تمام الكتاب "الصحابي" أتم الله على "الصحابي" الجليل وأسبغ له الموابد.

وعلى الرغم من أنه عاش معظم حياته في فارس، فقد تعصب للعرب ولغة العرب، لافتانها بالقرآن والسنة والنبي محمد (ص): "أقول إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بحسب، حتى لا يغنى بأحد منهم عنه. وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله (ص) عربي.." .. وعلى هذا النحو يتنظر إلى اللغة العربية كل من هو مسلم غير عربي.. ولا شك أن هذا هو السر في أن المسلمين في كثير من بلدان آسيا ما يزالون يكتبون بالحروف العربية، مع أنها ليست لغتهم القومية.

لغة العرب أفضل اللغات.

لقد أفرد ابن فارس في صفحات كتابه الأولى فصلاً جعل له هذا العنوان: "باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها" جاء فيه قوله: قال جل ثناؤه "وبإنه لتزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المندرين بلسان عربي مبين" ويتبع قائلاً: وقال جل ثناؤه "خلق الإنسان، علمه البيان" إلى أن يقول: فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي باليبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه (١٣).

ويقول مستطرداً في باب آخر "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أقصد العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب وأصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة محمدًا (ص)" وكانت تعيش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة استيتها،

إذا أتتهم الوفود من العرب تخروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصنفوا كلامهم. فاجتمع ما تixerوا من تلك اللغات -يعني: اللهجات- إلى نحائزهم وسلطتهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أصل العرب" (١٤).

وهو يذهب في حبه العرب وتعصبه لهم إلى أن من العلوم الجليلة التي خصّوا بها: الإعراب الذي هو الفارق بين المعانى الممكافة في اللغو، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولو لا ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من معنوت، ولا تعجب من استفهم، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد. وذكر بعض أصحابنا أن الإعراب يختص بالأخبار، وقد يكون الإعراب في غير الخبر أيضاً، لأنما يقول: "أزيذ عندك؟" و"أزيذ ضربت؟" فقد عمل الإعراب وليس هو من باب الخبر" (١٥).

ويعتقد ابن فارس أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها، وقد "ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل". قال: ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير. وأخر بهذا القول أن يكون صحيحـاً (١٦) وهو يذهب في هذا الاتجاه بعيداً حتى إنه يوافق على قول بعض الفقهاء من أن "كلام العرب لا يحيط به إلا نبيٌّ" وما بلغنا أن أحداً من ماضي أدعى حفظ اللغة كلها. فاما الكتاب المنسوب إلى "الخليل" وما في خاتمه من قوله "هذا آخر كلام العرب" فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك.

نظريته.. في التوقيف

تقوم نظرية ابن فارس في نشأة اللغة على ما يسميه "التوقيف" وهو يربط بينها وبين نشأة المعرف، فإنها جمعاً أنزلاها الله معاً. وإنه لينطلق في ذلك من تفسيره ومناقشة تفسير سواه لأحدى آيات القرآن الكريم، وهي الآية ٣١ من سورة البقرة. ويبحث في هذا الأمر تحت هذا العنوان "باب القول على لغة العرب، توقيف أم اصطلاح؟":

"أقول: إن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله جل ثناؤه: وعلم آدم الأسماء كلها" -تنتمي الآية: ثم عرضهم على الملائكة فقال: أبئتوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (١٧) -فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها، وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباء ذلك من الأمم وغيرها. وروى حُصَنْتِ عن مجاهد قال: علمه اسم كل شيء. وقال غيرهما: إنما علمه أسماء الملائكة. وقال آخرون: علمه أسماء ذريته أجمعين". ثم يلتفت ابن فارس إلى المناقشة فيقول: "والذى نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس. فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه -يعنى شمول الآية الكريمة أجناس الأرض جمِيعاً، من كائنات حية، عاقلة وغير عاقلة، وجماد ونبات (٠)- لقال: ثم عرضهن أو عرضها" فلما قال "عرضهم" علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة، لأن موضوع الكتابة في كلام العرب يقال لما يعقل "عرضهم" ولما لا يعقل. "عرضها أو عرضهن" قيل له: إنما قال ذلك، والله أعلم، لأنَّه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب، أعني: "باب التغليب" وذلك كقوله جل ثناؤه: "والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع" (١٨)، تغليباً لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم (١٩).

الخط العربي توقيف.. أيضاً

طبعي بعد ذلك أن يشعل ابن فارس الخط العربي بنظريته الترقيفية فيقول: "الذى نقول فيه إن الخط توقيف. وذلك لظاهر قوله عز وجل: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، أقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" وقال جل ثناؤه: «ن والقلم وما يسطرون» وإذا كان كذا، فليس بعيد أن يوقف أدم عليه السلام أو غيره ومن الأنبياء عليهم السلام، على الكتاب".

ومع أنه أورد رواية تقول "إن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها (آدم) عليه السلام قبل موته بثلاثة سنة، كتبها في طين وطبخه (٢٠)"، فلما أصاب الأرض الفرق وجده كل قوم كتاباً فكتبوه (٢١)" فإنه ظل أحياناً على نظريته في الترقيف، مؤكدًا أن الكتابة كاللغة توقيف. فهو يقول "قائماً أن يكون مخترغ أخترعه -الخط- من تلقاء نفسه فشيء لا تعلم صحته إلا من خبر صحيح (٢٢)" ويستطرد قائلاً "ولم لا يكون الذي علم آدم عليه السلام الأسماء كلها هو الذي علمه الآلف والباء والجيم وال DAL (٢٣)"؟ ويمضي على النحو ذاته فيرى أن قواعد اللغة التي يقال إن آباً الأسود أول من وضعها، وأن العروض الذي قيل إن الخليل أول من تكلم فيه قد كانوا قدّماً وأتت عليهما الأيام وقلّاً بين أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان (٤)".

وببلغ من غلوه في هذا "الترقيف" أنه انكر التجديد اللغوي ورفض التغيير قائلًا: "ليس لنا اليوم أن نخترع أو نقول غير ما قالوه"، ولا أن نغير قياساً لم يقوسوه لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حفاظها، ونكتبه الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً تقيسه الآن نحن".

مؤمن.. بتدرج المعرف

ومهما يكن من أمر، فقد كانت ابن فارس رواياته الخاصة في مجال التوقف، فيتها انطوت على إيمان بتدرج المعرف. وهو مؤمن أنها لم تنزل جميعاً دفعاً واحدة على آدم عليه السلام.

وها هو ذا يقول موضحاً: "ولعل ظناً يظن أن اللغة التي دلنا على أنها توقيف إنما جاتت جملة واحدة وفي زمان واحد. وليس الأمر كذلك، بل وقف الله جل وعزَّ آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه لياءً مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله. ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبأنا نبأنا ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبأنا محمد صلى الله عليه وسلم، فأتاه الله عز وجل من ذلك ما لم يرته أحداً قبله، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة، ثم قرر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حديث (٢٦)".

رؤى ابن فارس اللغوية

إذا انتقلنا بعدما تقدم إلى النظر في ما طرحته ابن فارس من رؤى لغوية، أدهشتنا آراءه الناضجة وملحوظاته الذكية، وقدرته على النفاذ إلى ما وراء الكلمات والمفردات، ونحن واجدون ظللاً للأفكار الفلسفية والمنطقية في عصره مما كان متداولاً بين علماء الكلام وأهل الاعتزاز.

الأسماء عنده، من حيث أجناسها - وهذا القباس من المنطق - خمسة: اسم فارق كثوانا: رجل وفرس

فركتنا بالاسمين بين شخصين. واسم مفارق كقولنا: طفل، يفارقه إذا كبير. واسم مشتق كقولنا: كاتب وهو مشتق من الكتابة. واسم مضارف كقولنا: كل وبعض، لا بد أن يكونا مضارفين. واسم مقتضى كقولنا: أخ وشريك وأبنٌ وخصم، كل واحد منها إذا ذكر اقتضى غيره (٢٧).

وظيفة الكلمة المعنوية - الفكرية

وعلى هذا النحو ينظر ابن فارس إلى النعت، وهو الوصف كقولنا: هو عاقل، وجاهل. والنعت يجري مجريين: أحدهما تخليص اسم من اسم كقولنا "زيد العطار" و"زيد التعمي" خلصناه بنعته من الذي شاركه في اسمه، والأخر على معنى المدح والذم نحو "العاقل والجاهل".
إذا فإنه يتطرق في الوظيفة المعنوية - الفكرية التي تؤديها الكلمة.

والاسم قد يكون سمة كالعلامة والسيماء، وقد يكون مشتقاً من السنة (٢٨). وهناك أسماء كانت فزالت بزوال معانيها، قولهم: المربع والنشيطة والفضول" وما ترك أيضاً: الأثارة والمكس والحلوان، وأنعم صباحاً وانعم ظلاماً، وقولهم للملك: أبيب الللن. وترك أيضاً قول الملوك لملوكه: ربى. وترك أيضاً سمية من لم يبح: صرورة (٢٩) ويوضح ابن فارس معنى هذه الكلمة. من حيث وظيفتها فيقول: "أصل المضرورة أن الرجل في الجاهلية كان إذاً أحدث حثنا فلجاً إلى الحرم لم يهيج. وكان إذاً لقيه ولبيه في الحرم قيل: هو صرورة فلا تهجه. ثم كثر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبد الذي يجتب النساء وطيب الطعام صرورة وضرورياً، وذلك على النابعة بقوله: صرورة متعبد" (٣٠).

توليدات جديدة للأسماء ومعانيها

ولذا جازتنا أن نواصل كلامنا على ما دعوناه "الوظيفة المعنوية أو الفكرية للكلمة" أو "القيمة الوظيفية" لها، فإننا سننتهي إلى توليدات جديدة جميلة للأسماء ومعانيها. من ذلك ما يجعل له ابن فارس هذا العنوان "باب ما جرى مجرى الأسماء وإنما هي ألقاب" والأسماء عند العرب هنا على ثلاثة أصناف: ضرب مرح، وضرب ذم، وضرب ثقاب الإنسان لفعل يفعله. فالمعنى: تلقيم البنز والختن والصادق. والذم: تلقيم بالوزع - وهو الفسال الضعيف - ورشح الخنزير. وأما اللقب المأخوذ من فعل: كتابة ودركه (٣١).

ولا ينسى أن يضيف الأسماء المنقولة من الحيوان فيقول: "فذهب علماؤنا أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سمه بما يراه أو يسمعه مما يتعامل به، فإن رأى حبراً أو سمعه، تأول فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر. وإن رأى ذئباً تأول فيه الفطنة والذكر والكسب، وإن رأى حماراً تأول فيه طول العمر والوحاحة، وإن رأى كلباً تأول فيه الحراسة وبعد الصوت والإلف" (٣٢).

.. دون أن يبتعد عن القيمة الوظيفية للاسم ينظر ابن فارس في التسمية "على المجاورة والسبب" فالعرب تسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب، وذلك قولهم: "التيتم" لمسح الوجه من الصعيد، وإنما التيتم الطلب والقصد. يقول: تيتمتك وتتأمتك أي تعمدتك. ومن ذلك تسميتهم السحاب "سماء" والمطر "سماء" وتجاوزوا ذلك إلى أن سمواً النيبات سماء. قال شاعرهم:

إذا نزل السماء بأرض قوم (٣٣)

ويظل ابن فارس مراوحاً في الموقع ذاته حين يبحث في أصول أسماء قيس عليهما وألحق بها غيرها،

ويُنقل عن الأصمعي قوله: أصل "الورذ" اتِّيان الماء، ثم صار اتِّيان كل شيء ورذاً. وـ"القرَب" طلب الماء. ثم صار يقال ذلك لكل طلب، فيقال هو يقترب كذاً أي يطلبه ولا تقترب كذاً. ويقولون رفع عقيرته أي صوته، وأصل ذلك أن رجلاً غَرَّتْ رجله فرقها وجعل يصبح بأعلى صوته، فقيل بعد ذلك لكل من رفع صوته: رفع عقيرته (٣٤).

اسم واحد لأشياء كثيرة وأسماء كثيرة لشيء واحد

وهو يلفت الانتباه إلى تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو "عين الماء" وـ"عين المال" وـ"عين الصحاب". وفي المقابل نسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو "السيف والمهند والحسام" وإذا كانت هذه المفردات ترافقات فإن هذا اللغوي الكبير ينطلق في تفسيرها من قيمتها الوظيفية أيضاً. إن الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وقال آخرون "ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر". وينتقل من الأسماء إلى الأفعال في هذا التفسير، نحو "مضى وذهب وانطلق وقعد وجلس ورقد ونام وهجع". قالوا: ففي "قعد" معنى ليس في "جلس" وكذلك القول فيما سواه (٣٥).

ثم يعود ابن فارس فيسبه في عرض القيمة الوظيفية لأسماء كثيرة. من ذلك "المائدة" لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام لأن المائدة من "ما ذكرني يمديني" إذا أطعك، وإلا فاسمها "خوان". وكذلك "الكأس" لا تكون كأساً حتى يكون فيها شراب، وإلا فهو كدح أو كوب. وكذلك "الحلة" لا تكون إلا ثوبين: إزار ورداء من جنس واحد، فإن اختلافاً لم تدع حلة. ومن ذلك "الظعينة" لا تكون ظعينة حتى تكون امرأة في هودج على راحلها (٣٦).

دور الإعراب والتصريف في الخطاب

وفي موضع آخر من الكتاب يبين ابن فارس دور "الإعراب" وـ"التصريف" في "الخطاب الذي يقع به الاتهام من القائل، والفهم من السامع" وذلك أن قائلاً لو قال "ما أحسن زيد" أو "ضربَ عمرَ زيدَ" غير معرف لم يوقف على مراده. فإذا قال "ما أحسنَ زيداً" أو "ما أحسنُ زيداً" أو "ما أحسنَ زيد" ابن الإعراب عن المعنى الذي أراده.

ويتابع قائلاً: "وللأعراب في ذلك ما ليس لنغيرها فهم يفتركون بالحركات وغيرها بين المعاني. يقولون مفتتح للآلة التي يفتح بها ومتفتح لوضع اللقح ومتقص لآل القص ومتقص للوضع الذي يكون فيه القص". ثم يقولون: هذا غلاماً أحسن منه رجلاً يريدون الحال في شخص واحد. ويقولون: "هذا غلام أحسن منه رجل" فيما إذا شخصان (٣٧).

ويعطي "التصريف" دوراً كبيراً في التمييز بين المعاني. فلين من فاته علمه فإنه المُعْظَم" لأننا نقول "وجدة" وهي كلمة بعدها، فإذا صرفاً أفصحت، فقلنا في المال "وجداً" وفي الضالة "وجданاً" وفي الغضب "مؤنجة" وفي الحزن "وجداً". وقال الله جل شأنه "وَمَا الْقَاطِنُونَ نَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً" وقال: "وَلَقَسَطْرَا إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمَقْسِطِينَ" كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل إلى الجوز (٣٨).

المعنى والتفسير والتأويل

ويتبّع ابن فارس إلى اختلاف واضح بين ثلاثة الناظر هامة من حيث معناها، هي المعنى والتفسير والتأويل. وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربةً ولعله يعني بالمقاصد: المرامي. فـ"المعنى" فهو القصد والمراد. يقال "عنيت بالكلام كذا" أي: قصدت وعندت. وقال قوم "اشتقاق المعنى من الإظهار" يقال: "عنيت الفزنة" إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته. وـ"عنوان الكتاب" من هذا. وأما "التفسير" فإنه "التفصيل" كذا قال ابن عباس في قوله جل ثناوه: "أحسن تفسيراً" أي: تفصيلاً. وأما اشتقاقه فمن "الفسر" ويتابع قائلاً "أخبرنيقطان عن المعداني عن أبيه عن معروف عن الليث عن الخليل" قال: الفسر: البيان، واشتقاقه من ستر الطبيب للماء إذا نظر إليه، ويقال لذلك "التسيرة" أيضاً. وأما "التأويل" فآخر الأمر واعبنته. يقال: "إلى أي شيء مآل هذا الأمر؟" أي: مصيره وأخره وعقباه. وكذا قالوا في قوله جل ثناوه "ما يعلم تأويله إلا الله" أي لا يعلم الآجال والمدد إلا الله جل ثناوه. (٣٩).

بين حقائق الكلام وبين المجاز

على هذا المنوال، وحسب هذا المنهج الوظيفي إذا صبح التعبير يميز ابن فارس بين "حقائق الكلام" وبين "المجاز". إن "الحقيقة من قولنا حق الشيء إذا وجب. واشتقاقه من الشيء المحقق وهو المحكم، تقول توب محقق النسج" أي محكمه. قال الشاعر:

تسربِنْ جَلْ وَجْهَ أَبِيكَ إِنَا

عَنِينَكَ الْمُحَقَّقَةَ الرِّقَانَا

وهذا جنس من الكلام يصدق بعضه بعضًا من قولنا "حق" وحقيقة ونص "الحقائق" فالحقيقة الكلام الموضع موضوعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير كقول القائل: أَحَمَ اللَّهُ عَلَى نَعْمَهْ وَإِحْسَانِهِ. وَهَذَا أَكْثَرُ الْكَلَامِ." (٤٠).

وأما "المجاز" فما خواز من "جاز يجوز" إذا استثنى ماضياً. تقول: جاز بنا فلان. وجاز علينا فارس. هذا هو الأصل. ثم تقول: "يجوز أن تفعل كذا" أي: ينفذ ولا يردد ولا يمنع. الكلام الحقيقي يمضي لستنه لا يعترض عليه، وقد يكون غيره، يجوز جوازه لقربه منه، إلا أن فيه من تشبيه واستعارة وكفًا ما ليس في الأول، وذلك كقولك: عطاء فلان مزن واكف، فهذا تشبيه. وقد جاز مجاز قوله "عطاؤه كثير واف" ومن هذا في كتاب الله جل ثناوه "تنسممه على الخرطوم" وهذا استعارة. وقال: "وله الجواري المنتشرات في البحر كالأعلام" فهذا تشبيه (٤١).

وفي هذا الباب ذاته يذكرنا ابن فارس بضرب من الكلام ما زال شائعاً في حياتنا الاجتماعية، ويستخدمه العوام خاصة. ذاك "مخالفة ظاهر النطق معناه كقولهم عند المدح قاتله الله ما أشعره" فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه. ومنه قولهم "هوت أمه، وهبتة، وثكتة" قال كعب بن سعد يرثي أخاه:

هُوتْ أَمَهْ مَا يَنْفَعُ الصَّبَحُ غَادِيَا
وَمَاذَا يَوْدِي اللَّيْلُ حِينْ يَوْنَبَا (٤٢).

البلاغة الإيجاز

وفي كلامه على "الحنف والاختصار" يضع يده على سمة تتميز بها اللغة العربية تمامًا، وهذا ما دفع بعضهم إلى القول "البلاغة الإيجاز" وربما جاء في ذلك تفسيرًا لهذه الظاهرة، قد يتعلق بطبيعة المناخ المائي إلى الحرارة الشديدة في كثير من مناطق الجزيرة العربية، وهو ما قد يجعل الإنسان هناك ضيق العطن ملولاً محباً للإسراع والاختصار والإيجاز. وهذه من جانب آخر صفة إنسانية غير منسومة على العموم. من ذلك ما جاء في كتاب الله: "واسأل القرية أراد أهلها، وبتفوّلأن يطوه الطريق" أي أهلها. وتحن نطا السماء أي مطرها، ومثل هذا قوله تعالى "أن اضرب بعصاك البحر فانقلب" (٤٣) أي فضرب فانقلب. ومنه "إني آمنت بربكم فاسمعوني، قيل لدخل الجنة" (٤٤) أي: لما قُتل قبل دخل الجنة (٤٥).

على أن للرب، تميل أحياناً إلى التكرار والإعادة "إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر" كقول الأشعر:

وكتيبة لمستها بكتيبة
حتى يقول نساوهم هذا فتن

وكقول الآخر:

كِمْ كِمْ دَكَمْ

خَمْ نَصْبَةَ كَتَنَه

ذكر لفظ **كم** لغرض العالية بقصد تكثير العدد (٤٤).

من العام إلى الخاص وعكسه

وتحت عنوان "العلوم والخصوص" يقف ابن فارس عند أمر، هو في واقعه ظاهرة، ربما تفردت بها اللغة العربية، سوى مسألتي العام والخاص، فالعام هو الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئاً، وذلك كقوله جل ثناؤه "خلق كل دابة من ماء" وقال: "خالق كل شيء". أما الخاص فهو الذي يقع على شيء دون أشياء كقوله جل ثناؤه "أمراة مؤمنة إن و هب نفسها للنبي" وكقوله "واتقون يا أولي الألباب" فخاطب أهل العقل.

على أن بيت القصيدة الذي رمينا إليه، هو "العام الذي يراد به الخاص" على حد تعبير ابن فارس، كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام "أنا أول المؤمنين" ولم يرد كل المؤمنين لأن الآباء قبله قد كانوا مؤمنين. ومثله كثير، منه "قالت الأغراب أمّنا" وإنما قاله فريق منهم، والذين قال لهم الناس "إنما قاله "تعظيم ابن مسعود" إن الناس "أبو سفيان" و"عبيدة بن حصن".

وهو أيضاً "الخاص الذي يراد به العام" كقوله جل وعز "يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين" الخطاب له (ص) والمراد الناس (٤٧) جميعاً وفي ما يشبه عمل الاستعارة في البيان تكلم ابن فارس على "إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل في الحقيقة" يقولون: "أراد الحافظ أن يقع" وفي كتاب الله جل ثناؤه "جدارا يريد أن ينقض" وهو في شعر العرب كثير (٤٨).

"من سنن العرب ذكر الواحد والمداد الجمع" والإتيان بلفظ الجمع والمداد واحد وأثنان" ففي الحال الأولى، قوله للجماعة "ضيق" و"عذر" وقال تعالى "هؤلاء ضيفي" وقال ثم يخرجكم طفلًا وفي الحال الثانية، قوله جل ثناؤه "وليشهد عذابهما طائفه" يراد به واحد وأثنان وما فوق ومنه "إن الذين ينادونك من وراء

الحُجَّرَاتْ وَلَمْ يَكُنْ هُوَ لَا سُوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ نَادَىْ يَا مُحَمَّدَ إِنْ مَدْحِي زَيْنَ وَإِنْ شَتَّمِي شَيْنَ وَقَالَ: تَفَقَّدْ صَنَّفْتْ قَلْوِبَكُمْ وَهُمَا قَلْبَانِ . وَقَالَ يَمْ بِرْجَعِ الْمَرْسَلَوْنْ (٤٩) وَهُوَ وَاحِدٌ يَدِلُّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ جَلْ ثَنَاؤْهُ: أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ (٥٠) . وَيُخَاطِبُ الْوَاحِدَ بِلِفْظِ الْجَمِيعِ فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ الْعَظِيمِ "أَنْظُرُوكُمْ فِي أَمْرِيْ" . وَالْعَرَبُ تَذَكَّرُ جَمَاعَةً وَجَمَاعَةً، أَوْ جَمَاعَةً وَوَاحِدًا، ثُمَّ تَخْبِرُ عَنْهُمَا بِلِفْظِ الْأَثْتَنِ . يَقُولُ الْأَسْوَدُ:

إِنَّ الْمُنْتَهِيَّ وَالْحَتَّوْفَ كُلَّاهُمَا

يُوَفِّيُ الْمُخَارِجَ، يَرْفَقُلُنِي مُوَادِي

وَقَدْ جَاءَ مِثْلَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ "إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، كَانَتَا رَتَّا فَنَفَّتَنَاهُمَا" (٥١)

الْوَاحِدُ وَالْجَمِيعُ وَالشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ

وَرَبِّما خَوْطَبَ الْوَاحِدَ خَطَابَ الْجَمِيعِ إِذَا أَرِيدَ بِالْخَطَابِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ . قَالَ اللَّهُ جَلْ ثَنَاؤْهُ يَا أَئِمَّهَا النَّبِيِّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَنَلْقُوهُنَّ لِعِبْتَهُنَّ (٥٢) . وَالْعَرَبُ تَخَاطِبُ الشَّاهِدَ ثُمَّ تَحُوَّلُ الْخَطَابَ إِلَى الْغَائِبِ، كَقُولُ النَّافِغَةِ: يَا دَارِيْ مَيْهَةَ بِالْعَطِيَّاءِ فَاسْتَدِيْ

فَخَاطَبَ ثُمَّ قَالَ: أَقْوَتْ (٥٣) . وَالْعَكْسُ صَحِيفَعْ فَقَدْ يَجْعَلُونَ خَطَابَ الْغَائِبِ لِلشَّاهِدِ . قَالَ الْهَذِيلِيُّ:

يَا وَبِحَنْسِيِّ، كَانَ جَدَّهُ خَالِدَ

وَبِبِيَاضِ وَجْهِكَ لِلْتَّرَابِ الْأَعْزَرِ

فَخَبَرَ عَنْ خَالِدٍ، ثُمَّ وَاجَهَ فَقَالَ: "وَبِبِيَاضِ وَجْهِكَ" (٥٤) .

وَقَدْ يُخَاطِبُ الْمُخَاطِبَ ثُمَّ يُجْعَلُ الْخَطَابَ لِغَيْرِهِ، أَوْ يُخْبِرُ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ يَجْعَلُ الْخَبَرَ الْمُتَصَلِّ بِهِ لِغَيْرِهِ . قَالَ اللَّهُ جَلْ ثَنَاؤْهُ فَإِنَّ لِمَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ -الْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ(ص)- ثُمَّ قَالَ لِلْكُفَّارِ -فَاعْمَلُو أَنَّمَا أَنْزَلْ بِعْلَمَ اللَّهِ- . وَقَالَ ثُمَّ قَوْلَهُ يَا مُوسَى وَقَالَ فَلَا يَخْرُجُنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَسْقُيْ (٥٥) .

الْفَعْلُ وَأَسْمَاءِ الْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ

وَمِثْلًا يُخَاطِبُ الْوَاحِدَ يُرَادُ بِهِ الْجَمِيعُ، وَالْجَمِيعُ يُرَادُ بِهِ وَاحِدًا وَاثْنَانِ، وَيُحْوِلُ الْخَطَابَ مِنَ الشَّاهِدِ إِلَى الْغَائِبِ، وَمِنَ الْغَائِبِ إِلَى الشَّاهِدِ، فَكُلُّكُمْ يَأْتِي الْفَعْلَ بِلِفْظِ الْمَاضِيِّ وَهُوَ رَاهِنٌ أَوْ مُسْتَقِبٌ، وَبِلِفْظِ الْمُسْتَقِبِ وَهُوَ مَاضٌ . وَيَعُودُ ابْنُ فَارِسٍ إِلَى أَسْلَوِيَّهُ الْمُفْضِلِ فِي الْإِسْتَهْمَادِ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَيَقُولُ: قَالَ اللَّهُ جَلْ ثَنَاؤْهُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ أَيِّ: أَنْتُمْ . وَقَالَ جَلْ ثَنَاؤْهُ: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ أَيِّ: يَأْتِي . وَيَجِيءُ بِلِفْظِ الْمُسْتَقِبِ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مَاضٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَمَضَيْتُ عَنْهُ وَقْتَ: لَا يَعْنِيْ (٥٦) .

وَلَكِنَّ أَمْرًا عَلَى الْلِّتِيمِ يَمْبَثِي

وَيَفْرَدُ بِأَيْمَانِ الْأَثْتَنِ مِنَ الْمَشْتَقَاتِ يَأْتِي أَحَدَهُمَا وَهُوَ اسْمُ الْمَفْعُولِ بِلِفْظِ اسْمِ الْفَاعِلِ . تَقُولُ: سَرْ كَاتِمَ، أَيِّ: مَكْتُومٌ . وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلْ ثَنَاؤْهُ: لَا عَاصِمُ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ . أَيِّ: لَا مَعْصُومٌ (٥٧) .

زار دمشق عام ١٩٧٤ الممثل السينمائي الروسي الراحل "لينوكنتي سموكتونوفسكي" في صحبة مجموعة من الأفلام السينمائية السوفيتية المقتبسة عن مسرحيات شاعر الأكاديميين الكبير وليم شكسبير، وبينها "هاملت" و"أطليل" و"ملك ليور". لبعض كان ذلك بدعوة من نادي دمشق السينمائي الذي كنت حينها أميناً سره. وفي حفل الافتتاح في صالة الكندي، كان على أن ألقى كلمة النادي، على أن يقوم بترجمتها إلى الروسية مباشرةً مخرج سينمائي متخرج من هناك. وفي الحق قلبي لم أبالغ في الفصاحة، ولكنني كتبت وقرأت كلاماً يختلف عن الدارج وعن لغة الصحف، فإذا الترجمان الصديق يتوقف بعد قليل علينا عجزه عن الترجمة إلا إذا بسطت كلامي أي عدت إلى لغة الصحف.

تذكرت هذه الحكاية وأنا أقرأ ما كتبه ابن فارس حول مسألة الترجمة من العربية إلى سواها بقوله: "وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقطيم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من الترجماء على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل من السريانية إلى الجبانية والرومية وترجمت التوراة.. بلغ"(٥٨).

تذكرت هذه الحكاية، وأنا أستعيد عندي بعض فصول كتاب ابن فارس "الصحابي" أو أبوابه كما يدعوها هو، فأرى غوصه وراء كنوز النصحي المكونة، لاظهارها وإعلانها وتبيان ما فيها من عقريبة في النحت والاستئناف والإعراب والتصريف، وفي أساليب مختلفة للخطاب والبلاغة بما فيها من بيان ومجاز واستعارة وتشبيه وكناية.. إلخ.

لقد قدم ابن فارس، هذه الفصحى، كما لو أنه واحد من خيرة إبانها الأصلاء النجباء، وهو الفارسي أصلاً ولصلاً، واحد يمكن لها ولنبيها وأهلها جيداً باللغة وإعجابها كبيراً.. ولم يترك سانحة إلا تحدث فيها عن عظمة هذه اللغة وإعجازها، كما هو حال القرآن الكريم تماماً. وحسبه أنه عرضها أمام بصائرنا وأبصارنا، وكانت نراها من خلال موشور كريستالي صاف تظهر فيه ألوان الطيف جميعاً.

الحواشى:

- ١- فقه اللغة في الكتب العربية -تأليف: د. عبد الرحمن الراجحي - دار النهضة العربية- بيروت -١٩٧٤- ص ٤١.
- ٢- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها -تأليف: أحمد بن فارس - المكتبة السلفية- القاهرة - ١٣٦٨ - ١٩٤٠.

٣- فقه اللغة -٣. عبد الرحمن الراجحي - من ٤٢.

٤- المصدر السابق - من ٤٢.

٥- المصدر نفسه - من ٤٨.

٦- الصاحبي -أحمد بن فارس - من ٤٣، ٤٤.

٧- فقه اللغة -لإمام أبي منصور اسماعيل الشعالي التيسابوري -مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت: ١٨٨٥- من ١٤.

٨- هذه الرسالة منتشرة بنسختها الكاملة في النسخة التي اعتمدناها من "الصحابي":

٩- من مقتمة الصاحبي - من ٦٢.

- ١٠- المصدر السابق - من نهب.
 - ١١- الأعلم - خير الدين لوزركي - دار العلم للسلفية - ط٥ ١٩٨٠ - المجلد الأول.
 - ١٢- الصاهي - من .٢٣٦.
 - ١٣- الصاهي - من .١٦.
 - ١٤- المصدر السابق - من .٢٢ - يمتاز جمع نعزة أي الطيبة.
 - ١٥- المصدر السابق - من .٤٦.
 - ١٦- المصدر نفسه - من .٣٦.
 - ١٧- لم يذكر ابن فارس هذه التسمة للآلية.
 (*) القول بين المترجمنين من عتي. (ن-ب)
 - ١٨- سورة الفور - الآية ٤٥ وتنتها: يخلق الله ما يشاء، إن الله على كل شيء قادر :
 - ١٩- الصاهي - من .٥.
 - ٢٠- بثرة إلى الرقم الطوينية.
 - ٢١- الصاهي - من .٧.
 - ٢٢- المصدر السابق - من .٨.
 - ٢٣- المصدر نفسه - من .٨.
 - ٢٤- المصدر نفسه - من .١٠.
 - ٢٥- المصدر نفسه - من .٣٣.
 - ٢٦- المصدر السابق - من .٩.
 - ٢٧- المصدر نفسه - من .٥٤.
 - ٢٨- المصدر نفسه - من .٥٧.
 - ٢٩- المصدر نفسه - من .٥٩-٥٨.
 - ٣٠- من قوله في وصف المتبردة لمرأة النحش:
- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| عبد الله، صرورة متهجد | لو أنها عرضت لاشتمط راهب |
| عبد الله، صرورة متهجد | لو أنها عرضت لاشتمط راهب |
- ٣١- الصاهي - من .٦١.
 - ٣٢- المصدر السابق - من .٦٢.
 - ٣٣- المصدر السابق - من .٦٣.
 - ٣٤- المصدر نفسه - من .٦٤.
 - ٣٥- المصدر نفسه - من .٦٥.
 - ٣٦- المصدر نفسه - من .٦٧.

- ٣٧-الصحابي من ١٦١.
- ٣٨-المصدر السابق من ١٦٢.
- ٣٩-المصدر السابق من ١٦٣-١٦٤.
- ٤٠-المصدر السابق من ١٦٧.
- ٤١-المصدر نفسه من ١٦٨.
- ٤٢-المصدر نفسه من ١٦٩.
- ٤٣-الأية: ولو هينا إلى موسى لن اضر بعسكري البحر فقتل سورة الشراء - الآية ٦٣.
- ٤٤-الأية: قتي أمنت بربكم للسمعي. قتل العجل البهنة. قتل بالموت قومي يطعون. سورة ياسين - الآيات: ٦٥-٦٦.
- ٤٥-الصحابي من ١٧٥.
- ٤٦-المصدر السابق من ١٧٧.
- ٤٧-المصدر السابق من ١٧٨-١٧٩.
- ٤٨-المصدر السابق من ١٧٩.
- ٤٩-المصدر نفسه من ١٨٠.
- ٥٠-حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام سورة النمل - الآيات: ٣٧-٣٩-٣٥-٣٦:

ثلاث ابن الملوك إذا انطلقا فرية لقتلوها وجعلوا أجزاء أطها لذلة، ولكنك يطعون. وهي مرسلة إليهم بهدية،
فقلت لهم ربكم يا جاه سليمان قتل: أندونني بليل، فما أشقي الله خلأ ما أشكم، بل لئن
بهديكم تارعون. راجع البيهقي بجندول لا فعل لهم بها، وتطرجنهم منها لذلة وهم صاغرون:

- ٥١-الصحابي من ١٨٢.
- ٥٢-المصدر نفسه من ١٨٦.
- ٥٣-المصدر نفسه من ١٨٣.
- ٥٤-المصدر نفسه من ١٨٣.
- ٥٥-المصدر نفسه من ١٨٤.
- ٥٦-المصدر السابق من ١٨٦.
- ٥٧-المصدر نفسه من ١٨٧.
- ٥٨-المصدر نفسه من ١٢-١٢.

العربية: لغةٌ وكتابٌ

د. محمد محفل

جامعة دمشق

أ- اللغة:

١- اللغة والمجتمع.

٢- العربية وتناسبها للغوي.

٣- العربية الفصحى، تناسبها ومكانتها.

ب- الكتابة:

١- من الصورة إلى المقطع الصوتي.

٢- من المقطع الصوتي الصوري إلى الحرف الأبجدى الكهفي "الفينيق":

٣- من الأبجدية الكهفية إلى الكتابات الأرامية.

٤- لكتابية العربية الحجازية بين الأقلام الأرامية والخط المستند.

ج- الجداول المقارنة.

د- ملخص النقوش.

هـ- ثبت المصادر والمراجع.

أ- اللغة:

١- اللغة والمجتمع:

لا حاجة بنا إلى القول بأنه لا لغة بلا مجتمع، كما أنه لا وجود لمجتمع يغير لغة، ومن نافلة القول أيضاً أن نقرّ الصعوبات التي تفترض سبيل الباحثين وذوي الاختصاص، لمعرفة تاريخ ومكان وكيفية نشوء "اللغة الأولى" لبني البشر. فهذا ليس قصتنا ولا مجال لذلك في عجالتنا هذه، متغاضين عن أهواه أولئك الذين

اهتوا بما جاء في التوراة، (سفر التكوين، الاصحاح الحادي عشر):

- ١- وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً.
- ٢- وكان أنهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في أرض شنعار فأقاموا هناك.
- ٣- وقالوا تعالوا نبني لنا مدينة ويرجأ رأسه إلى السماء...
- ٤- فنزل رب لينظر المدينة والبرج..
- ٥- وقال رب هام شعبٌ واحدٌ ولجميعهم لغة واحدة..
- ٦- هم نهيط ونبيل هناك عندهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض...
- ٧- فبندهم رب من هناك على وجه الأرض كلها..
- ٨- ولذلك سُميت بابل لأنَّ ربَّ هناك **بنَلَنْ** لغة الأرض كلها..

لا تعليق لنا على ماجاء أعلاه!! مع العلم بأن اسم بابل لا يعني في الأكديـةـ البابليةـ والأراميةـ لاحـقاـ بـابـ إـيلـوـ بـابـ إـيلـ سـوىـ (بابـ إـيلـ بـابـ اللهـ)ـ وإـيلـ كماـ نـعـلـمـ هوـ ربـ الأـربـابـ فـيـ المـهـلـلـ الخـصـيبـ،ـ فـيـ إـحدـىـ الـحـقـبـ،ـ وـمـنـ هـاـ الـأـسـمـاءـ الـمـرـكـبـةـ:ـ اـسـمـاعـيـلـ،ـ جـبـرـائـيلـ،ـ عـزـرـائـيلـ،ـ إـسـرـافـيلـ،ـ اللـغـ...ـ وـلـيـنـاـ فـيـ الـضـاحـيـةـ الـجـنـوـبـيـةـ لـدـمـشـقـ بـلـدـةـ بـبـيلـ بـعـنىـ (بابـ اللهـ).

لم يكن هدفنا من هذه اللفتة الاستثنائية لاسم بابل، سوى التمهيد لما سلاخذه لاحـقاـ من تشابـهـ جـليـ واضحـ،ـ بـيـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ كـماـ اـرـكـانـاـهـ فـيـ الـأـدـبـ الـجـاهـلـيـ وـفـيـ الـخـطـابـ الـقـرـآنـيـ فـيـمـاـ بـعـدـ،ـ إـضـافـةـ لـمـاـ نـجـدـ فـيـ مـخـتـلـفـ وـثـاقـبـ الـحـضـارـةـ الـيـمـنـيـةـ وـالـقـوـشـ الـقـدـيمـةـ (ثـمـوـتـيـةـ،ـ لـحـيـانـيـةـ،ـ صـفـافـيـةـ،ـ وـقـالـ الـبعـضـ صـفـوتـيـةـ)ـ وـجـمـيعـهـ بـالـقـلـمـ الـمـسـنـدـ،ـ أـيـ بـالـتـرـاثـ الـلـغـوـيـ لـشـيـهـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ؛ـ هـذـاـ مـنـ نـاحـيـةـ،ـ وـبـيـنـ لـغـاتـ بـلـادـ الـرـافـيـنـ وـالـشـامـ وـوـاـدـيـ النـيـلـ،ـ إـضـافـةـ لـشـمـالـ إـفـرـيـقـيـةـ،ـ تـلـكـ الـلـغـاتـ وـالـلـهـجـاتـ الـتـيـ أـطـلـقـ عـلـيـهـاـ الـبعـضـ اـسـمـ الـلـغـاتـ "ـحـامـيـةــ السـامـيـةـ".ـ

أعلن نفر أن السريانية هي لغة "الإنسان الأول" واحتاج آخرون على ذلك زاعمين أنها العبرية - مع العلم بأنه لا يكفي لـ " عبرية قديمة " خارج دائرة اللغتين الكنعانية والأرامية، وأكيد آخرون أنها العربية بل شطب مخيلة هذا الفريق أو ذاك، عندما زعموا أن لغة أهل الجنة هي هذه أو تلك !!

عني عن البيان أن شتى هذه الدعاوى لا علاقة لها بمنطق الأمور، وتختضنها مختلف الدراسات اللغوية المقارنة، ولا مجال لنا للاستغراف في الحديث حول ذلك. ولكن لا يأس من ذكر بعض هذه الدراسات (١)، إذ من البديهي أن يطمح البعض إلى متابعة هذه النقطة أو تلك، وهذا أمر مفهوم.

قال البعض، إن الإشارات والرموز التي ظلت الوسيلة الوحيدة للتقاهم لدى الجماعات البدائية، حتى مطلع قرتنا هذا، (مجاهل أقيانوسية وأفريقيـةـ الخـ....)، والتي نلاحظها في الطفل قبل أن يتعلم الكلام، تعطينا فكرة تقريرية عن وسيلة التقاهم الأولى لدى الكائنات البدائية، وبعد الإشارات هذه جامت الأصوات فالكلمات: أحادية الصوت أو ثنائية الصوت... ثم كانت اللغة؛ والحالة هذه، فاللغة أصلـاـ هي أصوات وليسـ كلمـاتـ،ـ والكلمة صوت يرمز إلى معنى، وكتابة الكلمة رسم يرمـزـ إلىـ هـذـاـ الصـوتـ،ـ إـذـاـ فالـصـوتـ هوـ الأـصـلـ.ـ جاءـ فيـ القـامـوسـ الـمـعـيـطـ (فـيـروـزـ أـبـاديـ)ـ:ـ "ـوـالـلـغـةـ،ـ اللـسـنـ،ـ وـحـدـهـاـ أـصـواتـ يـعـبـرـ بـهـاـ كـلـ قـوـمـ عنـ أـغـرـاضـهـمـ".ـ ويـضـيـفـ ابنـ منـظـورـ فيـ مـادـةـ "ـلـغـاـ"ـ:ـ "...ـ وـالـلـغـةـ،ـ اللـسـنـ،ـ وـحـدـهـاـ أـصـواتـ يـعـبـرـ بـهـاـ كـلـ قـوـمـ عنـ أـغـرـاضـهـمـ...ـ".ـ

ولنخوض فقرتنا هذه بما قاله (الأستاذ أحمد عبد الرحيم الساتح): "... وقد يصعب على الباحث معرفة متى وأين وكيف بدأت اللغة، إلا أنها لا نعد المسواب، إذا قلنا: إنها بدأت عندما تكونت أول جماعة إنسانية في هذا الوجود، ولا نعد المسواب أيضاً إذا قلنا: إن الجماعة الإنسانية الأولى - أيـاً كان طلبها- عندما تكونت صحبـت معها مشاكلها الخاصة، الناتجة عن عـلاقات الأفراد بعضـهم ببعضـ، والناتجة عن عـلـةـ الإنسان بالبيئة والطبيعة.

وفي سبيل البحث عن حل لـذلك المشاكل الجديدة في نوعـها، تولد النشاط الإنساني في استخدام الصوت، لـتكوين النـاظـ لـغـويـ، بدـانـيةـ الطـابـعـ، والإـصـانـاتـ لـتـكـلـ الأـصـواتـ، بما يـتـبعـهـ منـ مـسـكـ ذـهـنـيـ لـفـهـ مـدـلـولـهـ الـفـظـيـ عنـ طـرـيقـ الـأـذـنـ. تـجـسـدـ هـذـاـ النـاشـطـ الإنسـانـيـ المـتـمـيزـ منـ كـاتـنـاتـ الطـبـيـعـةـ الـأـخـرـيـ، فـيـ صـيـحـاتـ مـوـسـيقـيـةـ، تـوـمـيـ بـعـانـ سـحـرـيـةـ، تـخـلـفـ فـيـ دـلـالـهـاـ باـخـلـافـ مـوـسـيقـاهـ.. بـذـكـ تـكـونـ النـصـرـ الأسـاسـيـ لـبـيـنـةـ التـقـانـيـةـ الـخـاصـةـ بـالـإـنـسـانـ وـحـدهـ.. وـلـوـسـتـ عـلـىـ هـذـاـ الأـسـاسـ، الـبـيـنـةـ الـتـيـ يـحـيـاـ فـيـهـ الـإـنـسـانـ، يـعـملـ وـبـيـحـثـ مـادـيـةـ فقطـ، بـلـ تـقـانـيـةـ كـذـكـ، فـأـعـالـ إـلـيـانـ وـكـيـنـيـةـ اـذـانـ لـهـاـ، لـاـ تـتـوـقـفـ عـلـىـ التـكـوـنـ الـعـضـوـيـ لـجـسـدـهـ فقطـ، بـلـ الـبـيـنـةـ وـالـإـنـسـانـ يـتـأـثـرـانـ كـذـكـ بـمـوـثـرـاتـ تـرـاثـهـ الـقـانـيـ الـمـبـتـدـ فـيـ التـقـالـيدـ وـالـنـظـمـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـعـادـاتـ وـالـأـهـادـافـ وـالـمـعـقـدـاتـ الـتـيـ تـحـلـمـاـ الـأـلـفـاظـ الـلـغـويـةـ. فـيـ طـنـيـ وـتـوـحـيـ بـهـ.(2)

2 - العربية وانتسابها اللغوي.

من الأمور المقررة حالياً في الدراسات الجامعية والأكاديمية -والخاصة باصل الشعوب والسننـ، أنه لا يمكن أن نـقـيمـ عـلـةـ مـطـلـقـةـ بـيـنـ الـأـصـلـ الـعـرـقـيـ لـشـعـبـ ماـ، وـبـيـنـ الـلـغـةـ الـتـيـ يـنـطـقـ بـهـ، وـوـمـكـنـتـ أـنـ نـتـقـنـ منـ ذـكـ، بـدـالـلـ وـشـوـادـ قـيـمـةـ وـحـيـثـ، إذـ نـجـدـ أـفـوـماـ وـشـعـوبـ تـهـجـرـ أـسـتـنـتهاـ الـأـصـلـيـةـ، لـمـصـلـحةـ أـسـنـ أـقـوـامـ أـخـرـيـ، لـأـسـبـابـ سـيـاسـيـةـ أوـ اـقـتصـاديـةـ أوـ دـيـنـيـةـ الخـ... لـمـثـلـ الـلـغـةـ الـعـزـرـيـةـ اـنـدـرـتـ فـيـ سـوـرـيـةـ، بـعـدـ زـوـالـ سـلـطـانـ الدـوـلـةـ الـمـيـتـانـيـةـ، فـيـ تـهـاـيـةـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ عـشـرـ (قـ.مـ)، لـمـصـلـحةـ لـغـةـ السـكـانـ الـمـحـليـنـ. الـكـنـعـانـيـةـ فـالـأـرـامـيـةـ. وـكـذـكـ الـقـلـسـتـيـنـيـوـنـ(1)، وـهـمـ مـنـ أـقـوـامـ شـعـوبـ الـبـحـرـ(2)، فـيـعـدـ استـقـارـهـمـ عـلـىـ الشـرـيطـ الـكـنـعـانـيـ الـجـنـوـبـيـ، هـجـرـواـ لـغـهـمـ لـمـصـلـحةـ الـكـنـعـانـيـةـ، وـكـذـكـ أـلـنـكـ الـذـينـ أـطـلـقـواـ عـلـيـهـمـ اـسـمـ الـأـسـرـانـيلـيـنـ الـقـدـمـاءـ فـالـيـهـودـ فـيـمـاـ بـعـدـ، مـذـ تـسـلـلـهـمـ إـلـىـ فـلـسـطـيـنـ، بـعـدـ الـقـرـنـ الثـانـيـ عـشـرـ (قـ.مـ) وـمـرـرـوـاـ بـالـسـبـيـ الـأـشـوـرـيـ (قـ.مـ ٢٢١ـ). فـالـبـالـبـلـيـ بـمـرـحلـتـهـ (٥٩٧ـ/٥٨٦ـ قـ.مـ) وـاـنـتـهـاـ بـتـشـرـيـدـهـمـ الـنـهـاـيـةـ عـلـىـ يـدـ الـرـوـمـانـ (عـامـ ١٣٥ـ)... أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـأـرـمـنـةـ الـحـدـيـثـةـ وـالـمـعـاـصـرـةـ، فـالـشـوـادـهـ عـلـىـ ذـكـ وـافـرـةـ مـتـوـعـةـ: فـالـأـقـوـامـ وـالـشـعـوبـ الـتـيـ تـنـتـطـلـقـ الـيـومـ بـالـإـسـبـانـيـةـ وـالـبـرـتـغـالـيـةـ فـيـ مـخـتـلـفـ أـنـحـاءـ اـمـرـيـكـةـ الـجـنـوـبـيـةـ، لـاـ حـصـرـ لـأـصـوـلـهـاـ الـعـرـقـيـةـ، وـنـحـنـ نـعـلـمـ أـنـ الـإـسـبـانـيـنـ وـالـبـرـتـغـالـيـنـ قـدـ شـرـعواـ فـيـ اـسـتـعـمـارـ الـعـالـمـ الـجـدـيدـ- لـاسـيـمـ الـقـسـمـ الـجـنـوـبـيـ مـنـهـ- مـذـ مـطـلـعـ الـقـرـنـ السـادـسـ عـشـرـ.

(1) نـعـيـهـمـ أـلـنـكـ الـحـسـاـعـاتـ الـذـينـ هـاجـرـواـ سـوـاـحـلـ الـدـلـلـ الـمـصـرـيـةـ، وـبـعـدـ فـتـلـهـمـ تـوـجـهـواـ خـوـ الـسـاحـلـ الـكـعـانـيـ الـأـدـنـيـ الـفـلـسـطـيـنـ، بـحـيثـ اـسـتـقـرـاـتـ عـلـىـ الشـرـيطـ الـسـاحـلـيـ الـمـسـنـدـ مـنـ يـاـنـاـتـيـ غـزـةـ وـأـسـوـاـ عـدـةـ مـدـنـ مـنـهـاـ اـشـدـرـ وـرـعـقـلـانـ. رـاـسـهـمـ فـيـ الـمـارـاجـيـةـ الـأـكـدـيـةـ حـالـيـاـ plaestinian وـهـمـ غـرـ "الـفـلـسـطـيـنـيـوـنـ".

(2) وـهـمـ الـأـقـوـامـ اـكـسـحـواـ الـلـحـوـنـ الـشـرـقـيـ لـلـبـرـ الـأـيـاضـ الـمـوـسـطـ- وـمـنـهـمـ الـفـلـسـطـيـنـيـوـنـ- فـيـ الـقـرـنـ الثـانـيـ عـشـرـ (قـ.مـ)، اـنـتـلـقـاـنـ منـ خـزـرـ عـرـجـيـهـ وـكـرـبـتـ بـلـ وـمـنـ صـفـلـيـهـ وـسـرـدـيـهـ. إـلـخـ...

وشاع استعمال هاتين اللغتين، ذات الأصل اللاتيني، بين سكان أمريكا الجنوبية، إلى درجة كبيرة، مما جعل البعض يطلق اسم "أمريكا اللاتينية" على القسم الجنوبي من القارة الأمريكية، ومما يقلل عن الشعوب الناطقة بالاسبانية والبرتغالية ينطبق على بعض الأقوام الأفريقية والآسيوية التي اعتمدت اللغة الفرنسية أو الانكليزية لغة راجحة لها، مع احتفاظها أحياناً (كالهند مثلاً) بلهجاتها القومية.

تنسب لغتنا "العربية الفصحى" إلى تلك المجموعة اللغوية، التي أطلق عليها تجاوزاً اسم "اللغات السامية". وهي اللغات واللهجات التي تكوت في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم اعتباراً من الألف الرابع (ق.م.). وأول من نادى بالنظرية السامية بهما من عام ١٧٨١ ، الباحث النمساوي شلوترس معتقداً -لأسباب سياسية/ كهنوتية- على ماجاه في (*سفر التكوير، الإصلاح العاشر*)، ومن يقرأ هذا الإصلاح يلاحظ مباشرةً أن كاتب النص يقسم الشعوب والأقوام لاعتبارات سياسية، لاست Alma موافقها من أهل التوراة، ومن الأمثلة على ذلك، أنهم أخرجو الكهانين من دائرة "الشجرة السامية"؛ علماً أن مختلف الدراسات المقارنة قد أظهرت الصلات الجوهرية والوشائج المطلقة، التي تشد الكعنوية إلى غيرها من لغات شرقنا العربي القديم. ثم جاء بعد شلوترس من عمل على ترويج هذه التسمية وفي مقدمتهم العالم الفرنسي (إرنست ريان)، بل راح يُلخصها عرقياً، خدمةً للمدرسة الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع عشر.

نحن نرفض جازمين نظرية "التسمية السامية"، لأنّها علمية محضة، ولدوافع سياسية وقومية:

أولاً: فمن الناحية العلمية، دحضت مختلف الدراسات العرقية والإناثية (أنتروبولوجيا) نظرية وحدة السلالة أو الأصل MONOGENISME/ MONOGNISM بمعنى أن مختلف أفراد شعب ماينحدرون من شيخ واحد.(3).

ثانياً: التسمية ذات أصل توراتي -كما ذكرنا أعلاه- كما أن الاستشراق الغربي قد "يتبعها" ورؤجها، لأنّها سلالة سياسية/ مذهبية، لم تتع خافية على أحد، وذلك في أوج اندفاع الاستعمار الغربي، وقبل قرن، تقريباً من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول. كما أنها اكتوينا كافياً برعنونة سلاح: سامية/ لاسامية، وإضافةً لهذا وذلك، لا نجد أثراً لهذه التسمية في مؤلفات علماناً وشيوخنا الأوائل؛ وما نقرره هنا، قد نسبنا إليه منذ ربع قرن تقريباً في المقدمة التاريخية لكتابنا (*المدخل إلى اللغة الآرامية*)، المقرر في جامعة دمشق، والمعمول به حتى يومنا هذا، إذ قلنا أن المهمة ملأة على عاتق الباحثين العرب المعاصررين لإجاد بديل للتسمية التوراتية... ويدخل الموضوع في باب "السهل الممتنع" لانتشار هذا الخطأ الشائع في الأوساط الجامعية، عربياً ودولياً. وقد سبق أن انتبه لإبهام التسمية بعض الباحثين العرب، لاست Alma الأستاذين محمد عزة دروزة وجاد علي، وقد لخص هذا الأخير الموضوع كما يلي: "... ولعلني لا أكون مخطئاً أو مبالغًا إذا قلت إن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح (سامي) و(سامية) بـ(عربي) و(عربية)... ولما كان العلماء قدماً قد أطلقوا على هذه الأرض التي ظهرت فيها شعوب كثيرة ولغات عديدة اسم (جزيره العرب) أو (شبه جزيره العرب) غير مراعين في ذلك تعداد المواقع أو اللغات واللهجات أو القبائل، ولا تاريخ ظهور لفظة (العرب) إلى عالم الوجود، جاز لنا بل وجوب علينا -على ما أرى- أن نستبدل مصطلح (سامي) بمصطلح (العربية)، فذكرون بذلك قد لاحظنا عاملين مهمين: عامل القرابة اللغوية والأصل اللغوي، وعامل وحدة المكان.. وإذا وافقنا على إقرار هذا المصطلح، تكون قد تقربنا نحو العلم، وابتعدنا عن الأساطير، أسطورة انحدار الساميين من صلب

رجل هو سام، وحري بالعلم أن يبني أحكامه على حقائق علمية، وأن يتعد عن القصص والأساطير^(٤).

وَغَيْرَهُ عن البيان، أنه لا يمكن تمييز أولئك "الساميين" عن غيرهم من أقوام وطننا العربي القديم، استناداً إلى ماهية العرق البشري فقط، إذ أن هؤلاء قد امتهنوا، منذ الألف الرابع (ق.م.)؛ بسواه من الأقوام المنحدرة من جبال زاغروس أو المتৎقة من بلاد الأناضول أو الوالدة من جزر المحيط الشرقي للبحر الأبيض المتوسط: من سومريين^(٢) وغورتنيين^(٣) وحثين^(٤) وكاثين^(٥) وحوريين^(٦) ميتانين^(٧) وفلستينيين^(٨) وفرس أخمينيين^(٩) وإغريق ولاتين^(١٠) وغيرهم. ونعم أن أولئك الأقوام قد نطقوا بالأسن مفارة لما كان سائداً في ربواعنا، فلم يتمكنوا من فرض لغاتهم على أهل البلاد، فلظلت محدودة في لواديهن لتختفي بزوال سلطاتهم السليبية، وأظهرت شئن الدراسات المقارنة الخاصة بأصول اللسالات البشرية (الاتنولوجيا)، أن عملية تمازج الشعوب لم تتقطع منذ عصور ما قبل التاريخ، من جراء الهجرات البشرية المختلفة، مما أدى إلى اختلاط دماء شئن الشعوب، وينطبق هذا الأمر على وطننا العربي القديم كما ذكرنا أعلاه.

ولابدث اختلاف الأمم في التفكير والسلوك عن نوعيات عرقية مطلقة، بل يتحدد ذلك بالشروط والظروف الاقتصادية-السياسية والاجتماعية لشعب ما، إضافةً للعوامل الجغرافية التي توفر شروطاً ملائحة معينة، لا ينكر دورها في هذا المضمار. وعندما تشير إلى جنس ما، فلا يخطر على بالنا صفاء عرقه، بل تقصى بذلك تلك الصفات التي تغير حضارته وت الثقافه في مختلف الميادين، على مر الأيام والستين، وأمم حفل تشع فيه الخصائص المشتركة لأمة من الأمم، هو حقل اللغة، ويبدو هذا الأمر جلياً واضحاً في لغات ولهجات وطننا العربي عبر المصوّر. وإليكم أهم خواص ومميزات تلك الألسن، في بعض مركباتها، وأحوالها واختلافاتها عن غيرها من اللغات.

أ- الشاق أغبالية المفردات من جذر ثلاثي، ولذلك أطلق علماء اللغة عليها صفة "ثلاثية الجذر" TRILITERE / ونعلم أن المشرق ومصدره، في لغتنا العربية وأخواتها، يتقان في الحروف الأصلية وتربيتها، فنقول: "تعذر وناصر ومنصور ومنتصر وانتصر اللغ.. وكتب وكتابة ومكتوب ومكتبة وتكلبت اللغ.. وتفق واستتفق والنافقة والنفقه والمفاق اللغ...". تلاحظ أنه في مختلف المفردات المشتقة من

^(١) ظهر السومريون في المنطقة الجنوبيّة لبلاد الرافدين، بدءاً من منتصف الألف الرابع (ق.م.)، وقد اعتبرهم البعض سابقاً غرباء عن المنطقة واظهرت دراسات مقارنة حديثة إمكانية تطورهم علينا.

^(٢) انحدروا إلى بلاد الرافدين عبر جبال زاغروس، في أواخر الألف الثالث (ق.م.)، وساهموا في الفتح على الدولة الأكادية.

^(٣) من أقوام آسية الصغرى، انطلقوا من الأناضول ليغزوا بدور ملحوظ في النصف الثاني للألف الثاني (ق.م.)، في البقاع الشالي سوريان وأجيانا في بلاد الرافدين.

^(٤) موطنهم الأصلي في أراضي جبال زاغروس، احتلوا مدينة بابل وورثوا مملكتها ودام حكمهم نحو أربعة قرون ونصف (١٥٩٥-١١٦٠ ق.م.).

^(٥) أسس الموريون الدولة المبابية التي كان لها دور بارز في شمال بلاد الرافدين وسوريا في القرنين السادس عشر والخامس عشر (ق.م.).

^(٦) انتظروا أول دولة فارسية في منتصف القرن السادس (ق.م.) ليغزو عليها الإسكندر المقدوني عام (٣٣١ ق.م.).

^(٧) أسسوا أول دولة فارسية في منتصف القرن السادس (ق.م.) ليغزو عليها الإسكندر المقدوني عام (٣٣١ ق.م.).

^(٨) في العصرين الملطي (السلوقي البطليمي) والروماني الباروكي.

(نصر)، أن ترتيب الحروف ثابت (ن/ فاء الفعل، ص/ عن الفعل، ر/ لامه)، وكذلك بالنسبة لـ (كتب: كـ، تـ، بـ) وأيضاً لـ (تفـ: نـ، فـ، قـ).

ونعلم أيضاً أنه في بعض المشتقات يحصل انتقال في الحروف الأصلية، دون ترتيبها، مع تناسب في المعنى، وذلك هو الاستنقاق الكبير (القلب). والاستنقاق في لغتنا العربية وأخواتها هو على ثلاثة أشكال: الاستنقاق الصغير، وهو استنقاق كلمة من جذر بشرط أن يكون بين المفردين تناسب في اللفظ والمعنى وترتيب الحروف، مع تغایر في الصيغة، مثل: كـتب، كتابة، مكتوب الخ.. ثم لدينا الاستنقاق الكبير، حيث نجد تناسباً في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف، مثل جذب وجذـ، طاف وطفـا، جـلـ وجـلـ الخ... وقالوا أيضاً: "القلب" كما ذكرنا. وبطبيعة ذلك الاستنقاق الأكبر وهو "الإيدال" حيث نجد بين لغتين تناسباً في المعنى ومخارج الحروف دون تناسب في اللفظ، نحو: تـفـ وـتـقـ، ضـمـ (ضمـ) وـضـنـ، رـصـ (رصـ) وـرـصـ، رـجـ (رجـ) وـرـجـ، الخ.. هذا، إضافة إلى الاستنقاق الكبار، وهو النحت، وهو أن تختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة، ولا يشترط فيها حفظ الكلمات بتمامها، ولا يرخص أحياناً من كل الكلمات كما أنه ليس من الضروري موافقة الحركات والسكنات، ولكن لا بد من مراعاة ترتيب الحروف.

والنحت عند جمهور العلماء على أربعة أشكال:

فعلي، نحو: بـسـمـ (إذا قلت باسم الله الرحمن الرحيم)، حـوـقـ (لا حـول ولا قـوـة إلا بالله)، حـمـدـ (الحمد لله)، سـمـعـلـ (السلام عليكم)، حـسـبـلـ (حسـبـي الله)، جـعـلـ (جعلـني الله فـداـعـكـ). الخ... والوصفى نحو: الصـلـمـ بـمعـنىـ الصـلـدـ، وـهـ الأـسـدـ أـيـضاـ، وـالـأـسـمـيـ، نـحـوـ الـجـلـمـودـ، بـعـنـيـ (الـصـخـرـ الـفـاسـيـ)، مـنـ جـلـ وـجـدـ) والنـسـبـىـ، وـهـ أـنـ نـشـقـ مـنـ نـسـوـبـ مـدـيـنـتـيـنـ أـوـ بـلـدـيـنـ أـوـ شـخـصـيـنـ مـنـسـوـبـاـ وـاحـدـ، نـحـوـ عـبـدـيـ (نـسـبـةـ إـلـىـ عـبـدـ الـلـاتـ) وـعـبـدـيـ (مـنـ عـبـدـ الدـارـ) وـطـبـرـخـزـيـ (مـنـ طـبـرـسـانـ وـخـارـزـمـ) الخ... ولكن ذلك أصوله القياسية لدى جمهور العلماء. وعندما نقع في العربية على كلمة يتتجاوز عدد حروفها الصـامـمـةـ ثـلـاثـةـ حـرـوفـ أـصـلـيـةـ، فـعلـيـنـاـ نـتـاكـدـ أـنـ لـيـسـ دـخـيـلـةـ وـجـيـنـيـثـ بـحـثـ عنـ أـصـوـلـهاـ الـاـسـنـاقـيةـ. هذا في لغتنا العربية وكذلك في أغليبية آخراتها القديمة.

بـ- انـدـمـاجـ الـحـيـادـ فيـ لـغـتـاـ الـعـرـبـيـةـ وـفـيـ أـخـوـاتـهاـ الـقـيـمـةـ: كـالـأـكـدـيـةــ الـبـابـلـيـةــ الـأـشـوـرـيـةــ وـالـكـنـعـانـيـةــ وـالـأـرـامـيـةــ وـلـغـاتـ شـبـهـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ الـقـيـمـةـ منـ سـبـيـةـ وـمـعـنـيـةـ وـحـضـرـمـيـةـ وـجـبـشـيـةـ وـلـحـيـانـيـةـ وـثـمـودـيـةـ وـصـفـانـيـةـ وـكـلـهاـ بـالـقـلـمـ الـمـسـنـدـ، باـشـكـالـ الـمـخـتـفـيـةـ، وـذـكـرـهـ فـيـ أـسـمـاءـ الـجـنـسـ وـالـصـفـاتـ وـأـسـمـاءـ الـإـسـارـةـ وـالـمـوـصـولـ وـالـضـمـانـ وـالـأـعـدـادـ، الخ... فـهيـ إـمـاـ أـنـ تـكـوـنـ مـوـثـنـةـ أـوـ مـذـكـرـةـ، بـعـكـسـ مـانـجـدـهـ غـالـبـاـ فـيـ الـلـغـاتـ الـهـنـدـوــ أـوـرـوبـيـةـ، الـتـيـ تـضـمـ الـمـحـايـدـ إـلـىـ جـاـبـ الـمـذـكـرـ وـالـمـؤـنـتـ. وـيـدـوـ هـذـاـ جـلـيـاـ وـاضـحـاـ فـيـ الـلـغـتـيـنـ الـبـيـونـانـيـةـ وـالـلـاتـيـنـيـةـ وـكـذـكـ فـيـ لـغـاتـ حـدـيـثـ كـالـأـلمـانـيـةـ وـالـأـنـكـلـيزـيـةـ (صـسـيرـ ITـ).

جـ) تـفـرـدـهاـ بـأـصـوـلـ الـإـطـيـاقـ (الـقـافـ، الـصـادـ، الـضـادـ، الـطـاءـ، الـضـاءـ)، وـنـجـ الأـصـوـلـ الـثـلـاثـةـ الـأـلـىـ (قـ، صـ، طـ) فـيـ الـعـرـبـيـةـ وـأـخـوـاتـهاـ، بـيـنـماـ تـعـرـضـ حـرـفاـ (ظـ، ضـ) لـتـبـدـلـ فـيـ بـعـضـهاـ. وـقـالـواـ إـنـ صـوـتـ (الـضـادـ) مـقـصـرـ عـلـىـ الـعـرـبـيـةـ الـفـصـحـيـ الـجـازـيـةـ، وـمـنـ قـوـلـهـ (الـعـرـبـيـةـ لـغـةـ الـضـادـ). وـنـعـتـدـ أـنـ هـذـاـ غـيـرـ صـحـيـحـ. فـأـلـوـاـ نـجـ حـرـفـ (الـضـادـ) فـيـ الـنـقـوشـ الـسـيـنـيـةـ وـالـحـمـيرـيـةـ عـلـىـ شـكـلـ (ئـ) (لـيـنـظـورـ إـلـىـ (ئـ)) وـأـخـيـراـ (ئـ ، ئـ ، صـ) وـيـمـكـنـ لـلـرـاغـبـ فـيـ الـمـوـضـوـعـ أـنـ يـطـالـعـ كـتـابـ (مـخـتـارـاتـ مـنـ الـنـقـوشـ الـيـمنـيـةـ الـقـدـيـمـةـ) (5ـ)، فـيـ الـنـقـوشـ الـتـالـيـةـ (رـقـمـ الـنـقـشـ فـالـسـطـرـ) مـعـ مـرـاعـاـتـ الـتـرـيـبـ الـأـبـجـديـ لـلـمـفـرـدـاتـ:

(ضأن، اسم جمع، كالعربية ١٨/٧)؛ (ضبا، بمعنى حازب، ٤٠/٧)؛ (ضرس، بمعنى طوى بالحجارة ١٢/١)؛ (ضرك، طوى بالحجارة ٧/٢)؛ (ضرع، بمعنى هزم، لأن ٢٣/١٨، ١٢/٢، ٢٩/٢٣)؛ (ضفر، بمعنى ضفر طوى بالحجارة بثنا ٣٦/١)؛ (ضمد بمعنى دعا إلى أحياناً غرب، مال، ٣٤/٢)؛ (ضفر، بمعنى ضفر طوى بالحجارة بثنا ٥/٦) الخ... كما تأكّد وجود حرف (الضاد) في النقوش الشهودية والصفوية^(٦)، كما كلّنا أعلاه، نقول صفافية لجاتب اللبس مع الصفوية (نسبة إلى الدولة الفارسية الصفوية ١٥٠٢-١٢٣٦م). وعلى قول بعضهم مؤخراً وجّه حرف (الضاد) في أحد النقوش الأورجارية^(٧)، وإضافة لهذا وذاك، نلاحظ هذا الصوت في بعض اللغات الأوروبية الحديثة.

فمثلاً في الانكليزية، فعل عملن (DO, DID, DONE)، فللفظ (DID) بحرف (D)، أما (DONE) فلاظنها بحرف الضاد، هكذا [أضن]. وكذلك في الفرنسية، فلو أخذنا فعل PRENDRE (أخذ)، في المستقبل، فنقول JE PRENDRAI (متكلم مفرد)، فحرف (D) هنا نلفظه (د)، أما في المتكلّم الجمع، WE PRENDREONS وكذلك في الغائب الجمع ILS PRENDRONT فللفظ حرف (D) وكأنه صوت (الضاد)، ولنأخذ حرف (ط)، من أصوات الإطباق، لمع أن هذا الحرف غير موجود في الأبجدية الانكليزية، ولكننا نسمعه أحياناً، ولنلفظ مثلاً NOT (لا) و BUT (لكن)، فنسمع حرف (T) في الحالتين وكأنه حرف (ط)؛ وعلى كل يختلف عن حرف (T) لم TO (إلى، نحو، الخ....) و TO TAKE (أخذ) الخ.... ومن أصوات الإطباق أيضاً، حرف (ق) الذي يقابل حرف (Q) في الأبجدية اللاتينية، لفارة نسمعه بصوت (ق) وأخرى بصوت (ك).

فلنأخذ مثلاً كلمة QUOIQUE (أي)، بمعنى (مع أن، وإن، ولو) الفرنسية، ففي مطلع الكلمة نلفظه بصوت (ق)، والحرف الثاني بقيمة (ك) وكذلك في الانكليزية، وعندما يرافق الماء بـ (Q) في المعاجم الفرنسية والإنكليزية يتعذر على أمثلة شتى معاناة.

ومع ذلك، فما أوحضناه أعلاه لا يلغى البند (ج) الخاص بأصوات الإطباق)، والأمر ليس بهذه السهولة والبساطة. ولكن من الواضح أيضاً، أنه ما من أبجدية عكست قدماً وحديّاً، مختلف أصوات لغة أصحابها بشكل مطلق^(٨).

والمشكلة قائمة أيضاً، كما نعلم، في كتابتنا العربية منذ نشأتها وحتى يومنا هذا، فمثلاً بالنسبة للحركات الثلاث: (الضمضة والفتحة والكسرة)، المعتبرة عن الصوات (الواو، الألف، الياء). فكم من صوت تعجز هذه الحركات عن سلامنة نطقه، لاسيما في اللهجات المحلية في مختلف ربوع وطننا العربي. ولا ندري حقاً لماذا اقتصر أسلاقنا العلماء على هذه الحركات الثلاث، مع الشدة والمسكون، علمًا أن الكتابتين: الآرامية المتطورة والسريلانية فيما بعد، قد ابتدأنا عدداً أكبر من الحركات (الكبيري، والصغرى) المعتبرة عن أصوات تعجز أحياناً كتابتنا العربية عنها^(٩).

نرانا أسرفنا في الموضوع... ولا مجال لأكثر من ذلك في عجالتنا هذه.... ولكن الإشكال ما زال قائماً وينتظر الحل على يد علماء اللغة العرب... اليوم وغداً.

د) يُشي العدد في لغتنا العربية وأخواتها، من ثلاثة إلى عشرة، على عكس المعدود، فهو مذكور مع المؤنث

^(٦) بنو ابن حني في "الختانص": "العربة في إثبات الحرف بالنطق لا بالخط، لوجود اللفظ قبل الخط".

والعكس صحيح، أما العددان (واحد، واثنان) ففيأتيان بموجب المعدود. فنقول : رجل واحد، وامرأة واحدة، رجالان اثنان، وامرأتان اثنتان، وثلاثة رجال، وثلاث نساء الخ... إلا إن كانت العشرة مركبة، فهي على وفق المعدود. وللمقارنة مع اللغتين الآرامية والسريانية لدينا بعض المراجع المحلية الجامعية.(٩).

هـ) تضم لغتنا العربية مختلف الأصوات الحلقية (الهمزة، الحاء، الخاء، العين، الفين، الهاء)، بينما لم تختفظ آخراتها إلا ببعضها، وأنقلها الأكيدية التي لم تختفظ سوى بصوتي (الهمزة والخاء).

و) تشابه الضمائر المنفصلة إلى درجة كبيرة، وكذلك طريقة ارتباط الضمائر المتصلة بالأفعال والأسماء والحراف الخ...

ز) التشابه الكبير في المفردات الدالة على أعضاء الجسم والعدد وصلات القرابة ومختلف مراحل الحياة المأولة لدى أسلفنا في العصور القديمة وحتى صدر الإسلام، إضافة إلى التشابه في الضمائر والحراف وأسماء الإشارة، الخ...

وإليكم الجدول المقارن لبعض تلك اللغات.

عربي شمالي	أكدي/بابلي/آشورى	كنعاني	آرامي/سرياتى	يعنى / هبشي
لب	لو	لب	لها	لب
بن	بنو	بن	بر	بن
آخر	آخر	اخ	اخ	آخر
ازن	ازنو	ازن	اود	ازن
اربع	اربعو	اربع	اربع	اربع
شم	شمومو	شم	شم	شم
ام	أمو	ام	اما	ام
جمل	جملو	جمل	جمل	جمل
دم	دمو	دم	دم	دم
و	و	و	و	و (حرف عطف)
زرع	زرؤ	زرع	زرعـعا	زرعـعا
أذ	أذور	يذ	أيـدا	أـيد
كوكب	كاكـبو	كوكـب	كوكـبا/كـوبا	كوكـبا
ماء	مو	مايم	مـلايا	ماـي
مؤتـن	موـتون	موـت	موـتا	موـتـن
ستـ(٦)	شـفتـونـا	شـيشـنـا	شـيشـنـا	شـيفـنـا
عينـ	أـنـوـنـا	عـينـا	عـينـا	عـينـا

شمس	نفنتا	شمش	نفنتو	شمس
ثلاث	ثلاث	ثلاثون	ثلاثون	ثلاث (٣)

لم نطرق في جدولنا أعلاه إلى اللغة المصرية القديمة، بكتابتها الهيروغليفية وأشكالها المختلفة على مر العصور. ونحن نعلم جيداً "نجمة الفرعونية" التي جعلت من اللغة المصرية القديمة "كياناً" قائماً بذاته، لا علاقة له بأستنة وطننا العربي البائدة منها والباقية، لقد ترعرعت أركان "الفرعونية" بعد الدراسات اللغوية الحديثة. ولعل أفضل ماصدر في السنوات الأخيرة في هذا المجال، دراسة الدكتور علي فهمي خشيم، تحت عنوان (الله مصر العربية) (١٠) بحث في تاريخ وادي النيل ومعبدات قدماء المصريين واللغة المصرية القديمة، بمنهج عربي جديد.

وبالإكمال (رقم ١) شجرة لغات وطننا العربي، البائدة منها والباقية، بالإضافة طبعاً للمصرية القديمة (انظر مختلف الجداول والنقوش كملحق في آخر البحث).

٣ - العربية الفصحى، انتسابها ، ومكانتها:

تعتقد بالعربية الفصحى، تلك اللهجة التي أدركناها مكتملة القواعد والبيان، في الشعر الجاهلي ثم في القرآن الكريم والحديث الشريف، قبل أن تأخذ لاحقاً مناخاً جديدة في المصريين الأموي والعباسي، فالصادر التالية حتى أيامنا هذه، والأمر المدهش بل المخيب، عظمة بالاعتبار وبطبيعتها وغنى مفرداتها، بالنسبة إلى الكتابات اليمنية التي تم العثور عليها -حتى الآن- مع غيرها من النقشات اللحانية والشومودية والصفاقية بالخط المسند، إضافة لتلك النقشات الشمالية، اعتباراً من منتصف القرن الثالث للميلاد وحتى نهاية القرن السادس للميلاد، وعلى وجه التحديد (عام ٦٨م) وهي محوودة العدد، وقد غيرت عليها في المنطقة النبطية، مادعاً (نقش زيد)، كما سنرى وبالإكمال تسلسلها:

أ- أقدم هذه الكتابات هو (نقش أم الجمال الأولى) (١١) نبطي اللهجة وبقلم نبطي، منقوص في حجر شاهدة قبر قهر بن شلى (مربي جنية، ملك تتوخ) (١٢)، ويرجع تاريخه إلى حوالي (عام ٢٥٠م)، وهو بدء استعمال القلم النبطي عند ملوك العرب، ويُعتبر هذا النقش، على قصره، عظيم الأهمية، بإشارته للصلات التاريخية بين الأسر العربية الحاكمة في العراق وببلاد الشام. (انظر ملحق ١) (١٣).

ب- والوثيقة الثانية هي في كتابة النمار (١٤)، على قبر الملك "أمرى القيس" ويرقى إلى (عام ٢٢٣) من سقوط البتراء (سلع) والموافقة لعام ٣٢٩ للميلاد (١٥) ويتألف النقش من خمسة سطور منقوشة على صرخ مربع، وهي بالقلم النبطي وبلغة آرامية/ عربية ويغلب عليها تراكيب الجملة العربية، وتكون أهمية النقش في أنه أقدم نص مكتوب بلهجة قوم لسانهم قريب من لهجة أهل الحجاز. (انظر ملحق ٢) (١٦).

(١١) قرية جنوي بصرى، غير فيها على أتفاضل بير نبطية ونبطية وعربية.

(١٢) هو جنوة بن سالك، أحد أوائل ملوك الحيرة التورخين، ويُعرف بالأبروش، نسبة الإعشاريون العرب إلى العاربة الأولى.

(١٣) موقع في حوران، في حرة الصفا، حيث اكتشف العالم الفرنسي (دُوْسُو) في مطلع هذا القرن نقش "أمرى القيس" وهو بالقلم النبطي الشاخر القربي من الخط العربي الباكر.

(١٤) عندما تُبيَّن (١٠٦) عام سقوط البتراء، عاصمة الأنباط، إلى ٢٢٣ (تاريخ النقش)، يحصل على تاريخ النقش بالبلادي، وهو ٣٢٩. (انظر ملحق ٢) (١٧).

جـ- والوثيقة الثالثة هي كتابة "زبدة" وهي خربة، تقع جنوبـيـ شرقـيـ حلبـ، ويرجـع تاريخـه لعام (ـ١٢٥ـ)، ويـنـتـكـونـ النـقـشـ منـ كـاتـبـاتـ بـثـلـاثـ لـغـاتـ: بـيـونـانـيـ وـسـرـيانـيـ وـعـرـبـيـ قـدـيمـةـ. (انـظـرـ جـوـلـ رقمـ (ـ٣ـ، خـانـةـ (ـ٨ـ)ـ، وـنـقـشتـ الـكتـابـاتـ عـلـىـ حـجـرـ كـانـبـ فيـ صـرـحـ الـكـنيـسـةـ.

دـ- أماـ النـصـ الـرـابـعـ، فـوـهـ الشـهـيرـ بـنـقـشـ "حرـانـ"، (الـصـفـاـ، فـيـ الـلـجـاـ، شـمـالـيـ جـبـلـ الـعـرـبـ)، وـتـارـيخـهـ هوـ عـامـ (ـ٦٨٥ـ). وـهـوـ مـنـقـورـ فـيـ حـجـرـ فـوقـ بـابـ مـزارـ، وـأـغـلـبـ الـظـنـ أـنـ هـيـ يـعـودـ لـأـحـدـ أـمـرـاءـ كـنـدـ، الـذـيـ أـشـارـ عـلـىـ حـاشـيـتـهـ بـهـ، بـمـنـاسـيـةـ تـقـشـيـنـ مـازـارـ (ـمـشـهـدـ)ـ مـرـطـورـ تـكـرـيـمـاـ لـشـهـيدـ الـقـبـيسـ "يوـحـنـاـ الـمـعـمـدـانـ". وـتـمـازـ هـذـهـ الـوـثـيقـةـ بـكـونـ لـهـجـتهاـ كـرـيـبةـ إـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ مـنـ الـعـرـبـيـ الـحـاجـازـيـ، وـلـاستـيـاـ لـهـجـةـ كـرـيـشـ. كـمـاـ لـنـ الخـطـ يـقـرـبـ كـثـيرـاـ مـنـ النـسـخـيـ الـقـدـيمـ (ـ١١ـ). وـاعـتـباـرـاـ مـنـ هـذـاـ النـصـ، رـاحـتـ الـكتـابـةـ الـعـرـبـيـةـ الـشـمـالـيـةـ (ـالـحـاجـازـيـةـ)ـ تـبـعدـ تـدـريـجيـاـ عـنـ الـقـلـمـ الـنـاطـبـيـ. (ـانـظـرـ مـلـحقـ (ـ٤ـ)ـ وـجـوـلـ رقمـ (ـ٣ـ، خـانـةـ (ـ٧ـ).

تـرـادـ حـيـرـتـاـ أـكـثـرـ، عـنـدـمـ نـقـيـسـ رـكـاـكـةـ أـسـلـوبـ مـحـتـوىـ الـنـقـوشـ، الـتـيـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـاـ أـعـلـاهـ، بـيـلاـعـةـ سـحـرـ الـشـعـرـ الـجـاهـلـيـ وـجـزـالـهـ فـلـقـرـآنـ الـكـرـيمـ. مـاـ لـاـشـكـ فـيـهـ، أـنـ تـلـكـ الـكـتـابـاتـ الـوـجـيـزةـ لـاـ تـمـكـسـ بـالـضـرـورةـ حـقـيـقـةـ لـغـةـ الـتـخـاطـبـ الـيـوـمـيـ، وـبـالـأـخـرـ، مـاهـيـةـ الـخـطـابـ الـأـدـبـيـ. لـسـكـانـ شـبـهـ جـزـيرـةـ الـعـرـبـ، وـلـاسـيـماـ فـيـ رـبـوـعـهاـ الـوـسـطـيـ وـالـشـمـالـيـ (ـجـدـ، الـحـاجـازـ، بـلـاطـ الـحـيـرـةـ، بـلـادـ الـشـامـ الـخـ...). وـمـعـ ذـلـكـ، يـظـلـ ذـلـكـ الـمـوـضـوعـ الـمـلـحـ، الـذـيـ شـغـلـ بـالـعـلـمـاـنـاـ السـابـقـيـنـ وـالـبـاحـثـيـنـ الـمـدـحـيـنـ، مـنـ عـرـبـ وـغـيـرـهـ، كـلـئـاـ وـبـلـاـ جـوـابـ مـقـعـ حـاسـمـ، حـتـىـ يـوـمـاـ هـذـاـ، وـعـنـيـاـ بـذـلـكـ: أـيـنـ وـمـنـ تـمـتـ تـكـلـيـفـ تـلـكـ "الـطـفـرـةـ الـنـوـعـيـةـ، الـلـغـوـيـةـ لـعـبـيـتـاـ الـفـصـحـيـ"ـ، الـتـيـ أـدـرـكـناـمـاـ فـيـ بـلـاغـةـ وـبـيـانـ الـشـعـرـ الـجـاهـلـيـ ثـمـ فـيـ الـإـعـجازـ الـقـرـآنـيـ فـيـ جـزـالـهـ الـحـدـيـثـ الـشـرـيفـ؟....

كـدـ يـقـسـطـ الـبـعـضـ كـنـهـ الـمـشـكـلـةـ بـحـصـرـهـ لـقـضـيـةـ فـيـ عـبـرـيـةـ تـرـيـشـ وـعـالـمـهـاـ... وـقـدـ يـلـجـأـ أـخـرـونـ إـلـىـ القـولـ، لـنـ عـرـبـيـتـاـ الـفـصـحـيـ هـذـهـ، هـيـ أـبـيـةـ أـزـلـيـةـ بـصـفـتـهاـ لـمـانـ إـنـسـانـاـ الـأـوـلـ، فـيـ شـبـهـ جـزـيرـةـ الـعـرـبـ، مـذـ أـنـ كـانـ... وـقـدـ يـنـسـفـ فـنـزـلـتـ شـتـيـ "الـتـلـوـلـ"ـ الـشـعـرـ الـجـاهـلـيـ وـغـيـرـهـ، كـمـاـ عـهـدـنـاـ ذـلـكـ فـيـ الـقـوـدـ الـأـوـلـيـ مـنـ قـرـنـاـ الـعـشـرـينـ هـذـاـ...ـالـخـ...ـأـمـ الرـأـيـ الـأـوـلـ، فـلـيـسـ بـالـجـوـابـ الشـافـيـ...ـفـيـ حـيـنـ أـنـ الـزـعـمـ الـثـانـيـ تـقـضـيـهـ مـخـتـلـفـ لـهـجـاتـ الـنـقـوشـ الـمـيـنـيـةـ وـالـلـحـيـانـيـةـ وـالـشـمـوـيـةـ وـالـسـفـافـيـةـ الـخـ (ـمـنـ الـقـرـنـ الـتـاسـعـ قـمـ وـحـتـىـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ الـمـلـاـدـ)...ـوـكـذـلـكـ الـاجـتـهـادـ الـثـلـاثـ، الـذـيـ دـحـضـ دـعـلـيـهـ، مـخـتـلـفـ الـدـرـاسـاتـ الـلـغـوـيـةـ وـالـأـبـيـةـ الـمـقـارـنـةـ، الـتـيـ بـحـثـتـ مـوـضـوـعـ لـهـجـاتـ وـلـغـاتـ شـتـيـ الـأـمـمـ وـالـشـعـوبـ، مـذـ خـطـوـاتـهـ الـبـادـلـيـةـ وـحـتـىـ نـهـاـيـةـ الـعـصـرـ الـوـسـيـطـ، فـاقـرـحـتـ سـلـسلـةـ الـمـراـجـلـ الـتـالـيـةـ، الـتـيـ وـاـكـبـتـ كـمـاـ سـنـرـىـ GRAFTITIـ إـلـانـسـانـ الـبـادـلـيـ وـحـتـىـ إـدـاعـ الـأـبـيـديـةـ، مـرـوـرـاـ بـمـخـتـلـفـ الـأـسـكـالـ وـالـصـورـ الـكـتـابـيـةـ:

الأـصـوـاتـ ← الـتـمـتـمـةـ ← الـفـاءـ ← السـجـعـ/الـرـجـزـ ← الـشـعـرـ ← التـنـرـ.

لـاـ نـدـرـىـا...ـأـلـاـ يـكـنـ بـعـضـ الـجـوـابـ عـنـ إـشـكـالـ عـنـصـرـيـ الـزـمـانـ وـالـمـكـانـ "ـلـطـفـرـةـ الـنـوـعـيـةـ"ـ، الـتـيـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـاـ أـعـلـاهـ، فـيـ غـمـوضـ مـفـهـومـ الـمـسـاحـةـ الـجـغـافـيـةـ لـعـالـمـ "ـالـعـرـبـ"ـ عـلـىـ مـرـ العـصـورـ وـكـذـلـكـ فـيـ تـطـوـرـ دـلـالـاتـ كـلـمـةـ "ـعـرـبـ"ـ عـلـىـ كـرـ الأـيـامـ وـالـسـنـنـ؟...~

مـنـ الـمـعـرـوفـ، أـنـ مـخـتـلـفـ وـلـنـقلـ غـالـبـيـةــ اـجـتـهـادـاتـ عـلـمـانـاـ السـابـقـيـنـ، وـكـذـلـكـ أـبـحـاثـ وـدـرـاسـاتـ الـمـسـتـشـرـيـنـ وـالـبـاحـثـيـنـ الـعـرـبـ الـمـدـحـيـنـ، كـدـ حـسـرـتـ مـجـالـ نـشـأـةـ وـتـطـوـرـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ "ـالـعـيـنـيـةـ"ـ فـيـ قـلـبـ الـجـيـزـيـةـ الـعـرـبـيـةـ، أـوـ بـالـأـخـرـ، فـيـ تـلـكـ الـرـبـوـعـ الـشـهـيـرـةـ حـالـيـاـ باـسـمـ "ـالـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ الـسـعـوـدـيـةـ"ـ إـضـافـةـ إـلـىـ الـيـمـنـ

والإمارات العربية، وكان مجتمعات شبه الجزيرة تلك، كانت في عزلة تامة عن عالم الهلال الخصيب ووادي النيل، وطبعاً، دون أن يتتساوا تلك الموجات البشرية "السامية" المنطلقة من قلب الجزيرة العربية، بين حقبة وأخرى، لتسقطر في بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، بل راح بعض المحدثين يُفاسِفُ الموضوع برسمه تواريХ محتدة لتلك الهجرات البشرية "السامية" (هذا) عبر العصور: انطلاقاً من الألف الرابع (ق.م.) فالعصر الأكدي/ البابلي، ثم الكنعاني فالآشوري/ الآرامي حتى التحوّات العربية/ الإسلامية.

وقبل أن نسعي إلى إيضاح ما يدور في خلتنا، نود الإشارة إلى مذهب إليه بعض المستشرقين. فنهم (ثيودور نولذكه ١٨٣٦-١٩٣٠) مثلاً جعل يlad أرمينية المهد الأصلي للساميين". ويبدو أن قوله هذا جاء متأثراً بما ورد في (سفر التكوين، الإصحاح الثامن، ٤). لتبين البقعة التي استقر فيها تلك نوح: " واستقرت السفينـة في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منه على جبال آرارات"^(١). وزعم آخرون أن الحبشه هي الموطن الأصلي، بينما ذهب (غريدي) إلى أن الحوض الأسفل لنهر الفرات هو ذلك المهد، واقتصر طائفة على ربوع اليمن كمهد أصلي، في حين أن العدد الأكبر من هؤلاء قد نادى بنظرية (قلب شبه الجزيرة)، وفي عادهم: سبرنج وشرايدر وده خويه، وبروكمان وهوغو وينكلر الخ...

أما النظرية الأرمنية، فقد داعت أوهامها، في حين أن الفرضيات الأخرى لا تخرج عن دائرة شبه جزيرة العرب، ماعدا الحبشه... وهذا بيت القصيد: هل نظر جيسي الاجتهادات والأراء التي أبعدت بلاد الهلال الخصيب مع وادي النيل عن دائرة العالم اللغوي، حيث نشا وتطور لسان أسلاقنا الأولين، بمراحله المتعاقبة، قبل ايداع الكتابتين المسماوية والهيروغليفية، "لتقط براعمه" فيما بعد، في النقوش فالكتابات الرافدية والمصرية والشامية الخ... اعتباراً من مطلع الألف الثالث (ق.م.)! وهكذا، فلادمنا ننهج على منوال أولئك وتبع خطاهم، بعزلنا عالم الهلال الخصيب ووادي النيل عن محيط شبه الجزيرة العربية، فلن نبلغ ضاللتنا المنشودة ونظل ندور في حلقة مفرغة... فذلك النهج يدرم عريبتنا الفصحي، هذه الشجرة الراسخة، الbasque، من جذورها المتصلة في شتى أصقاع وطننا العربي، وفي الواقع، فالخل ليس قريب العهد/ طارئاً، بل أصلياً/ متأصلاً، في التراث العربي- الإسلامي.

لقد غاب الأمر عن بال أغليبية علمائنا السابقين، منذ فجر الإسلام وحتى عصر نهضتنا المعاصرة، لأسباب وأسباب منها جهلهم الفاضح تاريخ حضارتنا العتيقة/الرائدة، في مظاهرها المختلفة: أخبارها، روایاتها، إرثها اللغوي الخ... ولجهلهم هذا أيضاً، أسباب ودفاع شئ: منها الموضوعي والذاتي، لا مجال لعرضها في عجالتنا هذه... ويهمنا حقاً (ابن منظور، ١٢٣٢-١٣١١م) في "لسانه" ، شارحاً مادة "كتن": "... وكتناع بن سام بن نوح، إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا أمة يتكلمون بلغة تضارع العربية....".

وكما قالوا: "النادر لاحكم له...." وعلى أي حال، لا يبدو عالمنا ابن منظور أكثر حداثة، وحضوراً من الدكتور (لويس عوض) في قوله: "فالعرب إذن أمة حديثة نسبياً إذا قيست بما جاورها من الأمم. ونحن عادة نورخ للحضارات ببداية عصر التدوين واستعمل (هذا) وال الصحيح استعمال) الأبجدية وبهذا المقاييس يجب أن نبدأ تاريخ الحضارة العربية الشمالية والحضارة العربية في وسط شبه الجزيرة بما فيها الحجاز ببداية القرن الثاني (ق.م.). أي ينحو ثمانمائة سنة قبل ظهور الإسلام. أما تاريخ الحضارة العربية الجنوبية (أي سباً ومعين وقبنان). فيبدأ نحو ٨٠٠ ق.م... وأقدم نص عربي معروف ينتهي إلى عام ٣٢٨م (وهو النقش الذي ذكرناه

^(١) كتلة بر كابينة بارنناع (٥١٥٦١ متر)، تقع شرق تركية على الحدود بينها وبين إيران وجمهورية أرمينية.

أعلاه م.م). وهو شاهد قبر أمير الفيس بن عمرو...."(12).

نحن لا ننكر لأراء واجتهادات المرحوم لويس عوض، في العديد من مؤلفاته التي تناولت شئي جوانب المعرفة... رغم شعورنا بالغربة عنه في سنوات حياته الأخيرة، بما جاء في بعض مؤلفاته، وهو هو كتابه (مقتبسة في فقه اللغة العربية)، خير شاهد على ذلك. نحن مع حرية الفكر، والعلمأخذ وبخطاء؛ وليس بعقيدة... وهذا أمر لاجدال فيه.... ولكن كم كانت حيرتنا باللغة ودهشتا كبيرة، بعد الانتهاء من مطالعة كتابه هذا. نحن لستا بصدد دراسة نقدية لكتاب الحاوي ومحتواه، ولما كان الكتور عوض يقتضي اللغاة العربية وأهلها من محيط الوطن العربي، ليقيهم في أحضان العالم الفقلاسي/ الهندو-أوروبي، فلا باس من لفت الانتباه إلى مايلي:

١- فلما نجد مصدرأ أو مرجعاً أجنبياً للإجتهادات والمسلمات الاستفافية المقارنة، مع العلم بأن المؤلف يبحث في أصول اللغة العربية وأهلها، لينتهي به الأمر إلى ربط مصيرهم بالعالم الفقلاسي/ الهندو-أوروبي. (من الفصل السادس وحتى الثاني عشر، ص.ص. ٤٥٩-٢٢٩).

٢- ماند ذكره من مراجع تاريخية في الهامش، ولاستima في الصفحات (٤٢-٤٨-٤٥-٤٠) قديم وبال، ويعود بأغلبيته لعام ١٩٥٠، أو قبل ذلك، ولا يوحّد به حالياً في الأوساط العلمية، وبخاصة بعد المكتشفات الأخرى والدراسات التاريخية/ اللغوية المقارنة، في العقود الثلاثة الأخيرة.

وإليكم بعض ماجاه في سفرنا "العجبب" إضافة للمقطع المنكورة أعلاه:

(في الصفحة ٤٠) : " وقد انتبهت من أيحتائي في فقه اللغة العربية إلى أن اللغة العربية هي أحد فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية-الأوروبية.".

(في الصفحة ٥١) : "فالعرب إذن موجة متاخرة جداً من الموجات التي نزلت على شبه الجزيرة من القوارب (التنفاس م.م) والمنطقة الحبيطة ببحر قزوين (بحر الخزر م.م) والبحر الأسود نحو ١٠٠٠ ق.م. أو قبيل ذلك... فنفت إلى الفراغ الكبير في شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها الفوقارية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية".

(في الصفحة ٥٨) : "... وهذا التوبيب وهذه المواجهة مما الخطوتان الأوليان نحو أيام دراسة علمية لنشأة القبائل العربية وتطورها منذ انتبعت من مهدها الفوقاري الأول حتى توحدت تحت طواء قريش.....".

(في الصفحة ١١٨) : "... وكل مسيح اثنولوجي (سلامي م.م) لمصر والمصريين الناطقين بالعربية يوضح أنهم ينتنمون أساساً إلى مجموعات اثنولوجية (سلامية) مختلفة عن المجموعة العربية، بالإضافة إلى اختلافهم السلالي عن العرب. .".

في (الصفحة ١٣٦) : "وهذا هو الافتراض الكبير الذي أستطع عليه كتابي هذا، إلا وهو أن المجموعة السامية ونمذجها اللغة العربية، والمجموعة الحامية، ونمذجها اللغة المصرية القديمة، ليستا مجموعتين مستقلتين بذاتهما، وإنما هما فرعان أساسيان في تلك الشجرة السامة التي خرجت منها المجموعة الهندية الأوروبية".

هذا غيض من فيض الكتاب "العنيد"... إنه وسواس "المراكزية الأوروبية" الذي أصاب خلب الدكتور عوض في بعض مؤلفاته، في عدادها هذا الكتاب: وقد عهدنا بعضاً فيما مضى، في كتاب طه حسين

*مستقبل الثقافة في مصر:

نقول: للخروج من المأزق الذي وقع بـ«بل أوقع بعضاً» فيه لويس عوض، وكثيرون غيره، نرى أنه من المفيد استجلاء بعض عوامض المسألة:

- ١- هل كانت «العربية الفصحى» التي أدركناها في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، هي نفس لغة أسلافنا «العرب الأولين»، أولئك الذين راح نكراً لهم يتزدد في وثائقنا القديمة - ولأسماها الآشورية منها - (ملكات العرب، جنديبو العربي الخ...) اعتباراً من القرن التاسع (ق.م)، عندما اندلعت لمجتمعهم في نقاش أكدي/ بلطي أكثر قدماً. وهذا هنا تعارض سببنا نظرية: «ازلية» اللغة العربية، التي أثارت الجدل الكبير في العصر العباسي، لينعكس ذلك كله في مواقف للاستاذة المعتزلة وأرائهم من جهة، وعلماء الكلام وأجادهاتهم من جهة أخرى، حول قضية «خلق القرآن أو قدرته». وتفزّ هنا للدكتور لويس عوض بمجمل دراسته لبعض جوانب المسألة، وتيسيرها بسهولة بارعة، ودون بساطة، في الفصل الثاني من كتابه (مشكلة اللغة العربية ونظرية الوجوه) ^(١٢).
- ٢- ونأتي الآن إلى الفئة الثانية، التي رأت في شمال شبه الجزيرة، مجال تطور ولنضع «العربية الفصحى» وبالغ بعضهم في الأمر، بحصر ذلك المجال بالحجاز بل بعالم قريش على وجه التحديد، وببعضه قرون فقط، بل قبل فجر الإسلام.

أما أن تكون العربية الفصحى، هي نفس لغة أسلافنا الأقدمين، في بعض نقاط وطننا العربي القديم ، قبل الإسلام بعشرين القرن، كما يظن أصحاب الفريق الأول، فهو زعمٌ مخالف لمطلع التطور التاريخي/ الاجتماعي، وتحضره أيضاً آلاف الوثائق والنقوص المكتشفة في بلاد الرافدين والشام ووادي النيل، وشبه الجزيرة العربية، إضافة إلى النقش القرطاجية/ الكهفانية ^(١٣)، في شمال أفريقيا وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

وأقرب للهجات القديمة التي تبشر بالعربية الفصحى هي الآرامية، التي راحت تعم الجزيرة السورية وبباقي ربوع بلاد الشام (اعتباراً من القرن العاشر ق.م)، قبل أن تتغلب على شتى لهجات الهلال الخصيب، بعد سقوط نينوى والسلطان الآشوري (٦٢ ق.م)، وتتصبّع لغة دولية LINGUA FRANCA (والشهيرة في المولفات العلمية الجامعية بالأرامية الامبراطورية على العصر الفارسي الأخميني (٥٥٠-٣٣١ ق.م)) ثم راح يتفرّع، منها لهجات مختلفة: المندامية، لهجة الترجمون ^(١٤)، الكنطرونية، الآرامية اليهودية الفلسطينية، السريانية، الآرامية للتلمودية، الخ. (١٣)

وهاهو نحن آرامي ، من للقرن الثالث (ق.م) غير عليه في زنجولي (شمال)، مملكة آرامية تقع في ربوع سورية أصلاً ولكنها حالياً في البقاء المتلخصة للحدود السورية للشمالية الدولية - بعد سايكس بيكو

^(١٢) كلمة يونانية (LOGOS)، يعني «المفهُول الأول»، «كلمة الله» وهو الاتوم الثاني في ثلاثة الأقانيم اليسوعي، إلى غير ذلك من لغاتي الفلسفية الأخرى.

^(١٣) راح على البعض اسم «التيهنة» المورقة وهي نسبة يونانية اليهودية وتفصل النساء الكهفانية، التي ظلت شائعة حتى عصر القديس أرغسطسنيوس (٣٠-٣٥٤)، أمست غالباً المطرانية.

^(١٤) التفسير الآرامي لبعض كتب التوراة، بدءاً من القرن الخامس (ق.م)، عندما راحت الآرامية تؤاسم لغات المنطقة لتختليها فيما بعد.

وسلخ لواء اسكندرية، وهو بعض ماجاه في النتش مع الترجمة العربية:

النص الأرامي:	انه	بر	ركب	بر	فمو
الترجمة العربية:	أنا	لين	ركب	ابن	فمو
ملك	شمال	عد	تجلتليسر	مرا	ربعي
ملك	شمال	عد	تجلتليسر	سيد	الأربع
ارقا (وأحياناً أرعا وأرضا)	بصدق	أبي	وبصدقى		
الأرض (جهات الأرض الأربع)	بصدق	أبي	وبصدقى		
هوشبني مراري ركيل	ومرأي	تجلتليسر			
أجلسنى سيدى ركب إيل			وسيدى	تجلتليسر	
على كرسا (وأحياناً كسا)	أبي..	أنه	بنيت	بيتا	زنه
على عرش	أبي	لنا	بنيت	البيت	هذا.

كما ذكرنا، تاريخ هذا النص هو القرن الثامن (ق.م)، أي قبل عريبتنا الفصحى بنحو أربعة عشر قرناً، ومع ذلك لا يخلو من مشابهات لعريبتنا -إن كان في مفرداته أو في سياق جملته- وإليكم بعض الشواهد:

- آنة (وأحياناً آنا) ضمير رفع منفصل، متكلم متفرد.

- بر (ابن) ولدينا في العربية فعل (برَ بمعنى أطاع). والابن البر والبار. (المطبع لوالده والمحسن إليه).
- ملك ، عبد (بمعنى تابع).

- مار (السيد) ولدينا أيضاً جذر (مرن، أمر) وباصفة لمعانيه الأصلية، نقول: المرة: قوة الخلق وشنته، أصلالة العقل، ورجل مرير: قوي ذو عزم، والمريرة: عزة النفس الخ... وفي العالمية (من السريانية) مار جرجس، مار الياس الخ.. بمعنى (قديس، سيد).. لا تتضمن مختلف هذه المدلولات معانٍ ذات صلة، قريبة أو بعيدة، بالكلمة الأصلية (مار/ السيد).

- ملك ، شمال (دولة الشمال)، بصدق أبي وبصدقى، عل (على)، كرسا (نقول كرسى العرش)، آنة (آنا) بنىتن (الضمير المتصل الناء يأتي ساكناً في المتكلم المفرد، (مؤنثاً ومنكرة)، وفي المخاطب المفرد المذكر نقول (بنينه أو بنىتن) وفي المخاطب المفرد المؤنث نقول (بنيني، بالياء)، ولدينا الكسرة عوضاً عن الياء... الخ.

لا يدهشنا هذا التقارب بين نصنا هذا وعربيتنا الفصحى. ولنأخذ مثلاً جملة (أنه بنيت بيتا زنه- أنا بنيت البيت هذا)، والألف في (بيتا) هي أول التعريف في الأرامية القديمة وانتقلت إلى (واو) في بعض اللهجات السريانية الغربية، وجميع الأسماء التي تنتهي بألف تدل عادة على اسم معرفة، منها بعض مانسمعه في بلادنا: (دوما، حرستا، فالوغ، حتان، جسر تورا، بييلا، عقربا، مسرايا) الخ... وهي جميعها أسماء مفردة، ونلاحظ أن العرب المسلمين بعربيتهم الفصحى، تركوها على ما كانت عليه، فلم يقولوا: الدوما، الحرستا، فالوغ، الحتان، الخ...

ولنأخذ نصاً أحدث من الأول، من (سفر دانيال) التوراتي، ويرجع إلى أواسط القرن الثاني ق.م، وليس

إلى أيام النبي اليابلي (القرن السادس ق.م)، كما ظن بعضهم سابقاً.

النص الآرامي: نبوك نصر ملّاك عبد صلم أقيمه
الترجمة العربية: نبوخذ نصر الملك صنم تمثّل أقامه
 ببغة دوراً بمدينة بابل
 ببغة (في دورا) بأقاليم بابل

-**عبد:** إضافة لمعنى الآرامي (صنع، عمل) اكتسب لاحقاً مدلولات أخرى ومنها: (عبد، تابع، خادم)، كما أدركناها فيما بعد.

-**صلم (صنم، تمثال)،** وفي العربية: صنم وصلم الشيء، قطعه من أصله، وكان الصنم الحجري مقطوع من الصخر.

-**أقيمه (أقامه)،** ببغة (في بقعة، جمعها بقاع).

-**بمدينة:** في إقليم. وتفيد أيضاً في عربيتنا: المصر الجامع.

و عندما نقول (مكة: أم القرى) فمعنى: أم المدائن، والقرية، هي المدينة بمعناها الشائع فيما بعد إن كان في الآرامية القدemi أو في العربية لاحقاً، وهذا جليٌ واضح في القرآن الكريم. أما القرية كما نفهمها حالياً فهي (كفر)، إن كان في الآرامية أو في عربيتنا الفصحى.

و جذر (كفر الكعناني، وكفر الآرامي يفيد أصلاً معنى (ستر، غطى المعاصي والذنوب) ثم اكتسب مدلولات أخرى (غطى الأرض بالنبات) ومن هنا (كفراً- القرية) بالأرامية. وكذلك في عربيتنا، إضافة لمعنى الأصل، اكتسب مدلولات جديدة وإلا فكيف نفسر ماجاه في القرآن الكريم (سورة الحديد، ٢٠): «اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتلذخ بينكم وتلذخ في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نياته ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور».

فالكافر هنا كما جاء في التفاسير هم الزّرّاع، وقد ذكرت معاجمنا القديمة في مادة (كفر) هذا المعنى وغيره من المعاني (ابن منظور، الفيروز أبيادي الخ....) فالكافر أيضاً هو الرجل الذي ستر جسمه بالدرع والسلاح كالكافر (الزارع) الذي يغطي ويستر البذور والحبوب بتراب الأرض الخ....

وإذا عرضنا للكتابات النبطية والتدميرية، قبل نهاية القرن الثالث م، التي سبقت تلك النقوش التي لمحنا إليها أعلى: (أم الجمال، النمار، النمار، الخ...)، وهي النقوش التي ظهرت عليها في شمال شبه الجزيرة العربية وفلسطين والأردن وسيناء وتدمير وتوابعها وغيرها من أطراف بلاد الشام وباديتها، لما احتلّها زردياد أوجه الشبه بين شتى لهجاتها وبين عربية الشعر الجاهلي وصدر الإسلام.

لقد حسب البعض لهجات النقوش والكتابات التدميرية والنبطية آرامية صرفة وبكلم آرامي، بينما اعتبرها آخرون وبحق، تراكيب آرامية/ عربية، وبخط آرامي: تدميري أو نبطي، قد يتساءل بعضهم عن سبب مثابرتنا على مقارنة لهجات نصوص آرامية ببعض مانجده في لساننا العربي!... إنه لاستفسار وجيه ومبرر ومحض.

كما ذكرنا سالفاً، أصبحت "الأرامية الامبراطورية" اللغة السادسة في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم، في العصر الفارسي/ الأخميني (٥٥٠-٣٣١ ق.م)، بعد تغلبها على مسابقها من لهجات شقيقة: اكاكية / باليلية / أشورية وكعنانية بل ومصرية، وذلك لأسباب عديدة، منها سهولة طريقة كتابتهم (المقبيسة أصلًا من الجدیدة الساحل الكنعاني)، قبل أن يطور الآراميون فيما بعد، كلما خاصا بهم، كما سترى لاحقاً، في الجزء الثاني من دراستنا الخاص بالكتابية، ويدو دور الدوليات الأرامية ضئيلاً محدوداً في المجالين العسكري والسياسي، بالمقارنة مع سلطان الدول والامبراطوريات العظمى، التي احتلت مركز الصدارة في بلادنا، بوقائعها السياسية وما تأثر بها العسكرية من: اكاكية / باليلية / أشورية ثم ميكانية وحثية ومقدونية الخ... دون أن ننسىطبعاً عظمة الدولة المصرية ومشاهير فراعنتها... ومع ذلك، شامت الأكادار أن يلعب الآراميون دوراً قومياً لا يُضاهى، في تاريخ أمتنا، قبل الفجر العربي-الإسلامي وتحرير البلاد من الاحتلال الفارسي / البيزنطي... لقد صمدت الأرامية أمام لغات الـدخلاء من فرسٍ واغريق ورومان فيزيزنطين، وصانت الوحدة اللغوية لوطننا العربي، خلال اثنى عشر قرناً تقريباً (من سقوط السلطان البابلي الحديث / الكلذاني عام ٥٣٩ ق.م حتى عصر الفتوحات العربية الكبرى)... ولانا عودة إلى الإرث التفافي هذا، في حديثنا عن الكتابة... مهدت الأرامية السبيل لعربيتنا الفصحى، شقيقتها والقريبة منها، كما لاحظنا من لهجة بعض نفرات آرامية قدمى، واللغة كظاهرة اجتماعية توثر وتتأثر بشتى الأسباب والعوامل، وتختضع كغيرها لسنة التطور، وعندما نجد لغة ما، تجاها غيرها من اللغات وتتغلب عليها، يجد بنا حينئذ أن ننتصى الأمر للكشف عن الأسباب (سياسية، اقتصادية، دينية، اجتماعية، الخ...)، التي هيأت لها سبيل الرسوخ والغلبة.

وكما أن الأرامية تغلبت على مسابقها من لغات لغوي محلي - مثلما أسلفناه - وصمدت في وجه لغات الـدخلاء، كذلك جاء دور العربية الفصحى، لتحلّ تدريجياً وتلقائياً محل شتى اللهجات الأرامية، دون صراع ومن غير أن تقصى عليها كلّياً، واستقرّت تلك العملية وقتاً أطول مما يظنه البعض. وما اللهجات العامية - في مختلف ربوع وطننا العربي، بأصولاتها المتوعدة ومفرداتها- ولاستima في الأرياف- تلك المفردات التي لا نجد أثراً لها في معاجلنا العربية إضافة لعديد من أسماء المدن والبلدان والقرى والمواقع، ليس هذا كلّه، إلا رجع أصداء آراميتنا تلك أو شقيقتها الكنعانية وغيرها من اللهجات أسلافنا الأقدمين. وكما أن الأرامية استوّعت مسابقها من اللهجات وأغتالت مفرداتها، محققة بذلك طفرة نوعية، مهدت لها سبيل النصر عليها، **بؤلنا السالف: متى وكيف وأين تحقق "الطفرة النوعية"** لعربيتنا الفصحى، وهل حصل ذلك محسوساً بزمان محدود ومكان معين، كما نادى بذلك أولئك الذين قصروا العلمية، على محيط قريش وعلى فترة زمنية قصيرة، لا تزيد على بضعة قرون، قبل فجر الإسلام مخالفين بذلك مذهب "الأزليين" الذين بشروا، بمعتقد (قدم القرآن / اللوح المحفوظ / قدم اللغة العربية).

لا حاجة بنا إلى القول أنه يصعب علينا قبل مذهب "الأزليين" الذين جعلوا آدم يتكلم العربية في الجنة، بل نسوا إليه شعراً حفظه العرب!!!... وللمعرتي في رسالة الغفران أتوكا وأتاوبل في معرض ذلك.

أما نحن، فحسبنا أن نقول لهؤلاء... "والله أعلم..."

اما بالنسبة لأنصار الفريق الآخر "القرشي" فنرى أن فرضيتم جديرة بالاهتمام، على أن يظلّ عالقاً بالذهن جميع ما أوردناه أعلاه، لتدخل عليها التعديلات الضرورية التي تقتضيها حركة التاريخ المصاعدة، وتحتية عملية التطور الاجتماعي / اللغوي، دون أن تغيب عن بنا حصيلة الدراسات المقارنة المعاصرة

الخ... الخاصة بعلوم اللغة والكتابة والأنساب والآثار والتاريخ الاقتصادي والأنثروبولوجية (الأنسنة)

جاء في الروايات^(٣) أن للعربية الفصحي لم تؤخذ إلا من قريش وفيه وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائفين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم... وعن هؤلاء نقل علماء اللغة وبهم اقتدوا وعلوهم انتكوا في الغريب وفي الإعراب والتصريف، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، (خوفاً من الدخيل م.م.). ولا عن سكان البراري، من كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الذين حولهم، ولذلك لم يؤخذ من لهم لمحاجورتهم الفرس، ولا من جذام المحاجورتهم الأبطاط وقسط مصر ولا من قضاعة وغسان لمحاجورتهم أهل الشام ولا من تطلب، فلهم كانوا بالجزيرة محاجورين لليونان ولا من بكر لمحاجورتهم للروم والفرس، ولا من عهد القيس وأزد عُمان، لأنهم كانوا مخالفين للبحرين المتأثرة بالهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالفتهم للهند والحبشة، ولا منبني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من تقويف وأهل الطائف لمخالفتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الجاز (يترقب؟)، لأن الذين نقلوا العربية صادفون حين راحوا ينقلون لغة العرب، قد خلطوا غيرهم من الأمم وقصدت ألسنتهم.

و جاء في الأخبار أيضاً، أنه كان على العرب أن يحتذوا موقفهم من قريش بوضوح، ولم تزل العرب تعرف لقريش نصلتها عليهم، وسموها (أهل الله)، فرأوا أن قريشاً كانت مع مصالحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها، إذا أتيتهم الوفود من العرب، تخذلوا من كلمتهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصنفوا كلامهم، فاجتمعوا ماتخروا من تلك اللغات إلى سلطتهم التي طبّعوا عليها، فصاروا بذلك أنصح العرب...^(٤).

الآن ترى أن ماجيء به في روایات كهذه، فيه كثير من التكلف ولا يعدو أن يكون وهماً.. ليس إلا.. وعلى كل، فهذا ليس هنا وأصل موضوعنا، وترك الأمر لأهله من الباحثين في فقه اللغة العربية وغيرهم من علماء اللغة، ولكن لا بد لنا من القول إن الآراء والاجتهادات قد تغيرت وتشعبت فيما يخص مظان كهذه، لتعكس الواقع والصراعات السياسية التي أطلت برأسها منذ "الفترة الكبرى"، ولتطور إلى شيع وأحزاب في العهدين الأموي والعباسى الأول، ثم إلى نشوء مذاهب ومدارس فكرية وفقهية مختلفة، عكست بشكل أو بأخر، تلك الصراع السافر بين أنصار السيادة العربية من جهة، ودعوة مذهب المساواة في الإسلام من جهة أخرى، اعتقاداً على ماجاه في التنزيل الحكيم: يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم... ويشفي هؤلاء أيضاً، أن القرآن الكريم لم يذكر اسم قريش إلا مرة واحدة، فيردة عليهم أولئك بما جاء في الآيات "العربية": ...لتكونن من المنذرین بلسان عربي مبين الشعراء/١٩٥٢١٠١٠٣/ والنحل/٣١٠١٠٤: وإنما انزلناه قرأتنا عربياً لكم تعقولون، يوسف/٢.

"وكذلك أنزلناه قرأتنا عربياً وصرفنا فيه من الوعيد، ط/٤١٣/".

وكذلك أوحينا إليك قرأتنا عربياً، الزخرف/٣ وإلى غير ذلك من الآيات التي تشهر عروبة الخطاب القرآني، وبتلك الآيات "العربية" يرد أيضاً غير القوشين من العرب على أنصار "المدرسة القرشية".

الآن يمكن تلخيص الموضوع بالقول، إن من ظن أن العربية الفصحي هي لهجة قريش، قد تأثر من كون النبي من قريش وأن الوحي قد تجلى في وسطهم، فهو إذن بسانتهم.. ولكن لو كان الأمر كذلك، لجاء التنزيل الحكيم بذلك صراحة، ولما رأينا ذكر "عروبة" القرآن غير مرّة، دون أن يأتي على "قرشيته" ولو مرة واحدة،

^(٣) نقل عن (الزمر للسيوطى) مع بعض التصحیح المجزائى (٢.٣).

ولا يخفى أن قريشاً كانت أول العرب شعراً في الجاهلية، إلى أن جاء عمر بن أبي ربيعة في صدر الإسلام. وبعد هذا وذاك، لا ندرى لي الواقع صحة أو بالأحرى دقة ماورد لدى السيوطى وغيره من العلماء اللاحقين والمحثتين، ذلك أن عالئهم ليس عالم أولئك الأئمة السابقين، الذين أرسوا قواعد أصول فقه اللغة العربية. ومما يken، لا نعتقد أنه من المنطق أن ننفل عن بعض الواقع منها:

ـ تقع مضارب القبائل التي نقلوا عنها بحسب الروايات اللاحقةـ إما بالقرب من قريش (هذيل وكناة)، وإما إلى الجنوب من خط عرض جغرافي يمتد تقريباً من خليج الكويت إلى ميناو المويتـ جنوب خليج العقبةـ حيث منازل تميم وأسد وطيء وقيس عيلان، وذلك إما في ريوغ نجد وإما إلى الشمال منها.

ـ أما بالنسبة للقبائل والبقاء الكائنة جنوبى مكة، فلم يأخذوا عنها، مهملين بذلك العديد من القبائل بالإضافة إلى أهل كندة وأقوام اليمن، وكذلك ليسوا من العرب العاربة؟!

ـ إهمال عدة قبائل، تقع منازلهم ضمن خطى العرض الجنوبيـ الأعلى (من خليج الكويت إلى المويلح)، والأدنى، جنوبى مكة مباشرة، علماً أن بعض تلك القبائل قد اشتهرت بشرائعها، قبل الإسلام أو بعده.

وحسبنا هنا الاستشهاد بشعرى ضيف فى "الشعر الجاهلى": ... ولم تكن تختص بهذا الشعر فى الجاهلية كقبيلة دون غيرها من القبائل الشمالية أو تحاطانية، وأية ذلك لتنا تجد الشعراء موزعين عليها، فمنهم من ينسب إلى القبائل التحاطانية، مثل أمرى القيس الكندي وعدى بن رعلاه الغستاني والحارث بن وعلة الجرمي القضايعى ومالك بن حريم المداني، وعدى وغوث للحارث النجرانى والشترى الأزدى وعمررو بن معد يكرب المذنجى، أما من ينتسبون إلى مضر وربيعة فأكثر من أن نسميهم، وعلى شكلتهم من ينتسبون إلى الأوس والخزرخ للتحاطانين فى المدينة.. وعذ لben سلام فى طبقاته لربعيمن من فحولهم وفحول المحضرمين... ومن يرجع إلى هؤلاء الشعراء يجد بينهم البدوى والحضرى، كما يجد بين البدو اليمنى والرتبى والمضرى... .

"والذى لا ريب فيه أن حظ القبائل المضرى من هذا الشعر الجاهلى كان أوفر من حظ القبائل الربعية والتحاطانية.. .

ـ وكان حظ القبائل المضرى من الشعر متقارناً، وكذلك كانت القبائل الربعية والتحاطانية، قبائل كل مجموعة ليست سواء فيه، ومثلها المدن فمكة كانت كلية الشعر...."(15).

ـ وبعد هذا وذاك، نرى أن مقالة الأستاذ محمد الانطاكي بقصد للهجة الفصحى لشدید القراب إلى المنطق:

"وتسمى أحياناً بالقرشية لطيبة خصائص لهجة قريش عليها، كما تسمى أحياناً بالمجازية، وذلك لأن عامة القبائل المجازية لم تكن تختلف لهجاتها عن لهجة قريش في شيء".

ـ ومما يken من أمر للتسمية لمن ماتعنيه بالفصحي هو هذه اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم، والتي بها جاء الحديث الشريف، والشعر الجاهلى، والتي لا نزال حتى اليوم نتغذى منها لسان أدب وعلم ودين.

ـ وهذه الفصحى ليست لهجة كibleة عربية معينة وإن سميت في بعض الأحيان بالقرشية، بل هي مزيج لطيف من اختيار ثنيق لخصائص لهجات عربية كثيرة أهمها القرشية والقميمية"(16).

ـ وبضيف ثالثاً: "اللهجات العربية الجنوبية شديدة التشابه، حتى لم يمكن القول: إنها جميعاً لهجة

واحدة...، وعلى كل لالهجات العربية اليمنية جميعها لهجات عربية صحيحة لا تختلف عن اللهجة الفصحي بأكثر مما تختلف فيه لهجات تميم وقرיש أو أسد وهنيل...."(17).

وإلى هذا المعنى أيضاً يذهب الدكتور مسعود بوبو: "ينبغي أن يستوفقنا قوله (أي السيوطي) المزهري، م.م.): إن العرب كان (يشد بعضهم شعر بعض). أي أن لغة مشتركة فوق "مستوى" العامة من العرب كانت محل تداول في الإنشاد الأدبي، لغة فوق لهجات التخاطب، فوق لغة الحياة اليومية لدى القبائل الكثيرة، ولكنها مع ذلك كانت مفهومة عند عامة تلك القبائل، فاصيبها عن قريش. ودونها منها، ولهجات تلك القبائل على اختلافها لم تكن مستغلقة متباينة على الفهم، بل كانت كلها - كما يقول ابن جنـي - حجة، والناطق بها - على قياس لغة من لغات العرب - مصيب غير مخطئ، مع الإقرار بوجود لهجة أفضل"(18).

كما ذكرنا أعلاه، في إشارتنا بعض الرأي الذي عرضه الأستاذ الاتطاكي، إنه شديد القرب إلى المنطق، أي ليس المنطق الشافي/ المقنع، في رأينا بالطبع، ومع أن الأستاذ الاتطاكي، يُعتبر في كتابه "الوجيز في فقه اللغة" الصادر في عام ١٩٦٩، متندما على العديد من آفائه، إن كان في دراسته لفقه اللهجات اليمنية وغيرها من اللهجات العربية القديمة (الحجازية، ثمودية، صفتية) بقلتها المسند؛ ومقابلتها باللهجة العربية الفصحي (قال "لهمجة" دون أي تردد)، وغير ذلك من الاجتهادات، التي تدل على تبخره في علم اللغة، - وقد استقدنا من علمه كثيراً، رحمة الله - ومع ذلك، نرى أنه قد توقف في منتصف الطريق. - كغيره من السابقين واللاحقين - الذين حصرروا مجال تطور العربية في عالم شبه الجزيرة، وقد تناقلوا عن سائر بلاد العرب، وهاهنا نشعر بالميل إلى الدكتور جواد علي موضحاً "والحق أقول: إنني إذا فكرت تفكير علماء العربية المحذفين، الذين نسبوا تفرق اللغات على اللهجات إلى السيادة السياسية والاقتصادية، وأمثال ذلك من سيدات، فإنني لن أفكر في موطن أينشت في تلك الأيام سوى بلاد الشام والعراق".(19).

في الحقيقة، نرى أن ما ذهب إليه جواد علي بتصدر مساهمة بلاد الشام وال العراق، في تطور وارتفاع العربية، بالإضافة طبعاً إلى دور شبه الجزيرة العربية، بشتي لهجاتها الجنوبية والشمالية العتيقة، البائدة منها وبالاتية، وذلك منذ مطلع الألف الأول (ق.م.). فقط، وليس أقدم من ذلك، كما توهم البعض، غالباً بذلك عن نتائج دراسات المقارنة الخاصة بالكتابات اليمنية وشتي لهجاتها، تلك التي ساهمت، بلا أدنى شك، في تطور وإغناء عربيتنا، موضوع دراستنا، نقول إن ما واجهناه لدى جواد علي يتترجم بعض ما يدور في خلدنا.

ولقد أشرنا سابقاً إلى بضعة نقوش قديمة يرقى أقدمها إلى (عام ٢٥٠ م) وأحدثها إلى (عام ٥٦٨ م).

- أي قبل فجر الإسلام ببضعة عقود فقط - فهو أقربنا مقارنة بين لهجات تلك النقوش واللهجة نقشنا الآرامي (القرن الثامن ق.م.)، أي أقدم من أحدهما بنحو ثلاثة عشر قرناً، لاستولت علينا الدهشة وعجبنا لقراءة اللهجة نقشنا الآرامي العتيق، بمانجه في النقش الأحدث. - دون أن تغيب عن باتنا النقوش الأخرى الأكثر قدماً - معمحاكاً آرامية بعض فقرات النقش لهجتنا العربية الفصحي، وهاك مقارنة النصين:

نقش عام ٥٦٨ م: أنا شر حبيل بر طلمو بنـيت ذا المرطور

أنا شـر حـبيل بـن ظـلـمو بـنـيت هـذا المشـهد (المرـطـور).

النقش الآرامي (القرن ٨ ق.م): أنه بـنـيت بـبـيـتا زـنه

أـنا بـنـيت الـبـيـت هـذا.

هل لهجة النقش الأرامي أكثر بعدها من عرببيتنا الفصحى، بالقياس إلى لهجة الحديث الشريف الشهير، الذي خاطب به الرسول (ص)، وفدى اليمن بلهجتهم، جواباً عن استفسارهم: "هل من أمبر امسيام في أمسفر/ هل من البر الصيام في السفر"، فكان الجواب ليس من أمبر امسيام في أمسفر/ ليس من البر الصيام في السفر".

ليس من المدهش وجود هذه القرابة بين لهجات نقوش تناولت زمنياً إلى درجة أن أحدها يتقدم على الآخر زهاء أربعة عشر قرناً!... ولكن أين عُثرَ على هذا النقش البعيد/ القريب؟ لم يعثروا عليه مع مئات نقوش أخرى مماثلة في بلاد الشام والعراق (وادي النيل الخ...) أما فيما يخصن بلاد الشام وال العراق، فنحن نعلم علم اليقون ان اسم العرب راجٍ يتزدد على السنة أهلها اعتباراً من القرن التاسع (ق.م)، بل وأحياناً قبل ذلك(20)، وبتغيير آخر، أضحتي للتداخل قائمـاً، منذ تلك الفترة، إن لم يكن قبل ذلك، فيما ي versa بين لهجات العرب الراودين وسكان الهلال الخصيب بلهجاتهم الآرامية. وكما قالوا... إن عِرْفَ السُّبْبِ بطل العجب...

ونأتي الآن إلى موضوع قريش ولهجتها، التي غلت سائر اللهجات، في رأي البعض، ثم غالى بعضهم في الأمر، فجعل القرآن الكريم بلسان قريش. نحن لا ننكر ما أنت إليه للهجة الفرعية من شهرة معبعثة النبوة، فهذا أمر لا مجال فيه. وأما أن تكون اللهجة المطلقة في مصدر الإسلام وما بعده، وأن يكون القرآن بلسان قريش حصرأً، فهذه مسألة فيها نظر، وقضية تحتاج إلى دراسات مستفيضة، لا مجال هنا للدخول في شتى تفاصيلها، وإذا كانت هناك روايات لمصلحة "قرشية" القرآن، فلدينا في الطرف الآخر حجج وأدلة معاكسة لها. ونرى أن الحكم الفيصل في هذا الخلاف هو القرآن الكريم، فهو التعبير الأكبر عن الحديث الأعظم، بل هو الحديث ذاته... بالشكل والمضمون. ولذلك نرى أن تلك الروايات اللاحقة، "القرشية" منها أو غيرها، ليست ذات قيمة، لأنها جاءت على لسان أخباريين ومؤرخين بعيدين عن عصر البعثة النبوية، إضافة لكونها صادرة أحياناً -على ما نرى- عن دوافع وموافقات حزبية سياسية أو نوازع ومعتقدات ذهنية قفيهة.. وكما رأينا سابقاً، لم يقتصر عز وجل عن التنکير بعروبة لسان القرآن الكريم، في حين أنت لا نجد ذكرأً لقريش إلا مرة واحدة فقط.. الإيلات قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف". تبدو هذه السورة امتداداً لسورة (الغيل) قبلها من ناحية جوهرها وموضوعها. وبعد إخفاق حملة أصحاب الغيل، ازدادت حرمة البيت عند العرب، بمختلف قبائلهم كما ارتفعت مكانة قريش، فصار أهلها في الأرض آمنين، مما شجع تجارها على إنشاء خطين عظيمين من خطوط التجارة، فكانت رحلة الشتاء إلى اليمن، والثانية إلى بلاد الشام في الصيف.

إلا نجد هنا عاملـاً مساعداً جديداً لارتفاع وزادهار لهجة قريش، نتيجة لاحتقارها بلهجات عربية أخرى- في اليمن وفي الشام- بالإضافة طبعاً إلى العوامل الأخرى: الدينية (الكتيبة) واللغوية، باطلاعها على اللهجات شتى الورود التي تتصدّها، في مواسم الحج وغيرها، فاستفادت بذلك من المفردات والأسلوبات الجديدة فتوّعت قنون قولها، وجمل اسلوبها ، فنقدمت تدريجياً على غيرها من اللهجات لتأخذ مركز الصدارة فيما بعد.. ومع ذلك حافظت أكثريـة اللهجات على بعض ألفاظها الرائجة في المخاطبة والشؤون اليومية وأحياناً في بعض شعرها.

ولابد أن نستنتج من كل ما أسلفناه، أن المراكز التي تبلورت فيها اللغة العربية الفصحى لا تنتصر على قلب الجزيرة العربية وعلى اللهجات بعض القبائل التي تقع مضاربها ضمن خطين جغرافيين وهماين -كما

لحظنا سابقاً - كلاً فالامر أكثر تعقيداً وشمولاً: ولا يمكننا أن نغفل عن دور اليمن والهجرات العثمانية الأزلية (كندة، المناذرة، الفساسنة الخ...) ولا عن لهجاتها القديمة، البائدة منها والباقية.. وهذا العالم الأرامي، في بلاد الشام والعراق بل وفي وادي النيل، الذي أضمننا في تقاصيله، بارثة اللغوي العظيم، هل نخرج من محيبطنا الجغرافي / اللغوي، حيث نشأت مختلف لهجات ألافاً القدامى، منذ الأزل: من أكديا/بابلية/أشورية إلى كنعانية وسبئية وحميرية وغيرها، لتصبح فيما بعد في هذا الخزان الأعظم... وهاهنا نقول: إن كل دراسة تعالج فقه لغتنا العربية وتتطورها، تظل ناقصة مادامت تهمل بعض عوامل نشوئنا وأركان ازدهارها على مر السنين والأيام، ومادامت تقصّن مجال تفاعلها الجغرافي لتصصرّ في بقاع محدودة في قلب الجزيرة العربية.

وهذا هو مقتل علماناً اللغوبين، السابقين منهم واللاحقين/ المحدثين... فنظرية خاطفة لمفردات معاجمنا الكنعانية فالآرامية التي ورثتها، كافية لإدراك مغزى قولنا.. يزعم البعض أننا الورثاء الشرعيون لتلك الحضارات القديمة، وهذا صحيح؛ ويضيف فريق آخر أن أجدادنا العرب المسلمين لم يغزوا بلاداً غربية عنهم -في عصر الفتوحات الكبرى- بل حررروها من نير الاحتلال الفارسي البيزنطي، وهذا أيضاً أمر لا غبار عليه، ويتفاخر آخرون بر رسالة الإسلام السمحنة وبشعار "لا إكراه في الدين" وهذه فكرة صائبة.. نعم كل هذا صحيح.. ولكن لا يترتب على كل ذلك بعض التناقض والمواقف المغایرة لتلك التي أفرزها واتخذها بعض علماناً السابقين، وما زال بعض اللاحقين/ المحدثين يسرون على هدفهم.. وإن كان شيوخنا القدامى عذراً لهم، لا وهو جهلهم، ارثنا اللغوي العتيق.. و عدم تمكّنهم من معرفة تاريخ أسلافنا الأوائل، لأسباب ذاتية موضوعية، مما أوّقّعهم في الفخ وأحالهم إلى ضحية سهلة لأعدائهم "الإسرائيليات"، إن كان هذا الأمر مفهوماً بل ومنطقياً بالنسبة للسابقين، فكيف نعلل الموقف الجامدة/ الخامدة لبعض أساند اللغة العربية وباحتثها اللغوبين؟!.. و بمثابر احجامهم عن ولوح عالم الدراسات اللغوية المقارنة، ولا سيما بعد اكتشاف هذا الكتم العظيم - المتزايد من يوم لآخر - من كتاباتنا القديمة، بلهجاتها المتوعنة والقريبة. بشكل أو بأخر، بعضها من بعض، والشانعة حينذاك في مختلف ربوع الهلال الخصيب، والتي رفعت لهجتنا الآرامية في طورها الأول (من القرن التاسع وحتى الرابع ق.م) فأغتتها وأعلت شأنها، بعد اندماجها فيها، فأضحت - كما أسلفناه - هذا الدرع الواقي، الذي صنان تراثنا اللغوي، خلال اثنى عشر قرناً تقريباً، لتعهد إلى شفقتها العربية به فيما بعد.. نكرر تساوينا عن أسباب وداعم هذا الإهمال أو بالأحرى الاستخفاف بارثنا/ الكنز اللغوي القديم؟!.. فهو عدم إلمام البعض بتلك اللغات العتيقة؟!.. أم التفاس عن اقتحام مجالـ تاريـخـناـ الأـكـدـمـ؟!.. أم اعتزارـهـمـ بـلغـتـناـ العربية الفصحى وشعورـهـ بالاكتفاء الذاتي وبـماـ اورـثـاـ إـيـاهـ أجـدادـناـ العربـ الصـراحـهـ منـ دـيوـانـ؟!.. قد يكون لجميع هذه العوامل والواقع نصيب من الصحة.. ولكن بعد هذا وذاك.. ما هو نصيب طيف الترمت الذي يلوح في أفقنا، بينما بعد الفينة؟!...

بالاظهـارـ خـريـجوـ جـامـعـاتـ قـطـرـنـاـ، منـ أـسـانـدـ لـغـةـ عـربـيـةـ وـتـارـيـخـ، هـذـهـ القرـاءـةـ بـينـ عـرـبـيـتـاـ الفـصـحـىـ وـسـائـرـ لهـجـاتـنـاـ القـدـيـمـةـ، إـذـ أـنـهـ اـطـلـعـواـ عـلـىـ بـعـضـ قـوـاعـدـهـاـ وـتـكـوـنـتـ لـهـمـ فـكـرـةـ عـامـةـ عـنـهـاـ. لـأـنـ الـمـنهـجـ يـقـضـيـ أنـ يـدرـسـواـ إـبـحـادـهـاـ وـلـذـكـ يـدـرـكـونـ أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـ مـغـزـىـ قولـنـاـ وـأـسـبـابـ إـبـصـارـنـاـ عـلـىـ إـلـقاءـ الأـصـوـاءـ عـلـىـ مـسـائـةـ القرـاءـةـ تـلـكـ،ـ وـكـمـ قـلـاـنـاـ. فـنـظـرـةـ خـاطـفـةـ عـلـىـ مـعـاجـمـ تـلـكـ الـلـهـجـاتـ،ـ وـعـلـىـ الـخـصـوصـ الـكـنـعـانـيـةـ وـالـأـرـامـيـةـ لـخـيـرـ شـاهـدـ عـلـىـ ذـلـكـ.ـ وـمـنـ هـوـ أـجـدـرـ مـنـ بـعـرـضـ هـذـاـ مـوـضـعـ،ـ وـنـحـنـ أـصـحـابـ هـذـاـ التـرـاثـ الـأـرـاضـيـ...ـ لـقـيـناـ الـمـسـؤـولـيـةـ عـلـىـ كـاـهـلـ الـأـخـرـيـنـ:ـ فـمـنـهـ مـنـ أـذـىـ الـمـهـمـةـ بـأـمـانـةـ،ـ كـمـاـ أـنـ الـبـعـضـ الـأـخـرـ أـسـاءـ.ـ وـكـمـ قـيـلـ:ـ "ـسـاحـكـ جـلـدـ مـثـلـ ظـفـرـكـ".ـ

كما ناقصاً وتركتا... فلقد أورثنا الأجداد «ساناً عربياً مبيناً» لن ندرك إعجازه في النثر والشعر، إلا بالموازنة بينه وبين نظراته في لغاتٍ أجنبية أخرى، وهل من جاهل أحمق ينكر ذلك ويماري فيه؟! إذن فعربتنا بخير ولكنها ليست على أحسن ملائم، لاستئصالها في أسلوب دراستها وتدريسها، وإليكم شهادة أحد أساتذتها، وسميناه (الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال)، في قاموسه **«معجم الألفاظ العالمية ذات الحقيقة والأصول العربية»**، حيث يقول: «من أهم المشاكل التربوية التي تصادفنا، أن يعيش أبناؤنا بين لغتين إحداهما خاصة بالمنزل والأخرى خاصة بالمدرسة، وأن نقول إن كلامهما مختلف عن الأخرى، مع أن هذا الاختلاف لا وجود له أصلاً في إدحاماً، وإنما هو وهم نسجه الزمن بسبب قصور الإدراك، وزاد في اثره تقصير المشتغلين بأمر اللغة العربية ووقوفهم عند حد القول بعامية لفظٍ وفصاحةٍ آخر، لمجرد الكلام دون اعتماد على بحثٍ لغوٍ سليم...»(21).

ويضيف قائلاً: «نحن إذا ما تبعينا لغة التخطاب لأن نعلم نسبتها من العربية وجذبناها نفس العربية، ولكن طرأ علينا التحرير... وما لاشك فيه أن الكثرة الكبرى من الألفاظ العالمية، إما عربية قرشية صحيحة، وإما محرفة عنها تحريراً قليلاً، وإما عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش أو محرفة عنها تحريراً قليلاً...»(22).

ويقول أيضاً: «لقد طال الكلام في اللغة العربية و شأنها، وتمادي الزمن بالناس وهم يبدون ويعبدون في عزلة العربية وقصورها، وضرورة رذ الحياة إليها، وأهمية مسايرتها لاحتاجات الأمم التي ورثتها، دون أن يbedo لذلك كله أثر يذكرُ أو يتنااسب مع السنين الطوال التي مضت على هذا الحديث الأجوف...»(23).

وبصدق سلامة النطق يقول: «من أهم الأمور الازمة لدراسة اللهجات العربية الحديثة كتابتها علمية يساير رسمها النطق الصحيح لهذه اللهجات في أقاليمها المختلفة، وفيما مأمكن بالغرض الذي يتوخاه علم الأصوات في العصر الحديث.

» والكتاب العربية بحالتها الراهنة قاصرة عن تصوير النطق الصحيح للهجات العربية الحديثة، لأن في هذه اللهجات سواكن وحركات لا يوجد لها في كتابتنا العربية نظير من الحروف ولا من علامات الشكل»(24).

وأيضاً: «في الكتابة العربية حتى الآن ثلاثة علامات لثلاث حركات، هي الفتحة والضمة والكسرة، وهي غير كافية لكتابه نصوص اللهجات العربية الحديثة، ولذلك أضفت إليها خمس علامات مبتكرة...»(25).

نرى، تلخيصاً لما جاء في القسم الأول من دراستنا، أن نبرز أركان البحث التالية:

أولاً: التشابه الكبير بين مختلف لهجات أسلافنا القدماء، إن كان في بلاد الهلال الخصيب أو في الحوض الأدنى لنهر النيل أو في شبه الجزيرة العربية.

ثانياً: يمكن اعتبار اللهجات العتيقة: أكدياً/بابلية/آشورية/كنعانية، بمثابة العقبات الأولى في السلم اللغوي لوطننا العربي، ولا تتشكل هذه اللهجات لغات قائمة بذاتها، لدرجة أن أمرها قد اختلط على العلماء الآجانب (المستشرقين)، فمثلاً بالنسبة للغات بلاد الرافدين: أكدياً/بابلية/آشورية، نراهم يطلقون عليها في البدء اسم "الآشوريات" كما عهدناه سابقاً في جامعتهم، ثم راحوا يقولون "الأكديات" وهي

التسمية الرانجة في أوساطهم حالياً، وفي الواقع، فلا هذه التسمية ولا تلك منطقية؛ إذ أن هذه التسميات لا تشير إلى عرق/ جنس محدد، بل تعود بنسبتها إلى موقع أو مدن الخ... فالاكدية، نسبة إلى أكاد، عاصمة الامبراطورية الاكدية والبابلية نسبة إلى بابل الخ..

ثالثاً: التسمية السامية التي أطلقها شلوتر في نهاية القرن الثامن عشر غير منطقية ومخالفة لأبسط الحقائق العلمية، وتلحق الأذى بقضائيان القومية. فالتسمية توراتية ومضللة، وهدفها الترويج للغة "عبرية" قديمة. مع العلم أنه لا توجد لغة عبرية قديمة، كما يتوهم البعض، والتوراة ذاتها تقول "شنة كعنان" أو "سان يهودي" نسبة إلى سبط يهودا. والتوراتية ليست سوى خليط كعناني/ آرامي كما هو معروف أكاديمياً. ولم تظهر تسمية "لغة عبرية" إلا بعد السيد المسيح. فمن ظل على يهوديته نطق بالعبرية" ومن تصرّ تكلم بالأramaic السريانية، (كتبت انجيل متى بالأramaic السريانية في حين كتبت الآجال الثلاثة الأخرى باليونانية). وعوضاً عن "السامية" -هذا الخطأ الشائع- من الأفضل أن نقول "العربات العتيقة" (26)، لأسباب وجيهة، كما سنوضحه لاحقاً.

رابعاً: عدم حصر مجال نشوء وتطور اللهجات العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية، بل التوسيع من حدوده ليشمل عالم الهلال الخصيب ووادي النيل، حيث لعبت اللهجة الارامية دوراً كبيراً. في صياغة ترااثنا اللغوي القديم، قبل البعثة النبوية، تلك الارامية التي احتلت العتبات الوسطى في السلم اللغوري لوطتنا العربي، خلال الثاني عشر قرناً تقريباً، من القرن السادس (ق.م) وحتى صدر الإسلام، قبل أن تحل العربية الفصحى محلها، بعد أن شغلت آنذاك أعلى عتبات ذلك "السلم اللغوري".

خامساً: جاء التنزيل الحكيم بـسان "عربي بينين"، ولم يأت بلهجته قريش، كما زعم البعض في روايات لاحقة. يقول الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته لكتاب "حجة القراءات" (27): "لم يكن كتبة الوحي الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلّي عليهم كلما أوجيَ إليه شيءٌ، من قبيلة واحدة، بل كانوا من قبائل عدة فيهم القرشي وغيره.. وكان الناس -على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم- في سعة من أمرهم في قراءة القرآن: كل يقرؤه بلحن قومه.. وأندرجت هذه الوجوه الكثيرة في تغيير "الأحرف السبعة" الواردة في الحديث، وأزيد بها التعدد والكثرة لا تحديد العدد سبعة" (28).

(26) قال البعض -بـ"القراءات السبع"- ولا تدرك لماذا توتفوا عند العدد (7)، بينما جعلها فريق آخر أربع عشرة قراءة، فهو للعدد (7) وأضاعفه سحر خاص. يقول الأستاذ سعيد الأفغاني في مدخل "حجة القراءات، ص. ٥٠": "لكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون رواه عنهم، ولكل راوٍ طرق متعددة، وأنا أثبت لك تراجم موجزة للأعلام القراءة بادأ بالقراء السبعة بفتحة العشرة بفتحة الأربع عشرة...؟" كما نلاحظ، (7) قراءات وضلعها، مع العلم بأن عدد القراءات قد يكون أكثر من ذلك، كما ذكرى من قوله: "لكل إمام صاحب قراءة رواه كثيرون رواه عنهم، ولكل راوٍ طرق متعددة...؟.... وآفة أعلم... لا يعن أن لكل قاري أو راوٍ هستة".

والمهم في الموضوع "قدسية" الرقم (7) مع أضعافه. ففي المقدمة، يتذكر ذكر الرقم (7) منذ بدء التاريخ، ومن المؤكّد أنه قد تم بقدسيته، وتنشّط سحره، في روايات ومقتنيات القدماء، من مختلف الأقوام والأمم مثلاًواً به: الكواكب السيارة السبعة، النسوات السبع، قدست، نقصة الخلقة وملحمة جلجامش، طبلات أو أدوار الزهرورة (ومنها برج بابل) سبعة، وتنثير قذفية العدد في (سفر التكوان)، الأصحاب السابع، (٢-٣) يبعد أن يأمر الرب توحّاً وجميع لهه بدموعه الملل يقول له: "وَعَذَّهُ مِنْ جُمِيعِ الْهَمَمِ الْمُطَهَّرِ سَبْعَ سَبْعَةَ ذُكُورًا وَإِنَّا وَمِنَ الْهَمَمِ الَّتِي لَهُتَّ طَاهَرَةَ أَثْنَيْ ذُكُورًا وَاثْنَيْ، وَعَدَّهُمْ أَثْنَانَ طَهْرَةَ السَّمَاءِ سَبْعَةَ سَبْعَةَ ذُكُورًا وَإِنَّا لَهُمَا نَسْلَاهُمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَانْظِرْهُمْ بَعْدَ سَعْيِهِمْ مَعْطَرًا عَلَى الْأَرْضِ..." فكرا رأينا: (27)

سادساً: لا نظن أن لهجة قريش قد استواعت كلياً شتى اللهجات، إن كان داخل شبه جزيرة العرب أو خارجها، كما أنها لم تتمكن من محواها بصورة مطلقة، ومن هنا تعدد اللهجات وتتنوعها حتى اليوم، في شتى أقطار الوطن العربي، وفي الحقيقة، لا تشک تشويهاً أو "انحطاطاً" للعربية كما يتهم البعض، بل هي ألسنة أصيلة لقبائل عربية، كما رأينا في حديثنا عن اللهجات (معجم اللهاظ العامية...) وليلينا على ذلك، تعدد القراءات (١٤-٧)، منذ القدم، إذن فعربيتنا الفصحى، التي أدركناها قبل الإسلام وبعده، والتي تطورت وازدهرت، في العصررين الأموري والعباسي، لا تخمس فقط لسان قريش.

سابعاً: الصحيح والأقرب إلى منطق التطور الاجتماعي/ اللغوي أن نهجر التسمية "السامية" ونقول "بالعربيات" العتيقة فالقديمة فالعربية الفصحى". وكم من لغة ذاتية الصيغة ولا يتوافر لها ما كان للعربية، من ديمومة زمنية واستمرار مكاني، ومع ذلك لم يحجموا عما نقرحوه، أما اللهجات العربية العتيقة، فمعنى بها لهجات الهلال الخصيب، حتى مطلع الألف الأول (ق.م.). بالإضافة إلى اللهجات البائدة لشبه الجزيرة العربية. ونقصد بالقديمة: الآرامية الأولى (ثم لهجاتها المختلفة بعد القرن الثاني ق.م.)، مع لهجات اليمن (ق.م.-٨٠٠) في جنوب شبه الجزيرة العربية واللهجات اللحوانية والتلودية والصفانية، في وسط وشمال شبه الجزيرة وحتى جنوب بلاد الشام (٥٠٠ ق.م.-٣٥٠) ثم العربية الجازية الصربيحة، من الشعر الجاهلي فما بعد.

للحيوانات المطهارة (٢) لنهر الظاهر، والأسبوع سبعه أيام وأربعها ماقنون. وبظهور العدد (٦) من جديد في قصة يوسف "سبع بقارات عذان زبعة بقرات عجاف، سبع سابل دقال الح.." وكان لمدينة بايل (٧) أبواب. وقال الأشوريون (٨) أسوار خمسة العالم الآخر.

وقيل إن (زداثت) رأى سبع رؤى أبناء عزره، قبل أن يصل رسالته. ومن تعاليم (مانى) الياجية في فارس الصيام (٧) أيام من كل شهر. وعدد المونان (٩) حكساء، (٧) عحائب العالم. وحكم روما (٩٢) ملوك (انظر كتاباً: تاريخ الرومان [١٦]، ١٩٧٤، ١٩٧٨). وكم من مرة يزداد العدد (٧) في التأويل وكذلك في القرآن الكريم. ومن أمصار العرب قبل الإسلام إن قبيلة (عاد) أهلتكت بـ "سبع" ليل... والملحقات الشهيرة (٧) وعد العرب أيضاً: "سبعين" السامي، وربت الشيع "السبعين". ومن مناسك الحج: الطقوس (٧) مرات حول الكعبة وتنبئ قدسيّة العدد (٧) عند بعض الفرق والمذاهب في الإسلام: عند إ UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARIES
الإمامين (الوقف عند الإمام السابع اسماعيل). ومرات الصوف هي (٧): التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصور، التوكّل، الرضا (سراج الطرسى، الملح في الصوف). وقال أبو تمام في وداء على الملتحمين:

والعلم في شهر الأبراج لامعاً
بين الحسينين لا في السبعة الشهب

والآقايم المعمورة في صورات المغاربة الغرب هي سبعة وكذلك المرحلات "سبعين الشهوة" للستباد، وهل من نفس لتدبيبة هذا العدد وغيره من الأعداد، كالعدد (٣) والعدد (٥) الحج... وبوز العدد (٣) إلى تقاسير عده: الحياة / الموت / المبعث، النساء / الأرض / الإنسان الح.. أما العدد (٥)، فنلاحظ سحره عند عشرات الآلاف السنين، في المفاصد والكهوف أو بالآخر في رسوم جدرانها، حيث نشاهد حيوانات تلك المصور، عترة الإنسان وزوجته، وقد أحضرت بهلو بشريه، وكأنها تحاول التپعن على الآخرين. أم ي يقولوا المفترى الإنسان عن المحيوان يصل به، الذي تفاعل جديلاً مع دماغه، وبذلك كان تطوره، وإنفلاه، ومكداً أكسته البذك ذلك القدرة التسحرية، وما زالت نسلات آثارها ورموزها في مأثرتنا الشعبي: "خمسة بين العذر، وشكل البذ المخصوص في مد الفتحية على باب مسكن جديد، وهذه البذ وهي وسطعها غير الموسود" [متفقها سهم، الح...، أما بالنسبة للعدد (٧) وقد سنت الفتنية باشارتها ودعوهها، فترى أنها توأم إلى البذ السحرية (٥) يضاف إليها الرقم (٢)، كرمز للحياة / الموت أو النساء، الأرض أو المذكر / الأنثى الح...، هذا اهتمام ليس إلا... وافت أعلم....

قد يستغرب البعض اقتراحتنا الجديد هذا، وعلى كل ذا "الجديد غريب". أما بالنسبة لنا، فليس بجديد ولا غريب، فمنذ نحو ربع قرن، قلنا في المقدمة التاريخية لكتابنا (المدخل إلى اللغة الأرامية) منذ عام ١٩٧٠ إن التسمية "السامية" خاطئة وعلى "الباحثين وذوي الاختصاص العرب أن يطروها الموضوع على سطح البحث ويندأوا الآراء، ليخلصوا إلى تسمية أخرى أقرب إلى منطق الأمور، الخ...". وها نحن مازال ننتظّر....

بــ الكاتبة:

١ـ من الصورة إلى المقطع الصوتي:

تعتبر الكتابة العربية حضيلة تطور مديد ومستمر، انطلاقاً من الكتابة المسماوية المقطعية الرادفية^(١) (نحو ٣٥٠٠ ق.م.) والهiero-غليفية الصورية المصرية^(٢) التي ظهرت مع المسماوية، في منتصف الألف الرابع (ق.م.) ومروراً بالكتابة المسماوية الأجدية^(٣)، في دولة أجرت (رأس شمرة شمالي اللاذقية)، وقائلاً أيضاً لوغاريت). نحو (١٥٠٠ ق.م.)، فانتهاءً بالأجدية الكنعانية المتطرفة (التي أطلق عليها الإغريق اسم "الفينيقية")، حوالي القرن الحادي عشر (ق.م.).

وعندما أفلح الكنعانيون "الفينيقيون" في تحرير الصور الهiero-غليفية المصرية والمقطاع المسماوية الرادفية وأبدعوا رمزاً، كلّ منها يمثل "وحدة صوتية" أي حرف (fonem)، تكون البشرية قد قطعت بذلك مرحلة، باللغة التعقيد، وبلغت شاؤاً عظيماً، كانت له نتائج حاسمة، مازال يشار إليها بالبيان، نتائج عادت بالنفع الكبير والخير العميم على مختلفبني البشر، في مختلف أصياغهم وأمسارهم^(٤).

^(١) يرى العلماء المعتصون أن أول من استخدم الكتابة في بلاد الرافدين هم السومريون وعنهما أخذها الأكاديون | البابليون فالآشوريون (انظر الجدول رقم ١) "شجرة السن الوطن العربي القديم" (الرقم ١)، كانت الكتابة المسماوية في أول عهدها، كاهiero-غليفية المقرية، صورية، أي أن كل صورة تمثل كلمة وتعني الشيء ذاته كصورة "يت للبيت والشجرة والمحجرة والشمس للشمس إخ...". وهذه المرسلة "الكتابة الصورية" تم حراوها يستعملون هذه الأشكال للتعبير عن بعض المعاني، وهي الكتابة "الذكرية"، فضلًا الشجرة إضافة لمعناها الأصلي أخذت تعنى "الحياة والربيع والخلود إخ...". والشمس تعنى الكوكب ثم راحت تعنى "الضوء والحرارة والنهار، إخ...". وقالوا: "مساوية" لأن أشكالها تتطورت من الصور إلى رسوم بيضاء تشبه المسماوي، بأنشاكها المختلفة. ونقول أجيالنا "إيجينية" ثم تطور الأمر وأصبحت هذه الأشكال المسماطة تدل على أصوات معينة، على شكل مقطاع صوتية، أي أن الكللة لا تكتب بتجديده، كما تعريفنا حالياً، بل على شكل مقطاع، ويعكسنا أنه شبّهها أحياناً، بما يخده حالياً في اللغات النسبية والبابلية والكردية إخ... وكان عدد المقطاع المسماوية في أول الأمر بمقدار (٧٠٠) مقطاع وقد تتلّع تدريجياً ليصل في الآئحة الحديثة إلى (٧٥٠) مقطاعاً) تفريباً.

^(٢) ظلت الكتابة الهiero-غليفية عاشرة على شكلها الصوري، على أنه قد تفرّع عنها كتابة موازية خنزيلية أكثر ليونة وهي "الهيروطيقية" (المقدسة) وأخرى شعبية وهي "الأنجع طيقية".

^(٣) ضست الكتابة المسماوية الأجدية الأوغاريتية (جدول رقم ١، ٢٩) وهي قرية جدأ من حررها العربية ولكن شكلها مساري، أي أن الأشكال لا يمثل مقطعاً، بل حرقاً قائمًا بذلك، على شكل مسار (اسفن).

^(٤) من أقدم النقش المعرفة - حتى الآن - بالأجدية الكنعانية، الغبيقية، نقش تابوت حيرام" ملك حبيل، ويعود إلى نهاية القرن الحادي عشر (ق.م.).

نحن لا نرغب في مناقشة مختلف النظريات والأراء المتعلقة بنشوء أول قلم أبجدي، وأنهما كان له التأثير الأكبر في هذا المجال: وادي النيل أم بلاد الرافدين، فهذا ليس مجال بحثنا بالذات، علماً أن بعضهم أعطى كتابات جزيرة كريت (الأتlan الثالث والثاني ق.م)، دوراً في نشوء الأبجدية الكنعانية، لقد اكتفينا بإيراد جدول لإيضاح “النظريّة السينائية” (****) التي تعكس بشكل أو بأخر مكانة الكتابة المصرية الهيروغليفية، ولاسيما في نهاية عصر الملكية الوسطى (١٧٧٠-٢٠٥٢ ق.م) عندما راح المصريون يستعملون [أربعين] صورةً من صور كتابتهم كرموز لقيم صوتية “وحدات هجائية”. ولكن الكتابة هي سبيل إلى المعرفة، ويدو أن الطبقة الحاكمة الفرعونية المحافظة، في مصر القديمة، لم تشجع على الانتقال إلى الخطوة التالية، أي جعل هذه الرموز الهجائية حروف هجاء، دون اللجوء إلى صور أخرى في كتابة الكلمات؛ فظللت الكتابة المصرية “الهيروغليفية” مزيجاً مُقدعاً من صور ورموز وحروف هجاء، وبذلك ظلت امتيازاً لغة من الكتابة المختارين، الذين يدرسون في البلاط الملكي، قبل أن ينخرطوا في سلك الجهاز الإداري، ل مختلف دواعين الدولة^(*).

٢- من المقطع الصوتي الصوري إلى الحرف الأبجدي الكنعاني (الفينيقي):

يعود الفضل في إبداع الأبجدية الكنعانية^(**)، الذين خطوا الخطوة الخامسة انطلاقاً من مبدأ الأكروفيون^(***)، فأخذوا الرموز الصورية وأعطوها فيما صوتية ثلاثة الأصوات الهجائية في لسانهم، فأخذوا مثلاً الرمز الذي يشير إلى “البيت” وسموه “بت” وأصبحت صورة البيت لا تمثل ولا تلفظ “بيت” بل الصوت الهجائي الأول في الكلمة وهو حرف “ب” وصورة العين لا تمثلها، بل تمثل الوحدة الصوتية “ع” و”اليد” لا تمثل “اليد” رمزاً ولفظاً، بل الحرف الأول “ي” وهذا دواليك.... وتكونت هكذا الأبجدية الكنعانية “الفينيقية” وعدد حروفها (٢٢) حرفًا بترتيب:

أبجد - هوز - حطي - كلمن - سغضن - قرشت.

وكان كعنانيو (أجرت - أوغاريت^(*) رأس شمرة) قد سبقوا أبناء عمومتهم الجنوبيين، فجردوا المقاطع الصوتية المسماوية، لبلاد الرافدين، بطريقة شبيهة بأبجدية حبيل، ولكن سقوط العاصمة الشمالية للعالم الكنعاني، في نهاية القرن الثالث عشر (ق.م) على يد شعوب البحر، أوقف عملية تطور كتابة الأبجدية المسماوية الشمالية لمدينة أجرت.

(****) انظر الملحق (رقم ٧) في آخر البحث مع الملحق الآخر.

(**) ظلت الكتابة في مصر الفرعونية حكراً على الطبقة الحاكمة وعلى أتباعها من الكهنة والملائكة راحظوا أصولها بالسرية، وتحتوى الكلستان “هور غلبية”， وهي اتفاقية “خذراً بيفن التدبسة” هورس^(*) والمصري الذي يكون قد ارتفع إلى مرتبة “كاتب” ليدخل في عدمة البلاط الملكي، بحال فوائد عظيمة ويسعى من المجلين في الخضر.

(***) كما ذكرنا، أطلق الإغريق (اعتباراً من القرن الثاني ق.م - في الأردية) - تلك الملحقة المساوية إلى هورس مع الإلهادة. اسم “بيفين” على بعض الكنعانيين من سكان الساحل الشامي (صيدون، صور، الخ....) على أن النسبة غير واردة في كتاباتنا التذرية، بل بحد ذاتها النسبة الكنعانية، ثم اشتراط هذا الخطأ الشائع في الأدبيات الونانية واللاتينية فيما بعد.

(****) كلمة يونانية مرتبطة، معنى “الصوت المعناني الأول في الكلمة ما: صورة ”كفت“ مثلاً للفظ ”كفت“ بل الصوت المعناني الأول في الكلمة وهو حرف (ك)، وصورة ”لمس“ لا تمثل ولفظ ”رس“ بل الحرف الأول في الكلمة وهو ”ز“. ومن المعروف أنه لكل حرف أبجدي مدلول يشير إلى رمز صوتي.

ويمارنة سربعة لعرف أبجدية جبيل المقطورة بما يقابلها في الأبجدية الشمالية المسماة "الإجرية" ،
نلاحظ الشوط الكبير الذي حققته أبجدية جبيل الجنوبية:
(نظر الجدول المقارن في الصفحة التالية).

عربى	اللغة الكنائى	أبجدية اجرية	أبجدية جبيل	الأبجدية البرائة . الأبجدية الموارثة
أ	ألف (رأس ثور)	ـ	ـ	ـ
ب	بىث (بستان)	ـ	ـ	ـ
ج	خيرتل (جميل)	ـ	ـ	ـ
د	رالنت (باب)	ـ	ـ	ـ
هـ	اصمت (مشتبكة)	ـ	ـ	ـ
ـ	واوه (واد)	ـ	ـ	ـ
زـ	ـ نـ هـ (سلاخ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ هـ لـ (عـانـلـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ لـ بـ لـ (لـاضـتـصـبةـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ يـوتـ (ـيــ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ كـفـ (ـكــ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ لـ تـ (ـيـصلـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ مـاهـ (ـيـاهـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ نـوكـ (ـيـاتـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ سـاخـ (ـيـاخـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ عـينـ (ـيـعنـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ فـتـ (ـضمـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ حـواـلـ (ـيـطـافـ للـصـبـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ قـعـقـ (ـخفـ، بـقـةـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ رـيشـ (ـأـيـسـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ حـسـنـ حـنـ (ـخـنـ لـبـرـنـ)	ـ	ـ	ـ
ـ	ـ تـمـافـ (ـيـمـاـقـةـ، عـلـاقـةـ)	ـ	ـ	ـ
T.t	T.t	X+	ـ	ـ

وهاكم بعض الملاحظات بالنسبة للجدول أعلاه:

أولاً: من الواضح أن أبجدية جبيل هي أقرب من أبجدية "أجرت - أوغاريت" إلى مفهوم الكتابة السريعة كما عدها هنـا فيما بعد.

ثانياً: فلنا أن أبجدية "أجرت" المسماة ضمت (٤٩ حرفاً) ولم نذكر منها سوى (٢٢ حرفاً)، كما هي واردة في أبجدية جبيل، وفي الحقيقة، نطق أهل جبيل وغيرهم من كنעניين عصرهم وكذلك أولئك الذين نقلوا عن هؤلاء الأجدية، كالأراميون والاسرائيليين القسماء والمذابين بعض الحروف بطريقتين. فمثلاً حرف "ج" لفظوه كما نعرفه في العربية وأحياناً نطقه "غ"، وحرف "د" هو "د" أو "ذ" وحرف "ك" هو "ك" أو "خ" وحرف "ت" هو "ت" أو "ث" الخ...

وهذه الحروف المفروضة بطريقتين موجودة في أبجدية، "أجرت".

ثالثاً: لا نجد حرف "ض" لا في أبجدية "أجرت" (٣) ولا في "جيبل". وعندما نقول "أبجدية جبيل"، فهذا لا يعني مطلقاً أنها خاصة بمدينة جبيل، ولكننا عثرنا على أقدم نسخ في جبيل، اطلقنا اسم المدينة عليها. وفي الواقع، انتشر استعمال هذه الأبجدية في مختلف أنحاء بلاد الشام. أما حرف "ض" فنجده في شتى الأسـنـانـ التـيـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ فـيـ الـلـهـجـاتـ الـيمـنـيـةـ الـمـخـتـلـفـةـ،ـ وـفـيـ الـهـجـهـاتـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ (انظر الجدول رقم (١)، في الفرعين ٤ - ٤ بـ) وكذلك صفة - (الجدول رقم ٢).

رابعاً: عن أبجدية جبيل،أخذ الإغريق خطهم وكذلك الكتابة اللاتينية تكوت انتلها من اليونانية واللاترسوكية، ذات المنبت المشرقـيـ،ـ وبين المدهش أن بعض الحروف اللاتينية وقبلها اليونانية حافظت على أسماء حروف أبجدية جبيل وأحياناً على نفس الترتيب والشكل. فمثلاً حرف "كـ" في جبيل أصبح "لفـاـ" في اليونانية وهو "A" وحرف "جـ" هو "بـتاـ" اليوناني وشكله "B" أي بتحويله من اليمن إلى اليسار. وحرف "كـ" هو "ـDـ" ذلك في اليونانية وحرف "ـLـ" هو حرف "K" كذا في اليونانية مع تحويل اتجاهه، حرف "... أصبح "ـLـ" لماذا في اليونانية، حرف "ـWـ" أصبح "M" أي بقلبه إلى الأعلى... M. مع قطع أحد ضلعيه وكذلك حرف "ـLـ" بقلبه إلى الأعلى مع قطع الضلع، الخ... وجدير بالذكر أن ترتيب هذه الحروف هو واحد في مختلف الأبجديات المذكورة أعلاه:

جبيل (كـ لـ مـ نـ) - العربية (كـ لـ مـ نـ) - اليونانية واللاتينية (N, K, L, M) والأصل كما هو معروـفـ فيـ أـبـجـدـيـةـ جـيـبـلـ.

3- من الأبجدية الكنعانية إلى الكتابات الآرامية:

نقل الأراميون قلمهم عن معاصريهم الساحليـنـ،ـ الـكـنـعـانـيـنـ،ـ الـقـيـنـيـيـنـ،ـ وبـهـ كـتـبـواـ نـصـوصـهـمـ الأولىـ،ـ وـكـاتـبـةـ وـلـغـةـ تـلـكـ النـصـوصـ (ـمـنـ الـقـرـنـ الـعـاـشـرـ إـلـىـ الـقـرـنـ السـابـعـ قـمـ)ـ تـسـبـهـانـ،ـ إـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ،ـ مـحـتـويـاتـ

(٣) هذا ما تقرره حتى يومـاـ هذاـ المـارـجـعـ الـأـكـادـيـعـ،ـ وـهـوـ الـأـمـرـ المـاعـرـفـ عـلـيـهـ سـتـيـ الـآنــ لـدـيـ ذـرـيـ الـاـعـتـصـاصـ،ـ معـ الـعـلـمـ بـأـنـهـ مـعـهـ مـعـتـدـلـاـ مـعـ الـعـرـبـيـةـ،ـ عـلـىـ نـقـشـ حـدـيدـ إـلـىـ أـوـغـارـيتــ كـمـاـ قـلـلـاـ سـابـقـاــ قـدـ يـفـيدـ بـعـكـسـ ذـلـكــ وـلـمـ تـعـضـمـ الـسـالـةـ

النصوص الكنعانية المعاصرة لها. ولا شك في أن الآراميين الذين نقلوا عن جيرانهم الكنعانيين "الفيبيقين" قلهم، راحوا يطروزون بدءاً من القرن السادس (ق.م) كتابة خاصة بهم، قبل أن يتفرع منها، منذ القرن الثالث (ق.م) كتابات أرامية محلية، في مختلف أصناف المشرق العربي.

إن كان آراميو بلاد الشام قد استعملوا الأبجدية الكنعانية "الفيبيقية" في بادئ الأمر، فإن آرامي بلاد الرافدين قد اقتبسوا قلهم الأول من الكتابة المسماوية الرافدية، قبل أن تتطور لدى الطرفين كتابة أرامية موحدة في مختلف الدولتين الأراميتين.

اشتهر الآراميون بتجارتهم النشطة داخلياً وخارجياً، وكما أن أقرباءهم الكنعانيين قد ذاع صيتهم في مجال التجارة البحرية، ونقلوا السلع المستوردة ومنتجاتهم إلى مختلف أرجاء البحر الأبيض المتوسط، فإن الآراميين اشتهروا بتجارتهم البرية وأصبحوا المتحكمين بالقواعد التجارية بين الساحل الكنعاني وببلاد الرافدين وفارس والأنضول، وكما انفتحت لغة الكنعانيين، وكانت لهم مع تجارتهم غرباً، كذلك انتشرت لغة الآراميين وكتابتهم شرقاً مع قوادهم التجاريين، وساهمت في تكوين بعض كتابات فارس والهند وأسية الصغرى واللق fas، بالإضافة إلى كتابات الآرامية المحلية: تدميرية بنيطية الخ... وكما أسلفنا، لم يستمر نفوذ الآراميين السياسي، في بلاد الشام وشمالى بلاد الرافدين إلا لفتره محدودة (من القرن العاشر وحتى القرن السادس ق.م). ويبعداً ضئيلاً، إذا ما قارناه بتاريخ مختلف الأقوام والدول التي سبقتهم أو عاصرتهن، ولكن دورهم الثقافي، ولاسيما في حقل اللغة والكتابة، كان أساسياً ومذهلاً في تراث مشرقنا العربي القديم، في العصررين الفارسي - الأخميني والهلنستي الرومانى، (كما جاء سابقاً في بحث اللغة).

في العصر الفارسي - الأخميني، أصبحت الآرامية لغة دبلوماسية دولية وكانت لغة الإدارة والحكم في الفارسية، في مختلف أرجاء الإمبراطورية الفارسية - الأخمينية، اعتباراً من القرن السادس (ق.م) وحتى الربع الأخير للقرن الرابع (ق.م)، وذلك هي "الآرامية الإمبراطورية".

وعندما انهارت الإمبراطورية الفارسية - الأخمينية، تحت ضربات الإسكندر المقدوني (٣٢١ ق.م)، فقدت الآرامية السند الذي جعلها لغة رسمية موحدة، ذات لهجة متماشة في مختلف ولايات الإمبراطورية وراح تحالفها تنهار شيئاً، وانكمشت قليلاً أمام اللغة اليونانية، ولا سيما في ميادين الحكم والإدارة، وراح تتكون عدة لهجات وكتابات أرامية محلية، مشتقة من الآرامية الأم، ويمكننا بدءاً من القرن الأول (ق.م) تصنيف مختلف اللهجات والكتابات الآرامية في بلاد الشام والرافدين كالتالي، ضمن مجموعتين أساسيتين: الشرقية والغربية (١)، وسيكون بعض كتابات هاتين المجموعتين دور في نشوء الكتابة العربية الحجازية، منذ القرن الرابع للميلاد (٢).

وتضم المجموعة الشرقية:

أ- السريانية : بفرعها النسطوري واليعقوبي، عندما اعتقد آراميو بلاد الشام والرافدين المسيحية، صاروا يُعرفون باسم "السريان" بدءاً من القرن الثاني للميلاد.

(١) انظر الجدول (١) شجرة السن الوطن العربي القديم (رقم ٨٧٦).

- بـ- لهجة تلمود بابل: وقلماها هو الآرامي المربّع.
- جـ- المنداعية : في جنوب العراق، والمنداعيون هم "أهل المعرفة"، وعرفوا في العصر الإسلامي الأول باسم (الصادبة).
- دـ- الحرانية : نسبة إلى مدينة حران، شمالي بلاد الراشدين، وعرفت في المصادر الكلاسيكية اليونانية واللاتينية باسم *Hellenopolis* "مدينة الهلنطيين". ظلّوا على وثنيتهم في العصر المسيحي الأول، وكانت المدينة في العصر العباسي - ولاستيما في عهد المأمون - مركز إشعاع علمي وفاسقي.
- وتشتمل المجموعة الغربية على :
- أـ- الآرامية الفلسطينية: وتحوي كتابات تلمود أورشليم^(١) وبعض الكتابات المسيحية الأولى، من أناجيل وغيرها.
- بـ- النبطية : وهي كتابات الأنباط، وبالنسبة لموضوعنا تطور القلم النبطي، من القرن الثالث للميلاد وحتى نهاية القرن الرابع، وكان له دور، مع الكتابة السريانية، في ميلاد الخط العربي الحجازي.
- جـ- التدمرية : وتمثل نقش دولة تدمر (٣٣ ق.م- ٢٧٢ م) في مختلف أنحاء بلاد الشام والرافدين وفارس وحيث تواجد الجنود والتجار التدمريون.

٤- الكتابة العربية الحجازية بين الأقلام الآرامية والخط المُسَنَّد:

من المعلوم، أنه قد ازدهرت، منذ نهاية الألف الثاني (ق.م) حضارة عربية قديمة، في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد طور أقوامها كتابات قديمة، قريبة بعضها من بعض، ويطلق على قلم تلك الكتابات اسم "الخط المُسَنَّد"، وهو أقدم الخطوط المعروفة -حتى الآن- في شبه الجزيرة العربية، ويسميه البعض بالخط "الجميري"، إذ ابن الحميريين هم آخر من كتب به، علماً أنه قد سبقهم إليه في إيداعه وتطويره، أقوام عربية أخرى، من سبيئين ومعينيين وقبانيين وغيرهم^(٢).

ونقرأ كتابات "المستند/ الجميري" من اليمين إلى اليسار - كما هو مألوف في الكتابات الكنعانية والأرامية والعربية، كما نقرأ نقوش أحياناً، من اليسار إلى اليمين، على طريقة الكتابات اليونانية واللاتينية والكتابات المترفرفة عن هذه أو تلك.

ومنذ نهاية القرن الماضي وحتى يومنا هذا، يزداد عدد النقوش المكتشفة في أواسط شبه الجزيرة العربية وشمالها، وفي شرق الأردن وفي حوران، مكتشفات أزاحت النقاب عن ثلاثة مجموعات مشابهة من النقوش المنقرفة في الصخر، كتاباتها شديدة الصلة بقلم النقوش العربية اليمنية القديمة؛ والجدير بالذكر، قراءة

^(١) تعني كلمة تلمود "تعلم" وبمعنى التلمود الشارع الذي وضعها أجدار اليهود لتفسير أسفار التوراة، وتجده في أيضًا احتجاداته عبر العصور، ولدينا تلمودان "اليهودي والأرثوذكسي أو الطهاري" ، والأول أكثر تكاملاً من الثاني.

^(٢) انظر الجدول (رقم ١) شجرة السن ؟ بـ.

لهجات هذه النقوش، بما عهديناه في عربية معلقات الشعر الجاهلي والقرآن الكريم⁽³⁰⁾، ويمكن تصنيف هذه النقوش كما يلي:

أ- النقوش الشمودية: وقد تم اكتشافها في أماكن مختلفة من وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها. وزرعت هذه النقوش على عدة مجموعات يتراوح تاريخها بين القرن الرابع (ق.م) والقرن الخامس م، (قرابة تسعة قرون).

ب- النقوش اللحويانية: وعثر عليها، في الدرجة الأولى، في منطقة الغلا، شمالي الحجاز، وتعود إلى القرن الخامس حتى القرن الثالث (ق.م).

ج- النقوش الصطالية، نسبة إلى تلول الصفا البركانية، شرقى اللجة، في منطقة حوران، ويترافق تاريخها بي من القرن الأول (ق.م) ومتناصف القرن الرابع للميلاد.

كما نلاحظ أعلاه، تشمل النقوش الشمودية واللحويانية والصفانية، مدة تسعة قرون تقريباً، (القرن الخامس ق.م - القرن الرابع ميلادي)، ولغة هذه النقوش شديدة الصلة بالعربية الصربيحة الحجازية، التي انتشرت مع الفتوحات الإسلامية، على الرغم من وجود بعض أوجه الخلاف، من أهمها آداة التعریف، فهذه الطوائف الثلاث (شمودية، لحويانية، صفوية) تستعمل "الماء" كآداة للتعریف، في حين جعلت العربية الحجازية الصربيحة "ال" التعریف، بينما نجد أن الكتابات اليمنية الجنوبية (معنية، سبئية، حشية، حميرية، الخ...) قد وضعت "الـ" في آخر الكلمة للتعریف.

حتى السنوات الأخيرة كان الرأي السائد في الأوساط الجامعية والأكاديمية المهمة بقضايا الاستشراف، أن الخطوط: العربي الحجازي ثم النسخى غرباً والكوفي شرقاً، قد تطورت بتأثير قلمين أراميين الأصل: السرياني والنبطي، أما القلم المستند وفروعه، فلم يعطيا معظم الباحثين دوراً يذكر. أما نحن فنعتقد أن هذا الموقف لم يعد مقنولاً، لأسباب عديدة، لما هو الجديد في الموضوع؟!

لا نجد أن نسب في أمر روایات الأخباريين والرواية العرب حول أصول الكتابة العربية الشمالية، نظراً إلى أن مختلف الآراء في هذا الموضوع، لا تنسى علينا وذلك لأن ضرورة اعتمادها من جهة وللطابع الأسطوري الذي يغلب عليها من جهة أخرى.

نلاحظ أولاً أن سوادهم الأعظم يرى أن القلم العربي الشمالي نشأ في الحيرة، وينطلق عليه اسم "الجزم" جاء في "القاموس المحيط" للنبيروز أبيادي، في مادة (جزم): "والجزم في الخط تسوية الحروف والقلم لا حرف له، وهذا الخط المؤلف من حروف المعجم، لأن جزم أيقطع عن خط جثير..."

ويذكر (ابن خلkan): "... انتقل الخط العميري إلى الحيرة في عهد المناذرة" (30) وويضيف (ابن خلدون)، في روایته عن أصل الكتابة العربية الشمالية أن "... أهل الحجاز إنما لفواها من الحيرة ولقتها الحيرة من الكتابة وحمور من اليمن..." (31).

⁽³⁰⁾ انظر المدخل (تم ١) شارة المسن "١٦" و مدخل دم ٦

ويقول (ناجي زين الدين): حول أصول الخط العربي وتسميته بالجزم: "أن الخط الكوفي كان أو لا يسمى "الجزم"، قبل وجود الكولة لأنه جزم أي اقطع وولد من المسند الحميري ومارامر وهو الذي اقتطعه وعلمه وضع صوره.. والخط الكوفي كريم لوضعه، وضعه سيدنا سمعايل... وما يدعم هذه الآلور في الجزم مطلقاً عدد حروفه الكلمة لما جاء في الحديث لنبوة المروي عن أبي ذر الغفاري، قول النبي: يا أبا ذر، والذي يتعذر بالحق نبياً ما أنزل الله تعالى على ألم إلا تسع وعشرين حرفاً..."(32).

ولقد اعتبروا الحرف التاسع والعشرين لا.

نلاحظ أن روایات الأخبارين العرب تتضليل على أن الكتبة كانت شائعة بين عرب الحيرة قبل الإسلام وأن بعض الحجازيين عرّفوا تلك الكتبة وتطلعوا إلى أن يطمرها في ديارهم فيما بعد.

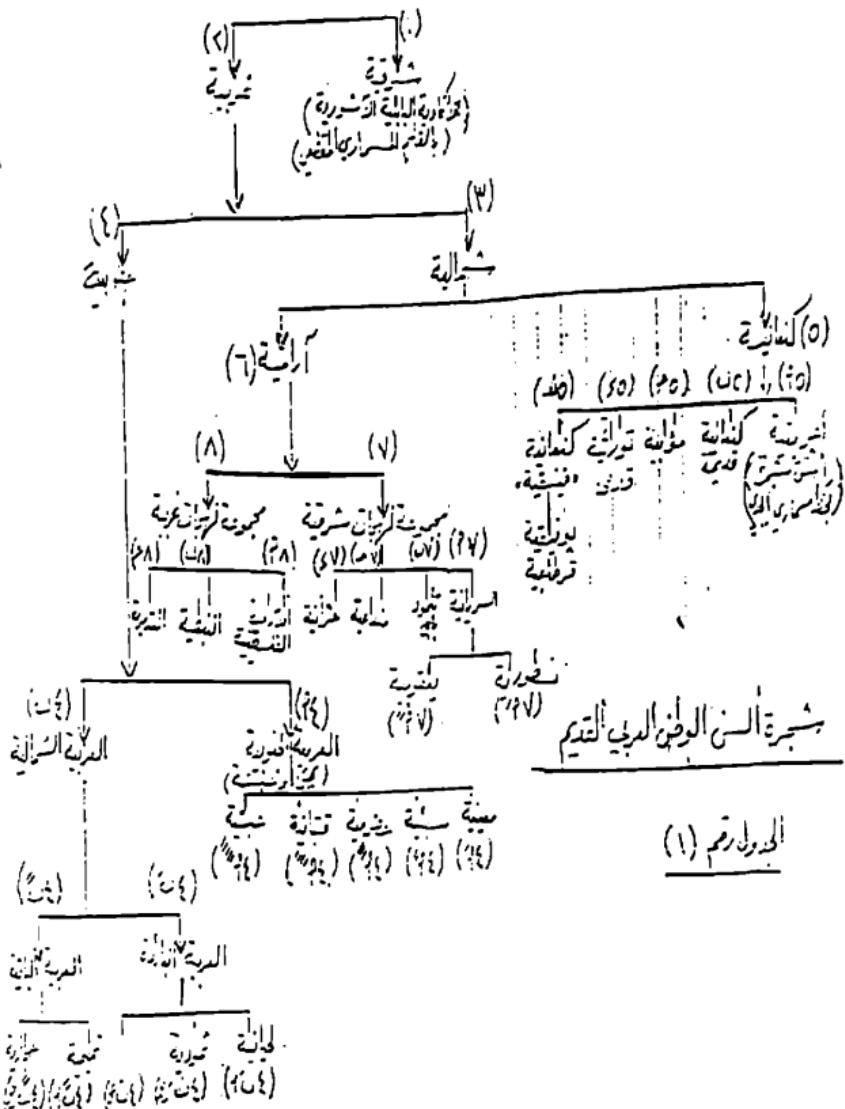
ولكن كما نعلم، ليس بحوزتنا حتى يومنا هذا وثائق لغوية تاريخية عريبتها قريبة من عربية المقطلة والقرآن الكريم، وقلما يختلف مما وجدناه في المسند ومشتقاته، سوى بعض الكتب، التي تعد على لسانها اليد وهي الوثائق التي غير عليها في المنطقة النبطية، لو في الأئماء التي تمت بصلة إلى الأنبياء أصلًا، أي في بلاد الشام، وأشارنا إلى هذه النقاش أعلاً.

ومن دراستنا لهذه الوثائق، نلاحظ أنها وجدت في منطقة الأنبياء وفي تلك التي تثارت بثقافتهم بشكل لو بالآخر. وهذا ملخصاً لكثيرين إلى القول إن الخط النبطي هو أصل الكتبة العربية الشمالية، بينما يرى البعض الآخر أنه كان للكتبية السريانية دوراً ملحوظاً في تطور لغة عربي الشمالي.

وهكذا، كان نقاش محصوراً حول أثر كل من الكتابتين النبطية والسريانية في نشوء وتطور لغة عربي الشمالي بشكله النسفي والكوفي (الحيري). ومن المعلوم أن الكتابتين النبطية والسريانية صدرتا أصلاً عن لغة الأرامي (قطر جنوب رقم ١ تارمية ٦). وقد ثبّلنا أيضاً هذا الرأي (٣٣)، حتى علم ١٩٨١، عندما نشرنا دراستنا في أصول الكتابة العربية وثنا أنه لا يمكننا أن نقبل الرأي المسند في الأسطول الجامعية والأكاديمية، بعد دراستنا المقارنة التي تمت بها.

لقد أوضحتنا في دراستنا، أن لغة النبطي (الأرامي) راح ينعد تدريجياً عن أصله الأرامي، بعد سقوط الأنبياء (عام ٦٠٠م)، ليقرب أكثر فأكثر من لغة المسند الحميري والخطوط المشتقة منه. (حيث، ثمودي، صفتني)، وبذلك راح يتكرّز لغة نبطي متاخر كان له دور جذري في نشوء لغة عربي التيم بفرعيه: الكوفي والنستي، (قطر ملعق ٧)، حول تظرية طور سيناء، وأصل الأكلام الأبيدية أي أن الخط النبطي المتاخر ذو الأصل الأرامي. والذي كان له دور كبير في نشوء لغة عربي الحجازي، قد تطور هو نفسه بتأثير من الخط المسند الحميري وفرعيه: ثمودي والنستي.(٣)

(٣) لمزيد من التفاصيل، انظر بحلا دراسات تاريخها، المسند السادس، تشرين الأول ١٩٨١، ص. ٥٩-١١١، حيث يشار، في المؤثر العالمي تاريخ الحفارة العربية - الاسلامية، في دمشق، جلدي الاصغر ١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ ١٩٨١ ميلادي.

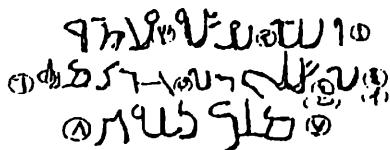


جدول رقم ٢

الترتيب العربي الكامل للعروف يحسب تسلل (أبيه - المؤذن - مهني)
كائن - سمعه ضعيف - قرئت - وما يقابلها، في بعض المذاهب تلزم القراءة

جدول رقم ٣

ملحق (١) ١٠

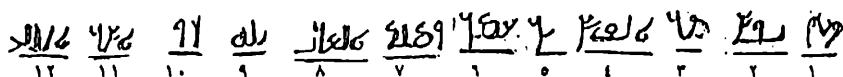


شكل ١: نعش أم "الجمل الأولى" بكتابية نبطية (انظر الجدول رقم ٥ من المجموعة ب) وبمفردات
aramia وعربية، وهذا نصه مع الترجمة العربية:
القراءة الحرفية

النص :	نه	نشو	فهرو
الترجمة:	هذا	قبر	فهو
	٣	٢	١
النص:	بر	شلي	ربو
الترجمة:	بن	سلى	مربي
	٤(ا)	٤(ب)	٥
النص:	ملك	تتوخ	
الترجمة:	ملك	تتوخ	
	٨	٧	

انظر للمقارنة جدول (رقم ٣، خانة ٥).

ملحق (٢) ١٠



النص: دنا نعش مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر الناج
الترجمة هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذين نال الناج
السطر الأول من نعش النمار، ونلاحظ تصلح الحروف في الكلمة أكثر مما رأيناها أعلاه، في نعش لم للجمل الأولى.

انظر للمقارنة جدول (رقم ٣، خاتمة ٦).

ملحق (٢) ١٠

١١ سرحيل بر كلumo سيدا // المركب (٧)

شكل ٣ - الصطر الأول من "كتاب حران" وتاريخ النقش هو سنة ٤٦٣ بحسب تقويم مصرى النبطي، حيث أصبحت بمصرى عوضاً عن البتاراء، عاصمة العالم النبطي، بعد أن قضى الامبراطور الرومانى تريانوس على يد حاكم سوريا الرومانى A. C. PALMA على مملكة الأنباط وألحق أراضيها بالامبراطورية الرومانية عام (٤٦٣ ميلادى)، باسم "الولاية العربية" Provincia Arabica وإذا أضفنا (رقم ١٠٦) على (٤٦٣) نحصل على تاريخ النقش بالميلادى، وهو (٥٦٨). أي قبل بهذه التاريخ الهجري بـ ٥٣ عاماً، وروج هذا النقش، كما ذكرنا سابقاً على حجر فوق باب مزار أقىم للقديس يوحنا العمدان، لى حران، "اللجة" شمال جبل العرب، وهو مكتوب بالعربية واليونانية.

النص: أنا شربيل بر ظلمو بنيت ذا المرطور
الترجمة: أنا شربيل بن ظلمو بنيت هذا المشهد (المرطور)

ملحق (٤) ١٠

١١ ماء و ماء سبع عشر ١٠ ماء و سبع عشر ٩ ماء و سبع عشر ٨ ماء و سبع عشر ٧ ماء و سبع عشر ٦ ماء و سبع عشر ٥ ماء و سبع عشر ٤ ماء و سبع عشر ٣ ماء و سبع عشر ٢ ماء و سبع عشر ١ ماء و سبع عشر

شكل ٤ - المقطع الأول من ثلاثة مقاطع متقدمة في صخر جبل سلع بالقرب من المدينة المنورة من عهد الخلفاء الراشدين، وبعض حروف النقش قد غما عليها للزمن، ولتضييقها بين قوسين ولقرأ كالتالي:

أمسى	وأصبح عمر	و	ابو بكر يتر (عائذ	إلى الله	من كل
١٠	٢	٣	٤	٥	٦
١	٢	٣	٤	٥	٦
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦

ملحق (٥) "ا"

- ا كل و ...
- عبد الله عبد الماء
- اamer المؤمن رحمه الله

شكل ٥ - من كتابة كوفية منقورة في حجر طريق يعود أيام عبد الملك بن مروان، وعثر على الحجر في فلسطين، ونقرأ كالتالي:

- ١- الطريق... (بقية السطر غير واضحة)..
- ٢- عبد الله عبد الملك.
- ٣- أمير المؤمنين رحمه الله.

شكل ٦

- وسد هذا الكسب
- سوال من سنه اربع و سبع
- سلس

الأسطر الثلاثة الأخيرة من كتابة كوفية على حجر قبر ثابت بن يزيد الأسعدي، عثر عليه في وادي الأربعين بلواء كربلاء، وتاريخ الكتابة سنة (٦٤٦) وهي كالتالي:

- ١- وكتب هذا الكتاب في
- ٢- شوال من سنة أربع وستين.

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعد

السطر: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ سـمـاـلـهـ	١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦
--	----------------------------

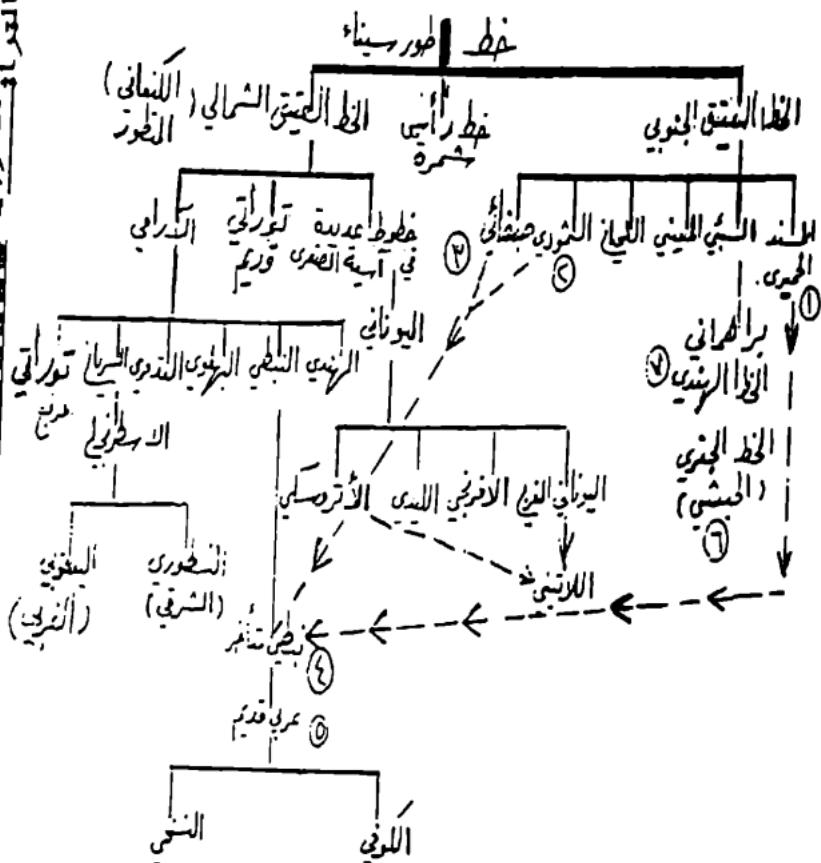
كتاب بخط كوفي على رق الغزال من المصحف الكريم

المنسوب لل الخليفة علي بن أبي طالب

(من رواية خزانة الروضة العيدية في النجف).

ملحق ٦

سلسلة نشر الكلمات الفيتنامية: الشاملة والخوبية



وضع أن النظريات المنشورة يرجى إلى طبعها لهذا القرن ذاتها رائحة في الأدوار
العامة الكثر من غيرها، ووجهها والذال والذن اعتمد وعانا ذكر: F. PETRIE, F., *The Formation of the Alphabet*, London 1912.

المصادر والمراجع:

- ١- بروملي، وبودولني، الآئمدون والتاريخ، ترجمة طارق مصطفى، طبع في الاتحاد السوفيتي، دار التقدم ١٩٨٨؛ عبد العزيز بنعبد الله، الوحدة الأصلية بين اللغات، مظهر لوحدة انسانية عربية، مجلة اللسان العربي، الرابط (المغرب الأقصى)، المجلد السادس، الجزء الأول /١٢٨٩ - ١٩٧٠/ من ٥٠، وما بعدها: الدكتور حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار المعارف، مصر ١٩٧١.
- ٢- اللغة والمجتمع الأسلامي، مجلة لللن العربي، الرابط (المغرب الأقصى)، العدد السادس، ١٣٨٨، ١٩٧٠، صفحة ١٤.
- ٣- محمد محلل، المدخل إلى اللغة الآرامية، منشورات جامعة دمشق الطبعة الخامسة، ١٤١١-١٤١٢هـ /١٩٩١-١٩٩٢م، صفحة ٥.
- ٤- تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، من ٢٨٧.
- ٥- باقري، بيسنون، روبن، للغتين، مختارات من التقوش اليمينية القديمة، المنظمة للغربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥؛ الغرود بيسنون، قواعد التقوش العربية الجنوبية ككتابات المسند، ترجمة الدكتور رفعت هزيم، جملة البرموك ١٩٩٥.
- ٦- محمود محمد الرومن، القبيل الشمودية والصلوية، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، من ص ٥١، ٢٢٨، ٣٢٨، ٣٨٠.
- ٧ - P. Bordreuil D. Pardee , Un Abécédaire Du type sud - sémitique découvert en 1988 dans les fouilles archéologiques francaises de Ras - Shamra - Ougarit , in Académie des , Inscriptions et Belles - Lettres, Paris , 1995, p. p. 856-860.
- ٨- محمد محلل ، المدخل إلى اللغة الآرامية، ص، من ٤٥-٤١.
- ٩- المرجع نفسه، من ١١٤، الدكتور احمد ارجيم هبو، المدخل إلى اللغة السريانية وأدبها، منشورات جامعة حلب، صفحة ١٣١ وما بعدها.
- ١٠- الدكتور علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، دار الأفاق الجديدة، الدار البيضاء جزءان، الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- ١١- C, Robin , Les plus ANCIENS Monuments De La Langue Arabic , In, L' Arabic Antiquc De kARIBIL a Mahomet, Edisud , No, 61. 1992, p.p 113-125
وانظر أيضاً، محمد محلل، في أصول الكتابة العربية، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، العدد السادس ١٤٠١هـ /١٩٨١م، صفحة ٩٦ وما بعدها.
- ١٢- الدكتور لويس عوض، مقدمة في فقه اللغة العربية، مينا للنشر، طبعة ثانية ١٩٩٣، صفحة ٢٥.
- ١٣- انظر، محمد محلل، المدخل إلى اللغة الآرامية، صفحة ١٩، وما بعدها.
- ١٤- السيوطي، المزهر، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٥٨، ج ١، صفحة ٢٠٩.
- ١٥- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المسرح الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة بلا تاريخ صفحة ١٨٦.
- ١٦- محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشهباء، حلب ١٩٦٩، صفحة ١٠٠.
- ١٧- نفس المرجع، صفحة ٩٩.

- ١٨- د. مسعود بوبو، عن تاريخ اللغة العربية، دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٣٧-٣٨، ١٩٩٠، صفحة ٦٦.
- ١٩- جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٤٦.
- ٢٠- R. Dussaud, *La Pénétration des Arabes en Syrie Avant L'Islam*, I, F, A, B, , in B, A, H, Tome LIX Paris , (Guthner), 1955, Israel, E PH' AL , *The Ancient Arabs , Nomads on The Border of The fertile crescent gth .-5th Centuries B, C*, LEIDIN (Brill) 1982.
- ٢١- النشر مكتبة الخاتمي، مصر، طبعة ثانية، ١٩٧٧/١٣٩٢، صفحة ٥.
- ٢٢- نفس المرجع ، ص ١٠.
- ٢٣- نفس المرجع، ص ١٢.
- ٢٤- نفس المرجع، ص ١٧.
- ٢٥- نفس المرجع، ص ١٩.
- ٢٦- د. محمد بهجت قيسى، ملخص في ظهور الوجهات العربية حتى الحضارة، لطروحة دكتوراه، جامعة كراتشي، ١٤١٧/١٩٩١م، وتبين لنا أن تكون عضواً في اللجنة الفاعسة، والدراسة غير منشورة حتى الآن. وعلى كل، فمختلفات الموضوع هي قرآن إلى المتنق الاجتماعي /لغوي ما يقرأه لدى الدكتور جعفر دك الباب في دراسته فهو نظرية جديدة إلى ظهور اللغة، دار الأهلي دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
- ٢٧- جهة للقراءات، للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، معجم الكتب ومعلم حوشيه، سعيد الأخفشى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٢، ص ٨.
- ٢٨- لمزيد من المعلومات، انظر محل، في أصول الكلمة العربية، مجلة دراسات تاريخية العدد السادس، تشرين الأول ١٩٨١، جامعة دمشق، ص ١٣، وما يهدأها.
- ٢٩- انظر حول هذا الموضوع، إضافة لبعضنا أعلاه:
- أصل الخط العربي و تاريخ تطوره (من محاضرات ليتمان في الجلسات المصرية)، نشر مجلة كلية الآداب، القاهرة ١٣٥٤-١٣٥٥، أحمد يوسف، الخط الكوفي، القاهرة ١٣٥٢-١٣٥٣، صلاح الدين المتبدى، الكتاب العربي المخطوط، القاهرة ١٣٦٠، أليس فريحة، الخط العربي، نشرته ومشكلته، بيروت ١١٩١، أحمد فخرى، أحدث الاختلافات الفاربة في البون، مجموعة أحدث المترتب للتقارب في البلاد العربية، نفس ١١٩١ (طبورحت الأدارة التقنية في جامعة الدول العربية ١١٩٠)، حلول يعني ذلك، أصل الخط العربي و تاريخ تطوره إلى مطلع الإسلام، مجلة كلية الآداب، كلية المدرسة المصرية، مجلد ٢، ملحوظ ٢، ص ١٣٥، ١٩٣٥، ص ١٠٤، ١٩٣٥، ص ١٠٤، وما يهدأها. ومن المراجع الأخرى:
- Hoftijzer, J. c, *Dictionnaire des inscriptions sémitiques de L'Ouest*, Leiden (Brill) 1963,
- Driver , G. R. , *Semitic Writing from Pictograph to Alphabet*, London 1954, Abbott Nabiha , *The rise of the North Arabic Script* , CHICAGO 1939.
- ٣٠- وفيهما الأعيان وثناءه لمناه الزمان، القاهرة ١٩٤٨، ج ١، ص ٣٤٦.
- ٣١- المصطفى، تحقيق على عبد الواحد والي، القاهرة ١٩٥٧، ص ١١٥.
- ٣٢- صدور الخط العربي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٩٨.
- ٣٣- محمد محفل، الدليل إلى اللغة العربية، ص ٢٧.

ما أخذه العرب من اللغات الأخرى

د. مسعود بوبو

مدخل:

التفق عليه في علم الإنسان، أو علم الأجناس (الأنثروبولوجيا Anthropology) أنه ما من عرق من بشري نقي لم تتملأ إلا في استثناءات نادرة تتعلق على سلالة مغلقة اجتماعياً لو جزأها إشكالاً حجز بينها وبين الآخرين. ومثل هذا الحكم يمكن أن يطلق على اللغات. فئة مجموعات بشرية صغيرة احتجت لنفسها رموزاً إشارية أو صوتية للكلام وال التواصل وأصطلاح على تسميتها اللغة. فإذا قيضن مثل هذه المجموعات أن تبقى معزولة عن الآخرين، منقطعة الصلة بما حولها لكن أن تسلم لغتها من الدخيل. وهذا، وإن كان مستبعداً، يوحى بأن لصحابه خلدون أو يخشون الآخرين، أو إنهم شديدو للتصب والعزلة والرفض للأخر. ولا شيء من هذا يمكن أن يتسب إلى العرب. فالعرب لغة قديمة عريقة لم تنتد على مدى تاريخي طويل، وعلى مساحة جغرافية فسيحة. ولم يكن العرب خاملين ولا منعزلين عن غيرهم أو متقصبين تعصباً يمي عليهم للآخر من الآخرين أو رفضهم. لقد كانوا على صلة بالحضارات المجاورة، وعلى حوار إنساني مع الأمم والشعوب الذين احتكوا بهم في التجارة والتجارل والمحاجرة والمساهمة والسفارة والحملات والولاة والوكالات والهجرة والحروب.

لقد كان للعرب صلات وثيقة بالفرس عن طريق المناذرة في الحيرة ودومة الجندي وجنوبي العراق، كما كان لهم صلات وثيقة بالروم عن طريق الفساسنة في منطقة دمشق وما جاورها، وفي الجنوب اتصل العرب بالأبياش عن طريق الهجرة والحروب وعلاقات الجوار المتوعدة. وعن طريق المعاملات التجارية أقام العرب أنواعاً من الصلات بهذه الأطراق كلها، فضلاً عن صلتهم بالهند والصين منذ القديم⁽¹⁾. ولا يعقل أن تبقى العربية بعد هذا حالية من مؤثرات أصحاب هذه اللغات، بل ستأخذ منها من الانفاظ والمصطلحات والمسمايات بالقدر الذي تستدعيه طبيعة العلاقة والتعامل. ولا تننس أن مكة المكرمة كانت مركزاً دينياً وجغرافياً وتجارياً في قلب جزيرة العرب، وهذا جعل منها ملتقى للتجار ومحطة للقوافل التجارية العابرة من الشرق إلى بلاد الشام وأوروبا، ومن المنتظر أن يفتح هذا باباً للتداول اللغوي، وللأخذ والعطاء والمحاورة والمحاجرة وغير ذلك مما سيختلف أثاراً لغوية لا سبيل إلى تجنبها.

و قبل أن نبسط القول في تفصيلات ما اقتبسه العرب من غيرهم بحسن أن نوضح بعض ما يحيط بهذا الموضوع من ملابسات، وأن نقف عند اختلاف العلماء في النظر إلى ظاهرة الدخيل اللغوي في هذه المنطقة من العالم. ولا مدعى لنا في الخطورة الأولى عن الوقوف عند مفهوم الدخيل، ثم مفهوم المعرب حتى نسمى الأشياء بأسمائها في منأى عن فلق التفسير والاجتهداد.

ولعل الأصل اللغوي العربي "دخل" يسعنا بدلاته القديمة على تعريف مصطلح الدخيل اللغوي بدلاته المتاخرة، فالدخل أصلاً: الذي يدخلك في أمرك (٢) وتلأن دخل في بني فلان إذا كان من غيرهم فتدخل فيهem (٣). و"الدخل": المدخل المبطان.. داد دخيل: داخل، وكذلك حبة دخيل (٤).

أما مصطلح الدخيل اللغوي عند صاحب اللسان فلا يعدو أن يكون إشارة مجرأة إلى جوهر المصطلح بمعنىه العام، بيد أنها تتطوي على تتبه مبكراً، وفهم متظاهر لظاهرة الدخيل في اللغة العربية، يقول: "كلمة دخيل: أدخلت في كلام العرب وليس منه، استعملها ابن دريد كثيراً في الجمهرة" (٤).

ولم يستمر الدخيل مصطلحاً خالصاً في الدراسات اللغوية عند العرب، أو لم يشع مصطلحاً متفقاً عليه بالدقالة والتحديد، وإن حظي باهتمام السلف في مرحلة التصنيف في غريب القرآن، ومرحلة تقيية اللغة بعد ذاك (٥) إلى أن جاء الجريبي فأضفى عليه مزيداً من الإيضاح عندما نظر إليه بالقياس إلى العربي الأصيل أو الصريح حيث قال في مقدمة كتابه "المغرب":

"هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعمجي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها. ليُعرَف الدخيل من الصريح، ففي معرفة ذلك فائدة جليلة، وهي أن يحترس المشتق فلا يجعل شيئاً من لغة العرب لشيء من لغة العجم" (٦).

فالدخيل والكلام الأعمجي هنا وضعا في مقابل العربي الصريح، ولغة العجم في مقابل لغة العرب، وتلك صورة تزيد مفهوم الدخيل وضوهاً وتعزز استقراره مصطلحاً. وقد اتسع مفهوم هذا المصطلح في مراحل لاحقة على النحو الذي يصفه ابن خلدون في إطار الظاهرة اللغوية الأشمل، قال:

"فلا هجر الدين اللغات الأعمجية، وكان لسان العرب القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هُجرت كلها في جميع ممالكها لأن الناس تتبع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب، وهجز الأمّ لغاتهم في جميع الأقصارات والممالك، وصار اللسان العربي لسانهم حتى ترنسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم، وصارت الألسنة العجمية دخيلاً فيه وغريبية" (٧).

وعلى هذا النحو من الاستعمال التقائي للفظة "الدخل" في الموضع المواقف للمصطلح بمفهومه العلمي بدأت ذكرته تترسخ وتشيع في الكتابة والبحوث اللغوية، حتى جرى بها العرف ولقيت من العلماء قبولاً، بل إبلاً يشبه أن يكون اتفاقاً ضمنياً اصطلاحوا عليه من غير نصّ صريح، وبال مقابل من غير دفع أو معارضة أو استئثار (٨) وتعمم هذا المصطلح بعد ذاك في تعبير حديثة من مثل "المصطلحات الدخلية" و"العلوم الدخلية" وما يشبه ذلك مما استعير من اللغات الأخرى.

ويلاحظ في هذا الإطار أن القماء قد ساروا بين "الدخل" والأعمجي من غير تعريف مقيد نصوا عليه فيما، ولا تفريق مذكور بينهما، وإنما انطلقوا من النظر إلى مفهوم العجمة المناقض للإقليم والبيان في

الدلالة اللغوية. و شيئاً فشيئاً تراجعت تسمية الأعمى لاستخدامها بدلأ منها تسمية "المغرب" الذي ما ليث أن استوى مصطلحاً، ولكنها لم يكن موضع اتفاق، أو إجماع، بل كان موضع خلاف بين العلماء قديماً وحديثاً، وعلى أوجه منها:

أـ النظر إليه من جهة الدلالة، فإذا كان الأصل اللغوي يتجه إلى الإبابة والقصاص اتجه المصطلح إلى نقل النظر من العجمة إلى العربية على نحو مستساغ نطقاً وصوتية، والمشهور فيه "التعريب" وقد عبر عن هذه الفكرة سبيوه في وقت مبكر حين سماه "إعراباً استناداً بأصل المعنى"، وعليه يقال: مغرب ومغارب^(٩).

بـ النظر إليه من جهة الإجراء عند النقل إلى العربية، وقد لخص هذه الفكرة غير واحد من علمائنا، من ذلك قول الجوهرى في "الصحاح": تعريب الاسم الأعمى أن تتجه به العرب على منهاجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضاً^(١٠).

فعبارة تتجه به على منهاجها تقتضي مجموعة من الإجراءات هي التي فصل فيها الخالفون من عرضوا الظاهرة الدخيل والمغرب.

جـ النظر إليه من جهة الزمن، فقد ذهب بعضهم إلى أن ما دخل العربية بعد عصر الاحتجاج يعد ملداً أو دخيلاً، وما قبل ذلك يعد مغرباً. ويحدد عصر الاحتجاج غالباً بنهاية منتصف القرن الثاني الهجري (١٥٠هـ). وفي هذا اعتقاد لا يخفى بالعرب الخلص الذين يحتاج بلغتهم إلى السلامة والصحة، ولدى التعريب.

دـ النظر إليه من جهة الوزن، أي إذا جامت لفظة أجنبية، وهنلت من حيث لفظها بحيث أشبهت الأبنية العربية اللغة في ميزانها المترافق، اعتبرت من المغرب. أما إذا بقيت على وزن غريب على اللغة العربية فهي من الدخيل^(١١).

وهذا الاشتراط في تعريف المغرب لم يقل به القدماء صراحة، وإنما أشاروا إليه بصفته واحداً من الإجراءات العامة في التعريب. وبهذه الرؤية المتنوعة الموزعة بـدا مصطلح المغرب موضع خلاف. أما القول الأقرب إلى الصواب فيه فهو إن المغرب دخيل في الأصل وقبل كل شيء. وتعريب هذا الدخيل كان بأن يجري العرب عليه تعديلات تتنقّل وطبعية العربية وتجعله ينتمي لخصائصها بالقدر الممكن: في أوزانه ومعاناته وأصواته، فتقربه بالحنف والإساننة والإبدال والتصريف (التبين) وإدخال (لام) التعريف عليه (اللتكنين) وحتى يصير (محولاً) على كلام العرب^(١٢).

وتشمل مظاهر أخرى للتعريب لم ينص عليها للغويون بالتسمية والحد، ولكنها جامت عرضاً في بعض كتب التراث، كقول أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي: "الزيرجد: إعراب زُمَرَدَ"^(١٣). وقول الأصمسي: "سَكْر طَبِرِزْد، وَطَبِرِزْل، وَطَبِرِزْن، ثَلَاث لِغَاتِ مَغْرِبَاتْ"^(١٤).

وتشتمل إشارة الفارابي إلى تعريب "الزيرجد" مفهومات: الصرف، والإبدال الصوتي، والتغيير في الحركات، والحنف. كما تشير فكرة الأصمعي بثلاث اللغات المغربات إلى التعريب عن طريق القلب للموضعي، والتغيير الصوتي - الفونيقي Phonemic ، والصرف بوضع الحركات العربية (الإعرابية) على أواخر الكلم.

وكان من معاني الإعراب عندهم ما يقابل مفهوم الترجمة عندنا اليوم كقول الأصمعي: "الحدثقوق نبطي، ولا أدرى كيف أعرابه إلا أنني أقول: (الذرق). قال: ولا يقال: (جندقوق) ولا (جندقوقة)" (١٥). وهذا يعني وضع الأصيل العربي في مقابل الدخيل الأجنبي أو بدلأ منه (من وجهة نظر الأصمعي)، كما يعني عدم قبول الأصمعي، أو عدم استساغته لفظة جندقوق (بكسر الحاء) لأنه وزن غير مألوف في الأبنية العربية، وكذلك لا يجوز (عند الأصمعي)أخذ مفردة منه بلفظ (جندقوقة) وقد يكون المراد أيضاً عدم قبوله أن يقال (جندقوقا) بائف التعريف الآرامية التي تلحق بأواخر الأسماء بدلأ من بدياتها في العربية.

ذلكم هو التعريب بمظاهره التي عرفها وعرض لها القدماء.

أما الدخيل فامرأة أقل إشكالاً وغموضاً، ويتأخّص حدّ مصطلحه في أنه "أعم من المعرب"، إذ يشمل ما نقل إلى لغة العرب، سواء جرت عليه أحكام التعريب أو لم تجر عليه، وسواء أكان في عصر الاستشهاد (الاحتجاج) أم بعده" (١٦).

❖ ❖ ❖

وبعد، فما هي اللغات التي نعتَّدَ ما تسرُّبَ منها إلى العربية دخيلاً؟!

قبل الإجابة عن هذا التساؤل يحسن أن نشير في إيجاز إلى أن لغويينا القدماء لم يفرّقوا بين مصطلحي "اللغة" و"اللهجة" كما يعرفهما علم اللغة حديثاً، إذ عبروا عن الاختلافات اللهجية بين القبائل بما درجوا على تسميتها "اللغات"، وأخذوا بهذا التصور جاء عنوان كتاب "اللغات في القرآن" "الألف الذكر" (١٧) المنسوب إلى عبد الله بن عباس. وفي هذا الكتاب صفت الطواهر اللهجية (وهي صوتية في الغالب) منسوبة إلى "لغات" كالحميرية والحبشية والهورانية والنبطية ولغة طيء وأهل اليمامة ولغة قريش ومذحج وجهم وكتانة ولغة عمان.. الخ.

ومن المتفق عليه بين الباحثين المحدثين أن تلك "اللغات" التي ذكرنا تحدّر من أصل لغوي واحد هو الذي أطلق عليه عالم اللاهوت النمساوي الألماني شلويسير A.I. SHLOESTER مصطلح "اللغات السامية"، وذلك عام ١٨٧١م، وتبعد في الأخذ بهذه التسمية ألماني آخر هو إيكهورن Eichhorn منذ عام ١٨٠٧م. ثم شاعت هذه التسمية غير الدقيقة (كما أقرّ مجموعة من الباحثين) (١٨).

وإذا كان من أخذوا بهذه التسمية قد ميزوا ما اسموه "اللغات السامية" من اللغات المجاورة، فإن لغويينا القدماء لم يلتقطوا إلى ذلك، بل سموا اللهجات العربية والحلبية واللغات المجاورة جميعاً لغات. وهذا أيضاً غير دقيق، لا بالمعايير العلمية، ولا من وجهة نظر علم اللغة المقارن Comparativ linguistisc والذي يأخذ به وندعوا إليه هو اعتماد التسمية الأقرب إلى الحقيقة وروح العلم، وهي "العربية القديمة" (١٩)، بدلأ من اللغات السامية أو اللغة السامية. وتكون اللغات "الأعممية" أو اللغات "الأجنبية" تلك التي من أسرة أو أسر لغوية أخرى، كالفارسية والهندية والدوரمية والتركية واللغات الأوروبية الحديثة وغيرها مما ندرسها بالقياس إلى العربية تحت مصطلح "علم اللغة التقابلية Contrastive linguistics". وما توقفنا التصريح هذا إلا لإيضاح ما قد يتعون التسميات أو المصطلحات من غموض والتباين، وللإجابة عن تساؤل قد يدور في بال القارئ هو: هل نعد اللهجاتعروبية المترعرعة من العربية القديمي أجنبية لعدم من ثم ما رفع إلى العربية منها دخيلاً أو في جملة الدخيل؟ والإجابة بدأهنا بالتفتي للأسباب الآتية:

أـ لأن الكلمات التي تتسرب عند التأصيل إني الكنعانية والأوغاريتية والبابلية والassyورية والأرامية والحبشية وأشادها وفروعهاـ تحدّر كلها من سلالة لغوية واحدة، أو من أسرة واحدة هي اللغة العربية القديمةـ وأفراد الأسرة الواحدة أو الأصل الواحد ي sisوا غرباء ولا دخلاءـ.

بـ لأن الدراسات اللغوية التحليلية والتاريخية والتأصيلية ليست بقادرة على إثبات انتفاء الألفاظ التي هي موضعأخذ ورد إلى هذه اللهجة أو تلك من لهجات العربية القديمةـ لأن التداخل للهجي قد يم لا تعرف طبيعته ولا أزمنته ولا فنواتهـ وإن متكلمي تلك اللهجات كانوا في حالة انتقال وارتفاع واحتلاط على نحو غير منقطع وغير مرصود بضوابط موثوقةـ لذلك يعد البحث في الفرز اللغوي هنا جهداً غير علمي خالصـ بل سيكون عملاً مبنياً على التخمين والافتراض والاجتهادـ.

جـ لأن جمل الدخيل اللغوي في العربيةـ كما سيجيـ يعزى لمى من شنه وطبيعته إلى مسميات غير موجودة في الأرض العربيةـ وليس من مفردات البيئة العربية ولا من مطب العرب ومجتمعاتهمـ وعلى هذا سيكون ما دخل من لهجات العربية القديمةـ هو تمت معرفته بحقـ شيئاً مائوفاً تداوله الناس والأنسنةـ ببعض اختلاف في النطق أو تنويع في المدلولـ وهو أمر لم تخل منه العربية الفصحى الباقية نفسهاـ أي أنه لا يسلك في معايير التثثير والتثير بين اللهجات والخطـ اـت على النحو الذي نقطع إلى رصد جانب منهـ فنـيم إـنـذـ الجـهـدـ والإـعـمـانـ فـيـ التـكـلـفـ وـالـأـنـتـرـ عنـ؟ـ وـنـفـلـصـ مـنـ هـذـاـ إـلـىـ القـوـلـ:ـ إنـ الدـخـيلـ اللـغـوـيـ الـحـقـيقـيـ إـلـىـ الـعـرـبـ هوـ الـذـيـ أـخـذـهـ الـعـرـبـ مـنـ لـغـةـ الـأـمـ الـمـجاـوـرـةـ لأـطـرـافـ هـزـيرـتـهمـ كـالـفـارـسـيـةـ وـالـاتـنـيـةـ وـالـيـونـانـيـةـ وـالـهـنـدـيـةـ وـالـتـرـكـيـةـ وـأشـبـاهـهـاـ.

* * *

ومما يجدر ذكرهـ هناـ لـنـاـ لـسـناـ بـصـدـدـ عـلـمـ إـحـصـائـيـ أوـ لـسـترـاتـيـ تـامـ لـمـ أـخـذـ الـعـرـبـ مـنـ الـلـغـاتـ المـذـكـورـةـ قـبـلـ تـلـيلـ،ـ فـذـكـرـ أـمـرـ لـهـ مـيـدانـ أـخـرــ لـمـ أـمـرـ لـهـ مـيـدانــ فـهـوـ أـنـ مـسـلـلةـ الـقطـعـ بـأـمـرـ الدـخـيلـ لـأـنـ تـلـلوـنـ مـنـ جـذـبـ بـيـنـ الـبـاحـثـيـنـ الـلـغـوـيـيـنـ،ـ إـذـ كـيـرـيـ بـعـضـهـمـ لـأـنـ الـأـلـفـاظـ كـذـاـ وـكـذـاـ عـرـبـيـةـ صـرـيـحةـ،ـ وـبـرـاهـاـ آخـرـونـ دـخـيـلـةـ صـرـيـحةــ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ بـعـضـ بـاـحـثـيـنـ يـيـلـغـ فـوـصـلـ إـلـىـ هـذـ الزـعـمـ أـنـ الـأـلـفـاظـ لـلـغـاتـ كـلـهاـ عـرـبـيـةـ الـأـصـلـ،ـ وـهـوـ أـمـرـ دـلـعـهـ وـأـنـكـرـهـ الـعـلـمـاءـ مـذـقـرنـ الثـامـنـ عـشـرـ،ـ أـوـ سـلـكـهـ فـيـ جـمـلـةـ الـلـهـوـ وـالـتـرـهــمـ،ـ وـقـادـهـاـ لـمـلـلـ تـلـكـ الـاجـتـهـادـاتـ وـالـأـحـكـامـ الـعـاطـفـيـةـ الـلـقـةـ نـعـتـمـدـ مـدـاـ لـتـرـجـيـحـ المـعـزـ بـماـ بـيـنـ لـيـدـيـنـاـ مـنـ أـلـوـاـنـ وـأـلـلـهـ اـرـتـضـاـهـ الـثـقـاتـ مـنـ عـلـمـانـاـنـ الـذـينـ يـشـهـدـهـ لـهـ بـعـرـفـةـ الـعـرـبـ الـأـصـلـ،ـ وـأـرـتـضـاـهـ الـثـقـاتـ مـنـ عـلـمـانـاـنـ الـذـينـ يـشـهـدـهـ لـهـ بـعـرـفـةـ الـلـغـاتـ الـأـخـرـىـ مـنـ الـبـاحـثـيـنـ الـمـحـثـنـيـنـ.

- ما أخذة العرب من الفرس:

وـسـنـبـدـاـ مـنـ الـقـدـيمـ،ـ مـاـ وـقـفـاـ عـلـيـهـ مـنـ دـخـيلـ تـوزـعـهـ مـصـادـرـنـاـ الـلـغـوـيـةـ مـنـ شـعـرـ وـنـثرـ وـمـعـجمـاتـ وـأـلـوـاـلــ،ـ وـفـيـ الـقـدـيمـ،ـ فـيـ الـعـصـرـ الـجـاهـليـ لـمـ يـكـنـ الـعـرـبـ يـتـخـفـظـونـ لـوـ يـتـخـفـفـونـ مـنـ أـخـذـ الـأـلـفـاظـ الـجـاهـلـيـةـ،ـ أـوـ يـفـكـرـونـ بـعـقـابـيـلـهــ،ـ وـمـعـ ذـكـرـ كـانـ أـخـذـهـمـ قـلـيلاـ،ـ لـأـنـ صـلـتـهـمـ بـفـيـرـمـ كـاتـتـ مـحـدـودـةـ،ـ وـلـمـ الـصـلـةـ الـطـوـرـيـةـ وـالـقـيـمـةـ بـلـقـرـسـ هـيـ الـأـبـرـزـ وـالـأـدـعـىـ إـلـىـ لـقـبـلـ الـأـلـفـاظـ الـفـارـسـيـةـ كـلـيـاـ،ـ وـلـكـثـرـ مـنـ غـيـرـهـاـ،ـ لـقـدـ اـسـتـمـرتـ تـلـكـ الـصـلـةـ مـاـ يـرـزـيدـ عـلـىـ عـشـرـ قـرـونـ،ـ بـلـ بـنـ عـلـاـتـ الـجـوـارـ وـالـعـدـودـ لـمـ تـنـقـطـعـ أـوـ تـلـقـ،ـ بـصـرـفـ الـنـظرـ عـنـ طـبـيـعـتـهاـ السـلـمـيـةـ أـوـ الـحـرـبـيـةـ أـوـ الـتـجـارـيـةــ.

ونقف قليلاً عند مثال واحد يفتح الباب لتسريب بعض الدخيل اللغوي الفارسي إلى العربية هو الشاعر الجاهلي الأعشى (ميمون بن قيس) الذي ولد في إقليم اليمامة حيث كانت قبائل بكر التي نشأ في أحضان أحد بطونها تُنوب قيس بن ثعلبة. فالأشعى كان يتردد بين اليمامة وال العراق، ونجد في شعره ذكراً لبلتي "شابة" و"بابل" من العراق. كما نجد ذكراً للحيرة، عاصمة المنادرة القريبة من الكوفة. ونقرأ بيته في الخمر:

ولقد شربت الخمر ترکعنْ حولنا ترکعنْ وكابنْ

ولعله يقصد بالترك والقابل جواري أو راقصات من استجلب من بلاد الترك وأفغانستان التي عاصمتها الحالية "كابل" أو "كابول" (٢٠) وينذكر في شعره الأديرة التي شرب قربها أو فيها، كما يذكر الرياحين والطيف وما كان يستحضر في تلك المجالس، كما في قوله:

لنا جئنسنْ عندها وبنفسنْ	ومنيستنْ والمرجحونْ مثنتاً
وأتنْ وججزيْ ومرزو وسوسنْ	إذا كنْ جئزنْ ورحتَ مخنْ
وشاهسلرمْ واليسمنْ وترجنْ	يُصيّنا في كلْ نهْنْ ثفْ

نكم من الألفاظ الفارسية في هذه الأبيات الثلاثة وحدها؟

لن احتكاك الأعشى برهبان الأندرة، وبالجهواري للتركتيات، ووتوفره على مسميات غريبة يمعن بها مجلس خمر في بيئة فارسية متزنة (٢١)، ومشاهدته لألوان من الرياحين وأنواع من آلات الطرب التي لم يعرفها العرب. كل ذلك يجعل من المعتم عليه أن يتقبس المسميات ومضامتها شعره، ولو من باب الهزل والاستطراف. وعلى هذه الصورة وшибاباتها بدأ العرب وأخذون الدخيل الفارسي.

ونطيل هذه الوقفة عند الأعشى قليلاً للتقول: إن ما أدخله في شعره من الفارسية يمكن رصد معظمها في المسميات الآتية:

أبن، إيريق، أرجوان، أرندج، يوان، باطية (وعاء للخمر)، بربط (آلة طرب)، بستان، بقم، بالسج، تامورة، جلسان، جون، خندق، خسرواني، خيم (الطبيعة والسببية)، دخارص (جميع بخرص: قطعة ترداد في الثوب)، دوسر (إحدى كتبتيق النعمان بن أمرئ القليس، اسم نبات، الجمل الضخم، اسم قلعة جعبر المعروفة قرب الرقة بشمال سوريا، اسم شاعر هو دوسر بن ذهيل التزبيعي، ومعناها: ذو الراسين)، دهقان، دبابوذ (ثوب ينسج على نوربين أو ذو لحمتين)، ديسق (هشوان من لفترة)، رلووق، زيرجد، زمهرير، زنيق، زير (وتر تلقيق حاد الصوت)، سلجم (لتقت)، مُسنهك، سوسن، منج وصناجة، طنبور، طرجهار، (شبه كأس يشرب به)، طرجهارة (آلة مائية، شنجان. ومقال: طرجهالة)، مسققة (آلة طرب)، شيدارة (بساط منتش وثمين، يربد يشق ثم تلقيه المرأة على عنقها من غير كمرين ولا جبيب. قال:

لَا لِمَسْتَ شِيدَارَةَ شَمْ أَرْقَتْ
بِمَحْصَسَهَا وَالشَّمْنَ لَمَّا تَرْجَلَ

مكوك (آلة تخص النساء والخياط، أو مكوال، ملاب، مهارق، نمارق، ياسمين.. إضافة إلى ما جاء في الأبيات السابقة، وما صرفا النظر عنه لغراحته). (٢٢).

ويلاحظ أن معظم هذه الألفاظ يتعلق بالحياة، وبمحالس الطرف والخرة ولوازمهما من (الكلاليت) المتنمية للترفيه، إلى جانب ألفاظ تتعلق بالعمران، أو بما يُلبس، وكل ذلك مما لم تعرفه العرب على تلك الصورة، وكله من المعجميات المادية الخالصة التي لا تختلف دائرتها كلمة واحدة تخلص للذكر أو للذهنية والتجريد.

وما يشبه تلك المعجميات أخذ العرب ألفاظاً فارسية تتصل بالثياب والألوان من مثل أرمغان: (نسيج حرير فاخر)، استرق، جورب، جمان، دخدار (ثوب)، ديباج، زركشة، سروال وسربال، صندل، جوخ، طليسان، يلقن، أبرنيست، بركان وبركان (ثوب أسود) تبان، قرطف (لباس شبيه بالقباء، ذو طاق واحد)، خز، زرياب (ماء الذهب)، نرمق (من الثياب)، آذريون (زهر أصفر في وسطه حمل أسود، معناه: شبه النار...).

كما أخذوا ألفاظاً تدور في تلك المعادن والأحجار الكريمة مثل: فولاد، زبقة، سمبادج، دائق، خردق، بهرمان، أيريز، جوهر، أسييداج، خنجر، أسرب، جنزار، آنك، ستروق (درهم مزييف)، تلك، بوتفة، فيروز، توبال (ما يتسلط من الحديد أو النحاس عند طرقهما)، لازورد، توتباء..

ومن النباتات والرياحين والأشجار المثمرة وغير المثمرة أخذ العرب مسميات لم تكن معروفة في لغتهم مثل: نيلوفر، سبنيان، صنوبر، تقاح، أبلوج (نبات السكر، ويعني: السكر الأبيض) ترمس (اللحبة، أما الترمس للوعاء المعروف حديثاً فمن اليونانية *Ther mos*)، مردقوش (الزعفران، أو نبات عطري، وعرب أيضاً: مرزجوش ومرزنجوش)، ازدرخت، أي: الشجر الحر، من (ازداد: حر) (وذرخت: شجر) ويرد في بعض الكتب بلطف (زنزلخت)، نسرين، خربز (بطيخ) (ياسمين، بانجان، خرم، جرجير، خلنچ (شجر)، توم، جزر، خيار، سرو، لوز، دستتبوريه (نوع من البطيخ الشمام)، زعور، عرموط، جلوز (بندق)، أيهان (عشب يطول، وهو اسم الخردل البري)، جلنار، راوند، جوز، زبقة، كركم، هليون، طرخون، أفيون... وأخذوا من أسماء الحيوانات: سمند أو سمندر، بئز (الأسد الهندي)، سنجاب، فرانق (جنس من السباع، وعرب بلطف برانق)، سنور (الهر) جاموس، دلق (حيوان شبيه بالسنجباب).. ومن الطيور: كروان، سونديق، وسودانق (الصقر، أو شبيهه)، ببغاء، كرذ (الباشق، والباشق أيضاً بالفارسية: باشيء)، باز، شاهين، طيهوج، قفتح (الحلج)...

وأخذوا من الأشربة والأطعمة: لوزينج، بختع (عصير مطبوخ مسكي)، باذق (أيضاً عصير مطبوخ)، جردق (الغلظ من الخبز)، جلاب، سوربا، جلنجين (معجون يعمل من الورد والعسل)، زلايبة، رشته (طعام يصنع من العجين الملفوف المقطع...) شبارق، دوشاب (نبيذ التمر أو الدبس)، زماورد، بوظة، سكاج، بقلارة، سنيوسك، بقスマط (وقيل إنها يونانية الأصل)، طباخة (الكتاب)، برغل، فالورذج، فانيد (نوع من الحلوي)، خشكنان، كعك، وفيهما يقول الراجز:

وخفشنان وسوينق مفتود

يا جيداً الكعك بلحم متزود

وسوينق مفتود بالفارسية، أما الخشكنان فدقيق الحنطة إذا عجن بشيرج (دهن السمسم) وبسط وملئ

بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد وجمع وخيز..

أما ما يمكن سلكه في جملة الألفاظ العامة والإدارية والتقطيعية فقد أخذ العرب ألفاظاً وسميات تتبعه وتتوزع في مجالات كثيرة، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

جندران (حافظ الأمير أو الملك)، دسكرة، إسوار (الفارس الذي يحسن ركوب الخيل والرماية للسهام، واحد الأسواره)، ديوان، بارة، بلاس، زندق، خوان، باركان، نموج، رستاق، بندر، بيدان، خندق، دربان، شادروان (حافظ الخيمة)، دهقان، بريد، بيمارستان، برنامج، خزندار (مركيّة من الفارسية والعربية)، دستور (من الفهلوية Dast war بمعنى القاضي والحاكم وكبير الزراد شتيبين. وتنتعلّم في الفارسية والتُركية بمعنى القواعد الأساسية لعلم من العلوم أو صناعة من الصناعات. ومن معانيها: الإن، عند الترك والعرب إذا دخل الرجال على النساء، أو مروا بالدخول في مكان مظلم استثناناً من الجن. وهي الدخيل المتأخر في العربية)(٢٣)، ذريند (غلق الدهان والباب، من (ذر: باب) ومن (بند: رباط) ومنه البند بمعنى الرابية والشارقة)، جلاهق (جسم صغير كروي من طين أو رصاص يرمي به الطير)، بِرْوَانَة (مروحة السفينة، وحاجب الملك، سرادق، صهريج، طستوح (الناحية والمحافظة، جمع طساسيج)، سرادب، دهليز، سردار، عسکر، سندان، صولجان، فرزند، سياهي (رتبة عسكرية، تحول معناها إلى ملك القرية)، قيروان، سراسم، زرنبيخ، سباط، فهرس، كشك، ربان، دورق، ماخور، مربزان (حارس الحدود)، جوسق، درفع، بهلوان، تاج، مهرجان، مومناء، بُنْتَدار (من يحمل هراوة البندق خلف السلطان، صاحب البنقة)، أريكة وزرابي وطنافس... وأخذوا بعض مسميات الألات الموسيقية والطرب ومصطلحاتها، وبعض أسماء الخمرة وألقاب الشعراء كالفرزدق، والطغرائي، ودمور..).

- ما أخذته العرب عن الهند:

إن ما عرفه العرب عن طريق الهند من النبات والحيوان والسيوف والعقارات والطيفون والأحجار الكريمة والمنسوجات الهندية أخذوا مسمياته منهم مباشرة بطريق المعاملات التجارية وتبادل السلع، أو أخذوه عن طريق الفرس الذين كانوا أحياناً شبه وسطاء بين العرب والهند، كما كان العرب أحياناً وسطاء بين أوربة والشرق في جلب البضائع الهندية والصينية وإيصالها إلى الأوروبيين قبل أن يتابع لمزاولة الاتصال المباشر بالشرق الأقصى في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي(٢٤)، ومن هنا يقع بعض الباحثين للغوبين في الروم حين ينسبون بعض الألفاظ الهندية والفارسية إلى العربية، لأنهم عرّفوها عن طريق العرب. وتقول ذلك قوله: "إبّا نعير بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم".

ويقول: "إبّا نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم"(٢٥)" وما يجد ذكره هنا تعليق الدكتور محمد يوسف (من جامعة كراتشي) على كلام المسعودي بقوله:

"ويلاحظ في هذا الصدد أنّ العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنوسكريتية الفصحى، ولا م اعتوا بأشكالها الصحيحة في الكتابة، بل [إبّا [كذا]] أخذوها من لغة التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يتربّدون عليها، ولا يخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة"(٢٦)."

ومن الألفاظ الهندية التي أخذها العرب:

الآخرج (ويرد في الكتب العربية أيضاً بلفظ: أترنج وترنج)، أرز (ولفظ: آرز بالمد، رنز، رز)، أوج (الأصل: ارتفاع الشمس أو شتا)، أرجوان (بالسنسكريتية Ergewan Argawan)، أشتام (رئيس الركاب) اطريف (معناها بالهندية: ثلاثة أخلاط هي: إهليج، وبليج، وأحلج)^(٢٧) الأنج (يلنج، النجوج، يلنوج، وهو عود يت弟兄 به، بالهندية Anbo والأنجات هي المربيات أو المربيات من الرب)، بقم، بهار، تتبول، توبياء، جلساط (قلساط)، بنج، جونة العطارين (Goni)، خرص (الرامح)، خيزران، رانج (الجوز الهندي، بلغة بورما ong)، زنجبيل، ساسم (نوع من شجر الجبال)، سكر، سمهري، شطرنج، سنكل (معاقف، وقيل هو بالفارسية)، شيت (نوع من النسج الصناعي)، طاوس، طباشير (من: تبا بمعنى مثل، وشير بمعنى اللبن، أما تباشير الصبا فالعربية)، طن، عاج، فانيه (نوع من الطلعاء، وقيل إنه بالفارسية)، فقل، فجان، فوطة، فيل، قرفه، فرنفل (ويزعم بعضهم أنها يونانية بلفظ: خاريوفلون، لكن أصل منبته بالهند، والارجح أن اليونانية أخذته عن الهندية بطريق ما)، قماري (عود يت弟兄 به)، قنا (الرماح)، قند (لقصب السكر)، كافور (أصله بالسنسكريتية Karpura وبالهندية والفارسية Capoor)، وبالفرنسية Camphora وانتق منه فيها الفعل Camphorer بمعنى دهن بالكافور وذلك حوالي عام ١٥٥١م (دائرة المعارف الفرنسية) وفي العصر الحديث أطلق على زيت الكافور اسم Campol^(٢٨)، كركدن، كرنه (الرنة)، ليمون، مسك، المندلي (عود طيب الراحة)، التردين (السبيل الهندي)، نارنج (ويقال في بعض: لارنج)، النط (بالهندية Namata)، النارجيلة، التنج، هيل أو هال، ورس، وشيع (نوع من الشجر، والوشيع ينبع الخطى) - ومنه الرماح الخطية.

و جاء في لسان العرب: وقيل: "الخطَّ مِرْفًا السُّفُنَ بِالْجَهْرَيْنِ تَسْبِيْهُ إِلَيْهِ الرَّمَاحُ .. وَلِيْسَ الْخَطَّ بِمِنْبَتِ اللَّرَمَاحِ، وَلِكُنْهَا مِرْفًا السُّفُنَ الَّتِي تَحْمِلُ الْقَنَا مِنَ الْهَنْدِ" وقال: "ليس الخطى الذي هو الرماح من نبات أرض العرب، وقد كثُر مجده في أشعارها، قال الشاعر في نباته:

وَهُلْ يَبْتَتْ الْخَطْيُ إِلَّا وَشَيْجَةُ
وَتَفَرَّسُ إِلَّا فِي مَنَابِهِ الْخَلِّ؟"

واعتماداً على هذا القول رأى الدكتور محمد يوسف أن الوشيع في الأصل كلمة هندية من Vinsho فتأمل(٢٩).

ووضع العرب ألفاظاً أملتها ملتهم بالهند كقولهم: هندة، هندية، هندوازي ..

-ما أخذة العرب عن اليونان:

تعود صلة العرب باليونان، أو بالروم البيزنطيين إلى ما قبل الميلاد ب نحو نصف قرن حين احتل الروم مصر وسوريا وفلسطين وقسمها من العراق. ذلك الاحتلال الذي استمر حتى الفتح العربي الإسلامي وقد انتشرت اليونانية إبان هذا التاريخ في حواضر مثل الإسكندرية واللاتوكية وانطاكيه وأقاموا (قرب حماه) وصور ودمشق والقدس. وكان انتشارها واضحاً في المجالين الديني والفلسفى، وفي مرحلة لاحقة تنوّى وجود اليونانية في بلاد الشام بوجه خاص بعد تخول أمراء الفساسنة من آل جفنة في المسيحية. وعلى أساس من هذا التصور سيعتقد المرء أن ألفاظاً يونانية كثيرة قد دخلت العربية في ظل هذه المعطيات، لكن الحقيقة

لم تكن كذلك، فالمأمور عن اليونانية لا يكاد يذكر بالقياس إلى ما أخذ عن الفارسية مثلاً.

وقد كان لتسرب الدخيل اليوناني إلى العربية مسلكاً، أو قناتان هما: إما اليونانية مباشرةً. أو عن طريق السريان الذين كانوا أكثر صلة روحية وسياسية باليونان، وأقدم وأوسع من علاقات العرب قبل الفتح العربي (٢٩). وقد يكون ذلك الدخيل اليوناني موروثاً لغوايا تناقه السكان بعد هجرهم الحديث باليونانية في مصر وببلاد الشام إنما شيوخ العربية (٣٠).

ومعظم ما أخذ عن اليونانية دور حول الأمور المادية والإدارية والدينية، وبعضه يعبر عن الحياة البحرية والعلوم الطبيعية والعلقانية. ومن أشهره.

يليس، ابنوس، إنجليل (وينسب بعضهم الأبنوس إلى الهندية الصينية) (٣١) أخطبوط Oktopodium أي: ذو ثمانى أرجل؟! أبو قلمون (طاز)، أثير (مادة منتشرة في الفضاء، هواء على طبقات الجو Ethir)، إزميل، إسطمار (تقد من ذهب)، اسطول، استفس (العنصر)، أسطورة (ومنها في الإسكندرية History وبالفرنسية Histoire بمعنى التاريخ)، واستانيول (واستانيول (Buccina وهو عند الرومان البوق (وأصلها: ملغم)، بوق (المزمار النحاسي المعروف، أصل بوكينا Buccina وهو عند الرومان البوق العسكري، من بوكا Bucca الفم الذي ينفع البوق، ومن هذه الكلمة الأخيرة جاء في العامية المصرية: بق، بالضم، أي الفم) (٣٢)، بطاقة، بيطار، ترياق، كوبيري، درهم (دراخمة اليوم)، دكان، ديماس، دمقس، رفاس (Rpas جبل للربط)، زيرجد، زinar، سندس، طاجن، سيماء، طريخ (سمك صفار تعالج بالملح) طسق (حرفة عن طقس)، طلس، فانوس، فنار، فندق، قارب، قانون، قربوس (قسم من السرج)، قرطاس، قنبيط، قصدير، قفة، قلم، قفم، قنب، قفينة، كتان، كركي، كوب، كورة (Khiqara ومنها جاء اسم الخوري)، كيماء، لع، لقال، مرهم، ملوخية، ناموس، نقرس، نوتى، هيولى، يانسون (وصحيحة أنيسون Anesson)، أبشرية، ارثذكس، أرخيبل، ارستراتية، آزوتو، اسطرلاب، استفنت (أجود الخمر)، اسقف، أطلس، أكريبيس (سمك صغير)، ألماس (Adhamas)، أقيانوس، بلان (حمام)، جاثليق، تيفوس وتيفيتيد، جريال (لون توصف به الخمرة، جرافية، خريطة، دلفين، زخرف، سفسطة، سلمون (سمك)، طغمة، فردوس، فسيفساء، فلسفة، فلين، قراصيا، قنداق (دمج وجيز لقديس..)، قندلت، قونس، قيراط، كوليار، كيلوس، لوباء، هندباء، مسطار (خمر)، مصطكي (علك)، موسيقى، ناووس، هرطقة، ياقوت، فار قليط أوبار قليط (الروح القدس)، بترك وبطريق (رئيس ديني مسيحي)، بطريق (الرئيس والعظيم من الرؤوم)، دينار، زيزفون، قولنج، كيموس، منخوليا، أنيبيك، أيقونة، خنديرس..).

ـ ما أخذه العرب عن اللاتينية:

لم يكن العرب القدماء يفرقون بين اليونانية واللاتينية لغويًا، بل كان ما ينسب إلى هاتين اللتين يدرج تحت اسم الرومية. وإن نعرض بالتصصيل لمسالك دخول الألفاظ اللاتينية إلى العربية أو أزمنتها، ولكن نشير في اختصار إلى أن الاختلاط بين اللغتين بدأ قديماً في بلاد الشام خاصة، واستمر عن طريق التجارة، والنشاط الديني المسيحي، ثم أيام الحروب الصليبية، وبلغ ذروته في الصلات السياسية والثقافية عن طريق الأنجلوس وصقلية وبالرم و غيرها من المرافق والثور. وبعض الدخيل اللاتيني وصلنا متاخرًا عن طريق اللغات الأوروبية ورثة اللاتينية.

وأشهر ما أخذته العربية عن اللاتينية في مختلف المراحل:

الاصطبل (مربط الدواب، بلقط Stabulum)، إبلاء أو إيلاء (بيت المقدس، وقد أطلق عليها هذه التسمية القيسار هدريان عام ٣٥ م بفتح acilia capitolia)، بندق (نسبة إلى مملكة البرونز Pont وفتحه Nux pontica)، وفي بعض المصادر (Bonduc) (٣٣)، أميراطور، بابا، أطربون (ضابط أعلى درجة من القوس عند الرومان Tribunus، والقوس يوازي رتبة الأمير)، بُرْجَد (ثوب غليظ مخطط Paragauda)، بركان Vulcanus، ابن جوبيرت، سيد آلهة الرومان القدماء. كان فلکانس يعني لأبيه الصواعق (٤٤)، بلاط (معنى التصر من Palatium، قصر القياصرة الرومان المبني على تل بلاطيم من تلال رومية) (٣٥)، رساطون (شاراب من خمر وعسل Rosatum، أو شراب مطيب بالورد)، سجل (معنى الختم Sigillum)، سجلات وسجلات (ثواب كان موشية)، سجنل (صفحة فضة مصقوله كانت تستعمل كالمرأة، أو المرأة ذات الزوايا المست سخ (Angulus) (٣٦)، سراط وصراط من Strata، قباوقنان (قال الأصمعي وغيره: العرب يقولون: قنان لأنهم ليست في كلامهم با(يعني p) عجمية فأعربوه)، وهو مستচصى معرفة الشيء يعمل به الإنسان. ومنه حديث عمر حين قال له حذيفة: إنك تستعين بالرجل الذي فيه. قال عمر: أستعمله لأنستعين بقوته ثم أكون على قفاه. وقال ابن الأعرابي: القنان: الأمين، وهو مغرب أصله قبان. وقال أبو عبيدة: هو الرئيس الذي يتبع أمر الرجل ويحاسبه، ولهذا سمي الميزان قبانا، (٣٧) والقبان عند اللاتين: ميزان لأنشياء ثقيلة، بلقط Campana، قرصان، قميص، قنديل، قطار، قبص، منديل، ميل (مقاييس لطول مسافة، مقتضبة من Mill passum)، فنصل..

ـما أخذة العرب بعد العصر العباسي:

ونعني بهذه المرحلة وما تلاها أن تتبع بشيء من العرض السريع تسرّب الدخيل اللغوي إلى العربية مع سقوط بغداد سنة ١٥٦هـ، ودخول السلاطين المماليك مقرّ الخلافة والمنطقة العربية.

منذ زمن المماليك (١٤٨-٢٢٣هـ) بدأ العرب يأخذون ألفاظاً وتعابير جديدة يضيفونها إلى ما كان أخذة أسلفهم من اللغات الأخرى. وهذا الجديد من الدخيل راجٍ يحتل مكانه تدريجياً في المعجم والمصنفات العلمية والكتب الموسوعية التي شاعت بوضوح في هذه المرحلة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

وبتجدر الإشارة إلى أن اللغة الرسمية للمماليك كانت العربية، أما الدخيل اللغوي على ألسنتهم فكان مزيجاً من التركى والفارسى، مع بعض الألفاظ التقنية التي انتقلت إليهم عن طريق الشركس. ولمزيد من الإيضاح نشير إلى بعض المؤلفات التي يمكن أن تتفق فيها على ألمتها وشهاد لها أخذة العرب من دخيل في هذا الإطار، فمن ذلك: كتاب "عيون التواریخ" لابن شاکر الکتبی (ت ٢٦٤)، و"المختصر في أخبار البشر لأبی القداء ملك حماه" (ت ٢٢٢هـ)، "ونهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين التویری (ت ٢٢٢هـ)، "مسالك الأنصار" لابن الأنصار" لابن فضل الله العمري (ت ٢٧٤٢هـ)، وكتاب "العبر في خبر من غير" لشمس الدين الذہبی (ت ٢٧٤٨هـ)، وكتاب سراج الدين بن الوردي (ت ٢٧٤٩هـ) و"البداية والنهاية" لابن كثير الدمشقی (٢٧٧٤هـ) وتحفة النظار في غرائب الأنصار" لابن بطوطة (ت ٢٧٧٩هـ) وكتاب "العبر وديوان المبتدا والخبر" لابن خلدون (ت ٢٨٠٨هـ)، و"تصبح الأعشى في صناعة الإنسانا" للقاشندي (ت ٢٨٣١هـ)، و"السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقریزی (ت ٢٨٤٥هـ)، و"النجوم الزاهرة" لابن تغزی بردي (ت ٢٨٧٤هـ)، ومؤلفات ابن قیم الجوزیة،

والسخاوي، والسيوطى، وابن طولون الدمشقى، والجبرتى.. وغيرهم كثير.

ومن الصعب تقيد زمن دخول هذه الألفاظ وتدالوها، أو التثبت القطعى من أنها وليدة هذه المرحلة إلا باستقراء النصوص السابقة.. في آنٍ وتحصى، وأتى لنا ذلك فى مثل هذه العجلة، لذلك فنحن نعتمد هنا على مبدأ التقليد والترجيح معياراً لرسم ملامح التطور، وللوقوف على خطوطه العريضة على مدى تاريخ العربية الطويل.

ومن أشهر تلك الألفاظ التي أخذتها العربية:

الأتابك، أو الأتابك (الوالد أو الأمير باللغة التركية) (٣٨) مرکبة من (أبا): أي الأب أو الشيخ المحترم لكبر سنها، ومن (بيك): الأمير. ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب: أتابك العسكر، وقد تأتى بمعنى الجيش، أرسلان (الأسد باللغة التركية)، أرسلانوط (الألبانى الجنسية، ولم يستعمل قديماً لفظ الألبان، بل الأرناوط)، الأستدار (لقب ملوكى يطلق على القائم على الشؤون الخاصة للسلطان، والاستدارية وظيفة موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ، والشراب خانه، وال HASHIYA (الحاشية والغلمان)، والإستدار (بكسر الهمزة: لقب يطلق على من يتولى قبض المال وصرفه، وتمثل أوامر السلطان فيه، وهو مركب من لفتيين فارسيتين: إستد، ومعناه الأخذ، ودار: معناه المسك، و(دار) لاحقة تعنى المختص بالشيء، أو صاحبه أو من يتولى أمره)، الأسفهلار (وظيفة من وظائف أرباب السيف وعامة الجند، وإلى مسامجها يرجع أمر الأجداد، والنظفة أعمجية تعرّيفها: قائد جوش) (٣٩)، الأسلكة (ولها معنيان: ١- الأخشاب التي يقف عليها البناؤون (سقالة) -٢- رصيف الميناء البحري، ثم أطلقت على الميناء، وأصلها من اللغة الإيطالية بلغة Scala دخلت التركية أسلكة)، أصبهند (كلمة تطلق على النائب، والأصبهانية: فرقة من الجنود المأجورين في الجيش العثماني، مقابل المرتزقة في عصرنا)، الأغا (كلمة تركية تعنى الأخ الكبير، وتطلق على صغار الضباط، وأحياناً على كبارهم، وتأتى بمعنى السيد، والأمر، ورئيس الخدم، والملاك الكبير)، الألاجة (لفظ تركي يعني الشيء الملون بألوان كثيرة، كغطاء الطاولة والسرير)، الأداش أو الأاضاش (لفظ تركي أصله: يولداش، يتتألف من (يول) بمعنى طريق، و(داش) وهي آداة المشاركة، واليولداش هو الرفيق في الطريق، كما تطلق على الرفاق في الزرب الواحد)، آخرور (اصطبيل الخيول)، جاندار (الأمير المعسك للروح بالفارسية، وـ"دار" لاحقة الحافظ للسلطان فلا ياذن بالدخول عليه إلا من يشق به، من "جان" بمعنى الروح بالفارسية، وـ"دار" لاحقة للأشخاص بالشيء)، الأوشاقي (الذى يتولى أمور الخيل للسلطان)، الانكشارية (كلمة تركية تعنى: العسكر الجيد، وهو جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان العثمانى)، الأورطة (لفظ تركي أصله أورته بمعنى الطابور، أي فئة من الجند)، أوطاق (تركية بمعنى خيمة فخمة)، أولاق (اصطلاح عثمانى بمعنى الرسول)، أيك (لفظ تركي مرکب من "أي" بمعنى القمر وـ"بيك" بمعنى الأمير، وهو اسم لشخص تولى مرتبة أتابك العسكر، أي أمير الجناد زمن شجرة الدر أو "شجر الدر"، وهو الملك المعزى، عزيز الدين أيك الجا شفكي)، البازدار (حامل الباز أو أي من الطيور الجارحة المعدة للصيد على يده)، باشا، البلوزة (لفظ موغولي معناه: لوح صغير من ذهب مرسوم على أحد وجهيه رأس سبع، كالوسام في عصرنا، وكان يمنح لكتاب رجال الدولة المغولية)، البركيل (مرتاد البحار من التجار والمعاربين، والبراكيلية ضرب من السفن)، البيرجانية أو البيركانية، من البازار كان: التاجر بالفارسية، انتقلت إلى التركية، ثم صارت لقباً لليهود بدلاً من لقبي أغاثا (أفادى)، بضم، من التركية (باصماق) أن يطا الرجل بقدمه، وكذلك أن يضفت أو يطبع الأوراق المبصومة،

أي الأوراق المطبوعة بالختم، ومنها عبارة "أخذ البصمات" البغاز أو البوغاز (من التركي، مصدره بونعم، أي يخنق، ويطلق على الحلقوم، وهو بمعنى المضيق، مثل بوغاز جبل طارق وبوغاز البوسفور)، البتشيش (من الفارسية بتشيش، أي العطية أو الهدية للعامل أو الخادم أو النادل، فوق أجره)، البندرة (في الطلابانية والإسبانية والتركية ومعناها: الرایة الأجنبية)، البودقة (المذيب، وعاء لإذابة المعادن توقف تحته نار حامية، وجوزة الغليون التي يوضع فيها التبغ)، البيرق (تركية من: بيك وبشا، رئيس الألف، وهي رتبة عسكرية عثمانية استعملت في حامل البيرق)، البكاشي (تركية من: بيك وبشا، رئيس الألف، وهي رتبة عسكرية عثمانية استعملت في الجيوش العربية، كما استعملت اليوزباشي) التخت والتختروان، الترسخانة (دار الصناعة، لفظ تركي ذهب إلى بعض اللغات الأجنبية، ثم عاد إلى التركية والعربية بلفظ الترسانة)، الفتنا (نوع من القماش المعروف، وأجوهه الهندي، تصنع منه بعض الثياب كالشال والقفنسوة)، من التومان أو الطومان (الفرقة من الجند التي يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل، الجاشتكير (الذي يتصدى لتدوّق الماكوّل والمثروب قبل السلطات أو الأمير خوفاً من أن يدس عليه فيه سم، ولللهظ من كلمتين فارسيتين: جاشا، ومعناها الذوق، وكير: المتعاطي)، الجامكية، الجبانة، الجاندارية، جاوش، جلاهق، الجلبي أو شلبي (لقب كان شائعاً بين الأتراك العثمانيين ذوي النبل والفضل، واستعمل أيضاً بمعنى سيد، وبمعنى خواجة عند الأتراك)، الجمدار، الجندار، الجنبارية (جمبار)، الجوامك (جمع جامكية، مرتبٌ خدم الدولة في الساكن والموظفين)، الجوخدار، الخازوق، الخاصكية، الخانقاه (كلمة فارسية تعني محلًّا للتقبيل والتزهد والبعد عن الناس، وبمعنى بيت كذلك، دخلت هذه الكلمة اللغة العربية منذ انتشار التصوف فهي كالدير في التصرانية)، الخزدار، الخشداش (الزميل في الخدمة) الخواجا، الخيش (نوع من الكتان) الديبوس (بالفارسية Topouz)، دفتر دار، الدمفه (من التركية تغما وطامغة)، الدوايدار أو الداودار (صاحب الدواة، وكان يسمى قديماً: الحاجب.. وكانت الدواودارية في دولة الملوك وظيفة صغيرة، يقول ابن تغري بردي "أما الدواودارية فكانت وظيفة سافلة.. ولكن هذه الوظيفة عظمت في منتصف القرن الرابع عشر.. وقد عرف هذا المنصب في الدولة العثمانية...") (٤٠)، الزنك (الشعار)، سalar (الأمر الأعلى أو الرئيس، وهو اسم أمير من الملوك قتله المنصور محمد بن قلاعوون)، السستجة (بضم السين وفتحها، فارسي معرب، كتاب من صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً فرضاً ليأمن به من خطر الطريق)، السننج (بمعنى العلم والراية، والرمم، واللواء)، السنقدار، الشوشرة (أصلها: شاش مالك، بمعنى تحيز واضطراب، أي الفوضى في البلاد أو في المجلس)، صابية (زي من الجوخ)، الطابور، الطارمة (بيت من خشب يبني سقفه على هيئة قبة لجوس السلطان، لفظة فارسية الأصل)، الطبانة (طوب خانة: دار لصناعة الدافع)، الطنجنة، الطرخان (المحال على المعاش)، الططري - التترى (سامي البريد في الدولة العثمانية، لأن التتر كانوا يؤدون هذا العمل)، الطغراء (ختم السلطان، والطغرائي: حامل أختام السلطان)، القاورق والقاروجية (صناع القلانس)، القرمة (نوع من الخذ، ومنه القارمة بمعنى اللاقفة في لغة العامة ببلاد الشام، قشلة (معسر)، القلب، القلندرية (المحفرون)، النقانق (المنزل)، القندجي، القيسارية، الككتدا (صاحب البيت أو السيد الموقر)، الكرستة، المطرجي أو المطهرجي (من الكلمة العربية مطهرة، أي إبريق أو ما يشبه ليحفظ به الماء للوضوء، دخلت التركية في صيغة مطرة، أي وعاء للماء من جلد أو صفيح، و"جي" لمصدر النسبة، والمطرجي هو سقاء القافلة)، النشان أو النيشان (فارسية، دخلت التركية، وهي العلامة التي تنصب للتدريب على الرماية، وتطلق على الشارة والشعار الذي يوضع على صدور المحاربين والمتقوين، أو على الأماكن التي تتبعهم)، الوجاق (تركية من أوجاق، ولكلمة عدة معانٍ (٤١)): كل ما تنفع وتنعل فيه النار من طين أو قرميد، ثم أطلق على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد،

وعلى أصحاب العرف وعلى الصنف من الجندي كالسباحية، يازجي (بالتركية كاتب)، اليسق (تعني القانون في المغولية، والمعنى في التركية، ومنها اليسقي واليسجي وهو القواص الذي يحرس القناصل والسفراء ويحيمهم، واليسق أيضاً الحرس والسجن العربي للأسرى والمساجين)، الثلث (جمع يلقات، وهو لباس بلا أكمام يلبس على الصدر ليدفع عنه الهواء، ويقابل الصدرية أو الصدار)، الأسطي، الأكندى، الإكبيش (الفرنس الهجين، في الفارسية أكدىش "فتح الهمزة وكسرها" دخلت التركية بلفظ: إيكبيش)، الألوية (غطاء للرأس والزيمة)، البابوج، البرمة، البازار، الجاليش أو الشاليش، الجدك، الخردة، الداقيم (الطاقم)، درابزبن، الرهوان، الروشن (فارسية الأصل: الفتحة أو النافذة، بالعربية: الروزنة)، القايق (تركية: القارب الصغير)، القرمة، سجدار، بشمدار، ألاي (فرقة عسكرية) القلق (دار الحراسة، أو مكان إقامة الحرس أو الشرطة)، القيطون، اوردو (جيش)، سراي، خرطوش، سنجق..).

- أما ما دخل العربية بعد هذه المرحلة وصولاً إلى العصر الحديث فقد ازداد تبعاً لازدياد الصلة بمتكلمي اللغات غير العربية، وتتنوع تبعاً لتتنوع طبائع المجتمعات والاهتمامات والمعارف والمتلكات. ومن العسير في تلك الأحوال المضطربة ضبط مسارب الدخول، أو تحديد زمن دخوله، أو حصره وتصنيفه وفق اللغات التي جاء منها. لأن مثل هذه الدراسات المتأتية والمعرفية كانت نادرة، إن لم تقل غائبة.

إن اتساع النشاط التجاري، والتثميري الديني، والأطماء الاستعمارية كانت مظاهر حيوية في زيادة التفاعل البشري واللغوي، وكانت سبلاً لاحتلال اللغات الأوروبية إلى جانب اللغات الشرقية، مما فتح الباب واسعاً للدخول الإيطالي والإسباني والفرنسي والإنكليزي، إلى جانب الدخول السابق الذي عرضنا له.

وعلى سبيل التمثيل لا التصنيف أو الإحصاء نسوق هنا نماذج منه بكثير من الاختصار، فمن ذلك:

فرحان، شاكوش، إسبانخ، أطلس، أمبرالية، أنبوب، صابون، مدام، مقنطليس، برنس، بكلة (مشبك بالتركية) بندقية، جفت، بكرة (تركية، آلة لرفع القتل)، بروتوكول، سينايريو، اوبرا، موسيقى، دبلوماسية، التلفزة، ميكروب، شيك (Chic)، جيولوجية، فلور، بنسلين، هستيريا، غنوصية، براغماتية، راديكلالية، كلاسيكية، واط، فولط، بوليصة، فاشية، نازية، إلكترون، دينمو، تتن، تباك، ميكانيك، ترمومتر، فوسفور، برينيطة، بندورة، روزنامه، طلبة (إيطالية Tromba ، مضخة مياه) غلوبون، فرنونة (عاصفة، بحرية غالباً)، المتبنيوم، كرباج، كالسيوم، كشكبان (القصووال - جبن) هنكار، وطاق، سكريتير، بوليس، بوسطة، كميالة فاتورة، بورصة، أيونة، جبخانة، بترول، بامياء، برميل، بطاطا، سيجارة، تراخوما، بهلوان، جنرال، تتشين، دراقن، دلفين، ديناميت، رواق، زيال، زينق، زرينغ، ساذج، سردين، برتقال، سلطان، سفططة، سيكولوجية، سينما، سمعونية، شاي، شدياق، صهريج، طازج، طربوش، طرخون، طرطور، طنجرة، عنديليب، غاز (هولندية)، غرام (في الوزن)، فانوس، فنار، فستان (اليانية؟)، فقة، فلسفة، قلين، فندق، قاموس، قرصان، قصدير، بابوج، قنبلة، قنطرة، كربون، كردينال، فلاقاس، كمنجة، كوليبرة، كيلو، لجنة، مازوت، مركيز، مرهم، مطران، مليار، نبريج (نربيج) نرد، نشار، هاون، هندام، هدباء، يود....

– ما أخذته العرب من أسماء الأعلام الأجنبية:

وعلى مدى العصور وطول الصلات بالأمم استطلع العرب بعض أسماء الأعلام لأبنائهم وبذاتهم ومواليهم وجواريهم، فلهجوا بتلك الأسماء وتسموا، تمناً وتديناً، أو إعجاباً بصوتيتها أو بصيغها ووقعها، أو

إظهاراً للتحضر والتلررق وسعة الثقافة^(٤)) ومع الزمن صارت جزءاً من تراثهم المكتوب والمحفوظ. وغنى عن القول إن العرب لم يكونوا في حاجة إلى مثل هذا الأخذ لغنى لغتهم وتنوع صيغها ومشتقاتها، ولكن، ليس للدوى ضوابط، ولا للفرق والتأثير معايير أو قوانين لغوية، يأخذ القوم أنفسهم بها، أو تراثى.. وهكذا دخل العربية أسماء أعلام أخذت طريقها إلى كتب التراث والمعاجم ورموز الإبداع الأدبي، وصارت مألوفة في الذاكرة العربية، من مثل ذلك:

نسرين، بيرس، خوند، فيروز، ياسمين، طوغان، كروان، آسيا، أيامة، نوزاد، ميرزا، إدوار، أصون، بخيتان، أسمهان، بندقجي، يزبك، يكن، ياقوت، أرسلان، يارا، وليم، أرناووط، هيلين، هنري، اسكندر، ألفرد، أليكس، هرمزه، نيسان، نوروز، أنطون، أيدا، إيفا، نيازي، نورس، نهادن، إيليا، برويز، برلنت، ميلينا، دانا، نولا، ناريمان، نزمين، بستجي، نرجس، نازك، بطرس، بندر، ليلىان، بهزاد، بهلوان، مكسيم، مهران، لويس، تيمور، جادو، جاك، لانا، بيطار، تادرس، تيريزا، كلش، تومان، كنج، لورنس، لونا، جاود، جان، فريال، كاميليا، فقل، جلنار، جوخدار، فيتوس، جمار، جمشيد، فيولا، قبطان، قره (الأسرى في التركية، ومنه قره علي، وقره حسن.. وكرامانلس، رئيس وزراء اليونان مرة)، جنكىز، قرق، قسطنطين، جهان، قيصر، كاترين، طران، طوني، غاندي، فانوس، شلبي، جوانا، جورج، فردوس، جوليا، خزندار، خاشقجي (صانع الملائع أو باعها). تركيبة)، طوسون، سورجي، صوفيا، خان، داغستان، شيرين، خديوي، شويكار، خربوطلي، دارا، دادا، خواجه، شيراز، خورشيد، صابوني، شهناز، شنودة، درباس، دركزلي، شهرزاد، در هم، دروش، سركيس، سيرين، سكري، داليدا، سيمون، دمرداش، دروزة، سنجر، شهيندر، سهراپ، ديمترى، سههدار، سوزان، دينار، سوسن، سونه، زنكي، سباهي، سبا، رستم، سالار، روز، زاده، زرلي، سامان، سههدار، بکداش، بکيزه، طوقان، رامان، ستقر، صونيا، شبلق، شاهيناز، فيليب، مرقص، ليزا، لوريس، نطلة، نيفن، هيلانة، هويدا، ميرفت (من العربية أصلًا: مروة)، هزار، رونق..

ـ ما أخذته العرب من العباري والمصطلحات الحديثة:

لم تقتصر ظاهرة التأثر اللغوي علىأخذ الألفاظ والسميات المفردة وحدهما، بل اتسع التأثير فطال الأساليب والمصطلحات، وتجلّ ذلك على وجهين: في أساليب الترجمة المتتأثرة بصياغات اللغات الأخرى. وفي أساليب الأخذ المباشر نقلًا حرفيًا، أو تعرّفنا يتم بطرق من التعديل الصوتي أو الصرافي كما أشرنا في المقدمة. ونكرر ما سبق قوله من أننا نسوق أمثلة على سبيل التمثال لا الحصر أو الإحصاء. فمن ذلك بعض التعابير التي تصادفها في الحوارات والمقابلات الإعلامية، وفي الدوريات والمصحف اليومية العربية، تكون أهلًا بكم إلى هذه الحلقة أو إلى هذا اللقاء.. فهذا التعبير ترجمة متأثرة بال مقابل الانكليزي Well come قال: أهلًا بكم إلى هذه الحلقة أو إلى هذا اللقاء.. ومن ثم هذا سؤال السائل لمخاطبه: ماذا عن نشاطكم الفني أو الثقافي؟ وهذا أيضًا من ثغر الترجمة عن الانكليزية للتعبير؟ What about the cultural activity؟ ومن مثل ذلك صوغ الفعل المجهول من المصدر و فعل الصيغورة على نحو ما في اللغات الأجنبية كقولهم: "صارت كتابته" و "جرى بحثه" و "تم مناقشته" بدلاً من: كتب، بحث، نقاش.. أو كقولهم: "تم كتابته بمعرفة فلان"، أو "تم كتابته من قبل فلان"؛ بدلاً من قولنا: فلان كتب الكتاب، أو بدلاً من الأخذ بنظام الجملة العربية التقليدي: كتب فلان الكتاب^(٥)؛ ومن أمثلة هذه الاستعمالات الوافية إلى العربية بترجمة حرفيّة واضحة قولهم: يلعب دوراً في كذا.. وهذا ترجمة لاستعمال لغوي أوربي هو في الفرنسي Joue son rôle il, وفي الإنكليزية His role plays.

part وقولهم ذر الرماد في العيون هو في الفرنسية To jette de la poudre aux yeux، وفي الانكليزية To throw dust in the eye، وقولهم لمن يشرع في المخاطرة: هو يلعب بالنار، ترجمة للعبارة الفرنسية jouer avec le feu، وللعبارة الانكليزية fire، ويقولون في التوكيد أو المدح: بكل معنى الكلمة، وهذا في الفرنسية: Dans tous le sens du mot، وفي الانكليزية In the full sense of the word، ومن مثل ذلك قولهم: أكذ على كذا، مقابل العبارة الفرنسية Il A insisté sur Il لا تعرف العربية تعدية الفعل "أكذ" بعلٰى، إنما يتعدى بنفسه، فتقول: أكذ الشيء ووكله، و(على) هنا جاءت ترجمة حرافية لـ (Sur) التي تعني: على، فوق.. وكل مثل ذلك في عبارات أخرى نحو: ابتسامة صفراء، الأكثريّة الساحقة، وضع النقاط على الحروف، ضرب الرقم القياسي، أقلق نظرة سريعة، يطلق أهمية خاصة على كذا، عاصفة من التصنيف، يتبنّى المشروع، لا جديد تحت الشمس، ألوان مصارحة^(٤٤) ومن مظاهر التأثر بالأساليب الأجنبية الحديثة عبارات أو مصطلحات صارت ثوابت ولوازم في مجالات الشخصيات، أو صارت عبارات مؤطرة جاهزة كأنها منكّات لقطية لا مدعى عنها، نحو قولهن:

فتح اعتماد، مسك الدفاتر، تسديد الحساب، التضخم المالي، رصيد قابل للسحب، دفتر شيكات، اللامقوقل، اللاشعور، اللاثئاني، الملا يعرف، أوضحت الوكالة، طرق العزلة، تقطيبة المؤتمر، عسكرة النساء، سباق التسلح، جمال مصارخ، دعاية سوداء... ويشبه هذا أن يكون تبييناً لما شاع وكثير في المرحلة المملوكيّة والثمانية من تعبير وسميات أملتها الحاجة وطبيعة المجتمع والأنظمة، من مثل: أمير جاندار (الذي يستأنف على الأمير وغيره في أيام المواكب)، والأمير الإي، والمابين، والباشكاتب، والسلامك، والرصدخانة، والقانقام...^(٤٥)

خاتمة:

بعد هذا العرض السريع الموجز لما أخذته العربية من اللغات الأخرى في تاريخها الطويل، يمكن المتّأمل أن يخرج بانطباع عام، أو بتصرّف يرسم الخطوط العريضة لطبيعة التأثر اللغوّي الذي اعتبرى العربية، أو يرصد مدى ما كانت في حاجة إليه من المادة اللغوّية، وما أخذته ترفاً وتزيداً. وسنحاول أن نخلص ذلك كله في النقاط التالية:

أولاً: أخذت العربية من اللغات الأخرى المسميات التي كانت ملدية في معظمها، ولم تكن قد غُرفت في المجتمعات العربية. ويمكن أن يرصد هذا في مفردات الدخيل القديم. وفي مرحلة لاحقة، عندما اشتغل العرب بالترجمة وعلم الكلام واطلعوا على الفلسفات والأديان لدى الأمم المجاورة تسرّب قدر قليل من الألفاظ الذهنية المجردة أو ذات الطابع الفكري من تلك الأمم، ولكن في انتقال واقتصاد.

ثانياً: لم تأخذ العربية ما يمكن أن يدخل بأسس قواعدها وأحكامها، إذ لم تأخذ من اللغات الأخرى لا الصفات ولا التراكيب، لأن ثروتها اللغوّية الوفيرة، وتناسك قواعدها المطردة يعنيانها عن ذلك، ولا يتناقض هذا الحكم ما تأثرت به من مظاهر الأساليب في العصر الحديث. ولهذا لم يكن خطر الدخيل اللغوّي ذا أثر كبير في تاريخ العربية، إنما استطاعت أن تهضميه وتنتميّه بغير عسر أو مضاعفات أو عقابيل تخلخل بنائها المتن...

ثالثاً: دلّ هذا الأخذ من اللغات الأخرى على عراقة التجربة الإنسانية للعرب، وعلى صلتهم الواسعة بالأمم المجاورة، في مجالات العلم الخالص، وفي المتاجرة والاحروب وعلاقات الجوار وتطور المجتمعات نحو التحضر بغير تضيّب أو انكفاء على الذات، أو تغوف من المؤثرات الخارجية. كما دلّ على مقدرة العربية ونجاحها في استيعاب مظاهر الحضارات الأخرى وسمياتها ومصطلحاتها.

رابعاً: ما من شك في أن الدخيل الذي أخذته العربية قد أمنها بشروء لغوية وافرة وجدت طريقها، على مر العصور، إلى المعاجم وكتب التراث العربي، مما أغنى تجربتها الفكرية والحضارية. وهذه المادة اللغوية، على تنوعها، في حاجة إلى المزيد من الدراسة والتصنيف والتبيّن لتكون دليلاً وثائقياً في جملة الأدلة التي يحسن اعتقادها لدراسة تاريخ العربية دراسة لا يعزّزها النقص، ولا ترمي بإغفال هذا الجانب المهم من النشاط الإنساني.

خامساً: إذا كان للمتأمل أن يتتساع عن أمر هذا الدخيل الذي أخذته العربية، أو يستقرب كثراً وتنوعه فليتساءل قبل ذلك عن أثر العربية في اللغات الأخرى، وعن مدى انتشار العربية والكتابة بها في أقطار هذه المعموره ليقّنهم في هذه وإنصاف طبيعة التجربة الإنسانية للغربية وأصحابها، ويقبل، بغير قلق، مثل هذا التفاعل اللغوي الذي يزداد ويتسامي في هذا العالم الصانر إلى ما يشبه الغرية الكبيرة.

الحواشي والإحالات

- انظر في هذه الصلات: بحث د. جميل أحمد من القسم العربي بجامعة كراتشي (الباكستان) المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٥-المجلد الخامسون -الجزء الرابع، الصفحات ص ٧٧٧-٧٨٩، والبحث بعنوان: "الصلات اللسانية بين الهند والعرب": وانظر فتوح البلدان للبلذري، ط(النهاية) من ٤٦٣-٤٦١ من القسم الثاني. وانظر معجم الألفاظ الهندية المعاصرة للدكتور محمد يوسف (من جامعة كراتشي) المنشور في مجلة اللسان العربي، الصفحات ص: ٤٢-٢٨ من المجلد التاسع، الجزء الأول، والصفحات من ١٣٨-١٢٢ من المجلد العاشر، الجزء الأول. وانظر بعض التفصيلات في كتاب الهند للبرووني (ط. زخار)، وتاريخ العرب قبل الإسلام لجود علي ٢٠٩/٢.
- انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس الرازي (١٣٩٥هـ)، ولسان العرب لابن منظور (١٢١١هـ).
- اللسان: دخل.

٤-نفسه، والجمهرة هي معجم "جمهرة اللغة" لابن دريد الأردي (١٣٢١هـ) وانظر تفصيلاً أكثر عن الدخيل في كتابنا "أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج" ص ١٩-٢٤. منشورات مؤسسة التورى الطبعية الثانية - دمشق ١٩٩٣.

٥-تنسب بدليلاً للتصنيف في "غريب القرآن" إلى عبد الله بن عباس -ت ٦٨هـ وهي، على الأرجح، أقوال دونت عنه بروايتها، وانظر في ذلك "المعجم العربي" للدكتور حسين نصار، ج ١/٣٩، دار مصر للطباعة، ١٩٦٨-١٩٦٩. وانظر "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطى (١١١١هـ)، وقد سرد في الجزء الأول

من ١٤٩ أسماء المتقدمين من التّوا في غريب القرآن، وباسفل الصحائف "إعجاز القرآن" للقاضي أبي بكر الباقلي. ط دار المعرفة- بيروت.

و مع الغريب كثر الحديث عن "الأعجمي" في القرآن، وعما كان يغير لغة العرب" فيه (الإتقان: ١٧٨/١).
و ينظر ثمة خلاف العلماء حول هذا الأعجمي الخليل. ومع الغريب تطرق القوم إلى الحديث عن " اللغات في القرآن" وبهذا العنوان " اللغات في القرآن" وضع ابن عباس كتاباً (نشر برواية ابن حستون المقرى)، وتحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٢٢. وهذا ما أفضى إلى الحديث عن فساد الألسنة و تقبّل اللغة كما ألمح مصنفو كتب لحن العامة في مقتمات مصنفاتهم.

٦- المُعرِّب من الكلم الأعجمي على حروف المعجم ص ١٥ بتفصٍ و شرح لـ محمد شاكر، ط. دار الكتب بمصر ١٩٦٩، وص ١١ بتفصٍ لـ الدكتور: ف. عبد الرحيم، دار الفتح - دمشق ١٩٩٠. والجوابي هو أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر المتوفى سنة ٥٤٠.

٧- مقتمة عبد الرحمن بن خلون: ٣٧٩، نشر مكتبة مصطفى محمد بالقاهرة، بعناية مجموعة من العلماء.
٨- انظر: أثر الدخيل: ٢٤ (م.س.).

٩- انظر مقتمة "المُعرِّب" لـ الجوابي، ومادة (عرب) في اللسان، والجمهرة، والصحاح.

١٠- الصحاح: عرب. بتفصٍ عبد الغفور عطّار. دار العلم الملايين. ط ١٩٥٦م. وقال الزمخشري في "الكتاف": إنّ معنى التعرّيب أن يجعل (الاسم) عربياً بالتصريف فيه، وتغييره عن منهجه، وإجرائه على أوجه الإعراب: انظر: رسالة في تحقيق تعرّيب الكلمة الأعجمية" لـ ابن كمال باشا الوزير (ت ١٤٤٠هـ) ص ٥٣. ضبط و تحقق محمد سواعي. المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٩١.

١١- د. حسن ظاظا: كلام العرب من قضايا اللغة العربية" ص ٧١. دار المعرفة بمصر ١٩٧١م. وقال ابن كمال باشا الوزير: من مذهبهم (عني العرب) أنه إذا عرب الاسم الأعجمي رأى إلى ما يستعمل من نظائره في لغتهم و زنا و صيغة. انظر: تعرّيب الكلمة الأعجمية ص ٥٥ (م.س.).

١٢- انظر "الخصائص" لـ ابن جني (ت ٣٩٢هـ): ٣٥٧-٣٥٩/١. تحقيق محمد علي النجل، ط دار الكتب المصرية.

١٣- ديوان الأدب للفارابي (ت ٤٣٥هـ) ٨٤/٢ تحقيق د. أحمد مختار عمر، مراجعة د. إبراهيم أثيس. الهيئة العامة لشؤون المخطوطات والأمرية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

١٤- انظر: المُعرِّب لـ الجوابي: ٤٤٨. قال محقق الدكتور / ف عبد الرحيم: هو بالفارسية طبريز، و معناه: السكر الأبيض الصلب، وسمي بذلك لأنه يفتت بالفأس بسبب صلابته، فتبر: للناس، و زَدَ من زَنَّ" بمعنى دقّ و ضرب.

١٥- انظر: المُعرِّب: ٢٦٦. قال المحقق نفسه: للزَّرْق: البقلة التي تسمى الحنقوق، وفي التهذيب (٣٠٣/٥): قال الليث: الحنقوق حشيشة كانت لوطب... وفي الصحاح: الحنقوق: ثبت وهو للزرق، نبطي معرّب. ولا تكل الحنقوقا، وأصله (حنقوقا) بالأذرمية، عن سيفمحمد فرنكل: ١٤١.

١٦- انظر: أثر الدخيل: ٤٤ (م.س.).

١٧- انظر الجاشية رقم (٥).

١٨- انظر آراء بعض هؤلاء الباحثين في المرجع الآتي:

- ٢٦-الموضع السابق نفسه.

٢٥-مروج لذهب: ٣٤٤-٣٢٢/١، عن الموضع السابق.

٢٤-فقر: مجلة اللسان العربي (أصدر في الربلط)، المجد العاشر: ج ١/١٢٢.

٢٣-فقر: تصوير ما ورد في تاريخ الجبرتي من "الدخول" من ٩٦-٩٧ للدكتور أحمد فسعد سليمان، دار المعرفة بمصر ١٩٧٩.

٢٢-التفق في نسبة هذه الألفاظ إلى الفارسية يمكن الرجوع إلى الديوان نفسه، وإلى الكتب اللغوية الآتية:

العرب من الكلام الأعجمي للجوبي (طبعة دمشق ١٩٩٠) الألفاظ الفارسية العربية لإذى شير الكلاتي،

(ط. المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين في بيروت ١٩٠٨-١٩٠٩) معجم المعربات الفارسية في اللغة العربية للدكتور محمد التونجي، دار الأذم للترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٨ غرائب لغة العربية للكلب رفائيل نخلة اليسوعي (المطبعة الكاثوليكية، بيروت -لبنان ١٩٦٠). كتاب تصور الألفاظ الدخلة في اللغة العربية للقس طربياً الععنسي الحلبي (عني بنشره يوسف البستاني بمصر ١٩٣٢-١٩٣٣، ط ٢٦). كلام العرب للدكتور حسن ظاظاً (من).

٢١-انتظر هذه القصيدة في الديوان من ٣٦٩، وما جاء في مناسبتها أنها قيلت في مدح إيلان بن قبيصة الثاني الذي كان والياً للفرس على العراق. والجلسان والبنجس والمبسنير والمرزجوش والشاهسغروم والباسمن والترجس والمرزو والسومن... كلها أسماء بالفارسية لألوان من الرياحين والورد. والمهتم: عبد من أعياد النصارى (مغرب) والمختتم: الشديد السكر.

٢٠-انتظر ديوانه من ١٢ شرح وتعليق محمد حسين. المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت -لبنان. المقتنمة بتاريخ ١٩٦٨.

١٩-١٩٦٠، وسفر العرب الأمازيغ: مطابع الفاتح، الطبعة الأولى ١٤٢٤-١٩٩٥ -ليبيا.

١٨-كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١٧-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١٦-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١٥-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١٤-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١٣-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١٢-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١١-مصر الجندي، وكتابه تطوري الجنس السامي: سلسلة قي دائرة الضوء رقم (١١) مصر.

١٠-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٩-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٨-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٧-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٦-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٥-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٤-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٣-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

٢-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

١-انتظر الكتاب على فيهمي خشيم تسمية اللغات "العروبية" أو "اللهجات العربية"، بدلاً من الساميّات أو الساميّة، وما اقترحناه لا يختلف عن هذه التسمية في جوهره أو من حيث الدلالة على المصطلح. انتظر كتابي الدكتور خشيم: "الله مصر العربية" الدار البيضاء للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٤٢٤ -ليبيا.

Albert Dauzat: Dictionnaire de la Langue Française, Larousse, Paris 1938. - 44

^{٢٨} لسان العرب / خطط، والعاشية، ٢٤، ص ١٢٨ من المجلة المذكورة.

٤٦-الموضع المسبق نفسه.

- ٢٩- لنظر: بندي جوزي: بعض اصطلاحات يونانية في اللغة العربية، ص ٣٤٣ من مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، الجزء الثالث - القاهرة عام ١٩٦٣م.
- ٣٠- مما لا شك فيه أن ترتيب الدخيل اليوناني إلى العربية استمر بقليل عن طريق السريان الذين شهدت للحركة الثقافية الطبيعية نشاطهم في الترجمة والتعريب في بعض مراحل الخلافة العباسية.
- ٣١- لنظر: معجم الألفاظ الهندية المعرفية، ص ١٣٠ من مجلة اللسان العربي، المجلد العاشر، للجزء الأول.
- ٣٢- لنظر: «السلعون ولغاتهم» من ١٦١ للكتور حسن ظاظا، دار المعرفة بصرى ١٩٧١.
- ٣٣- لنظر: أثر العرب في الحضارة الأوروبية من ٤٠٦، لجلال مظہر، دار الرائد، بيروت - لبنان ١٩٦٧.
- ٣٤- لنظر: غرائب اللغة العربية من ٢٧٧ (م.س.).
- ٣٥- نفسه من ٢٧٨.
- ٣٦- السابيق نفسه، وانظر أيضاً: كلام العرب للكتور ظاظا من ٧٢.
- ٣٧- الفاخر، للمفضل بن سلمة من ١١٨-١١٩، تحقيق عبد العليم الطحاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤، ولعل في قول حنفية مقتطفاً تعلمه: ... نبأ رجال الذي فيه [قوله]؟!.
- ٣٨- وينظر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، تأليف محمد لأحمد دهمن، دار الفكر بدمشق ١٩٩٠ (مرتب وفق تسلسل حروف الهجاء).
- ٣٩- هذه الألفاظ متبقية من معجم الألفاظ التاريخية «السابيق» ذكره.
- ٤٠- لمزيد من التفصيل حول هذا المصطلح أو هذه التسمية ينظر تصصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، من ١٠٩-١١٢ (م.س.)
- ٤١- معجم الألفاظ التاريخية من ١٥٤.
- ٤٢- وينظر: «الاشتقاق والتعريب» لعبد القادر المغربي من ٢٤، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧.
- ٤٣- يطلق بعض المحدثين على مثل هذا للتصرور تسمية «التعابير المولدة» وانظر لمنة أخرى في كتاب «اللغة العربية» كائن حي لجرجي زيدان من ١٥ (ط. دار الهلال) وتاريخ اللغة العربية له نفسه من ٨٠-١٠٢، دار الحداثة - بيروت ١٩٨٠، ط. ١. وانظر خاصة فقه اللغة المعاصر للكتور إبراهيم السامرائي، الصفحات من ٢٨٦-٣٠٤، دار العلم للملائين - بيروت، ط١-١٩٧٨.
- ٤٤- وانظر كتابنا في فقه اللغة العربية «الصفحات»: ٢٠٢-٢٠٣، ٢١٥-٢٠٣، منشورة في جلسة دمشق ١٩٩٥.
- ٤٥- انظر: اللغة العربية كائن حي من ١٠٢-١٠٣.

الاشتقاق النحتي (أثره)

في وضع المصطلحات

د. مدوح محمد خسارة

"معنى" ذلك ما ذكره الحالٌ من قولهم: حَقِيلُ الرَّجُلِ إِذَا قَالَ: حَيْ عَلَى...^(١) هذا ما وضنه ابن فارس من تعريف لهذه الظاهرة اللغوية في العربية؛ وقد كررها في كتابه (لغة اللغة) على ما نقل

السيوطني من قوله: العرب تتحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار، وذلك نحو: رجل عَشْمَنِي، منسوب إلى اسمين.. وهذا مذهبنا في أنَّ الشيءَ الزائدَ على ثلاثة أحرف فاكتُرْها منقوته، مثل قول العرب للزجل الشيد ضبطر من ضبطر وضبتر... وفي الص testim أنه من الصند و الصنم.^(٢)

أما المحدثون فقد زادوا التعريف السابق بعض التأصيل والتوضيح. يقول عبد الله أمين في تعريفه- بعد أن يسميه الاشتقاء الكبار: "النحت في اللغة القشر والبرني والتفرق والتسوية، ولا يكون إلا في الأجسام الصلبية كالخشب والخجر ونحوهما. والنحت في اصطلاح أهل اللغة أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأذوذ والمأذوذ منه في اللظبي المعنى معاً، بان تبعد إلى كلمتين أو أكثر فتسقط من كل منها أو من بعضها حرفاً أو أكثر، وتضم ما بقي من أحرف، كل كلمة إلى الأخرى، وتؤلف منها جميعاً كلمة واحدة فيها بعض أحرف الكلمتين أو الأكثر، وما تدلّان عليه من معانٍ".^(٣)

أشكال النحت وحالاته:

- آ- نحت فعلٍ من اسمين، وذلك بصياغة فعلٍ رباعيٍّ منها على وزن (قتل)، نحو (يُسْمِل) إذا قال: بسم الله.
- ب- نحت فعلٍ من جملةٍ وذلك بصياغة فعلٍ رباعيٍّ منها على وزن (قتل)، نحو (خُوْلَق) إذا قال: لا حول ولا قُوَّةٌ إلا بالله. وبأيّاً إذا قال: بأيّي أنت..

^(١) ابن فارس | مقياس اللغة | : ٣٢٨ - ٣٢٩ . وينظر: الحال - العين : ٦٠ - ٦١ .

^(٢) السيوطني المهر | : ٤٨٢ .

^(٣) عبد الله أمين | الاشتقاء | : ٣٩١ . وينظر: تقرير لجنة النحت في دفع المأذوذ | مجلد جمع المأذوذ | ج ٧ | : ٥٦ .

جـ- تحت اسمين من اسمين نحن (احيزمان) تحتاً من حبة الرمان و(الخزنة) من الحزن والرأي.
دـ- تحت نسبة من علم مركب إضافي: نحو عَيْسَى من عبد القين، وعِيشَى من عبد شمس، وَتَيمَى من نَمَى الله.. أو مركب مزجي: نحو حَضْرَمَى من حضرموت. أو علم كنية: نحو بَحْرَاثُ من بني الحارث، وبِلْقَنْتُرَ من بني الغبر.

وزاد بعضهم النحت الوصفي، نحو (صليم) من الصند والصنم.^(٤) وجعل منه آخرون النحت الحرفي، وهو المُؤْوَلُ في بعض أحرف المعاني، كما ذهب ابن جنبي إلى نحت (كَانَ: من الكاف وأَنْ؛ ولكن من لا وأنَّ والكاف؛ وليس من لا وأَنْ^(٥)).

والذي يهم من هذه الأنواع في التوليد هو النحت الفعلاني والاسمي، بل إن بعضهم أنكر النحت إلا في الأفعال حيث يقول: "إن النحت انتقد للأفعال لا للأسماء، أي إنهم كانوا يقولون: (سبنجل فلان وحوْقل) ولم يقولوا في العادة: (اعتاد فلان السبّحَلَةَ والحوْقلَةَ) فال مصدر لم يكن مراداً في استعمالهم النحت^(٦).

ولابد من التتبّع بدأءاً إلى أن مفهوم النحت قد تداخل مع مفهومين آخرين في العربية هما مفهوم الإلحاد ومفهوم التركيب المزجي.

آـ- فمن جهة الإلحاد، نرى أن كثيراً ممن درسوا ظاهرة النحت قد خلطوا بينها وبين ما يمكن أن نسميه بالإلحاد الداللي، تمييزاً له من الإلحاد الصرف الذي قد لا يحمل دلالةً ما، كقولهم إن (جذول) ملحق به الواء لإلحاد بمحقر، والذي قال به ابن جنبي: "اعلم أن الإلحاد إنما هو بزيادة في كلمة تبلغ بها زنة الملحق به لضربي من التوسيع في اللغة.. ولا يبقى بعد ذلك غرض مطلوب".^(٧)

وأول ما ظهر هذا الخلط بين المفهومين عند ابن فارس الذي قال مُمثلاً للنحت: "فَمِمَا جاءَ مَنْحُوتاً مِنْ كلامِ الْعَرَبِ فِي الْرِّبَاعِيِّ أَوْلَاهُ بِاهِ (الْتَّعُومِ) مَجْرِي الطَّعَامِ فِي الْحَلَقِ، وَقَدْ يُحَدِّثُ فَيَقُولُ: بَلْعُ، وَغَيْرُ مَشْكُلٍ أَنْ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ [بَلْعٍ]، إِلَّا أَنَّ زَيْدَ عَلَيْهِ مَا زَيْدٌ لِجِنْسِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي مَعْنَاهِ"^(٨). وظاهر هنا أن النحت لم يستوف الشرط الأساسي وهو الأخذ من كلمتين، فما وقع في هذا المثال لم يكن أحذاً من كلمتين، بل زيادة على كلمة واحدة. وكنا نظن أن هذا المثال مجرد عنده بين مجموعة أمثلة تفتتح تحتاً على مذهب ك قوله: "من ذلك (نحت): التصير المجتمع للخلق، فهذا منحوتٌ من كلمتين، من الباء والتاء والراء، وهو من بتراكه فَبَرْ، كأنه حَرِيم الطول فَبَرْ خَلْةَ، والكلمة الثانية: الحاء والتاء والراء، وهو من (نَحْرَتْ) وذلك لأن تضليل على أحد، يقال: أَحْرَتْ عَلَيْهِ أَيْ ضَيْقٍ عَلَيْهِمْ، فقد صار هذا المعنى في التصير لأنه لم يُعطِ ما أَعْطَيْهِ الطَّوْبِيلِ"^(٩). إلَّا أَنَّهُ عاد وذكر في الباب التالي مباشرةً ما يدلُّ على أن زيادة أي حرفٍ في كلمة ولو لم يكن مأْخُوذًا من الكلمة أخرى تُعدُّ عنده من النحت. قال في (باب من الرباعي آخر): "وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَجِيءُ عَلَى وزنِ الرباعي، وَهُوَ مِنَ الْثَّلَاثَى عَلَى مَا ذُكْرَنَا، لِكُنْهُمْ يَزِيدُونَ فِيهِ حِرْفًا لِمَعْنَى يَرِيدُونَهُ مِنْ مُبَالَغَةٍ، كَمَا

^(١) د. رميس جرجس النحت في العربية بحلقة بمجمع القاهرة ١٢: ٦٥ نقلًا عن ابن جنبي.

^(٢) د. ابراهيم الساراري المركب والناء في العربية بحلقة المجمع العراقي ج ٦: ٢٨٧.

^(٣) د. محظى جواد المياحي للتقوية في العراق: ٨٨.

^(٤) ابن حني المصنف: ٣٤.

^(٥) ابن فارس اتفاقيات اللغة: ٣٢٩.

^(٦) المرجع نفسه.

يفعلون ذلك في (زُرْكُم وخلَبِن)، لكن هذه الزيادة تقع أولاً وغَيْرَ اول^(١٠).

ويبدو أن هذا الخلاف قديمٌ بين اللغويين إذ كان الإمام لحمد بن يحيى ثقبي يرى في (زُنْجَب) أنه من (زَنْد) وبابه زَلْذَة، وكان محمد بن حبيب يرى في (عَسْل) أن أصله (عَسْن)، لكن لين جنبي في الكلمة على (عَيْرَ بن قطط قيل: كثنه من معنى (الابتُّت)، ولست قلوبك إن الراه زَلْذَة كما كل لحمد بن يحيى إن الباب من (زُنْجَب) زَلْذَة، لأنه لخدنة من (لَزْنَد)¹¹. وهو الغير يقطعه البعض من ملحوظاته، هذا ما لا أستطيعه وأعود به إلى من مثله¹².

وعلى مذهب ابن فارس في الخلط بين المنحوت والمزيد إلهاً سر الدكتور صبحي الصالح إذ قال: تمن الأفعال المنحوتة تصديراً بزيلة حرفٍ معينٍ في لولها (نخطل الرجل بخطته): قرْ قفرَتْ لِرِبُوبَعْ، فلابَاءْ زلَّةْ على حظٍ^(١٤). إتنا وانطلاقاً من تعريف ابن فارس نفسه للتحت، لأنَّدَ أمثلَنَ هذه الحالة تحتاً، فإنَّ هي إلاؤغ من الإلحاد الذي سنعد له نقرة لاحقة.

بـ- أما من جهة التركيب المزججي فقد خلطا بينه وبين النحت أيضاً، وكثيراً ما استشهد بالباحثون بكلمات مثل (برنساتي وراسماي) التي هي تركيب مزجية وليس نحّاً^(١٧). كما استشهدوا بمصطلحات مثل الأدارية واللامتاهي^(١٨) واللاسلكي؛ وهذه ليست إلا تركيب مزجية على حد التركيب المزججي بأنه «ضمّ» كلمتين إدحاماً إلى الأخرى وجعلهما اسمًا واحداً بعرابها وبناءً سواءً أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين^(١٩). بينما نجد نحو (صليدم وضيطر) من الإلحاق لا من النحت الوصفي كما عذما ابن فارس، وإن القول بذلك الرياعي من سمين ثلاثيين ليس إلا من قبيل الغبيّات اللغوية والتخيّبات التي يُغذّيها خيال لغوي خصوصي.

٢) النحت من السماع إلى القياس:

المقتدون على أن النحت مسامي فوقف عن ما سمع، وليس لنا أن نتحت؛ ولم ينقل عنهم ما يريح قياسيته، إلا شيئاً يسيراً ورد عن نحاة متاخرين، فقد قال الخضرى في حاشيته على ابن عطى: ونقل عن فقه اللغة لابن فارس قياسيته، ومثل ذلك نقل الأشمونى^(١). لكن عبارة ابن فارس في (فقه اللغة) كما نقلها السيوطي لا تنسى على قياسيته، وهي: العرب تتحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار وذلك نحو (رجل عيسيى) منسوب إلى اسمين.. وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فاكتفى ما منحوت. هذه العبارة لا تجيز القیاس إلا على مذهب ابن فارس في أن ما فوق الثلاثي، معظمه منحوت.

وهو فرضية لا يقرّها عليها غالبية اللغويين، لأنّه قد ركب التعسّف والشطط في حمل ما زاد على ثلاثة أحرف على النحت^(١٢): كما نقل السيوطي عن ابن مالك قياساته، إلا أنّ عبارة التسهيل لا تترّجّق قياساته فهو

(١٠) ابن فارس، المغایر، ١: ٣٣٦.

^(١١) د. أسعد على امتداد المقدمة اللغوية للعلاءلي: ١٧٦.

^(١١) د. صبحي المصطفى دراسات في فقه اللغة: ٢٨٥.

^{١٦} خبرود شلر و مصطفی الشهابي، تعليق على بحث النحت، مجلة عجم القاهره، ج ١٣، ٧٧.

^{١٠} سالم الخصمي، في اللغة والأدب: ٨٧-٨٨.

^(١٥) ينظر: ثلاثة فتاوى حسم المقام في مسألة بحث دشن، ٣٤٠: ٧١١.

^{١٠٣} *بِحُكْمِ الْقَاهِرَةِ - تَفْرِيرُ هَذَا النَّحْتِ - بِهَلْلَةِ بِحُكْمِ الْقَاهِرَةِ* ج ٢: ٦٠٣.

يقول: قد يُبني من جزأى المركب (فَعَلَ) ببناء كلٍّ منها وعينه، فان اعتلت عين الثاني كُملَ البناء بلامه او لام الأول ونسب إليه^(١٩). وفي الصفحة ذاتها ينقل السيوطي منقوع قياسه عن أبي حيان، قال: كمال أبو حيان في شرحه: وهذا الحكم (أي حكم ابن مالك) لا يطرد، إنما يقال فيه ما قاله العرب، والمحفوظ منه: عبْثِنَمِي وعبدري ومُرْكَسِي وغَبْسِي وَتَيْنَتِي^(٢٠).

هذا ما قاله القدماء عن النحت، وهو لا يُقرَرُ قياسيته، فماذا كان من المحظيين؟

إن اللجنة التي شكلها مجمع القاهرة سنة ١٩٥٣ والتي لا تضمُ سوى واحدٍ من اللغويين على ما يبدو من أسماء أعضائها (إبراهيم الحموش ومحمود شلتوت وأحمد زكي ومصطفى نظيف وعبد القادر المغربي)، لم تقتصر قياسية النحت، بل قالت بجوازه في العلوم والفنون^(٢١). وعليه قرر المجمع جواز النحت عندما تجيء إليه الضرورة العلمية^(٢٢). ولعل هذا القرار المقيد كانت وراءه آراءً الأعضاء اللغويين، كالشيخ أحمد الاسكندرى الذى هدى بمعاشرة الجلسة ابن أقرن النحت وسيلة توليد لغوى^(٢٣). وفي سنة ١٩٦٥ وبعد ثالثين سنة من أول طرح لقضية النحت اتخذ مجمع القاهرة قراراً أكثر حسناً يقول فيه: "النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة قديماً وحديثاً، ولم يتلزم فيها الأخذ من كل الكلمات، ولا موافقة الحركات والسكنات، وقد ورثت من هذا النوع كثرة تجيئ قياسيته. ومن ثم يجوز أن يتحت من كل الكلمات أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة، على أن يراعى ما يمكن استخدامه الأصلى من الحروف دون الزائد، إن كان المنحوت أساماً اشتهرت أن يكون على وزن عربي، والوصيف منه بإضافة ياء النسب، وإن كان فعلاً كان على وزن (فَعَلَ أو فَعَلَل)، إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة، وذلك جرياً على ما ورد من الكلمات المنحوتة"^(٢٤).

لقد نجح أنصار النحت بتقييسه على الرغم من الإحساس العام بأن النحت ليس من أصول العربية، بدليل أن ابن جني لم يعده من أصولها ولا من خصائصها فلم يذكره في كتابه (الخصائص)^(٢٥).

أما لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي، فقد كانت أكثر تشديداً في قرارها: "عدم إجازة النحت إلا عند عدم الضرور على لفظ عربى قديم واستثناؤه وسائل تعمية اللغة، على أن تجيء إليه ضرورة قصوى وأن يراعى لي اللفظ المنحوت الذوق العربي وعدم اللبس"^(٢٦).

٣) النحت لدى الخديدين:

لم يكتفى الحديثُ والجدلُ في وسيلة من وسائل التوليد اللغوي كثرة حول النحت. لقد تميز موقفُ أنصار النحت بالجُمُع بين النظرية والممارسة:

^(٢٧) السوطي المهر ١: ٤٨٥.

^(٢٨) المرجع السابق نفسه.

^(٢٩) مجمع القاهرة أقرر خط النحت أولاً مجمع القاهرة ٢: ٦٣.

^(٣٠) مجمع القاهرة أقرر ذات الدورة (١٢) | ملحاً مجمع القاهرة ٧: ١٥٨.

^(٣١) د. عصاد الحسزلي | الحصال مجمع القاهرة: ٣٣٠.

^(٣٢) سلطان الشهابي | المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ٢٠٤.

^(٣٣) د. محمد مطروباً حر كالتربب في العراق: ١٧٢.

^(٣٤) المرجع السابق نفسه: ٨٦.

- ١- يُذكِّر ساطع الحصري في طليعة المدافعين عن النحت وسيلة توليد لغوي، يقول: قلما رأينا إقداماً على الاستفادة من النحت بصورة فعلية، ونحن نعتقد أن الضرورة ماسة لذلك، إننا نعتبر عن كثير من المعاني العلمية بتراتيب متعددة، فإذا كانت هذه التراتيب قصيرة وسهلة فيمكننا أن نستقر في استعمالها على حالها، أما إذا كانت طويلة صعبة فمن مصلحة العلم واللغة أن ننحتها لأجل تسهيل استعمالها وانتشارها^(١). ومن منحوتاته: (قبطاريَخ) مقابل المصطلح الفرنسي (Prehistoirc) أي (قبل التاريخ)، فيقال على مذهبيه: الإنسان القبطاريَخ، وأثار قبطاريَخة؛ وطريقته هنا هي اختيار الظرف، يقول: «وذلك يمكننا أن ننحت كلمات (خارج، فوق، تحت) على شكل: (خا، فو، تج) ونقول: خامنْزَسي وفُوسُوي وتحْشُوري^(٢)» بدل خارج المدرسي وفوق السوي وتحت الشعوري. ويرى ترجمة السابقة الفرنسية (Past) بالظرف (غيب) بدل (بعد) وبالتالي ترجمة ما رَكِب معها بكلمة منحوتة نحو: (غينمنْزَسي وغينجيدي وغيلُون)^(٣). ومن منحوتاته غير الظرفية كلمة (السُّرْمَة) لحالة (السُّرْمَة) في المئام^(٤). وقد حاول الحصري أن يضع قواعد للنحت، مستبطنا ذلك مما ورد عن العرب من نماذجه.
- ٢- ومن أجيئ في الدعوة إلى النحت وأكثر من ممارسته الدكتور صلاح الدين الكواكبي، فهو بحكم تخصصه في الكيمياء كان أكثر تقبلاً لهذه الظاهرة من غيره، يقول: «تفقعني الحاجة الملحة إلى النحت، مثلاً فغل الغربيون في مصطلحاتهم العلمية، لأنني وجئت فيه خلاً للمعضلة وتنسراً لاجتياز العقبات التي تعرّض المؤلف والمترجم، وذلك لمرونة وسهولة الاشتغال والوصفت من الكلمة المنحوتة، وإليكم البرهان في المصطلحات العلمية التي وضعتها نحتاً لما يقابلها من الكلمات الإقليدية وأكثرها مما ألقته الأسماع وشاء استعماله في البيانات العلمية:

حُلْمَهْ : تحليل خلٰي من (خلٰ وإيماهه).

حُمْضَنْتَل : حامض كحول، من (حامض ومتليل).

حُمْضَنْتَيد : حامض الأذيفيد، من (حامض وغوليد).

حُمْضَنْتَلُون : حامض خلُون، (من حامض وخلون).

غُونْسَل : من (غول وعل)، واشق منها (مُغُونْسَل)^(٥).

ثم يعرض الكواكبي في الجزأين ٣ و٤ من المجلد (٣٩) لمجلة مجمع دمشق (١٠٧) منه وسبعة مصطلحات كيماوية منحوتة على هذه الشاكلة.

٣- أما عبد الله لمين فيري أن الكلمة المنحوتة التي توفرت فيها شروط النحت هي عربية على القاعدة التي وضعها المازنزي وتتابعه عليها الفارسي ثم ابن جنی وهي: (ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم)^(٦)..

^(١) ساطع الحصري، في اللغة والأدب: ٨٧.

^(٢) المرجع السابق نفسه: ٨٩.

^(٣) المرجع نفسه: ٨٨.

^(٤) د. مصطفى جواد المباحث اللغوية في العراق: ١٠١.

^(٥) صلاح الدين الكواكبي، النحت والمصطلحات العلمية، مجلة مجمع دمشق ٣٩: ٥٠٨ - ٥٠٩.

^(٦) عبد الله لمين، الاشتغال: ٤٤٦.

ويضيف أن "الكلمة المنحوتة على نحو من الأحاء السابقة هي خيرٌ من استعارة كلمة أعممية بمعناها.. لأنها وإن لم توضع وضعاً لغويّاً أصلياً، فإنها قد وُضعت على أساسٍ عربىٍّ.."^(٣٣) وتطبيقاً لقواعدِ فن التحوّل فقد اقترح بعض المركبات الإضافية أربع كلماتٍ ل Yusuf إلى ترجيح بعضها، فاقتصر:

لفتح السكر : فتحس وفشك وفسك وفكـر.

ولقلم الحبر : قلم وقبر وقلحب وقلبر.

ولبس القار : سقر وستـلـوـسـلـاـر وستـقـ.

ثم عرض بعض منحوتات مجلة مجمع القاهرة في علم الكيمياء نحو؛ كـفتحـسـ لـكـبـرـيـتـرـ التـحـاسـ، وـأـزـكـضـ لـأـزـوـنـاتـ الـفـضـةـ.^(٣٤)

٤- ومن مارس النحو في المصطلحات العلمية لجانٍ مجمع القاهرة ومن منحوتها: (رباط خلقنامي)^(٣٥) نحـتاـ من خـلـقـيـ وـأـمـامـيـ، وـكـالـتـ عنـ الـعـهـارـيـاتـ: (ـلـطـقـنـمـيـاتـ) وـعـنـ الـرـذـعـيـاتـ: (ـلـطـقـنـمـيـاتـ) وـعـنـ رـاسـيـاتـ الـقـدـمـ (ـلـسـقـنـمـيـاتـ). وإن كان مؤتمر المجمع قد ردَّ هذه المنحوتات عندما عرضتها عليه اللجنة المختصة.^(٣٦) ومن منحوتات المجمع (شيتلي) من شـبـهـ قـلـيـ وـخـلـماـ (ـلـخـلـلـ الـمـاءـ، وـلـخـمـانـيـاتـ) من فـحـمـ وـمـاءـ تـعـبـيرـاـ عنـ (carbohydrates).

٥- وقد أفاد من النحو مصنفو معجم الرياضيات المعاصرة، فـفتحـواـ (ـتـاكـلـ)ـ منـ تـشـاكـلـ دـاخـلـيـ، وـنـتـحـتوـاـ (ـلـصـلـطـحـ)ـ (ـلـيـزـوـمـورـفـزـمـ)ـ: (ـتـاكـلـ)ـ وـلـصـلـطـحـ (ـأـتـوـمـوـرـفـيـزـمـ): (ـتـاكـلـ)ـ، وـلـصـلـطـحـ (ـهـيـمـورـفـزـمـ): (ـتـاكـلـ)ـ.

وـعـنـوـاـ عـلـىـ منـحـوـتـاهـمـ يـقـولـهـمـ: "ـوـنـكـونـ بـذـلـكـ قـدـ جـرـيـنـاـ مـعـ الـزـمـلـاءـ فـيـ قـسـمـ الـكـيـمـيـاءـ فـيـ جـامـعـةـ دـمـشـقـ، حـيـثـ اـخـتـارـوـاـ كـلـمـةـ (ـتـاكـلـ)ـ المصـلـطـحـ (ـلـيـزـوـمـورـفـزـمـ)..^(٣٧)

٦- ومن بحث أو كتب مؤيداً استخدام النحو جرجي زيدان في كتابه (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية)، وهو يذهب إلى وقوع النحو في الأفعال والأدوات أيضاً. ومنهم محمود شكري الألوسي في كتابه (بلغ الأرب في معرفة أحوال العرب). وبعد القادر المغربي في كتابه (الاشتقاق والتعرير). ومصطفى صادق الرافعى في كتابه (تاريخ أداب العرب).. د. رمسيس جرجس فيما كتبه في الجزء ١٣ من مجلة مجمع القاهرة عام ١٩٦١. والدكتور أحمد عيسى في كتابه (التهذيب في التعرير).^(٣٨)

أما من عارض النحو فقد ذهب في معارضته مذاهب شتى:

^(٣٣) عبد الله ابنـ الاشتقاء: ٤٤٦.

^(٣٤) المرجع نفسه: ٤٤١.

^(٣٥) بحث القاهر | بجريدة المصطلحات العلمية عدد ٦ : ٧.

^(٣٦) المرجع نفسه: ٩.

^(٣٧) د. محمد شاد الحزاوي | أعمال بحث القاهرة: ٣٣٤.

^(٣٨) د. صلاح الدين وعزم دعيوب | المام حصى | معجم الرياضيات المعاصرة: ٧.

^(٣٩) د. أحمد عيسى | التهذيب في التعرير: ١١٩.

١- فالأب أنساس ماري الكرمي يقول: "ولغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب"^(٢٣); وقال في اعتراضه على خطة المجمع بعد أن ذهب معظم أعضائه إلى قبول النحت في هذا العصر: "لا أرى حاجة إلى النحت، لأن علماء العصر العلسي مع كل احتياجاتهم إلى ألفاظ جديدة لم ينحتوا كلمة واحدة علمية، هذا فضلاً عن أن العرب لم تحت إلا الألفاظ التي يكثر ترددتها على لسانهم، فكان ذلك سبباً للنحت، وأما التي لا يكثر ترددتها على لسانهم، فكان ذلك سبباً للنحت، وأما التي لا يكثر ترددتها على لسانهم فلم يحكموا بيتها"^(٤) وتابعه على هذا الدكتور مصطفى جواد متعللاً معتقداً بأنه "لا يصح التفريط في الاسم باضاعة شيء من أحرفه، كان يقال: (النفسجي) في النفسي الجسمى، أو (النفسجىنى) مما يقصد الاسم عن أصله"^(٤١).

٢- ونجح الجمعي مصطفى الشهابي بمعارضته النحت في استصدار قرار من مجمع القاهرة "بألا مجال للنحت ولا التركيب المزجي في تصنيف المواريد، ولا حاجة اليهما.."^(٤٢). فالمسنجلات أو المسنجلات أو المستويات الأجنبية، وغضّر عنيفات بدلاً من غضرّ وعنيفات الزعاف، وأشباه هذه الرّطبات المستهجنة التي يلجأ إليها بعض المؤلفين لا حاجة إليها بتّة، وكلمتان هنا أصلح بكثير من كلمة نافية تشدّ عن التراكيب العربية ويستغلق فيها المعنى.^(٤٣).

٣- ولا يرى أمين الخلوي النحت من وسائل نماء اللغة، لأن نماءها إنما يكون "بزيادة داخلية ذاتية من كيانها وما زالتها ولا يتعرّب من كلمات غيرها، ولا ينحت مصطفى من كلماتها"^(٤٤).

٤- وكان المعجمي المهندس وجيه السمان ميلًا إلى معارضته النحت على الأغلب، لما في المنحوتات من مجاذفة للدقة والوضوح، وبها أهم خصائص اللغة العلمية، فهو يقول: "وفي اعتقادي أن النحت مستثنى على الأغلب، وينبغي ألا يستعمل إلا عندما تدعو إليه الضرورة، ولا سيما عند ترجمة المصطلحات التي هي مركبة في اللغات الأجنبية"^(٤٥).. ويرى أن بعض الغموض في المصطلح مردّه إلى النحت. وعاد إلى النحت في مقالة أخرى فقال: " وعلى كل حال ينبغي أن يظل النحت قليلاً الاستعمال حديثاً، لأن اللغة العربية لا تنتبه بسهولة؛ وغير المقصود أن يتألف من كلمتين مضادتين أو من ثلاثة كلمات أحياناً، من أن ينحت تحتاً مُستثلاً... ومن العجيب أن بعض أصحاب النظر في اللغة ومنهم الفوا فيها مؤلفات حسنة عالجو النحت، فجاءت منحوتاتهم رديئة سقيمة لا يقبلها أحد"^(٤٦).. واستشهد على ذلك بما اقترح لفخم السكر من منحوتات مثل: فخمن، فسّر، فخشك لفخر ممّا كان ذكرناه.

وممن عارض هذا اللون من الاستنقاق المستشرق (هنري فيلش) الذي أنكر وجود النحت والعمل به في

^(٤٤) د. مصطفى جواد | المباحث اللغوية في العراق: ١٠٣.

^(٤٥) المرجع نفسه: ٨٨.

^(٤٦) المرجع نفسه: ٨٩ - ٨٨.

^(٤٧) مصطفى الشهابي | المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ٦٥٠، ٦٦٢.

^(٤٨) المرجع نفسه: ١٥٧.

^(٤٩) د. أسماعيل | تهذيب المقدمة اللغوية للعلالي: ١٢٥ (عن مشكلات حيّاتنا اللغوية).

^(٥٠) وجيه السمان | الدقة والغموض في المصطلح العلمي | مجلة بمجمع دمشق: ٨٥: ١٤٩.

^(٥١) وجيه السمان | النحت | مجلة بمجمع دمشق: ٣٥٧: ٣٢٩.

اللغة العربية وقال: إن نظام العربية يجعلها غير قادرة على وضع الكلمات المنحوتة بصورة سوية، يمكنها كذلك وضـنـ سوابق ولوـحـقـ جـديـدـةـ، ذلك أن طـرـيقـتهاـ الأسـاسـيـةـ في ابـتكـارـ المـفـرـدـاتـ هي التـخـيرـ الدـاخـلـيـ ..^(٤٢)

لكن مواقـفـ هـؤـلـاءـ العـارـضـينـ كـانـتـ فـيـ غـالـبـيـتـهاـ تـشـتـمـ بالـتـحـفـظـ أـكـثـرـ مـنـهـاـ بـالـإـنـكـارـ.ـ فـلـمـ يـكـنـ رـائـدـ هـؤـلـاءـ المـعـتـضـينـ وـلـاسـيمـاـ الـمـعـرـبـينـ مـنـ الـعـلـمـيـنـ كـالـشـهـابـيـ وـجـيـهـ السـمـانـ رـدـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ كـاتـيـةـ بـلـ التـوجـيـهـ إـلـىـ حـسـنـ اـسـتـخـادـهـاـ كـادـأـ تـولـيدـ لـغـوـيـ،ـ وـلـانـ كـانـتـ أـدـاءـ صـنـيـرـةـ الـأـثـرـ إـذـاـ ماـ قـيـسـتـ بـالـأـدـواتـ السـائـدـةـ مـنـ اـشـتـاقـيـ وـتـضـمـنـيـ وـتـعـرـيبـ ..^(٤٣)ـ؛ـ وـلـيـسـ كـامـ كـيـدـنـيـ مـنـ أـنـهـاـ مـنـ أـكـبـرـ الـوـسـائـلـ الـمـقـضـيـةـ إـلـىـ نـمـوـ الـلـغـةـ وـتـقـدـمـهاـ.

٤) ضوابط النحت وشروطه:

في محاولة لتفعيل هذه الأداة وتحسين مردودها الاشتراكي ووضع بعض اللغوين والمعرفين من الضوابط ما رأوه ضرورياً للوصول إلى منحوت لغوي يخدم الإبانة والإقصاص دون أن يخـدـشـ الأسمـاعـ أوـ الـأـنـوـاقـ ..^(٤٤)
ولقد استعملنا كلمة (ضوابط) بدلاً من قواعد لأنها لا ترتقي إلى أحـكامـ القـوـاعـدـ الـقـيـاسـيـةـ ..^(٤٥)

ومـنـ نـظـنـ أـنـ بـالـسـتـطـاعـ وـضـعـ قـوـاعـدـ النـحـتـ،ـ لـيـسـ لـأـنـهـ لـمـ تـوـضـعـ لـهـ قـوـاعـدـ حـتـىـ الـآنـ ..^(٤٦)ـ،ـ بـلـ لـأـنـهـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ إـيـجادـ قـوـاعـدـ لـلـنـحـتـ يـمـكـنـ تـقـلـيـدـهـ فـيـ كـلـ الـحـالـاتـ ..^(٤٧)ـ..ـ وـمـنـ يـتـابـعـ مـاـ كـتـبـ حـولـ مـوـضـوعـ النـحـتـ فـيـ مـجـمـعـ الـقـاهـرـةـ يـسـتـخـلـصـ "ـعـدـمـ قـوـاعـدـ وـاضـحـ يـعـوـلـ عـلـيـهـ لـوـضـعـ الـمـنـحـوـتـاتـ ..^(٤٨)ـ..ـ وـهـذـهـ الضـوـابـطـ هـيـ:ـ

١- يـؤـخـدـ الـحـرـفـ الـأـوـلـانـ مـنـ الـكـلـمـةـ الـأـوـلـىـ وـالـحـرـفـ الـأـوـلـانـ مـنـ الـكـلـمـةـ الـثـانـيـةـ،ـ إـذـاـ كـانـ الـحـرـفـ الـثـانـيـ فـيـ أـيـ مـنـهـاـ مـعـتـلـاـ تـجـبـرـ عـلـىـ الـحـرـفـ الـثـالـثـ نـحـوـ عـيـشـيـ مـنـ عـبـدـ شـمـسـ وـعـقـسـيـ مـنـ عـبـدـ الـقـيـسـ وـخـتـكـيـ مـنـ حـسـنـ كـيفـاـ.

٢- سـقـطـ هـمـزةـ الـوـصـلـ عـنـ النـحـتـ نـحـوـ مـرـقـسـيـ مـنـ اـمـرـيـ الـقـيـسـ.

٣- سـقـطـ أـلـفـ التـعـرـيفـ عـنـ النـحـتـ نـحـوـ عـبـذـرـيـ مـنـ عـبـدـ الدـارـ.

٤- قد يـؤـخـدـ ثـلـاثـةـ أـحـرـفـ مـنـ الـكـلـمـةـ الـأـوـلـىـ وـحـرـفـ مـنـ الـثـانـيـةـ نـحـوـ تـيـمـيـ مـنـ (ـتـيـمـ اللـهـ)،ـ وـسـنـمـلـ مـنـ (ـبـسـمـ اللـهـ).ـ وـيـلـاحـظـ أـنـ الـيـاءـ قـدـ تـبـيـنـتـ فـيـ (ـتـيـمـيـ)ـ لـأـنـهـاـ لـيـسـ حـرـفـ مـذـ هـنـاـ،ـ بـلـ حـرـفـ لـيـنـ،ـ فـوـمـلـتـ مـعـالـمـ الـحـرـفـ الصـحـيحـ.

٥- المـعـوـلـ عـلـيـهـ فـيـ النـحـتـ هـوـ حـرـوفـ التـركـيبـ الـأـصـلـيـةـ،ـ وـلـذـاـ فـانـ الـضـمـانـرـ وـالـحـرـوفـ الـزـائـدـةـ الـمـتـنـصـلـةـ بـكـلـمـاتـ التـرـكـيبـ تـسـطـعـ عـنـ النـحـتـ نـحـوـ حـسـبـلـ مـنـ حـسـبـيـ اللـهـ.ـ وـسـبـحـلـ مـنـ سـبـحـانـ اللـهـ.

٦- قد لاـ يـؤـخـدـ مـنـ بـعـضـ كـلـمـاتـ التـرـكـيبـ أـيـ حـرـفـ،ـ كـماـ فـيـ (ـحـوـلـقـ)ـ مـنـ قـوـلـهـمـ:ـ لـاـ حـوـلـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ.ـ فـلـمـ يـؤـخـدـ مـنـ لـفـظـ الـجـلـلـةـ أـيـ مـنـ حـرـوفـهـ.

^(٤٩) د. خـمـدـ الـسـجـيـ الـصـيـادـ |ـ الـعـرـبـ وـتـبـيـفـ فـيـ الـوـطـنـ الـعـرـبـ:ـ ٧٦ـ.

^(٥٠) مـعـطـفـيـ الشـهـابـيـ -ـ النـحـتـ فـيـ الـعـرـبـاـ |ـ بـلـغـهـ بـعـضـ دـمـشـقـ:ـ ٣٢٤ـ:ـ ٥٥١ـ.

^(٥١) د. رـمـيسـ حـرجـسـ |ـ النـحـتـ فـيـ الـعـرـبـاـ |ـ بـلـغـهـ بـعـضـ الـقـاهـرـةـ:ـ ١٣ـ:ـ ٦٣ـ.

^(٥٢) مـعـطـفـيـ الشـهـابـيـ |ـ تـعـلـيقـ عـلـىـ بـحـثـ النـحـتـ فـيـ الـعـرـبـاـ |ـ بـلـغـهـ بـعـضـ الـقـاهـرـةـ:ـ ١٣ـ:ـ ٧٧ـ.

^(٥٣) د. خـمـدـ رـشـادـ الـحـمـزاـويـ |ـ أـعـمـالـ بـعـضـ الـقـاهـرـةـ:ـ ٣٢٤ـ.

٧- قد تبقى حروف الكلمتين كلها وتتغير فيما الحركات والسكنات فقط نحو: شَحْطَبْ من (شَقْ خَطْبْ).
وشهدت عن هذه الضوابط محوات مثل: ذَرْبَخِيَّ نَحْتَهُ من دار الْبَطْيَخِ، وسَقْرَتَهُ نَحْتَهُ من سوق مازن،
وكان الصابط يقتضي (ذَرْبَطِيَّ وَسَقْرَتِيَّ)^(٥١).
ومهما كانت ضوابط النحت فلابد من توافق شروط هي:

- ١- الا يلتقي في الكلمة المنحوتة حرفان متافارقان كالذال والسين والهاء والعين، مما سنذكره مفصلاً في فصل التعريب، وأضاف بعضهم أن يكون في الكلمة الرباعية أو الخامسة حرف من حروف الذالاتة^(٥٢). ونرى أن هذا يعود لعرف التركيب المنحوت منه، وغالباً ما يتواجد هذا الشرط، لأن احتمال غياب حرف من حروف الذالاتة^(٥٣) التي هي أكثر من خمس حروف الهجاء العربي، من تركيب هو أمر نادر، نحو قوله: (قطْنَسَتْ) لعلية قطع الصائب- مثلاً- قياساً على من نحت (قطْشَرَة) لعلية قطع الشريان^(٥٤).
- ٢- مراعاة الوزن العربي، وهو وزن (قتلل) لل فعل الرباعي، أما الاسم فقد يأتي على أي وزن عربي تستدعيه الحاله النحوية، فقد يأتي على (قتلل) نحو (جَبَرَ) من حب القر، وهو البزد، أو (غَلَلَة) نحو البذكة والنكلة من (بِلَادِ كَيْفَ)، ومن قولهم في العصاب: (فَذَلِكَ يَكُونُ كَذَا)، أو (فَتَلَلَ) منسوباً نحو عيشمي، أو يغدو نحو جلوَرَ من جوز وبلوز، أو فَتَلُولَ نحن مشتَلُوزَ من مشمش ولوَزَ ...
- ٣- مراعاة ترتيب حروف كلمات التركيب المراد النحت منها، ولذلك أذكر ابن حمبة أن تكون (الحرولة)
نَحْتَهُ من قولنا (لا حول ولا قوة إلا بالله) لأن الترتيب يقتضي أن يقال: حَرَلَة. أما العروكلة فهي مبنية
الشيخ الصعييف^(٥٥)، على أن (العروكلة) أجزيت وشاعت. وعيَّب على الخطاجي ذكره (الطبقة) نَحْتَهُ من
(اطل الله بقائمك)، لأن الترتيب يقتضي أن يقال: (الطبقة)^(٥٦). كما خطىء من قال (الجفقة) نَحْتَهُ من
(جعلت ذاك)، وإنما هي (الجففة) بحسب ترتيب الحروف ولتسوية عدم للتزامهم الترتيب نسبوا إلى أحد
العلماء قوله: إن عدم الترتيب يكون ثقناً^(٥٧).
وعلى الجملة فإنه لم يوضع ضابط أو شرط إلا وقد خرق.

٥) موقفنا من النحت:

أما نحن فإننا ننكر مع الشيخ أحمد الاسكندرى أن يكون النحت وسيلة توليد لغوي، ونؤيد بأنه كان وسيلة
لختزال ليس غيره، وأنلتنا على ذلك ما يلى:
١- ابن فارس أكبر القائلين بالنحو، لم يعده وسيلة توليد بل وسيلة اختصار إذ قال: "العرب تحت من

^(٥١) بجمع الفتحة؛ تثبيط هذه النحت أصلة بصلة بجمع القاهرة: ٧: ٢٠٢

^(٥٢) عبد الله أمين | الاستفهام | ٢٢٤

^(٥٣) حروف الذالاتة هي (ف- ر- م- ل- ن- ب). وينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين: ١: ٥١ - ٥٦

^(٥٤) د. رسميس حرجوس | النحو في العربية | أصلة بصلة بجمع القاهرة: ١٣: ٦٦

^(٥٥) بجمع الفتحة؛ تثبيط هذه النحت أصلة بصلة بجمع القاهرة: ٧: ٢٠٢ وينظر المزهر | ٤٨٣ | ١١ ..

^(٥٦) المرجع السابق نصف: ٧: ٢٠١

^(٥٧) المراجع نفسه: ٧: ٢٠١

التراث العربي

كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار^(٥٩) وكل المحوّلات المتداولة - ومعظمها من بعد عصر الاحتياج - لم يكن فيها معنى جديد، وإنما هي اختصار لتركيب طويل مأثور كان يقال: عَنْتَمِي بدل (عبد شمسى)، أو هي وسيلة لازالة اللبس كان يقال (بِهِشَّمِي)^(٦٠) بدل قوله: (ابو هاشمى) نسبة إلى (أبو هاشم) أحد أصحاب الفرق.

٢- إنّ ما استقرت عليه العربية هو الجذر الثالثي، وقد صارت الثلاثية من خصائصها، عليها بنيت معاجمها، وعلىها بنيت ميزانها الصرفى، وعلىها بنيت تقاليلها الستة عند من يعتقد بها، وتأسّس بها لمعرفة معانى كلمات غريبة من الجذر ذاته. إن السليقة العربية أو الذهن العربى سرّعـان ما يتّجاـإ إلى هذه الثلاثية لمعرفة الدلالات العامة لكلمة ما، فعندما يمر بكلمة مثل (الذالات) مثلاً، يردها غرـونـا إلى الثلاثي (لـاد) الذي يعطيه المنطق الدلالي وما تحمله من معنى اللجوء إلى الشيء أو التزوع إليه أو الاحتماء به. وكذا عندما يسمع كلمة (منزـعـة) فإنه يردها عـغـرـيـاًـ إنـ كـانـ لاـ يـعـرـفـ معـناـهـاـ إلىـ الجـذـرـ الثـالـثـيـ (درـعـ). هذه الطريقة من التحليل فرضتها خصائص اللغة العربية على الذهن العربى. من هنا تبدأ مشكلتنا مع المحوّلات في أنها كـنـزـ لهـذهـ اللغةـ فالـأـسـلـانـ العـربـيـ عـنـدـهـ يـعـرـفـ بكلـمـةـ مثلـ (الـقـخـرـ)^(٦١) لا يجد سبيلاً لفهمها إلا إعلانها إلى الثلاثي فيجد ألمـهـ (فتح أو نـقـرـ) وإنـ هذهـ الجنـورـ ماـ لـادـ للـاحتـ من تحـمـيلـهاـ معـنـىـ (نقـلـ الحـرـوفـ)ـ منـ اللـفـقـاتـ الـأـجـنبـيـةـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ وـكـذـاـ لـوـ مـنـ بالـحـيـةـ (صلـكـ)^(٦٢)ـ فـانـ ذـهـنـهـ سـيـنـصـرـفـ إـلـىـ الـجـنـورـ (صلـكـ، مـكـلـ)ـ وـأـقـىـ لـهـ لـمـ يـعـرـفـ أنـ مـرـادـ الـلـاحـتـ بـهـ هـوـ (استـنـاـصـ الـكـلـيـةـ)ـ قـدـ يـعـتـرـضـ عـلـيـنـ بـاـنـ شـرـحـ الـمـصـطـلـحـاتـ بـيـنـ الـمـرـادـ مـنـهـ، وـجـوـلـيـاـ لـأـنـاـ نـوـلـدـ كـلـمـاتـ جـدـيـدةـ لـفـهـمـ وـتـبـيـنـ، وـمـتـىـ الـمـوـلـدـ لـفـطـ حـسـارـيـاـ أوـ مـصـطـلـحـاـ إـلـىـ تـعـرـيفـ فـقـدـ مـسـنـغـ تـوـلـيدـ وـهـوـ الـإـضـاحـ وـالـتـبـيـنـ، وـمـنـ أـهـمـ شـرـائـطـ الـلـفـظـ الـمـوـلـدـ لـأـنـ يـشـفـ وـلـوـ يـسـرـاـ عنـ دـلـالـتـ.

٣- إن في النحت خروجاً على الخاصية الأساسية في اللغة العربية وهي الخاصية الاستثنائية، لأن النحت تركيب لصقى، وتخلّل المحوّل بعنة فهمه لا يمكن بررجةعه إلى جذوره وبنائه، بل بررجةعه إلى جُزْءَى أو أجزاء التركيب؛ وإن الغرب عندما أرادوا التعبير عن المعاني المركبة لم يلتجروا إلى النحت بل إلى الاستanca، لقد قالوا مثلاً (أشـفـرـ) لـمـ كـانـ غـزـيرـ لـلـشـعـرـ أوـ كـثـيـهـ، لكنـ عـنـدـمـ أـرـادـواـ أنـ يـقـرـرـواـ أنـ كـثـافـةـ الـشـعـرـ فـيـ الرـأـسـ قـالـواـ (شـغـرـاتـ)، وـلـمـ يـقـولـواـ (شـغـسـيـ أوـ شـغـرـسـيـ)ـ نـحـتـاـ مـنـ شـعـرـ وـرـأـسـ. كـمـ يـذـهـبـ بعضـ دـعـةـ النـحـتـ الـمـعاـصـرـينـ.

٤- إن عقد مقارنة بين مصطلحات محوّلة وأخرى مركبة وصفياً أو إضلياعاً يتيّن ما هو أدخل في العربية منها. لقد وضع الأستاذ عبد الحق فأضل مجموعه مصطلحات حول صياغة الطبيعة في المجلد^(٦٢) من مجلة اللسان العربي بطريقتي النحت والتركيب الإضافي والوصفي، لكان مالي^(٦٣):

^(٥٩) ابن فارس - الصاغر: ٢٢٧. والزهر ١٤٨/١.

^(٦٠) د. سليم النعيمي | النحت | جملة المجمع العربي: ٢٣ - ٩٠.

^(٦١) د. شهد رشاد الحمزاوي | أعمال مجمع القاهرة: ٢١٣.

^(٦٢) د. رحيم حرسن | النحت في العربية | جملة مجمع القاهرة: ١٤٣ - ٦٦.

^(٦٣) د. جعفر العساد | النحت | ملخص دستن ٢٥٧: ٣٥٦.

المصطلح الأجنبي	المصطلح المضاف	المصطلح المنحوت
geospheric	الأغلفة الأرضية	كرة أرضية - الأغلفة الأرضية
ecosystem	النظام الطبيعي	نظام بيئي - التوظيف الطبيعي
population density	كثافة السكان	كثافة سكانية - الكثافة السكانية
endemic	نوع مستوطن	مستوطن - وباقي - نُعْطَان
natural factor	العامل الطبيعي	العمقية
non renewable resources	المصادر الطبيعية اللامتجدة	المصطلحة الجديدة

وعلى القارئ أن يحكم بنفسه على النحت طريقة توليد وأداة تعبير، بالقياس إلى التركيب الوصفي أو الإضافي. إن ما رأيناه من أشكال النحت جعلنا نظن أن الناحتين يريدون إبطال المركبات الإضافية والوصفية، وهي قياسية ولا تحصى في لغتنا، وتعميضاً بصياغاتٍ نحيثة ما ثبت منها في لغتنا لا يجاوز العشرات.

ـ إن أهم وظائف الكلمة هي الإباهة والتوضيح بل هي مهمة اللغة إجمالاً. وما رأيناه من المنحوتات أو معظمها يلغى هذه الوظيفة الدلالية الميسورة للكلمة. وإن وضوح الدلالة في بعض المنحوتات ليس مردّه إلى وضوح المنحوت بل إلى أحد مرين:

ـ إنما أَلْفَهُ بعض المركبات أو العبارات المنحوتة منها وتكرارها على الآنسنة، مما يجعل ذكر جزء منها يستدعي معناها، وذلك كالنحوتات: بِسْمِ وَحْقِنَّ وَغَبْقِسِي.

ـ وإنما أَلْفَهُ العروض المحدودة من المنحوتات كما في قولنا (کھرطیسی)، وكلما قل الحذف كان المنحوت أوضح دلالة. ولعل هذا علة قبول بعض المنحوتات الظرفية كقول الحصري (قتاريغ)^(١) نحنا من قبل التاريخ) و(شیلوغ) نحنا من (غيبة البلوغ)، فلم يختلف من هذين التركيبتين الإضافيين إلا حرف واحد هو اللام من (قبل) والباء من (غبة).

ـ كلما ابه كلما قل الحذف من جزأى التركيب المنحوت منه كان معنى المنحوت أوضح، وانعدام الحذف يوصلنا إلى التركيب المزجي الذي هو أوضح دلالة من النحت، فالنفسجنسني أوضح من النفسجي، نحن لا نقول بالتركيب المزجي خاصية من خصائص لغتنا، لكنه نوع من التركيب العربي المعبرة، وإن كانت أهميته ضئيلة جداً في لغتنا العربية بالقياس إلى التركيبين الوصفي والإضافي، ذلك لأن ما ورد منه لم يتجاوز أسماء أعلام كحضرموت وبعلبك، فهو يمثل متأارك مرحلة لغوية قديمة على الأرجح. لكنه على ما فيه، فهو أسلم مركباً عند الضرورة من النحت.

ـ إذا كان مسوغ النحت عند القائلين به هو قابلية المنحوت للاشتقاق والتصريف، فإن هذا الاشتقاء لن يمس دون إشكالات، فلو أردتنا أن نشقق من (ماغرل) فعلاً لوجب أن نقول (منغل)، فماذا يقى من هذه الكلمة

^(١) ساطع الحصري في اللغة والأدب: ٨٩.

مثًا ينم عن أصلها؟ ثم لا يفرز هذا الاشتقاق كلمة ملتبسة مشتركة مع الفعل الممكن اشتقاقه من اسم العلم (المُغفول). نحن لا ننكر وجود المشترك النظري كما قدمنا، لكننا ننكر أنه إذا كان يمكننا تجنبه فإننا خيراً ن فعل. ثم هنا أردنا الاشتقاق والتصريف من النحية (نقضنة) بمعنى نقل الأصوات عند ناجتها، فهل نقول (نقضن) أم (نقضني)؟ وهل في العربية أدنى من هذا البناء، أو مثل هذا البعد بين لفظ الفعل وما أريد له؟ ولو أردنا أن نشق من النحية (المترجعين)^(١٥) فعلًا، أو نعيدها إلى أصلها فهل نقول (تُترجع)؟ ومن هنا يمكن أن يقدّر أن معنى هذا الفعل هو: سأك مسكنك سكان البروج العاجية؟

-٨- أما ما شرطه بعض الباحثين الوسطيين من وجوب تحكيم الذوق اللغوي في المنحوتات، فما ندري من يملك المقدرة على تقدير الأذواق وتبييز ما تقبله الأذن العربية مما تقرّر منه. إن بعضاً من كبار لغويي العصر لم تلت منحوتاتهم ظوا أكثراً من الرفوف.

مُجمل ما خلصنا إليه أن النحت أداة اختصار واقتزال لا أداءً توليد لغوي، وإذا حملتنا الضرورة على رکوبه فما أوعره من مركب! يوoid موقفنا هذا أن المصطلحات المنحوتة في ثلاثة معجمات صادرة عن مكتب تنسيق التعریب هي معجم الفیزیاء ومعجم النفط ومعجم الطب لا تضم إلا (١٣) ثلاثة عشر مصطلحاً منحوتاً من مجموع (١٢٣٢) أحد عشر ألفاً ومترين واثنين وثلاثين مصطلحاً، بنسبة لا تكاد تذكر، تقارب من الواحد بالآلف^(١٦). وليس إنكارنا للنحت سببه أن ما ورد من منحوتات عربية لا يتجاوز السنتين كلمة، وإن كانت عند بعضهم إلى مئة وثلاث، وأن هذا العدد ليس من الكثرة بحيث يقاد عليه، إذ إننا لا ننكر أبداً القياس على القليل في وضع المصطلحات، بل نحن مع ذلك كما قدمنا؛ ولكن سببه أن أهم خصائص اللغات هي الإبارة والتوضیح، ولاسيما اللغة العلمية، وأيًّا مسلك لغوي يتعارض مع الإقسام والوضوح فهو حرٍّ بالتخلي عنه.



^(١٥) د. إبراهيم السامرائي أنته اللغة المقارن: ١٥٥ - والكلمة المنحوتة هي لبعض الكتاب الخديفين.

^(١٦) د. وجيه عبد الرحمن اللغة ووضع المصطلح | مجلة اللسان العربي ١٩١٩: ٧٣.

أهمية لغات الشرق القديم

(اللغات السامية)^(١)

دراسة النحو العربي

دراسة تطبيقية على (المفرد والمعنى والجمع)

الدكتور: إلياس بيطار

جامعة دمشق

للت دراسات اللغوية المقارنة أن عدم استقرار (مفرد) الجنس (المذكر والمؤنث) في **اللغة** قواعد النحو العربي قد انعكس سلباً على ظاهرتي (المعنى) و(الجمع) ظهرتتا بصورةتين فلقتين وغير مستقرتين في اللغة العربية^(٢).

(المفرد)

تفرق اللغات السامية - بشكل عام - بين المفرد المذكر والمفرد والمؤنث فتجعل المذكر دون لاحقة محددة (zero morpheme) في حين إنها تجعل للمؤنث لاحقة خاصة (Special morpheme) تعود في الغالب إلى نظام للتصنيف معدّ جداً^(٣).

^(١) المقصود بلغات الشرق القديم: اللغة العربية وشبيهاتها كالآكادية والأوغريبية والعبرية والأرامية. أخ. وهي ما زالت تنسى حتى اليوم في كتب اللغة (اللغات السامية) وقد استعملت هذه العبارة في المقالة كمصطلح ليس إلا، ويشأ يتم الاتفاق على مصطلح بدليل عن (اللغات السامية) في جميع أنحاء الوطن العربي.

^(٢) انظر كتاب: التطور النحوى للغة العربية، حاضرات القاعا فى الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ بر جشنوارى، آخر جد وصحى وعلق عليه د. رمضان عبد الواب، الماخن بالقاهرة، والرافعى بالرباط، ١٩٨٢ من ١١٢ وما بعدها.

^(٣) ذهب بعض المؤرخين العرب كذلك، إلى أن ظاهرة المذكر والمؤنث لا تجري في اللغة العربية على قياس مطرد، والمعول عليه في ذلك هو النساع. انظر نقدمة الدكتور رمضان عبد الواب لكتاب اللغة ل ابن الأباري ٤٩ - ٥٠.

و هذه اللاحقة هي (الباء) المسبوقة بالفتحة (-اً) (٤) تفصل بين المذكر والمؤنث في (اللغات السامية) على النحو التالي:

مذكر	مؤنث	
Šarr- u ^(٥) (ملك)	شُرْ	شُرْتُ
al (إله)	الـ	اللاتُ illātu (الله) ^(٦)
Tahītī ^(٧) (سيء)	تحتى	تحيت Tahītī (سيئة)
bīšē ^(٨) (سيء)	بيشا	بيشتا bīshṭā (سيئة)
bīssī ^(٩) (رجل)	ببسي	بنسيت bīsīt (امرأة)
malik	Malikat	عربية

لكتنا نرى أن شكل المؤنث في اللغات السامية قد ينافي في القانون المعمول به ليصبح قانوناً أوسع وأشمل بشكل يتحول معه كل من التذكير والتأنيث إلى ظاهرة لا تحددها قواعد (اللغات السامية) الناظمة لها،

(١) هذه اللاحقة الدالة على التأنيث موجودة أيضاً في اللغة المصرية القديمة (-سـ) ابن: ١٤٠ - ابنية.
 (٢) كلمة (شُرْ) الأكادية، يعني (الملك). تقابل من الناحية الاشتقاقية في اللغة العربية (الشيء) من الثرة، أي العزة و كثرة المال وانعدامه من الناس. وفي الصحاح عن ابن السكikt: يقال إنه لذر ثورة و زراء براد به (ذر عدد و كثرة مال)، قال ابن مقبل لقلت إحدى جراج الجرّ من أثر ثورة من رجال لو دلتهم.

(٣) illātu: اللات الأغريقية، زوجة الإله الأكبر (إيل) وهي إحدى كبريات الآلهة في الميكل الأغريقاني السامي وربما هي التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مع (العزى). ان لمزيد اللات والملوك) (الصحيف ١٩).

(٤) كلمة (تحتى) الغورية، يعني (سيء، و منحط) تقابل من الناحية الاشتقاقية في اللغة العربية (تحتى) جمع تحوت، الأذال والسلفة. وفي الحديث (لا تقوم الساعة حتى تظهر التحوت، وتنهك الرعوب) قال ابن الأثير أصل حلول الثوت (مفرد تحتى) الذي هو ظرف، أسماء، فادخل عليه لام التعريف، وجده.

(٥) كلمة (بيش) السريانية، يعني (سيء). تقابل في اللغة العربية من الناحية الاشتقاقية (بنيس) من البؤس والشقاء. قال الفرزدق: وبضاء من أهل المدينة لم تذق بنيساً. ولم تُتبَع حُنُولَةً مُجْعِدَةً

وعذاب بنيس وبنيس، دينيس، شديد. وفي التنزيل العزيز (بعدناب بيس، عما كانوا يفستون) (الغراف ١٦٥). وبنس = حموز فعل حماج بنوع الفم.

(٦) كلمة (بنسي) الآثورية، يعني (رجل) تقابل في اللغة العربية من الناحية الاشتقاقية (بنس) يعني (الرجل) الشجاع والشديد البطل من حذر (بؤس). قال الشاعر ربيعة بن مقرن الشعبي (بنوس) القروض وفاته بها

وربما كان سبب ذلك أن هذه الظاهرة تعود تاريخياً إلى المرحلة التي لم يكن فيها الجنس قد ترك دلالاته الواضحة على قواعد (اللغات السامية)، ولذلك أنها مرحلة سابقة فترة الاستقرار التحوي.

١- فمثلاً نرى أن التأنيث يحدد:

آ- بوساطة ألف ممدودة متبوعة بهمزة وزن (فُلَاء) مؤنث (الفعل).

ذكر	مؤنث	
اصغر	-	صغراً
طوب	طوب	طوباً (طيبة)
بيش	بيش	بيشاً (سينية)

ب- أو بوساطة الألف المقصورة وزن (فُلَى) مؤنث (الفعل) مثل صغرى مؤنث (أصغر).

صغرى	-	
(١١) <i>عشرة</i> "csr̩"	عشرى	عشرى
(١٢) <i>عشر</i> "osr̩"	عشرى	عشرى

ج- أو بوساطة الياء المفتوح ما قبلها (ay) مثل سلمى.

ليلي	-	
(١٤) <i>سيدة</i> "śaray"	ساراي	ساراي
(١٥) <i>علطة</i> "tu'yay"	تعيني	تعيني

(١١) تقتصر العربية والسريانية على الألف الممدودة فقط (ي) لعدم وجود المزدوجة في كل منها.

(١٢)

في العربية والسريانية تمال ألف (فُلَى) فتصبح (ي).

(١٣) بينما نرى في الألحقة (٦) في الإنجيلية لا تدل على التأنيث فنونه.

(١٤) كملة (عيري) في العربية والسريانية تعنى (المدد) (١٠). موجودة في اللغة العربية بنفس النطق والمعنى (عشر) ولكن بعد إيدال السنين شيئاً حسب القاعدة.

(١٥) إن كملة (ساراي) العربية تعنى تقابل في اللغة العربية من الناحية الاشتراكية (السر) فرج المرأة. وبهال: الشخص السرياني أي المهدان جاء في حاشية (أبا العروس)، وشاده قوله لا يعتمد إلى سري ليهلا

وإلى ما شاء من لليمدا

(١٦) جذر كملة (تُبَيَّن) السريانية وهي تعنى (تردّ وتعلّج) (يُلْجِئ). يقابل في اللغة العربية من الناحية الاشتراكية جذر (تُفَخَّن): بهال تفخن في الكلام، إذا تردد من حصر أو غيره.

ومن الحديث (الذي يقرأ القرآن ويستمع فيه له أمان) أي يتردد في قراءته ويهدى منها لسانه. وتُفَخَّن. الكلمة. بهال: رؤوفوا في تفخن، أي في أزاحيف وخلط نقله المهوسي.

٢- و تعرض اللغات السامية أسماء مذكورة لكن لها لاحقة مؤنثة مثل:

خليفة	ḥalifat	-	عربي
اسم علم مذكر	qəħċel	قوهلهة	عربي

٣- وهي بالمقابل تعرض أسماء مؤنثة لكن دون لاحقة مؤنثة:

أرض	ard	-	نفس	nafs	-	عربي
أرض	*erçəs	إِرْصَنْ	نفس	nepçəs	نَفْشَة	عربي
أرض	ar̥a	أَرْعَا	نفس	napsa	نَفْسًا	سرياني

في حين أنتنا نجد أن اللغة الأكادية في هذه الحالة ترتبط بلحقة مؤنثة كما في الكلمتين (napištu) - (نَفِيَشْتُو) - (crseltu) - (إِرْصِنْتُو) ^(١٦).

٤- كذلك نرى أن (اللغات السامية) تعرض سلسلة من الأوزان الاسمية تظهر على نحو جلي في الأكادية ^(١٧) وهذه الأوزان يظهر بعضها (صيغة المؤنث) وبعضها الآخر (صيغة المذكر)، لكن كلا الوزنين يستعمل للمذكر والمؤنث في آن واحد فمثلاً لدينا في الأكادية:

معنى مشترك	مؤنث لفظاً	معنى مشترك	مؤنث لفظاً	مذكر لفظاً
عربي وواسعة	رفشت	rapaštu	عربيض وعربيضة	رَفْشُ
مسكن	مشكنت	maškantu	مسكن	مَشْكُنْ
مواجهة مقابلة	تمخارو	tamħärtu	مواجهة مقابلة	تَمْخَارُ
اقتران	تقربتو	taqrublu	اقتران	تَقْرُب

^(١٦) واضح أن كلمة نفس العربية موجودة بنفس النطق والمعنى في السريانية والعبرية والأكادية والمرية ولكن بعد إيدال العين شيئاً (أكادي، عربي، سرياني، نفس) عربى نفس، كذلك كلمة (أرض) العربية، ولكن بعد إيدال الضاد صاد: لعدم وجود حرف الصاد إلا في اللغة العربية ولذلك سميت لغة الضاد، مع ملاحظة ظهور الصاد إلى العين في السريانية. (أكادي . عربي . أرض > سرياني . أَرْعَا > عربي . أَرْضَ).

^(١٧) سلسلة الأوزان الأكادية:

	وزن المؤنث		وزن المذكر
غيرت	qibirt	غير	qibir
مغيّرت	maqbarat	مغيّر	maqbar
تغيّرت	taqbirat	تغيّر	taqbir

^(١٨) كلمة (رَفْش) الأكادية، يعني راسع وعربيض. موجودة في العربية بنفس النطق والمعنى. جاءه في (الشاج) [رَفْشَ نِي الشَّيْءِ] رَفْشَا : أَسْمَى. أما كلمة (مشكّن) فهي تقابل (سكن) العربية . و فعل (مَشْكُنْ) الأكادي ، يعني (راح) وقابل (موجود) في

٥- كذلك نرى هذه الظاهرة في العربية أيضاً^(١٩)

معنى واحد	مؤنث لفظاً	معنى واحد	مؤنث لفظاً	مذكر لفظاً
انتقام	بَقَاماً neqāmā	انتقام	نَقَامٌ naqām	naqām
منزل ودار ^(٢٠)	نَعُونًا ncōnā	منزل ودار	نَاعُونَ naūn	naūn

ونلاحظ في العربية ظاهرة شبيهة بذلك مثل أب رؤوف ورحوم. وأم رؤوف ورحوم. وامرأة حامل ورجل علامة الخ...^(٢١)

٦- إن أسماء أعضاء الجسم المزدوجة في (اللغات السامية) هي بشكل عام مؤنثة على الرغم من أنه لا يوجد في نهاية كلها علامة للثانوث.

أكدي	عبرية	سريلانية	أوغاريتية	حبشية	عربي
aẓnu	עַזְנִים	aẓnā	aẓn	אֶזְנָה	اذن

٧- الأعداد من (٣ - ١٠) في (اللغات السامية)^(٢٢) تستعمل (مؤنثة) دون أن تلحق بها علامة الثنائيث: (خمس نساء) وتستعمل (مذكورة) على الرغم من وجود علامة الثنائيث فيها: (خمسة رجال)^(٢٣).

المrerية بنفس النقطة والمعنى. جاء في (التابع) تغيرت السفينة تَسْهُرْ وَتَسْهُرْ مَسْهُرْاً مَسْهُوراً، أي استقبلت الريح في حرفيها. واستمر الفرس الرياح . قالها. كاستعرها وتسهرها : قال الراعي يصف الذئب

يَسْهُوُ الْرِّيحُ إِذَا مَيْسَعَ
يَسْهُوُ الْرِّيحُ إِذَا مَيْسَعَ

^(٢٤) أن التذبذب في تحديد المذكر والمذكر في اللغات السامية قد انعكس على صياغة الجمع في مرحلة لاحقة، لأن جمع التكبير غير الواضح الصياغة والمعنى - كما سرى- هو محللة لكلمات غير واضحة الجنس في (اللغات السامية) وإن كثرة لوزان معنى التكبير قد يكون أحد أسبابها كثرة لوزان الملوث في (اللغات السامية).

^(٢٥) الجذر العربي (نهم) موجود في اللغة العربية بنفس النقطة والمعنى. أما (ناعون) العربية، يعني، بيت أو دار أو ملحاً .. إيجي من مصدر (عن). وهو يقابل في اللغة العربية جذراً بنفس النقطة والمعنى أيضاً (عنن) ومنه المثل بالضم أي (المطردة من الخشب) تكون على ياب الرجل، خبس فيها الإبل والضيم . ومن كلام العربي : (لا يجتمع الثان في عننة) بجمع عنن . قال الأعشى:

وَرَطَبَ يُرْتَعِنُ فِيْقَ الْقَنْ

^(٢٦) انتظر متقدمة ذلكور رمضان عبد الوهاب لكتاب (المليحة) لابن الأباري ص ١١٤ - ١١٥ وجاء في القرآن الكريم: الأعراف ٥٦/٧ إن رحمة الله تقرب من الحسين" وللغرب تقول أيمهنا: امرأة قبيل وصيف.

قال جمل بطيئة:

فَخَنِي كَمَا كَنَّا نَكُونُ وَانْتَمْ صَدِيقَ وَادِّي هَا تَلْلَيْلِينْ ذَهَبْد

^(٢٧) يستعمل معدودها مؤنثاً عندما تكون مذكورة ويستعمل معدودها مذكرأً عندما تكون مؤنثة.

^(٢٨) انتظر المخصوص لأن سيدة ٩٨٥ (باب العدد) حيث يقول:

- قد تستعمل علامة التأنيث في اللغات السامية لا لتحديد الجنس فحسب ولكن لتحديد المعنى أيضاً.

أسماء غير مؤنثة		أسماء مؤنثة	
(زبنا) zabnà	- زبنا (فترة)	zebattà - زبنا (وقت)	السريانية العبرية العربية
(أسطول) òni	- أونيا (سفينة)	òniyyà - أونيا (سفينة)	
Waraq	(ورق)	waraqatu (ورقة)	
Yamma	= يمّنا (بحر)	Yammclà = يمّينا (بحرة)	السريانية العبرية العربية
malòn	مالون (خان)	mclùna - ملونا (كوخ)	
bahr	(بحر)	bahrat (بحرة)	
أسماء غير مؤنثة		أسماء مؤنثة	
صوفي		صوفية	العربية العبرية السريانية
بالـ' - أربع (مسافر)	orchà - إريحا (قلعة)	orchà - إريحا (قلعة)	
Şufiy (صوفي) ^{١٠}	şufiyat - صوفية (صرفية) ^{١١}	şufiyat - صوفية (صرفية)	

وهكذا نرى في جميع (اللغات السامية) كلمات مشتركة لها مؤنث في معناها وليس من لفظها مثل رجل ولنش وحمار وأنان^{١٢} الخ.....إن توع عمل اللاحقة التي تدل على المؤنث تطرح تساؤلات عما إذا كانت قد وجدت أصلًا للمؤنث أم أن دلالاتها على التأنيث هي بحد المهم التي أسلندت إليها فيما بعد ضمن نظام تصنيف متعدد ومعد لهذه اللاحقة لكن مما لا شك فيه أن عدم استقرار المذكر والمؤنث انعكس سلباً على ظاهرة المشى في (اللغات السامية) عامة والعربية خاصة لكان (المتش) ظاهرة غير ثابتة، أو محدودة، تتراجع بين التردّد والاحتتمال.

(...) وما بعد الآتيين من أيام العدد من ثلاثة إلى عشرة تختلف هذه التأنيث فإذا كانت للذكر لأن أصل المعد رأوه بالاء والماذكر أو كل فعل على ما يحافظون عليه في كلامهم وتنتزع منها الماء فإذا كان للمؤنث فجاري الاسم مجرري عنان دغتاب وغواه من المؤنث الذي لا علامة فيه للتأنيث....).

إذ كلمة (زبن) السريانية يعني المقدوة أو الوقت تقابل في اللغة العربية من الناحية الاستثنائية كلما (زمن) بعد الإبدال اللفظي. أي (قلب الميم باء . زمن > زبن) تقاربها في المعرج للتفظي. أما الكلمة الموربة (أربّي) يعني (سفينة) يقابل في اللغة العربية من الناحية الاستثنائية (إباء ، وآية) مع الأعنة بدون الاعتبار (التطور الدلالي) للكلمة بين المتنين العربية والموربة، عبر الزمن ، وبالطبع المترافقها . أما كلمة (أربّي) الموربة ، يعني مسافر، فهي من جنر (راح) يعني رحل وسافر الموجود في اللغة العربية بنفس اللطافة والمعنى.

غداً غدو أو راح به فهو

وأنت الذي عجزتْ أشك داصل

^{١٠}) المترجم المذكور في الحاشية رقم (٣) ص. ١١١

(الثانية)

لعل في مقتولنا القول: ابن (التنية) ظاهرة (عربية - سامية) قبل كل شيء، صحيح أنها موجودة في اللغتين اليونانية واللاتينية^(١١) ولها آثار في اللغات الجرمانية^(١٢) لكنها تتجلّى في أوضاع أشكالها في (اللغات السامية) عامة، في الأكديّة والأغريقية والعربية بشكل خاص.

- ترد كلمة (الثنين) تسمية لليوم من أيام الأسبوع وكذلك في أسماء الأعداد أما (الاثنين) بكونها علمًا على يوم من أيام الأسبوع، فهي من الأسماء العربية الإسلامية لأن العرب في جاهليتهم لم يطلقوا تسمية لكل يوم من أيام الأسبوع كما فعل الفرس وإنما أطلقوا على كل ثلاثة أيام من كل شهر من شهورهم اسمًا واحداً مستوحى من حال القمر وضوئه فيها^(١٣) وكانوا يسمون يوم الاثنين (أهون وأهون وأهون وأهون وأهون وأهون...)^(١٤)
 - أما (الاثنين) بكونها من أسماء العدد فربما تكون نقطة البدء لكن لاشك أن قسمًا من (اللغات السامية) بما فيه العربية قد ضاع^(١٥) لذلك لا يجد الباحث مادة وافرة يتخلّص منها أدواته وأسبابه في البحث ليتوصل إلى رسم صورة واضحة وجلية لعديد من الظواهر التي ما زالت غامضة في اللغة العربية حتى الآن. على أية حال تبقى كلمة (الاثنين) بكونها من أسماء العدد مادة ذات صور كثيرة في معجمات العربية. لكن المعنى الأصيل للمادة هو وجود شبيهين أو طرفين متلازمين ومن هذه الفكرة جاء الفعل (ثني) في كل (اللغات السامية) بمعنى (طوى ولوى) فصار الشيء كأنه ذو شقين.
 - لكن المعنى الأصيل للمادة هو وجود شبيهين أو طرفين متلازمين ومن هذه الفكرة جاء الفعل (ثني) في كل اللغات السامية بمعنى (طوى ولوى) فصار الشيء كأنه ذو شقين.
- فتلاً في:

الأكادية	العربية	السريانية	التركية	الفارسية	الإنجليزية	الروسية	التركية	العربية	الإنجليزية	الروسية
شانو	شانو	شنا	شنا	شنا	شنا	شنا	شنا	شنا	شنا	شنا
-	ثني	tana	ثنا	تُوْ	two	دو	شنا	شنا	شنا	شنا

لكن دراسة (اللغات السامية) تدلّ أنه يوجد لهذه الكلمة مفرد من لفظها ومعناها، ففي الأكديّة ترد صيغة واحد (stci) للذكر و (stct- stiat) للموئنث.

وقياساً على ذلك يمكن الافتراض أن الكلمتين (ثني) و (شنان) للعربيتين لسماً مفرداً لم يلقه الاستعمال هو (فن)^(١٦).

^(١٦) Gesenius, Hebrew Grammar (oxford) P. 244.

^(١٧) Grim's Grammar 2nd. cd.. p. 814.

^(١٨) البيروني، الآثار الباقية طبعة ساخو ليسك ص ٦٢ - ٦٤.

^(١٩) ابن سيد، المحسن مع ، السفر الناجع، ص ٤٢، الأيام والليل والنهار للقراء، ص ٦.

^(٢٠) قال أبو عمرو بن العلاء (ما انتهى إليكم ما قالت العرب إلا أله ولوجهكم وإنما انتهى إليكم علم وشعر كثير) ابن الأباري نزهة الأنبا، ص ٤٣.

^(٢١) يقول ابن سيد في المحسن مع ، السفر الناجع، ص ٤٢:

”الثانية للأشان كانت تسمى الاثنين من الشنة والله وصل كابن على ما هو عليه قبل التسمية والجمع أشاء كانوا جمعوا أشان كابنه رحكي سببته أنا من العرب من يقول اليوم الذي ثُمِّر على لفظ الإفراد“ أظن أن صواب الكلام في نص ابن سيدة هو على ما هو عليه قبل التسمية بدليل السياق.

٣- وقد شجع على هذا الافتراض تثنية الكلمة (كل) في اللغات السامية بواسطة الألف فتراءها تصبح في:

	كل (٢٣)		كلا	العربية
كانتا	kl̩alā	كانتا	kl̩ā	في الأوغاريتية
كليتيم		kilayyim		في العبرية
كيلاتي	Kilāty	كيلاتو (المذكر) kilātw		في الجبشية

٤- المثنى في اللغات السامية وضع في الأصل للدلالة على الزوج في الطبيعة كالأعضاء المزدوجة في جسم الإنسان وأسماء الأدوات والملابس المزدوجة (٢٤)... الخ غير أنه أصبح فيما بعد يعبر عن التثنية مطلقاً، لكن المثنى بكونه موضوعاً نحوياً يبرز، بشكل واضح، وفي جميع حالات إعرابه (الرفع والنصب والجر) إلا في (اللغات السامية) العتيقة المكتوبة بالخط المسمراني كالأكادية والأوغاريتية إضافة إلى اللغة العربية المكتوبة بالخط الأبجدية، وإن دراسة هذه الظاهرة في تلك اللغات تبين أن عالمة الرفع فيها كانت عبر التاريخ الألف والنون (in) وأن عالمة النصب كانت الألف الممالة والنون (en) وأن عالمة الجر كانت الياء والنون (im). ويمكن تصور علامات المثنى في الأكادية والأوغاريتية والعربية على الشكل التالي:

جر	نصب	رفع	علامات إعراب المثنى	
الياء والنون in	ألف ممالة ونون ēn	ألف ونون ān	أكادية	أوغاريتية
الياء والميم im	ألف ممالة وميم ēm	ألف وميم ām	أوغاريتية	
الياء والميم im	ألف ممالة ونون ēn	ألف ونون ān	عربية	قياساً

مثالاً:

علامة الجر (الياء)		علامة النصب (الألف الممالة)		علامة الرفع (الألف)					
شررين	Šarrīn	شررين	Šarren	شرّantu	Šarrānū	أكادية	شرزو	Šarrū	Šarrū (ملك)
طابيم	ṭabīm	طابيم	ṭab̩mī	طابام	ṭab̩mī	أوغاريتية	طبّ	Tābū	طوب
هذين	hadīyn		hadēni	هذ(ه) ن	hadāni	عربية	هذا	hadā	هذا

لكن التمييز بين حالي النصب (en) والجر (in) قد ضاع فيما بعد في الأكادية والأوغاريتية وربما في

(٢٣) قال أهل المعرفة: أن الألف في (كلا) و(كل) للثنية والباء للثانث (ابن الأباري. الانصاف المسألة ٦٦).

(٢٤) انظر المخصوص لأن سيدة، مع، السفر ١٣ (كتاب للتبيات، باب ما جاء مني من أسماء الأحناس وصفاتها).

العربية (قياساً) وسيطرت الياء والنون (in) على الألف المعللة أي (in) > (iii) وابتلعتها لأنها الحركة الأقوى وبذلك صارت [(الياء والنون). (in)] علامة النصب والجر في الأكديه والأوغاريتية والعربية بينما بقيت (الألف والنون - in) علامة الرفع (34)، لكن الياء والنون عادت فسيطرت مع مرور الزمن أكثر وأكثر حتى نراها في بعض اللغات المتأخرة تسبباً كالآرامية والفينيقية والعبرية بتلّع الألف والنون أيضاً لتصبح هي المسيطرة على حالات الإعراب (35) كافة.

- ٥- أما في العربية فلم يبق من حالات نصب المثلث بالألف المعللة (e) إلا رواسب كتابية قليلة، ونادر (36) جداً ولكن نظراً طبيعة الكتابة العربية التي لا تملك رسمًا لمثل هذه (الألف المعللة) (37) كتبت آنفًا عاديّة مثل (ان) هذان ساحران يريدان أن يخرجواكم (طه ٦٣) والأصل فيها (ان (هذا) ن) لساحران) قياساً على الأكديه والأوغاريتية التي لا يوجد نظام كامل لجميع حالات إعراب المثلث إلا فيها.

- ٦- لكن البحث في هذه الظاهرة اللغوية يؤدي إلى القول: إن ظاهرة المثلث التي برزت في العربية منذ أقدم العصور وحتى الآن لم تكن ظاهرة ثابتة القواعد محددة الصورة فمثّم تردد وتراجيع في صيغة المثلث نفسه وهي صيغة الفعل الذي أُبتدأ إليه فلم يتحمل هذا الفعل ضمير المسند إليه على هيئة التثنية ولترخيص القول أكثر يمكن أن نشير إلى بعض الحالات التالية في اللغة العربية :

- أ- في الضمائر المنفصلة اختفى ضمير المتكلم من المثلث واختفى أيضاً التمييز بين المذكر والمؤنث بالمقارنة مع المفرد والجمع.

متكلم للجنسين	أنا	؟	نحن
مخاطب	ذكر	أنتما	ذكر أنتم أنتمن
غائب	ذكر	ما	هم
	مؤنث	للذكر والمؤنث	هن

(34) Sabatino Moscati: An Introduction to the comparative Grammar of the Semitic languages P. 93 Wiesbaden 1980.

(35) تخلصت ظاهرة المثلث في اللغات السامية كبيرة حتى نراها في الآرامية والفينيقية والعربية تستعمل على نطاق ضيق جداً وفي شروط خاصة وقد سيطرت الياء المفترض ما قبلها لتشمل كل حالات الإعراب فصارت علامة الرفع والنصب والجر آخر بينما نرى المثلث قد اختفى في كل من السريانية والجشية ولم يعد يظهر في السريانية إلا في المثلثين (tartan - الشان و tartan - دانتان) وكذلك (malten)، وفي الجشية أيضاً لنظام (Klātū) - كلاتو، (Klātē) - كلاتي، (dē) - بدان).

(36) من الملاحظ أن المثلث المعللة لم تخترق قبل أن تترك آثارها الواضح والمائي حتى الآن وهو (الفتحة) قبل باء المثلث في معظم اللغات التي اختلفت منها مثل العربية والآرامية والغربيّة متعددة بذلك الياء القراءة التي تخرّج المحرف الذي قبلها عادة، مما استدعي وجود ما يسمى (تون الوقاية) في اللغة لتلّاع حرف المثلث الذي تستعمل في آخره الياء.

(37) تملّك العربية ثلاث حرّكات طوبية هي (الألف والواو والياء) وثلاث حرّكات قصرية هي (الفتحة والضمة والكسرة) ولا تملّك حرّكة كافية (إبلالة - e) بالرغم من وجودها في تقاليد القراءات القرآنية.

وقد نتج عن هذا غموض واضح في الإسناد إلى الأفعال فعبارة (نحن نلعب) مثلاً تستعمل المثنى والجمع. وعبارة (أنتما تلعبان) تستعمل للذكر والمؤنث في حين أن الضمير (هما) يستعمل للذكر والمؤنث معاً. لكن في حالة الإسناد يفرق بينهما فتقول (هما يلعبان) (هما تلعبان)

بـ- فعل الأمر في حالة المثنى: لا يفرق بين المذكر والمؤنث فتقول:

جمع	مثنى	مفرد	
العبرا	العوا	العب	مذكر
العين	للمذكر والمؤنث	العي	مؤنث

جـ- وكذلك هو الأمر في حالة ضمائر المثلثي (المتعلقة) فنرى أن ضمير المثلثي (المتكلم) قد اختفى. كذلك اختفى التمييز بين المذكر والمؤنث في المخاطب والغالب بالمقارنة مع المفرد والجمع.

الضمير	مفرد	مثنى	جمع
متكلم (الجنسين)	اسم: كتابي فعل: ضربني	اسم: كتاباً فعل: ضربنا	(٢٨) ؟
مخاطب	(ذكر) كتابك / ضربك (مؤنث) كتابك / ضربك	كتابكما / ضربكما للذكر والمؤنث	ذكر / كتابكم / ضربكم مؤنث / كتابكن / ضربكن
غائب	(ذكر) ضربه / كتابه (مؤنث) ضربها / كتابها	كتابهما / ضربهما للذكر والمؤنث	(ذكر) كتابهم / ضربهم (مؤنث) كتابهن / ضربهن

د- وقد نتج عن هذا غموض واضح في الاستناد إلى الأسماء والأفعال فعبارة (كتابنا) أو (ضربينا) مثلًا تستعمل للمعنى والجمع وعبارة (كتابكما) أو (ضربيكما) تستعمل لخطاب المذكر والمؤنث. وتستعمل عباره (كتابيهما) أو (ضربيهما) للغائب المذكر والمؤنث...الخ.

٧- لذلك لو فحصنا أقدم النصوص العربية التي يطمئنُ إلى صحتها لرأينا أن المثنى لم يكن ثابتاً القواعد.

آ- فمثلاً في قوله تعالى: «لأن السموات والأرض كانتا رتقة ففتاهما»^(١) نرى أن أحد المتعاظفين، وهو مسند إليه، في حالة الجمع بينما الفعل وهو طرف في الاستئناد قد تتحمل ضمير التثنية.

بـ- أما في قوله تعالى ﴿كَلَّا الْجِنَّتُنَ اتَّأْكَلُهَا﴾^(١٠) فلم تتم المطابقة وقد خرجهما النحويون بقولهم إن لفظ (كلا) و(كلنا) مفرد. وقد حمل على اللفظ في هذه الآية.

^(١٨) مثلك الأوغاريتية نظاماً كاماً للاختصار التسلل في الشيء ففي حين نرى العبرية تفتقد (مثى) المثلث نرى الأوغاريتية بالمقابل تملك مثني لكل من المتكلم (u) والمعاطب (kumati) والغائب (hunni) لكننا لا ندرك كيف يلتفظ الغائب المنفصل بين المتكلم لأن

^{٢٣} الفصل السادس: تأثير العوامل الجغرافية والبيئية في التغير المناخي، دراسة مقارنة بين مصر والسودان، بحث علمي، دار المعرفة، القاهرة، ٢٠١٥.

^٩ الآية، ٤٠، دانظر أبو عبيدة حکای القرآن ص.

^{٤١} الكهف، ٣٢، انظر السرد على حسب الموضع ج ١ ص ٤١.

جـ- أما في قوله تعالى: «هذان خصنان اختصنوا في ربهم»^(١١) فقد أُسْبَد الفعل إلى ضمير الجمع المذكر دون أن يُسْتَدِّ إلى ضمير الاثنين وبنك لم تحصل المطابقة، وهذا وجه من وجوه الكلام في الأسلوب القرآني.

د- وفي قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُلُوَا أَيْدِيهِمَا﴾^(١٢) حصلت المطابقة بين المسند والضمير في كلمة (أيدي) لكن كلمة (أيدي) نفسها جمع وليس مشتى.

هـ- أما في قوله تعالى: «وَإِن طَّافُتَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَاصْلُحُوا بَيْنَهُمَا»^(١٣) فلم تحصل المطابقة لأنَّه أنسَدَ الفعل إلى ضمير الجمع المذكر، والضمير في الظرف هو ضمير المثني.

و- أما قوله تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَلِلأرْضِ أَتَيْتَ طُوعًا أَوْ كُرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^(١١) أُسند فعل (قال) إلى ضمير المثنى إشارة لقوله (لها) وللأرض (لها) ولكن هذا المثنى وصف بوصف الجمع المذكر العاقل في قوله (طائعين).

ما نقدم نخال إلى القول: إن المثنى في جميع (اللغات السامية) ظاهرة غير مستقرة بشكل عام من ناحية القواعد وقد انعكس هذا على التطبيق لذلك كان تقليل المثنى محصلة طبيعية لتقليل قواعده. على أية حال يبدو أن العربية كانت حتى زمن نزول القرآن تتدخل (المثنى) في حيز الجمع وقد عومل كذلك في أمثلة كثيرة من القرآن الكريم كما ظهر من العرض السابق.

-٨- أما ألف الإملاء (٤) فقد كانت علامة للنصب في المثلث في مرحلة ما من مراحل تطور اللغات المسماة بالآكديية والأوغاريتية ثم العربية قبل أن تبتلعها الياء نهايياً لتصبح هي علامة النصب والجر كما يلي:

جر	نصب	رفع	أكادي أوغارتي
in	én	ān	عربي

أكادي أوغارتي عربى	رفع	نصب وجر
an	ān	In

هذه الألف الممالة (٤) صارت تكتب ألقاً طويلة (٥) في العربية فيما بعد، ربما لعدم وجود رسم خاص للألف الممالة فيها. وقد أدى إلى هذا الطمس عدم رجوع النهاية الأولى إلى (اللغات السامية) لتبني التطور اللغوي للغة العربية مما أوجد كثيراً من الغموض في تفسير الرواسب التي تعود إلى تلك الفترة الانتقالية، أي مرحلة تحول علامة النصب في المبني (٦) التي تكتب الفاء، إلى ياء. خاصة عندما شرع مولاء النهاية

١٩ (۱۱) اخج،

^٩ المائدة، ٣٨، وانظر أبو عبيدة، بحاز القرآن ص.

١٤٢

三

يقوس اللغة على نفسها ويفسرونها بنفسها بدل أن يستعينوا بعلم النحو المقارن وباللغات السامية) شقيقات العربية.

وإذا كانا نغفر للنحاة الأوائل هذا نتيجة ظروفهم الخاصة وطبيعة المرحلة التي عايشوها فكيف لنا أن نغفره للغويين المحدثين خصوصاً بعد أن كشفت الحفريات الحديثة منذ مطلع هذا القرن لغات لم تكن معروفة قبل مثل (الأكادية- والأرامية- والأيلاتية- والأوغاريتية- والفينيقية..الخ). وهي كلها شقيقات للغربية وخير مساعد لها، وبعد أن وفرت المطبع الحديثة معاجم (اللغات السامية) ومصنفات لقواعدها مفهورة ومبوبة وجاهزة وهي تنتظر من يبحث عنها. فإذا رجعنا إلى الآية الكريمة (إن هذان لساحران) مثلاً نجد في كتب اللغة أن القراء كانوا وما زالوا يختلفون. وهذا يرفع ما ينصبه ذلك، وذاك يخصن ما يرفعه هذا^(٤٠) وقد حار الأوائل في تعليم هذه المشكلة، فزعم بعضهم أن في القرآن لحننا فقد روى أبو معاوية محمد بن خارم القميي السعدي المترافق ١٩٣ للهجرة عن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه عن عائشة أنها قالت (ثلاثة أحرف في كتاب الله هن خطأ من الكتاب: قوله (إن هذان لساحران)^(٤١) وهذه قراءة ابن كثير ومحض، أما أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر فقد قرأ (إن هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة وقد قرأ ابن مسعود (إن هذان لساحران) بفتح همزة ابن وهي بمعنى (نعم)^(٤٢). وقرأ أبي (إن هذان لساحران) بإسكان نون (إن) وقد تكلم التحويون في هذه واعتلونا الكل حرف منها^(٤٣). فقال بعضهم ببناء (هذان) وقال غيرهم بإعرابها^(٤٤)...الخ.

والقضية برمتها كما قلنا قضية تاريخية كانت فيها الألف الممالة في العربية^(٤٥) علامة النصب في المتن كما في الأكادية والأوغاريتية لكنها كتبت فيما بعد في العربية ألقا طويلة لعدم وجود رسم للألف الممالة في لغة الصاد.

٩- وقد بقىت في العربية رواسب من ذلك التاريخ السحيق لتلك الفترة الانتقالية التي تعود إلى وقت كانت فيه الألف الممالة^(٤٦) هي علامة النصب قبل أن تطغى عليها الياء غير الآية الكريمة (إن هذان لساحران) والتي أصلتها (إن هذ(ن) لساحران). ويمكن أن نذكر في هذا السياق بيتين من الرجز.

- (أحبْ مِنْكَ الْأَلْفَ وَالْعَيْنَاتِ)^(٤٧) وأصلها (والعيت^(٤٨) نا).

- (إنْ أَبَاهَا وَأَبَاهَا قدْ بَلَقَا فِي الْمَجْدِ غَایتَاهَا) أي (غايت^(٤٩) ها).

- أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان^(٥٠) أي (الدرهم^(٥١) ن) و(ثوب^(٥٢) بـ) ... إلى آخره.

أما إذا كان التاريخ الذي بين أيدينا لم يتكلم عن تلك المرحلة الغابرية فربما للة

^(٤٠) المطربي، نصيير ج ١٧ ص ١٦٠.

^(٤١) ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص ٥٠ - ٥٢.

^(٤٢) الزمخشري، الكشاف ج ٢ ص ٢٧.

^(٤٣) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص ٣٦.

^(٤٤) الرضي الأسترابازي، شرح الكافية ج ٢ ص ١٧٢.

^(٤٥) الرضي الأسترابازي، شرح الكافية ج ٢ ص ١٧٢.

^(٤٦) ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ص ٥٠. ابن فارس، المصاصي من ٢٠ الذي في تأويل مشكل القرآن ص ٥٠ هو (... وهي للة

بلمرث بن كعب يقولون: مررت برحيل وفاقت منه درهمان، وجلست بين يده وركبت علاء...).

المصادر التي تبين تاريخ اللغة العربية ومسيرة تطورها وتتطور لهجاتها.

وقد عرفا أن شيئاً كثيراً من هذه الأسانيد قد ضاع وغُيّ على الزمان أضاف إلى ذلك سوء تحري الرواة للهجات العربية مقيدة باليمن أو الإقليم وأخيراً محاولة إراسء اللغة العربية على هيئة لغة الم cedar الأول للإسلام ممثلاً بالقرآن والحديث واهتمام المسلمين بهذه اللغة، غيره عليهم وتعصبوا لهم.

١٠- على أية حال، لقد تناولت في اللغة العربية عناصر كثيرة من مادة اللهجات الإقليمية ولعل جانباً منها من هذه الخلافات الإقليمية يدور في كتب القراءات وربما لو تمت إعادة دراسة اللهجات العربية في ضوء اللغات السامية لأثبتنا بعلم وفخر عن تاريخ اللغة العربية، نحن بأمس الحاجة إليه وقد يعنينا على حل بعض الإشكالات التي كانت مثار خلاف عبر التاريخ بين النحاة عامة ليس في مسألة (المتى) وإنما في مسألة (الجمع) أيضاً.

(الجمع)

تعتبر الجموع في اللغة العربية من المسائل المعقّدة ولعل الافتقاء بما جاء في كتب النحو ولللغة حول هذه الظاهرة غير واف أو محقق للغرض الذي يصبو إليه علم النحو المقارن، لأن تدوين علوم اللغة العربية وصيغورتها على هذه الصورة من النضج لم يكن إلا في عصور متاخرة بالقياس إلى تاريخ اللغة الطويل، فقد جاء أن الذي وضع النحو هو أبو الأسود الدولي^(٤٢) (المتوفى ٦٨٩/٦٩) وهذا يشير إلى أن اللغة طاعت مراحل طويلة بحيث لم تسلم للغوي سليقة، التي كانت تعصم لسانه من الزلل، أضاف إلى ذلك أن اللحن والجمعة كاتا قد تسربا إلى العربية حتى قبل هذا العصر.

نهاها (صهيب بن سنان التمري) وهو من صحابة رسول الله(ص) كان ينطق العربية متاثراً باليونانية لأن البيزنطيين كانوا قد اختطفوه وهو صبي فتاز بذلك لسانه^(٤٣).
وما قيل عن صهيب، قيل مثله عن سحيم عبد بن الحسّاح الشاعر أنه كان يرتضخ لكنة حبشية^(٤٤)
ربما كانت حبشية أو نوبية.

أما اللهجات فقد قضى عليها القرآن الكريم حيث يكشف الستار لأول مرة عن عالم فكري تحت شعار التوحيد لذلك لم نستطيع تحديد زمنها وإن يكن عهدها بها قدّيماً جداً لكن كتب اللغة تشير إلى أجزاء من هذه اللهجات لا تزلف إلا علامات يسيرة لها، وهي لا تتعذر العناصر الصوتية ولا تتجاوز مسائل الإبدال، على أن هذه لا ترسم صورة واضحة المعالم للغة الإقليمية، ولم يعدها علماء العربية شيئاً جديداً فالسيوطى يحشرها في باب (الرديء المذموم من اللغات)^(٤٥) كالكشكشة والكسكسة والتلتلة والعنعنة والفحخنة والعججه وغيرها، وهم لا يتفقون في نسبة كل من هذه إلى أصحابها الذين جرت ألسنتهم بها، فالعنعنة التي هي لغة قيس وتميم عند السيوطى، تعرض في لغة قضاعة عند الشعالي^(٤٦) وفي اللسان غير هذا ، وربما علقوا لهجة

^(٤١) الجمحي: طبقات ١٦ ياقوت: إرشاد ٢٤٠ / ابن الأباري، فتحة الآباء ٣-١٣.

^(٤٢) ابن حجر الإسحاقى ١٩٥٢، وقد جاء في البيان والنبيون ٧٢١ أن صهيباً كان يقول: إنك طافن، يريد إنك خائن. (أى هالك).

^(٤٣) ابْحَاطَ، الْبَيَانُ ٧١١، وَانْظُرِ الْكَاملُ ٧٦٨٢ (ط. الدالى).

^(٤٤) السيوطى المزهراً ٢٢٦١ وما بعدها.

^(٤٥) الشعالي فقه اللغة (ط. بيروت) من ١٠٧ (في حكاية الموارد التي تعرض للكتابة العرب).

على واحدة لا تتعادها إلى غيرها، ومن ذلك (الاستطاء) في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد، وقبس، والأنصار فهم يجعلون العين الساكنة ثونا إذا جاوزت الطاء مثل (أطي) في (اعطى) لكن (أطي) بالثون كلمة عربية أصلية ولم يليست لهجة بدليل وجودها في (اللغات السامية الأخرى) (بالثون) أيضاً مثلاً.

أكديَّة	أوغارتيَّة	عُبْرِيَّة	لَبَنِيَّة	سُريَانِيَّة	عَرَبِيَّة
نَدَانٌ	نَدَانٌ	n̄n	n̄n	n̄tan	نَنَنْ
n̄dānu	n̄dānu	نَنَنْ	n̄n	n̄tan	نَنَنْ

ولعل هذه، ملبيّن أن موضوع اختلاف اللهجات في الأكاليم والقبائل العربية غير متيسر للباحث.

١- غير أننا نستطيع أن نرصد عناصر لغوية قديمة جداً احتضنت بها اللغة العربية قد تدل على اختلاف اللهجات المحلية، ومن هذه العناصر (مادة للجمع) ولا سيما ما اصطلاح علماء اللغة على تسميته (جُمُوع التكسير) أي أن تجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغة الجمع^(٢).

والمتبع للأصول العربية قد يجد شيئاً غريباً في هذا الباب فالجـ (بكسر الحـاء) وتعني المحبوب تجمع على (أحـابـ) (وحيـانـ) (بكسرـ الحـاءـ) وـتـسـدـيدـ الـبـاءـ) (وـجـيـبـ) (جـيـبـ) (بـكـسـرـ الـحـاءـ) (وـحـبـ) (ضمـ الـحـاءـ)^(٣). ولعل في هذا ما يدل أن هذه الصيغة ما هي إلا روسـبـ لهـجـاتـ متـعـدـدةـ.

٢- لكن كثرة صيغة جمـوعـ التـكـسـيرـ في اللغة العربية ونموـها وتطورـها، أكثرـ من جـمـوعـ (الـلـغـاتـ السـامـيـةـ) الأخرى تـشـكـلـ ظـاهـرـةـ تـسـتـرـيـةـ تـأـثـيـرـ الـتـأـلـيلـ وـالـنـظـرـ وقد تكون لها في اللغة العربية جـذـورـ أعمـقـ منـ الـاكتـفاءـ بالـقولـ بـتـعـدـ الـلـهـجـاتـ،ـ لكنـ قـبـلـ الغـوصـ فيـ جـمـوعـ التـكـسـيرـ منـ الضـرـوريـ أنـ نـمـرـ عـلـىـ الجـمـعـ المـذـكـرـ السـالـمـ.

٣- لاشـكـ أنـ الجـمـوعـ السـالـمـةـ قدـ أـنـتـ فيـ مرـاحـةـ تـالـيـةـ لـمـرـاحـةـ التـخـيـطـ الجنـسـيـ وـدـمـ اـسـتـقـارـ المـذـكـرـ وـالـمـؤـنـثـ الذيـ وـلـدـ جـمـوعـ التـكـسـيرـ أيـ فيـ مرـاحـةـ صـارـ الجـمـعـ لـهـ يـصـاغـ بـإـضـافـةـ لـاحـقةـ عـلـىـ مـفـرـدـهـ مـذـكـرـاـ كانـ مـؤـنـثـاـ بـحـيثـ لوـ حـذـفـ عـادـ الـاسـمـ سـالـمـاـ كـانـ وـهـذـهـ الـلاحـقةـ هـيـ وـاحـدـةـ فـيـ الـلـغـاتـ السـامـيـةـ وـيمـكـنـ تصـورـهـاـ عـلـىـ الشـكـلـ التـالـيـ:

اللاحقة	الأكادي	أوغارتي	عُبْرِي	سُريَانِي	حِبْشِي	ملاحظات
الرفع	شُرُوُنْ	رُفُومْ	حـصـانـ	سـيـهـ	عـادـلـ	فيـ العـبـرـيـةـ وـالـسـريـانـيـةـ
النـصـبـ وـالـجـرـ	شـرـيـ	رـفـيـئـ	سـوـسـ	سـيـسـ	صـدـيقـ	سيـطـرـتـ الـيـاءـ وـالـعـيـمـ عـلـىـ جـمـيعـ الـحـرـكـاتـ بـيـنـماـ فـيـ الـحـبـشـيـةـ سـيـطـرـتـ الـأـلـفـ وـالـثـوـنـ.

^(١) انظر التطور النحوي، بـرـحـزـاسـرـ، صـ ١٠٦ـ وـ ماـ بـعـدـهـ.

^(٢) الإنسان وـالـتـاجـ مـادـةـ (جـيـبـ).

ويبدو أن نهایات الجمع هذه هي نتيجة لامتداد (الضمة) في حالة الرفع (والباء) في حالة الجر بينما نرى أن (الفتحة) قد ابتدت إلى الألف في حالة النصب لكنها دمجت - فيما بعد - مع (الباء) في حالة النصب وبذلك احتلت الباء علمي النصب والجر.

٤- لكن الأكديّة تعرض مرحلة قد تكون مفتوحة من (اللغات السامية) الأخرى وهي مرحلة بده تحول (الألف) إلى (باء) ثم اندمجها فيها أي الفترة التي بدأت تمثيل فيها الألف نحو الباء، لذلك نرى في التصوص البabilية والassyورية المتأخرة أن علامات جمع المذكر السالم في الأكادية هي^(٩)

شُرُو	šarrū	<	شُرُو	šarru	نـ - الألف	الرفع
شُرُو	šarré	<	شـ	šarra	ـــ - الألف الممالة	النصب
شري	šarri	<	شـ	šarri	ـــــ - الباء	الجر

٥- لم يبرز جمع المذكر السالم في جميع حالات إعرابه (أي الرفع والنصب والجر) إلا في (اللغات السامية) العتيقة المكتوبة بالخط المسماوي كالأكديّة والأوغاريتية بالإضافة إلى اللغة العربية وإن دراسة هذه الظاهرة في اللغات السابقة تبين أن علامة الرفع كانت عبر تاريخ هذه اللغات الواو والنون (in) وأن علامة النصب كانت الألف الممالة (e) وأن علامة الجر كانت الباء (i).

جر	نصب (الممالة)	رفع	علامات إعراب المثنى
ـــــ - الباء	ـــــ - الواو - نـ	ـــــ - الواو - ئـ	
ـــــ - الباء - i	ـــــ - الواو - ئـ	ـــــ - الواو - ئـ	
ـــــ - الباء - e	ـــــ - الواو - نـ	ـــــ - الواو - ئـ	

٦- لكن التمييز بين حالتي النصب (e) والجر (i) قد ضاع فيما بعد في الأكديّة والأوغاريتية وربما العربية (قياساً) وشرعت في هذه الفترة الحركة الأقوى تسيطر على الحركة الأضعف، فسيطرت الواو (n) على الإملاءة (e)، أي تحولت الألف التي هي في تاريخنا اللغوي علامة النصب في جمع المذكر السالم في مرحلة ما من عمر اللغة العربية قياساً على الأكديّة، إلى إملاءة ثم إلى باء (e < e < i).

وقد بقىت بعض الشواهد النادرة التي تعود إلى تلك الفترة (أي المنصوبة بالألف الممالة) التي كتبت بالياء لعدم وجود حرف للإملاءة في العربية مثل:

يوم النخيل غارة ملحاحا^(١٠)

نحن اللذون صبحوا الصليحا

وقوله تعالى (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى) وكذلك قوله تعالى: (وَالْمُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتَنُونَ الزَّكَاةَ)^(١١).

^(٩) An Introduction to the comparative Grammar of the Semitic Languages S. Moscati, Wiesbaden 1980 P. 87.

^(١٠) ابن عثيمين، شرح الآية ٦٣/١
^(١١) سورة المائدٰ، ١٩٦، وسورة النساء، ١٦٦، وانظر نازيل مشكل القرآن لابن تبيه من ٥٦ وما بعدها. كذلك يرى ابوالهمس أنه في كتاب (أسرار اللغة) من ٢٥٦ أن هذا الجمّع صيغتين موزعين بين القبائل التي كانت تؤثر صيغة على أخرى، فنهما من يؤثرون

٧- لا يمثل جمع التكسير المرحلة التي كانت فيها اللغة تعامل المذكر والمؤنث بالصيغة نفسها ولم يكن له قواعد محددة ولاضحة (اصياغة) كل جمع للسلم بتوعيه لذلك ضيّعت هذه الكثرة للكثرة من التكسير علماء اللغة والنحو الاقميين. فنکروا أن جمع التكسير ما تغير بناء واحده كرجل وأفراد^(١) لكنهم جعلوا (ركب) (وقد) من أسماء المجموع ولو أنها من (راكب) (ولقد) واعتبروا ما كان مفرده باتفاقه التي تشير إلى الواحدة من أسماء الجنس^(٢) وذهب ابن عيسى إلى أن صيغة جموع التكسير لبنيّة جمع على حسب واحده فإذا كان الواحد خفيفاً، قليل الحروف ثلث حروف جمعه وحركات تكسيره، وإذا تقل الواحدة وكثرت حروفه، كثر ما يلحق جمعه، بما ذكرنا، من أن الجمع بزيادة على الواحد^(٣). وقد قال جماعة من اللغويين إن الجمع فكرة مودها أن الزيادة في المعنى تعتمد على الزيادة في البناء^(٤) كذلك حار علماء اللغات الأوربيون في صيغة جموع التكسير هذه وطريقة بنائها فاعتبر بعضهم أن هذه الصيغة أسماء مفردة تضمنت معنى الجمع^(٥) وذابت جماعة إلى القول: إن القطع الذي يدخل حشوها في المفردة هو الذي يولد صورة الجمع^(٦) ومنهم من رأى أن الجمع في (اللغات السامية) عامة كلمة مجردة (abstract) الجنس (nature)^(٧). لكن البحث المقارن في نحو (اللغات السامية) يمكننا من القول: إن جموع التكسير التي تترافق بين التذكير والتائيث في اللغة العربية تتفق مرحلة بدائية جداً من تاريخ هذه اللغة وعمرها، لم يكن الجنس فيها بعد قد ترك دلالته الواضحة وبصماته المميزة على قواعدها.

٨- يصاغ جمع التكسير بوساطة استعمال ميزان مختلف عن ميزان الكلمة في المفرد. ويمكن أن يعتبر إحدى طواهر (اللغة السامية) الأم لأن أوزانه مستعملة في جميع (اللغات السامية) ولكن استعماله بشكل نظامي وواسع لا يوجد إلا في العربية والأوغاريتية والآثوبية^(٨). لكن توجد في العبرية والسريانية والأكديّة بعض الآثار المهمة والنادرّة لجمع التكسير.

الملاحظات	المفرد			جمع تكسير			عبري
	روكيب	rökcb	ركب	rkccb	ركب	ركب	
واضح أن الجمع قد تم بتغيير صورة.		räkib		rakbu	rakbū	rakbū	عربي
المفرد وليس بإضافة لاحقة على الاسم	قرية	qaryat	قرى	qirā	qirāt	qirāt	

الصيغة بالوار في كل الحالات مثل (قبيلة تم). ونفهم من يوثرون الصيغة بالباء مثل (سكان الخزان و منهم قربن) ثم خص النساء الصيغة الأولى بالمعنى والصيغة الأخرى يحملن النصب وأخْرُجْ^(٩)

^(١) الرضي، شرح الكافية ١٩٠، ١٢.

^(٢) سيبويه الكتاب ٢٣٢.

^(٣) ابن عيسى: شرح المفصل ١٥١٥.

^(٤) البيضاوي: تفسير (الطبعة الأوروبية).

^(٥) Wright, Arabic Grammar, London. 1862.

^(٦) Dillmann. Grammatik der oethiopischen sprache P. 237.

^(٧) E. Meyer, Die Bildung und Bedeutung des pluric in den semitischen und indogermanischen sprachen P. 16.

^(٨) An Introduction to the comparative Grammar of the semitic languages S. Moscati .Wiesbaden 1980 P. 89.

الذي يبقى كما هو في حالة الجمع	قريناً	قرية qeritā	قرياً	قرى quryā	سرياني
	جماراً	حمار hemārā	حمراً	حمير hemirā	
	صخْرُم صخْرُم	Ass. saḥrum Bab. ṣeḥrum صغير	صخْرُم	صغِيرون suḥrum صغِيرون	أكادي

٩- يصاغ جمع المؤنث السالم في اللغات العربية الأولى بزيادة ألف وفاء مرفوعة في حالة الرفع ومحورة في حالتي النصب والجر ما عدا العبرية حيث تحول الألف إلى واو.

	سريانية	عبرية (٤٠)	حبشية	أوغاريتية وعربية	الأكديّة	
العربية والسريانية غير معربتي الأولى	- biša (بيشا) سيه ↓ (بيشا) bišāl سينات	- brākā (بركا) بركة ↓ (براكت) -brāköt بركات	sadqāl صدقَة	ملَكَات malikatān ملَكَات malikatān	šarrātum (شرّاتم) ملَكَات	àlu
			sādqāt صدقَات	ملَكَات malikatīn ملَكَات malikatīn	šarrātim (شرّاتم) ملَكَات	ati

١٠- لكن اللاحقة الطويلة (ات) أصبحت في (اللغات السامية) علامة للجمعين معاً . أي امتدت لتجمع الأسماء المذكورة أيضاً.

الإثنين	الحادي	الثاني
ملحوظات	(نهر) naru نزو جمعها nāerātu (نارات) (فلاح) ikkārū جمعها ikkāratu (إكارتو)	
	(قوس) qcšc (قشي) جمعها qcšātōt (قشاتوت)	عبرية
	(ماء) may مي جمعها mayat (مايات) (ذكر) mayat مي جمعها mayat (مايات)	أثيوبيّة
	رجل رجال رجالات	عربي

١١- في اللغات السامية أيضاً يمكن ان نلاحظ حالات لكلمات كثيرة مؤنثة في حالة المفرد لكنها تجمع جمعاً مذكراً.

مؤنثة في المفرد	مؤنثة في الجمع	
شَنِيم	شَنِيم	عبرية

(١٠) تظهر في العربية بعض المحنون المنهضة التي تصاغ على الطريقة العربية مثل كهنوت حوروت ملكوت.. الخ.

جني	ganné	جنتا	(جنة) gennetâ	سريانية
حرُون = (حرَّاث =	-	-	حرة = (الأرض المحرجة)	عربية
كُبو	kabù	كبُوت	kabùtu رُوْث	أكادية

١٢ - كذلك تزري حالات لكلمات تجمع جمعاً مؤنثاً سالماً في حين أن مفردها ليست فيه علامة تأنيث (اي منكر شكل).

مؤنث في الجمع	مفرد في المذكر		
حقلاتنا	haqlâtâ	حقل	(حقل) haqlâ
حسابات	-	-	حساب
خرّانتو	ḥarrânâtu	خرّانو	(طريق) ḥarrânu

هذه الظاهرة التي تطورت كثيراً فيما بعد لتفطلي معظم (اللغات السامية) (أي جمع المفرد المذكر جمعاً مؤنثاً سالماً مثل قطار قطارات.. الخ) تسبّب على الافتراض أن الألف والباء الطويلة لم تكن علامة للجمع المؤنث، وإنما علامة للجمع المذكر أيضاً.

١٣ - كثير من الأسماء الثانية تجمع في (اللغات السامية) بإضافة حرف ثالث إليها وهذا الحرف يكون بشكل عام هو حرف (الهاء) مثل

يجمع بإضافة حرف ثالث عليه	مفرد ثانوي		
أمهات	āmâhât	أما	āmâ (أمة)
شِمَاهِي	šimahé	شِيما	šimâ (اسم)
شفاه	šifâh (شفاه)	-	šifâf (شفة)
سنـهـات	sanahât (سنـهـات)	-	sanat (سنة)
سـنـوات	sanawât ^(١) (سنـوات)	-	
	'ummahât (أمهـات)	-	umm (أم)

٤ - مما سبق يمكن القول: إن جموع التكسير سبّبت الجموع السالمة وهي تُعيّن مرحلة بدائية في تاريخ اللغة كان الجنس فيها يتراجع بين التكثير والتلبيث وكانت جموع التكسير ممثلاً لتلك المرحلة الفقيرة من عمر اللغة قبل استقرار المذكر والمؤنث وبالتالي استقرار جمعها، وقد أبقت لغة القرآن هذه الناحية على كمالها وبيانها

^(١) للمرزيد. انظر سبورة الكتاب ١٨ (الطبعة الأولى).

- (فالأنعام) وهي جمع تكسير جاءت في الآية الـ١٠ (ولن لكم في الأنعم لعنة تستقيم مما في بطونه)^(٢٤).
- كذلك جاء في قوله تعالى: (أو الطبل الذين لم ينظروا على عورات النساء)^(٢٥).
- وكذلك قوله تعالى (ويُنشِئُ السحابَ الثقالَ)^(٢٦).
- وقوله تعالى (والسحابُ المُسْفَرُ بين السماواتِ والأرضِ)^(٢٧) فقد وصف السحاب في الآية الأولى بـ(الثقال) وهي جمع تكسير، في حين أنه وصف بـ(المسفر) في الآية الثانية على أننا نجد السحاب في آية ثالثة موصفاً بالجمع ثم عاد عليه ضمير غالب منك مطرد كما في قوله تعالى: (حتى إذا أقت سحاباً ثقلاً سقطاه ليُلْمِدْ ميَّتَ فانزَلتَهُ بِهِ الْمَاء)^(٢٨).
- وكذلك قوله تعالى: (فَأَتَجِيناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمُشَخَّنِ)^(٢٩).
- وقوله تعالى (والفلك تجري في البحر بأمره)^(٣٠).
- وقوله تعالى (حتى إذا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَنَّنَ بِهِمْ بِرِيع طَيْبَةِ)^(٣١).
- وقوله تعالى: (وَتَرَى الْفَلَكَ مَا خَرَفَ فِيهِ)^(٣٢).
- فقد وصفت الفلك بوصف مذكر وهو (المشخون) ثم أنت الفعل في الآية الثانية، وفي الآية الثالثة جاء الممند فعلاً مسندًا لذنون الإناث، وذنون الإناث الصق بالعاقل من غير العاقل، وهذا تحقيق أكد للتأنيث لكن اللغويين يقولون عن هذه الكلمة إنها (تقع على الواحد وعلى الجميع)^(٣٣).
- وقال تعالى: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجَيَالِ بِيُوتًا)^(٣٤) والفعل مسند إلى ياء المخاطبة.
- وقال تعالى: (كَانُوكُمْ أَعْجَازٌ تَفْلِي مُنْقَرٌ)^(٣٥).

^(٣١) سورة النحل ٦٦ جاء في المazar لأبي عبيدة ٣٦٢/١ به ذكر ديوانت رقال آخرورون: المعنى على النعم لأن النعم يذكر ديوانت كما في قول الراعز

أكلَ عَامَ نَعْمَ فَخَوْزَنَةَ

أَرْبَابَهُ نَوْكَيْ وَلَا يَعْخُونَهُ

والرجز ليس بن الحسين المازري كما في الكتاب ٥٣١ والخوازة ١٩٦/١ والمدين ٥٢٩/١.

^(٣٦) سورة النور ١٢١

^(٣٧) سورة الرعد ١٨٢

^(٣٨) سورة العنكبوت ١٦٤

^(٣٩) سورة الأعراف ٥٧

^(٤٠) سورة الشورى ١١٩

^(٤١) سورة الحج ٦٥

^(٤٢) سورة يوسف ٢٢

^(٤٣) سورة النحل ١٤١

^(٤٤) أبو عبيدة، مazar القرآن ١٨٦، ٦٢٨، ٦٢٨

^(٤٥) سورة النحل ٦٨١

^(٤٦) سورة القمر ٨٠

وقال تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ﴾ بأسقات لها طلعٌ نضيد﴾^(١٤).

والنخل في الآية الأولى وصف بمذكر، وفي الآية الثانية وصف بجمع مؤنث ثم عاد إليه ضمير غائب مؤنث، لكن النحوين التتماء حملوا الجمع على التأنيث^(١٥). وعندهم أن زيادة علامة التأنيث في آخر الجمع، كالتاء والألف المقصورة والألف الممدودة، وإنما زيدت لتحقيق التأنيث^(١٦) وعند المبرد أن كل جمع مؤنث، لكن كيف يمكن أن يتأول قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾^(١٧). وقوله تعالى ﴿أَرْجِعْ﴾ إلى ربك فأسأله ما بآل النسوة اللاتي قطعن أيديهن^(١٨) لاشك أن جميع ما عرض من النصوص القرآنية هذه تبين أن جموع التكسير في عصر النبوة لم تكن قد وصلت إلى حد القواعد المقررة، نتيجة عدم استقرار الجنين نفسه أي المذكر والمؤنث لذلك لم تتبع نظاماً مضبوطاً من حيث علاقتها بالضمائر والأفعال والوصف أو ما يمكن أن نسميه (السياق العام).

١-٥ لكن ما ساعد على ازدهار جموع التكسير، ونوعها في العربية دون (اللغات السامية) الأخرى ربما كان تعدد اللهجات الإقليمية، إذ من المعلوم أن بعض الأقاليم تستخدم المد، وقد ساعد هذا على نشوء صيغ متعددة من جموع التكسير فكلمة (تارة) تجمع على (تير)، ولكنها تصبح (تياراً) باستطاله الفتحة^(١٩) بل إن بعض الأقاليم تطلب في الحركات حتى تصبح مداً طويلاً فكلمة (أسد) جمعت بضم الهمزة وإسكان السين أو ضمها، فإذا أشيع الضم على السين صار مداً وصارت الكلمة (أسود) ومثل هذا (أحبة) (أحباء) وقد نتج عن ذلك سلسلة متوازدة من الجموع التي لم تتبع نسقاً معيناً وإنما تكونت من استعمال الناس وما درجت عليه ألسنتهم أو بعبارة أخرى إن هذه الصيغ لم تكن مقررة أو مبنية على قواعد ثابتة وإنما كانت سماوية تخضع لتألُّف المتكلم في الاستعمال المحلي.

٦- وفي قراءات القرآن مادة لغوية غزيرة فقد جاء في قوله تعالى ﴿لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سَكَارَى﴾^(٢٠) وسکارى (ضم السين) قرنت (سکاري) (فتح السين) و(سکرى) على أن يكون جمعاً^(٢١) ولاشك أن الذي قرأ (سکرى) للدلالة على الجمع يجمع المفرد (سکران) على (سکرى) مثل (ھکى) و(أسرى) و(چونى). ومثل (سکارى) (کسالى) فقد وردت في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾^(٢٢). وقرنت بضم الكاف وفتحها^(٢٣) وهي جميع (کسان) وقد جمع هذا على (کستلى) مثل (سکرى) في (سکران)^(٢٤) وقد قيل إن مفردها (کستل) بفتح فسكون أيضاً، وعلى هذا الوزن

^(١٤) سورة ش، ٨٠.

^(١٥) الزمخشري، المفصل ٨٣ (الطبعة الأوروبية) وط. دار الجليل، بيروت ص ١٩٨.

^(١٦) المبرد، الكامل ٤ (الطبعة الأوروبية).

^(١٧) سورة يوسف، ٣٠.

^(١٨) سورة يوسف، ٥٠.

^(١٩) الجوهري، الصحاح (تون).

^(٢٠) سورة النساء، ٤٣.

^(٢١) الزمخشري الكشاف ٥١٣/١.

^(٢٢) سورة النساء، ١٤٦.

^(٢٣) الزمخشري النساء ٨٤٣.

^(٢٤) اللسان مادة (کسل) وأبو عبيدة، الماز ٢٦٦/١.

التراجم العربية

جاء (حوايا) جمعاً في (حوية) و(خطايا) جمعاً في (خطية) و(أيامى) جمعاً في (أيم) كما في قوله تعالى: «إِلَّا مَا حَنَّتْ طُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَّاِيَا»^(١٥) وقوله تعالى: «إِنَّا آمَنَّا بِرِبِّنَا لِيغْفِرَ لَنَا خَطَابِيَاَنَا»^(١٦) وقوله تعالى «وَانْحَوُوا إِلَيْاَسِ مَنْكَمْ»^(١٧).

ومن هذه الصيغة (الأسرى) جمع في (الأسير) كما في قوله تعالى (إن يأتوكم أسرى تفاصدهم)^(١٨) وقرنت (أسرى) بفتح المهمزة (أنسى) كما في (سكنى)^(١٩) وقد ورثت أسرى في مكان آخر من قوله تعالى: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشنفن في الأرض)^(٢٠). ومثل هذه الصيغة قوله تعالى (ولقد جئننا فرادى)^(٢١) وقد قرنت (فرادي) و(فردان) وقد رأينا أن مثل هذه الصيغة من صيغ الجمع تكون لعدة صيغ من المفرد، كما أنها تشترك مع صيغة أخرى هي (فعلي) وهذه الصيغة تقوم على مفرد من وزن (فعيل) في الغالب الكثير مثل (قتيل) و(قتلى) و(جريح) و(جرحى) وربما اشتراك هذه الصيغة، وهي صيغة جمع مع صيغة المفرد المؤنث وهي (فعلى) لمنكر هو (فعلان) مثل (سكنان) و(سكنى).

١٧- هذه الأجزاء أو الرواسب اللغوية ذات الصيغ المعقدة والمتباينة ربما هي خير دليل على (اللهجات المحلية) التي قد توغل في فطحها أكثر عندما تدخل (الإملاء) أيضاً فتعمل عملها فتصبح (ksamli) بإملاء الألف نحو الياء عند القائلين بالإملاء، وقد تأمل أكثر حتى تغدو (ياء) كما في (صحارى) بالألف (صحارى) بالياء.

١٨- وقد يكون لصيغة الجمع الواحدة أكثر من مفرد مثل (أكنة) في قوله تعالى: «أَكْنَةٌ أَنْ يَنْقُهُو»^(٢٢) مفرداتها (كتنان)^(٢٣) و(كن)^(٢٤) وقولهم: (الحدالير) جمع (الحندور) و(العنفار)^(٢٥). و(أظافير) جمع (ظفر) أو (أفنور).

١٩- أو جمعاً لصيغ متعددة من الجموع، وسمي هذا في العربية (جمع الجمع). مثل جمع (الرجل) و(الرجال) على (الحالات). و(بلد) على (بلدان). والأكلوبيل والبيوتات إلى فقد جاء في الاستثناء ابن دريد (بيوتات العرب الثلاثة) ابن دريد، الاستثناق (الطبعة الأوروبيّة) ٢٣٨.

٢٠- وعلى العكس فقد يكون للمفرد الواحد غير جمع مثل جمع كلمة (المُطلِّب) وهي امرأة ذات طفل على

^(٢٠) سورة الانعام ١٦١.

^(٢١) سورة هـ ٣١.

^(٢٢) سورة فطور ٢٦.

^(٢٣) سورة البقرة ٨٥.

^(٢٤) المختiri الكشاف ١٦٠.١١ اللسان (أسر).

^(٢٥) سورة الأنفال ٦٧.

^(٢٦) سورة الأنعام ٩٤ أبو عبيدة الحاز ٦٠.١١

^(٢٧) سورة الانعام ٦٥.

^(٢٨) أبو عبيدة الحاز ١٨٨٦

^(٢٩) اللسان مادة (كن).

^(٣٠) اللسان مادة (حذف).

(مطافل) و(مطافل) مثل قول أبي ذؤيب الهذلي (من الطويل):
وَإِنْ حَدَّثَنَا مَنْكَ لَوْ تَبَدَّلْنَا

شَابٌ بِعَاءٍ مُتَلِّ مَاءَ الْمَقْبَلِ

مَطَافِلُ أَيْكَارٍ حَدَّثَنَا بِنَجَّانٍ
مَثْلُ ذَلِكَ (المفاتيح) و(المفاتيح) و(الدراما) (الصيارات) و(الصيارات)^(١٠٧) قال الفرزدق: (من البسيط)
نَفَى الدَّارِاهِمَ تَنَقَّلَ الصَّيَارِيفَ^(١٠٨)

٢١- كذلك جاء في كتب اللغة أن هناك جموعاً لا واحد لها مثل (العيابيد) و(المذاكير) و(الأبابيل)^(١٠٩).

الخاتمة:

١- إن التزام جمع السالم المذكر بالواو والتون أو الياء والتون، إشارة إلى أنه أحدث عهداً من جمع التكسير، وإلى أن الجنس قد بدأ يستقر في قواعد اللغة وبذلك بدأت في هذه اللغة مرحلة جديدة تخضع فيها القواعد المغرة بعيداً عن الشفاعة وتعدد الأسئلة واللهجات.

٢- في هذه المرحلة بدأت تستقر (اللغات السامية) أيضاً مثل الأكديّة والأوغاريّية والعبرية فنرى الأكديّة تخلصت من الإملاء في حالة النصب واستقرت كالعربية على الواو للرفع والياء للنصب والجر بينما نرى العبرية تذهب إلى أبعد من ذلك لتختلط نهائياً من جموع التكسير وتستقر فيها الياء لجميع الحركات في حالة الجمع بينما تركت التون واستبدلته بها العين^(١١٠).

^(١٠٤) المرض، شرح الشافية ١١٥/٤ واطر ديوان المذهبين (ط. دار الكتب) ص ١٤٠ - ١٤١.

^(١٠٥) قد يكون كل زوج من صيغ (فعال) و(فعالي) (فاعل) و(فاعيل) (مفاعل) و(مفاعيل) صيغة مشابهة في الأصل لكن استعمال الله الماخال من اتباع الكسرة عند أصحاب الله حرطاً إلى ياء مشكوت صيغة مديدة موازية للأول لكن ياء.

^(١٠٦) من آيات سورة ١٠١ ديوان الفرزدق ٥٧٠ ونحوه ٤٢٨ - ٤٣٠ وفيهما: (٤٢٧) (وقال لي علي من سليمان: واحد الصيارات معرف، وكان يجب أن يقول صيارات..) وعند المشتري الشاعر في الصيارات، قال: زاد الياء في الصيارات ضرورة تشبيهاً لها بما جمع في الكلام على غير واحد، خو ذكر ومنذكرو، وجمع وسامع...».

^(١٠٧) صاحب اللسان يذكر للجمع الأسر ثلاثة مفرادات هي (أيل) بشد الياء (أيل) بشد الياء وفتحها و (أيل) بشد الياء أيضاً (اللسان مادة (أيل) بينما أدخله الوغشري في باب (جمع ليس على زلت واحدة) (الوغشري المتعلق (طبعية الأدريسي)، ١٥).

^(١٠٨) ما زلت التون باقية في آثار نادرة في العربية مثل: (ملعون) جميع ملك (سفر الأشباح) ٣٢١. (خطيون) جميع خطبة (سفر حمزمان gesenius, Hebrew Grammar P. 242). (دين) القضاة ١٥ (يامين) دائرة ١٢٣ (١٢١).

المراجع والمصادر الأساسيةآ- المراجع العربية:

- ١- الإنصاف في مسئللة الخلات بين التحريين للبعريين والكوفيين، كمال الدين لي البركات الأثباتي - دار الفكر بيروت.
- ٢- الإيضاح في علل النحو للزجاجي، تحقيق الدكتور مازن الببارك. الطبعة الرابعة، دار الناقوس، بيروت ١٩٨٢.
- ٣- التيسير في القراءات السبع للداني، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٤.
- ٤- الحجة في القراءات السبع، للامام ابن خالويه، تحقق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت ١٩٧١.
- ٥- التراثات اللتوية عند العرب. محمد الـ ياسين، مكتبة الحياة بيروت لبنان ١٩٨٠.
- ٦- كتاب سبورة، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
- ٧- إسلام العرب لابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت لبنان.
- ٨- لمع الأنبلة في أصول النحو للأثباتي، تحقيق سعيد الأغاني مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧.
- ٩- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع (القراءات الشاذة) لابن خالويه. ترجمة براغستر، مكتبة المتتبلي، القاهرة.
- ١٠- المزهر للسيوطى. تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد النجار ومحمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية القاهرة.
- ١١- معجم القراءات القرائية، للدكتور عبد العال سالم مكرم والدكتور أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٨٢.
- ١٢- المعجم المغيرس لأنفاظ الحديث، وشكت أرنجلان فنسنك.
- ١٣- المعجم المغيرس لأنفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب المصرية ١٣٦٤.
- ١٤- المذكر والمؤذن لابن جني تحقيق طارق عبد نجم عبد الله، دار البيان العربي، جدة ١٤١٥/١٩٨٥.
- ١٥- المذكر والمؤذن لابن الأثباتي تحقيق طارق عبد نجم عبد الله، دار الرأشتن العربي، بيروت ٢/١٩٨٦.
- ١٦- المقصور والمحدود للقراء، حققه عبد الله نبيهان، ومحمد خير البقاعي دار فكتيبة ١٩٨٣.
- ١٧- كتاب النواذر لأبي مسحل الأعرابي عن بتحقيقه عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بم دمشق ١٩٦١.
- ١٨- معجم الهوامع شرح جمع الجرامي للسيوطى، دار المعرفة لبيان بيروت.

ب- المراجع الأجنبية:

- 1- Brown. F. Driver. S. R. Briggs. G.A. A Hebrew and English Lexicon of the old Testament 1907.
- 2- Chali. W. Nassar. H. Arabic Dictionaries and Annotated comprehensive Bibliography 1971.
- 3- Dahood M. J: Proverbs and North West Semitic philology 1963.
- 4- De Moor J.C. Studeis in New Alphabetic Texts from Ras Shamra UF 1 (1969) pp. 167- 188.
- 5- Gardon. C.H. Ugaritic Text Book. Grammar. Texts in transliteration cuneiform selections. Glossary. Indices 1965.
- 6- Gray L.H. Introduction to semitic comparative Linguistics 1934.
- 7- Moscati. S. (ed). An Introduction to the comparative Grammar of the semitic languages 1964.
- 8- Rainey. A.F. observation on ugaritic Grammar UF 3 (1971).
- 9- Speiser. E.A: The terminative- adverbial in canaanite- ugaritic and Akkadian IEJ 4 (1954) PP. 108- 115.
- 10- Tomback. R.S: Acomparative Semitic Lexicon of the phoenician and qunic languages 1978.



تأثير الحضاراتين في اللغتين،

اليونانية والسريانية،

في العلوم العربية

أ.د. محمد زهير البابا

مقدمة :

يكن للشعوب العربية، قبل ظهور الإسلام خبرة في دراسة العلوم الأساسية والتطبيقية . ولما بدلت تلك التحولات الإسلامية تجذب الأقطار المجاورة للجزيرة العربية لنشر الرسالة، استقرت بعض القبائل في تلك الأقطار، ناشئة ديانتها ولغتها . وكان من حكمة الرسول العربي الكريم للحضر على مراعاة أهل الكتاب، واقتباس الحكم وطلب العلم، من أي جهة وفي أي مكان . ولستطاع المسلمين، منذ القرن الأول للمigration نقل ما صاحفوه من تراث علمي، يوناني أو فارسي أو هندي أو سرياني، إلى لغتهم، مستعينين ببعض الترجمة القاطنين في بلاد الهلال الخصيب، من حسن إحدى تلك اللغات .

وخلال مدة لم تتجاوز ثلاثة قرون تمثلت الشعوب العربية علوم تلك الشعوب وإنجازاتها، وأضافت إليها حوصلة خبرة علماتها وتجاربهم، فبدأت العلوم العربية تنشر بسرعة، وأصبحت مؤلفات علماء العرب والمسلمين من المراجع الأساسية لطلاب العلم، في شرق العالم الإسلامي وغيره، خلال العصر الوسيط .

وفي عصر النهضة الأوروبية ظهرت طبقة من العلماء الباحثين، عرموا باسم المستشرقين orientalists، وكان هدفهم دراسة علوم الأمم الشرقية وحضارتها، لمعرفة مدى تأثيرها في الحضارة العالمية بصورة عامة، وحضارة أوروبا بصورة خاصة . وكان من بينهم المترنم الحاقد، الناكر لفضل العلماء العرب والمسلمين، كما كان منهم العالم المنصف والباحث المتعمق . ويعود المستشرق البلجيكي جورج سارتون من ألمع الباحثين عن تاريخ العلوم . نال شهادة الدكتوراه في علم التاريخ عام 1911 م من مدينة Gand بلجيكا . حاضر في عدة جامعات في أوروبا، ثم انتقل إلى شمال أفريقيا، وزار مصر ولبنان . أمضى عامين دراسيين في الجامعة الأمريكية في بيروت، منكباً على دراسة اللغة العربية . وفي عام 1915 هاجر إلى الولايات المتحدة حيث استقر، وتوفي فيها عام 1952 م . أراد سارتون أن ينهي العلوم القديمة من منابعها الأصلية، فقام بزيارة عدد كبير من المكتبات والمتاحف العالمية، حيث اطلع على أقدم المخطوطات والأوابد المحفوظة فيها . وساعده على فهم مختلف علوم الشعوب العرقية بحضورتها إجادته لبعض اللغات القديمة، وخاصة اليونانية واللاتينية، وإمامه ببعض اللغات الشرقية، وخاصة العربية والعبرية والنسكرينية

والصينية، بالإضافة إلى معرفة تامة للفرنسية والإنكليزية والألمانية.

قام سارتون بوضع مجموعة من المؤلفات التاريخية، تتبع فيها تطور العلوم، منذ ظهور الحضارة الإنسانية حتى عصره . وأوضح فيها كيف انتقل العقل البشري من التفكير الأسطوري، الذي كان يعتمد على الخيال والأوهام، والسحر والشعوذة، إلى مرحلة التفكير الموضوعي، المبني على التجربة والقياس والمحاكمة العقلية .

بدأ سارتون بنشر أبحاثه التاريخية العلمية في مجلتين، وكان له الفضل في المشاركة بتأسيسهما في مدينة باريس، فصدرت الأولى منها باسم إيزيس Isis عام ١٩١٢ م، ومصدرت الثانية باسم أوزيريس Osiris عام ١٩٣٦ م، وكأنه كان يقرّ ضمناً أن منبع العلوم كان في أرض مصر . ولما كان هناك كثير من المؤرخين، المترافقين والمترافقين والحاقدسين، والنافقين للأكابر على لسان العامة، دون دراسة أو تدقيق وتحميس، قد شوّهوا صفحات التاريخ عن قصد أو جهل، لذلك سعى سارتون لبيان الحقائق التاريخية، فسفة الرأي القاتل بأن العلم بدأ في بلاد اليونان . وأثبت أن العلم اليوناني كان مهضوماً لجهود مفكرين وتقنيين ظهروا في مصر وفي بلاد الرافدين . وأن هناك حضارات أخرى ظهرت في الصين والهند وببلاد فارس، وكان لها أيضاً في تطور اللغة والعلوم اليونانية، قبل وبعد الاسكندر .

نشر سارتون هذه الأكثار في مؤلفه المشهور "المدخل إلى تاريخ العلوم Introduction to the History of Science" ، وذلك خلال الفترة الممتدة بين عامي (١٩٤٨-١٩٤٩) م .

كان سارتون يخطط لوضع موسوعة شاملة لتاريخ العلم، بحيث تضم أربعة عصور :
التاريخ القديم - العصر الوسيط - عصر النهضة من القرن (١٥-١٧) - العصر الحديث من القرن (١٨-٢٠) .

لكنه لم يستطع أن ينشر قبل وفاته إلا المجلد الأول من موسوعته الذي ظهر باللغة الإنكليزية عام (١٩٥٢) ، وهو لا يحوي إلا القسم الأول من التاريخ القديم . وقد تم قبيل وفاته للمطبعة أصول المجلد الثاني من القسم المذكور، كما قدم لجامعة هارفرد، التي كان يحاضر فيها، مكتبة الخاصة التي تضم جميع كتبه ومخوطاته .

لقد جرى الاتفاق بين مؤسسة فرانكلين الأميركيّة للطباعة والنشر ، وهي صاحبة الترخيص بطبع وترجمة كتاب تاريخ العلوم لجورج سارتون، وبين الادارة الثقافية بالجامعة العربية، على نقل هذا الكتاب إلى العربية .

لا أن المؤسسة أرادت أن تأخذ هذه الترجمة طابعاً شبيه دولي، فكونت لجنة من بعض علماء العالم العربي، للقيام والاشراف على هذا العمل، فصدرت الطبعة الأولى من المجلد الأول عن مطبع دار المعارف بمصر عام ١٩٥٧ م وصدر المجلد السادس والأخير عام ١٩٧٢ م .

يقول سارتون في مقدمة كتابه : "ومما أفسد فهم العلم القديم، كثيراً من الأحيان، ظاهرتان من الإهمال الذي لا يمكن التسامح فيه : الأول إهمال العلم الشرقي، فمن سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الأغريق، فإن المعجزة اليونانية سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وببلاد النهرین، وغيرهما من الأقاليم، فالعلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراعاً .

والظاهره الثانية إعمال الإطار الخرافي الذي نشأ فيه العلم، لا الشرقي فحسب، بل اليوناني نفسه كذلك . ثم يقول في موضع آخر : " ومن الناحية الأخرى نجد غالباً أن الوثائق الخاصة بالعلم في مصر وبلاط التهرين أدق من وثائق العلم عند الإغريق . "

لحة موجزة عن جغرافية بلاد الإغريق وتاريخها :

يطلق إلى سكان الجزر المنتشرة بالمنطقة في بحر إيجه، وعلى القاطنين قديماً على الساحل الغربي والجنوبي من آسيا الصغرى، وفي جزيرة البيلوبونيز، اسم الإيجيin أو اليونانيين، أو الإغريق . ويقول المؤرخين وعلماء الآثار أن أقدم حضارة نشأت في بحر إيجه كانت في جزيرة كريت . وتنكر الأساطير اليونانية أن الملك مينوس هو أول من اشتهر بإنشاء أسطول بحري، استطاع بواسطته السيطرة على جزر إيجه .

لم تكن الحضارة الإيجية مشابهة في مختلف البقاع والأرمنة، وإذا كان لكل سكان جزيرة من جزرها عاداتهم وتقاليدهم، وكانت أهم تلك الجزر كريت، وفيها بلغت الحضارة المينوسية أوجها خلال المدة الواقعة بين القرنين السابع عشر والرابع قبل الميلاد . وخلال القرنين التاليين اكتسحت بعض الشعوب البربرية، الأتية من الشمال والغرب، بلاد اليونان، وكان الشعب الدوري أقوى تلك الشعوب، لأنه جاء يحمل أسلحة مصنوعة من الحديد، استمدتها من جيرانه الحيثيين، فاستطاع بواسطتها التغلب على اليونانيين، المسلمين بأسلحة برونزية .

من المعلوم أن التمايز الحضاري عند دراسة تاريخ مصر وتاريخ بلاد الرافدين إلى تواريχ الأسر الحاكمة فيها . أما في بلاد اليونان فيعتمد بصورة خاصة على دراسة الأدوات الفخارية والمزججة، وعلى فن الهندسة المعمارية، وغيرها من سمات الحضارة . وللحضارة الإيجية كتابتها الخاصة، وأ وبالآخر هناك عدة كتابات، وهي لما تزال مستعصية على كل محاولة لمعرفة رموزها .

وبعد زوال العصر المينوسى، المسيطر على البحر الإيجي، تنازع تلك السيطرة شعبان، وهما اليونانيون في الشمال، والفينيقيون في الجنوب . ويختلف هذا الشعوب بعضهما عن بعض كل الاختلاف، فال الأول شعب أري، يتكلّم اللغة الهندية الأوورية، والأخر شعب سامي يتكلّم لغة هي أقرب إلى اللغتين العربية والعبرية .

المعجزة اليونانية : يقول العالم سارتون : " إن تفاوتنا الأوورية نابعة من أصلين إغريقي وعربي ولساننا نقول إنها أحسن تقافة ، ولكننا في بساطة نقول إنها تقافتا . والزعم بأنها بالضرورة أرقى التقافتان فيه خطأ وشر . وهذا الزعم هو أحد المصادر الرئيسية للمتعاب الدولي، لأنني إذا كنت أرقى من جيراني، فليس لي أن أقول ذلك، ولكن لهم فقط أن يقولوا ".

لقد سعى سارتون لبيان تطور العلم لدى الشعوب القديمة . وشرح ما بين فروع العلم من علاقة متباينة، وما بينه وبين الحكمة والفلسفة من صلة ... فالبشر قديماً وحديثاً يفهمون العالم على اشكال مختلفة . فبعضهم أكثر ميلاً إلى التجريد العقلي، فيفكرون في خلق السماء والأرض، ووحدة الوجود، والكمال واللانهاية . وبعضهم يتمتعون بعقل تجريبية وعملية، فيفكرون في حفظ الصحة، واكتشاف العقاقير والأدوية والأغذية . أو يهتمون بالزراعة أو التجارة أو عمران المدن، أو اختراع الأدوات والآلات والأجهزة، التي توفر لهم العيش الرغيد .

لقد تحدث الأوربيون كثيراً عن المعجزة اليونانية، واعتبروها أبسط تعبير عما وصل إليه قدماء اليونان من علم وحضارة . وتتجسد إعجابهم الأول بالملحمنين الشهيرتين، والمنسوبيتين لشاعر أمري ضرير يدعى هوميروس Homerus، عاش كما يقول المؤرخ اليوناني هيرودوت Herodotus في القرن التاسع قبل الميلاد .

روى هوميروس في ملحنته الأولى هجوم الاسطول الائتي على مدينة طروادة وتخربيها، وهي ملحمة الإلياذة Iliad، وروى في الثانية منها رجوع ذلك الاسطول إلى ثينا، وبعد أن لكي بحارة في طريقهم أشد الاهوال، وهي ملحمة الأوديسة Odyssēs، وكانت انجازاً أديباً وتاريخياً فريداً، لاجتماع صفات القدم والجمال، وكثرة عدد أبيات الشعر فيها . ولكن هناك ملامح أبعدتها أم شرقية لا تقل عندها جمالاً، ومن أشهرها ملحمة جلجميش، والتي سبق ظهورها في بلاد الرافدين قبل هوميروس بأكثر من ألف عام .

التنافس بين اليونانيين والفينيقيين :

يتقول المؤرخ والجغرافي اليوناني سترايون Strabon (٥٨ ق.م - ٢٥ بعد الميلاد) : إن الاسطول بدأ بالخروج إلى مواراه أعدة هرقل (جبل طارق) بعد انتهاء حرب طروادة بتقليل . وأخذ تجار مدينة صور، وكانت أهم مرفاً للفينيقيين، يحمل بضائعهم، من منسوجات وأدوات زجاجية وخزفية ومعدنية، إلى مدن بلاد الرافدين ومصر وشمال أفريقيا . إلا أن هذه الصناعة لم تكن من مبتكرتهم أو انتاجهم كما زعم سلرتون . ولكنه اعترف بفضلهم باختراع أول كتابة تختلف من حروف وقد ظهرت تلك الكتابة أواخر القرن الحادي عشر للميلاد . ولكن كان من الصعب على الشعوب الأخرى أن تقرأ أو تفهم كتابتهم . وذلك لأن عدد حروفها لا يتجاوز بضعة وعشرين حرفاً، وأكثريها حروف ساكنة، وبعضها حروف صوتية طويلة المركبة . وهذا النوع من حروف الكتابة لا يزال مستعملماً في اللغتين العربية والعبرية .

وفي النصف الأول من هذا القرن اكتشف العالم الآخر كلوود شيفر، في مدينة أوغاريت، الواقعة في رأس شمرة على الساحل السوري، شمال للatlantique، كتابة أخرى تعود إلى عام (١٢٠٠ ق.م)، أي أقدم من الكتابة الفينيقية، ولكن الحروف فيها مشابهة بشكلها ونطقها وترتيبها . وعلى مرّ الزمان أخذ اليونانيون بحروف الكتابة الفينيقية وأصلاحها، وذلك بإضافة رموز جديدة، تدل على حروف صوتية فسيرة العركة .

تأثير الحضارة اليونانية في الحضارات الفارسية والعربية :

تبين لنا مسابق أن للحضارة اليونانية أثرت وتتأثر بالحضارات الشرقية، منذ القرن السادس قبل الميلاد، وبصورة خاصة في مصر على عهد الفرعون، وفي سوريا الطبيعية على عهد الفينيقيين . وازداد هذا للتبدل الحضاري بعد حملة الإسكندر المقدوني، وقيام مدرسة الإسكندرية أولًا ثم مدرسة جنديسابور .

لقد ذكر هيرودوت (٤٨٤-٤٢٠ ق.م) أنه كان يوجد في بلاد فارس كثير من الأطباء الأجانب .

ونذكر قصة داريوس الأول (٥٢١-٤٨١ ق.م) الذي سقط عن ظهر فرسه فأصيب بالتهاب في قدمه . ولما كان يوجد في بلاده أطباء مصريون فقد استدعاهم لإسعافه . ولكن معالجتهم بامتناع بالفشل واشتد ألمه . ولما علم داريوس بوجود طبيب يوناني في مملكته يدعى ديموسيدس الكروتوني، استدعاه لمعالجته، ونان الشفاء على يده كما كان كيتسياس التكيدوس الطبيب الخاص للملك أرتشير الثاني (٣٥٩-٤٠٥ ق.م)، وهو أحد الملوك الأخميين في بلاد فارس .

وفي القرن الثالث للميلاد استولى على الحكم في تلك البلاد أسرة الساسانيين، وكان من أشهر ملوكهم سابور الأول، الذي حارب الدولة البيزنطية، ووصل إلى مدينة انطاكية ٢٦٠ م، ثم أسر الامبراطور فاليريان بالقرب من مدينة الراها وتتمكن من قتلته . وساق حاشيته إلى مدينة قريبة من الخليج، تقع في إقليم خوزستان، عرفت باسم جندسابور . وأنشأ فيها بيمارستانًا (أي مشفى) أشرف على إدارته فيما بعد علماء من النساطرة السريان، الذين عملوا على ترجمة بعض المؤلفات اليونانية إلى اللغة السريانية .

كانت بلاد فارس ملتقى طرق التجارة الذاهبة والأذنى، فأصبحت مهدًا لحضارة مهمة وقوة عسكرية مرهوبة الجانب في البر والبحر . ولكن الحرب التي كانت تستعر بينها وبين اليونان أولًا ثم بيزنطة بعد ذلك أنهكت قوتها وخربت مدنها وأكبر تدمير حصل فيها كان على يد الإسكندر المقدوني، الذي أمر بحرق كثير من تراثها العلمي والمدني . كما أمر بنقل وترجمة ما وجده في خزانتها من الكتب إلى اللغة اليونانية . وخرب أجمل مدينة كانت فيها، وهي مدينة إصطخر، والمعروفة عند اليونان باسم برسوبوليس Persopolis (أي مدينة الفرس) .

وفي أواسط القرن السابع للميلاد جاء العرب إلى بلاد فارس، حاملين معهم رسالة الإسلام، فتحول الشعب الفارسي من عبادة الكواكب والantar إلى عبادة الله واحد . واستعاد حریته التي كانت مقيدة في ظل الأسرة الساسانية وحكامها الطغاة . وظهر بين الفرس علماء وباحثون في شتى ضروب المعرفة، فأغنوا اللغة العربية وعلومها، كما اختص بعضهم بالفاعع عن الدين الإسلامي .

اللغة اليونانية وأشهر فلاسفة اليونان :

بعد ابن النديم أول المؤلفين العرب الذين تكلموا بصورة واضحة عن اللغة اليونانية وحروفها وطرائق كتابتها . وتحت عنوان (الكلام على القلم الرومي) يتوالى في كتابه الفهرست :

قرأت في بعض التوارييخ القديمة أن اليونانيين لم يكن يعرفون الخط قديماً، حتى ورد رجلان من مصر أحدهما يدعى قيس والآخر أغنور . ومعهما ستة عشر حرفًا، فكتب بها اليونانيون . ثم استطاع أحدهما أربعاء أحرف فكتب بها، ثم استطاع آخر يسمى سونيدس أربعة آخر فصارت أربعة وعشرين . ثم تكلم عن إشكال الكتابة بتلك الحروف فقال : " سألت رجالاً من الروم، مراطناً بلغتهم، وكان يذكر أنه قد وصل إلى المرتبة التي تسمى الإيطمولوجيا، وهو علم النحو الرومي، فقال :

المتعارف الذي يستعمله الروم (البيزنطيون) في مدينة السلام (بغداد) ثلاثة أقسام :

الاول يقال له ليطون : ونظيره من أعلام العرب قلم الوراقين الذي يكتب به المصاحف.

الثاني يسمى أفسفيادون : ونظيره من أعلام العرب قلم الثلث .

الثالث يسمى سورويطون : ومثله عندنا قلم الترسل الديواني، والذي تدعم فيه الحروف .

ثم عد ابن النديم أسماء الحروف اليونانية، وقسمها إلى مصوتة وغير مصوتة، وقال : إن اللسان اليوناني مستغن عن استعمال ستة حروف عربية هي (ح - د - هن - ع - ـ - لا). ولما تكلم بعد ذلك عن فلاسفة اليونان قال : " سألت أبي الخير بن الحمار، بحضور أبي القاسم عيسى بن علي، عن أول من تكلم في الفلسفة قال زعم فورفوريوس الصوري في كتابه التاريخ، وهو سرياني، أن أول الفلسفات السبعة هو

تاليس Thales بن ماليس الأملسي (المططي) وقال آخرون : أن أول من تكلم في الفلسفة بوثاغورس Pythagorus (الساموسي) .

وقال فلورطرس plutarque : إن بوثاغورس هو أول من سمي الفلسفة philosophic بهذا الاسم . وله رسائل تعرف بالذهبيات ، وإنما سميت بهذه الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالاً . ثم عدد ابن النديم أسماء سبعة عشر فيلسوفاً يونانياً، مع ذكر لمحات موجزة عن حياة بعضهم، مع أشهر مؤلفاتهم . لكنه خص أفلاطون وأرسطوطاليس بكثير من التفصيل .

كان تاليس، كما يقول سارتون، أول الرياضيين والفكريين الذين اشتهروا في بلاد اليونان (٤٨٠-٦٢٤ ق.م.)، ويقال انه كان من أصل فنيقي رحل إلى مصر طلباً للعلم، ويقال إن سبب شهرته ذكره المؤرخ هيرودوت، ونحوها ان الحرب كانت في عهده مستمرة بين الليدي، وهم من اليونانيين القاطنين في آسيا الصغرى، وبين الفرس .

وفي عام ٥٨٥ ق.م. حدث كسوف للشمس، فترقب الفريقان عن القتال، وعقد الصلح بينهما . وبما أن تاليس كان قد تنبأ بحدوث هذا الكسوف قبل وقوعه لذلك داع صيته كأشهر فلكي في البلاد . وتعزى لتأليس بعض الأجزاء في علم الهندسة منها : إن قطر الدائرة يقسمها إلى قسمين متساوين -زاوية المثلث المتساوي الساقين متساويةان -إذا تقاطع مستقيمان فالزاويةتان المتقابلتان بالرأس متساويةتان -يتتطابق المثلثان إذا تساوت فيها زاويتان وضعلاً . ويقول سارتون : هل يمكن القول ان تاليس كان حقاً أول مهندس بالمعنى العلمي أم ان المصريين سبقوه إلى ذلك ؟

أخبار سقراط بن سقراطيس (معناه ماسك الصحة) :

وهو من أهل آثينا، مدينة العلماء والحكماء، بكلام لم يدروا منه كثير شيء . وكان زاهداً وخطيباً حكيماً . قتلته اليونانيون لأنه خالفهم وخبره معروف .

ومن أصحاب سقراط أفلاطن، وبلغ كلامها ثمانين سنة . وجاء في كتاب فلورطرس Plutarque : ان أفلاطن Plato معناه النسيج، وأنه كان من أشراف اليونانيين .

توفي أفلاطن في السنة التي ولد فيها الاسكندر (٣٣٦ ق.م.)، وخلفه ارسطو طاليس، وكان الملك في ذلك الوقت بمقدونية فيليب Philippe أبو الاسكندر . الف أفلاطن .. الفي ثالثون الاسكندراني : كتاب السياسة، فسره حنين بن أسحق، كتاب التراميس، نقله حنين ثم أعاد نقله يحيى بن عدي . وقال ثالثون : إن أفلاطن يجعل كتبه أثروا يحكيها عن قوم، ويسمى ذلك الكتاب باسم المصنف له، وعدد ابن النديم بعد ذلك اسماء ما يزيد على ثلاثين كتاباً لأفلاطن .

أخبار أرسطوطاليس :

ومعناه محب الحكم، الفاضل لل الكامل . وهو ابن نيقوماكس، ويرجع نسبة إلى أسلوبه الذي اخترع للطب اليوناني . أسطوغاريا Stagira . كان أبوه متعظياً للملك فيليب أبي الاسكندر . أما ارسطوطاليس فكان تلميذاً لأفلاطن، وأنه لما هاجر استاذه إلى مقدونية خلفه على دار التعليم Academia .. ويقال إنه نظر في الفلسفة بعد أن بلغ الثلاثين من عمره . وكان يليغ اليونانيين وأجل علمائهم بعد أفلاطن . ونظرأ للصلة

القائمة بينه وبين الملك فيليب فقد أوكل إليه أمر تربية ابنه الإسكندر. ولما تولى الإسكندر الملك بعد مقتل أبيه، أصبح أرسطو أقرب المقربين إليه، والناصحين والمرشدين له. وحينما توجه الإسكندر لمحاربة الفرس رحل أرسطو إلى إثينا حيث اتّخذ الليقيون Lycium مقراً له . ولما كان يسرب فيه أرسطو مع طلابه، وهو يستمعون لأقواله لذلك أطلق عليهم اسم المتناثرين . توفي أرسطو أواخر أيام الإسكندر، وله من العمر (٦٦) سنة . وخلفه على التعليم ابن اخته تاوفيرسطس Thcophrasticus فبقى مديرًا لهذا المعهد من عام (٣٢٣ إلى ٢٨٨ ق.م.)

ذكر ابن النديم أسماء عدد كبير من مؤلفات أرسطو، كما ذكر أسماء من فسّرها أو نقلها إلى العربية . وأشهر هذه المؤلفات ثمانية كتب في الفلسفة والمنطق واللغة وهي :

١- القاطيفورياس : ومعناه كتاب المقولات، قام بشرحه تاوفيرسطس وثامسطيوس وفورفيوس الصوري ويحيى التحوي، ونقله إلى العربية حنين بن أسحق وفترة الفارابي وأبو بشر متى .

٢- الباري أرمينيلس، أو كتاب العبارة، فسرها تاوفيرسطس وفورفيوس والإسكندر الأفروسي ويحيى التحوي . نقلها حنين إلى السريانية ثم نقلها ابنه أسحق إلى العربية . وفسرها أبو بشر متى والفارابي واختصرها حنين وابنه أسحق وابن المقفع والكتندي وثابت بن قرة وأحمد بن الطيب السرخسي والرازي .

٣- الالوطيقا أو كتاب القياس : وهو يتألف من جزأين ، وفي كل منهما مقالتان نقل المقالة الأولى من الجزء الأول إلى العربية تبادرüs وينقل ابن حنين أصلحه . ونقل حنين قطعة منه إلى السرياني . وفسر ثامسطيوس المقالتين، وكذلك فعل يحيى التحوي وأبو بشر متى .

٤- الابوديقطيا، وهو الجزء الثاني من كتاب القياس . نقل حنين بعضه إلى السريانية، كما نقل ابنه أسحق المقالتين إلى السريانية، ونقل بشرمتى ما ترجمته حنين إلى العربية . شرح ثامسطيوس المقالتين شرحاً تاماً وكذلك فعل الإسكندر الأفروسي ويحيى التحوي والكتندي والفارابي .

٥- الطوبيقا، وهو كتاب المواضيع الجدلية : نقله أسحق إلى السريانية ثم ترجمه يحيى بن عدي إلى العربية . وفسر الإسكندر الأفروسي ويحيى التحوي بعض مقالاته .

٦- الموسفطيقا: ومعناه الحكمة المعمودة، نقله ابن الناعمة وأبو بشرمتى إلى السريانية، وتترجمه يحيى بن عدي إلى العربية وفسره الكتندي .

٧- الريطوريقا: ومعناه كتاب الخطابة، ينبلج ابن أسحق بن حنين نقله إلى العربية، وفترة الفارابي .

٨- البوبيقيا: ومعناه كتاب الشعر نقله أبو بشرمتى من السريانية إلى العربية، وكذلك فعل يحيى بن عدي، واختصره الكتندي .

وأخصى بطليموس مؤلفات أرسطو في العلوم التطبيقية، لتجاوز عددها المئة، من أشهرها :

-كتاب في السماء والعالم أربع مقالات

-كتاب في الآثار الطورية أربع مقالات

-كتاب فيما بعد الطوبيقا (١٣) مقالة

-كتاب في طبائع الحيوان عشر مقالات

-كتاب في الأعضاء التي بها الحياة أربع مقالات -كتاب في اللبات مقالتان

-كتاب في علم النجوم

-كتب نعمت الاحجار و منافعها

-كتاب في الامواء

تاريخ الطب اليوناني :

وفي باب ابتداء الطب قال محمد بن اسحق النديم صاحب الفهرست : إن اسحق بن حنين في تاريخه قال ابن اهل مصر استخرجوا الطب ، والسبب في ذلك أن امرأة كانت بمصر ، مبتلة بالغثط (الكرب والهم) والرزد (سقوط الأسنان) . فكانت ضعيفة المعدة ، وصدرها مملوءاً أخلاطاً رديئة ، وكان حيضها محبوساً ، فاتتفق ان أكلت الراس Inula ، فذهب عنها جميع ما كان بها ، فاستعمل الناس هذا النبات لجميع الوجاع . وقال آخرون : إن هرمس استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب . وبعضهم يقول أهل قو Cor (وهي الجزيرة اليونانية التي نشأ فيها أبقراط) ... وذكر يحيى النحوي في تاريخه أن اسقيبيوس كان الأول في صناعة الطب ، وأن بينه وبين وفاة جاليوس (٥٥٦ ق.م) سنة ، ثم ذكر أسماء عدد كبير من الاطباء اليونان الذين ظهروا خلال تلك . وكان من أشهرهم :

أبقراط Hippocrate

وهو ابن ايراقليس : وليه انتهت رئاسة الطب في بلاد اليونان . تكلم عنه يحيى النحوي فقال إنه وحيد دهره ، الكامل الفاضل ، للبنين والمعلم لسائر الأشياء ، الطبيب الفلسوف الذي يضرب به المثل : بلغ به الأمر إلى أن عده الناس ... وهو أول من علم للغرباء صناعة الطب ، وجعلهم شبيهها بأولاده ، لما خالف على الطب أن يفني من العالم . عاش خمساً وتسعين سنة ، وتوفي مخلفاً ثلاثة أولاد وهم : ثالوس وذرقاون والابنة مايا ارسيا .

ثم ذكر ابن النديم بعد ذلك أسماء كتب أبقراط ، وما ترجم له حنين بن اسحق ومدرسته الى السريانية او العربية ، وهذه الكتب هي : عهد أبقراط - الفصول - تقدمة المعرفة - الامراض الحادة - الكسر - الآيديميما - الاخلاط - القاط (حانوت الطبيب) - الماء والهواء (والأمكنة) - طبيعة الإنسان .

وبعد وفاة أبقراط (٣٧٧ ق.م) عن عمر يتجاوز الثمانين عاماً ، خلفه في التدريس ومارسة الطب صهوره بوليب Polype . ويقال بأنه شارك بتأليف بعض مؤلفات أبقراط ومنها كتاب طبيعة الإنسان ، كما اشتهر ابن الأكير لابقراط والمدعу Tessalus بكونه الطبيب الخاص لملك مقدونية أرقلوس .

وتولى بعد ذلك ظهر أطباء آخرين من نسل أبقراط ، بلغ عددهم (٢٣) طبيباً منهم ثلاثة يحملون أسم أبقراط . وكان أبقراط الرابع طبيباً لروكسانا زوجة الاسكندر الكبير . وبعد الطبيب دراكون الثالث ، ابن أبقراط الرابع ، آخر طبيب ظهر من هذه العائلة ، التي حافظت على مبادئ عمدها ، والطرق التي كان يسير عليها في مداواة المرضى والعنابة بهم .

تطور العلوم والفلسفة اليونانية في مدينة الاسكندرية :

كانت العلاقات التجارية والثقافية بين مصر الفرعونية وبلاد اليونان قديمة العهد . وازدادت هذه العلاقات رسوحاً بعد حملة الاسكندر على بلاد الشرق الأوسط وبنائه لمدينة الاسكندرية . حكم الاسكندر الكبير بلاد اليونان عام ٣٣٦ ق.م ، بعد مقتل أبيه فيليب الثاني ملك مقدونية . وبعد أن تغلب على داريوس

ملك الفرس عام ٣٣٣ ق.م اتجه إلى سوريا، ثم تابع طريقه إلى مصر حيث أمر ببناء مدينة الإسكندرية عام ٣٣١ ق.م. ولما توفي الإسكندر بعد عودته من بلاد الهند عام ٣٢٢ ق.م. اقتسم كبار ضباطه البلاد التي استولى عليها. فأنشأ سلوقيون الأول مملكة على ساحل الدجلة عام ٣٠٥ ق.م، شملت العراق وشمال سوريا، وجعل عاصمتها انطاكية . واستمر حكم أسرته حتى عام ٦٤ ق.م وأنشأ البطالسة أو الليجيديون، مباشرة بعد وفاة الإسكندر، مملكة في مصر دام حكمها ثلاثة أيام . وكان آخر ملوكها بطليموس السادس عشر، وهو ابن الملكة كلوبطرا السابعة من بطليموس كيصر امبراطور روما، وقد حكم مصر من عام ٤٧ إلى عام ٣٠ ق.م.

استعمل الملوك البطالسة بالعلماء والاطباء اليونان، الذي وفدوا على مدينة الإسكندرية، كما نقلوا إليها علماء مدرسة هيليوبيليوس (عين شمس) . وكان ستراتون Straton تلميذاً لتوفراستس، ابن اخت ارسطو وتلميذه أيضاً، جاء مع الرؤساء فهمد اليه بتأسيس متحفها Museum، ومكتبتها المشهورين . ويقول المؤرخ الروماني أولوجيل Aulogellus : إن مكتبة الإسكندرية كانت تضم ما يقرب من سبعين ألف مجلد . أما المتحف فكان بمثابة جامعة تضم عدة معاهد، وكان يضمها نحو أربعة عشر ألف طالب . وتضم هذه الجامعة عدة أبنية، في كل واحدة منها قاعة فسيحة لتعليم الطب أو الفلك أو العلوم الرياضية والهندسة أو الكيمياء . كما يوجد في بعضها مدرجات يقوم فيها الأطباء بتدريب جنود من حكم عليهم بالاعدام من المجرمين . وفي تلك المدرجات كان الطبيبان هيروفيل وليراز يسترانت يقمن بالتشريح المقارن لجسم الإنسان والحيوان . زفي مدرسة الإسكندرية ظهر علماء السيماء Alchimic، وكان الهدف منه تحويل المعادن الخيسية إلى معادن ثمينة، أي إلى فضة أو ذهب .

ومن علماء الإسكندرية الأول إيليدس Euclid، وهو عالم بالهندسة والرياضيات وواضع اسس الهندسة المسطحة عاصر بطليموس الأول في مصر، ودرس في مدينة الإسكندرية . وهو صاحب النظرية التي تقول أن الأرض ثابتة وتقع في مركز العالم .

العلوم والفلسفة اليونانية في العصر الروماني :

بعد وفاة الإسكندر تحولت بلاد اليونان إلى مقاطعات متذكزة، فاستجد بعضها بالدولة الرومانية الناشئة . وهذا مساعد على بسط نفوذ تلك الدولة بسقوط مدينة آثينا بيدها (عام ٤٦ ق.م.) . كان الرومان أنفسهم حضارة من اليونان، وكانتوا باشدة الحاجة للطبياء والجراحين لمداواة جنودهم أثناء الحرب لذلك لجأوا إلى الأطباء اليونان وأ佗 لهم تقنيتهم، وإن كانوا لا يحترمون ولا يحترمونهم لكنهم من طبقة الرفيف . وظهرت في مدينة روما حاتات كان يعمل بها أطباء يونان، يقومون بتحضير الأدوية . لكن بعض الرومانين ظلوا يفضلون اللجوء إلى السحر والدجالين وبطئي الأعشاب حسب العادة .

- ومن الأطباء اليونان الذي رحلوا إلى روما طلباً للرزق أسكليپيايد Asclepiad (٤٠-٤٠٠ ق.م.) أسس في روما مدرسة حاربت المكار من سبقه من الأطباء وأرائهم واعتمد في مداواته على : الالباب الرياضية والمعالجة بالماء، والتلوك، وشرب التمر، وشاع ذكره في روما لأنه أنشى رجلاً أصيب بالموت الكاذب .

- ومن الأطباء اليونان الذين عاصروا ظهور المسيحية ديستوريديس Discoridés ولد في مدينة عن زرب شمال سوريا . عمل في الجيش الروماني في عهد الامبراطور نيرون (٦٨-٥٤ م). وكان أثناء تنقلاته

يجمع النباتات الطبية ويدرس صفاتها وخصائصها الدوائية . ألف كتاباً عُرف باسم المادة الطبية، وهو يضم نحو (٩٥٠) عقاراً أو دواء مركباً، منها نباتي أو حيواني أو كيميائي . وترجم كتابه هذا من اليونانية إلى العربية الطبيب اصطفان بن باسيل، وأصلح ترجمته حينين بن سحق .

- وفي أوائل القرن الثاني بعد الميلاد ولد الطبيب اليوناني جالينوس Galinus، في مدينة برغام بالقرب من إزمير . تعلم الحساب والهندسة والمنطق والفلسفة في بلده . ولما بلغ العشرين من عمره رحل إلى الإسكندرية حيث تعلم الطب . ولما عاد بعدها إلى بلده عين طبيباً جراحياً في مدرسة لتعليم المبارزة . ثم سافر إلى روما عام (١٣١م) حيث استقر وصار من مشاهير الأطباء .

كان جالينوس معجباً بأداء أبقراط ومؤلفاته، لذلك قام بتفسير جميع ما ألقه . واتخذ نظرية الأخلاط الأربع وهي الدم واللحم، والهواء والتراب وطبقاتها الأربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة والبروبرة أساساً للطبيعة . وكان يتبعها أبقراط . واعتبر الروح هي المسيطرة على الجسم . قام بشرح جسم الإنسان ووصف أعضاءه الخارجية والداخلية . وقال إن صورة كل عضو تتلازم مع طبيعة عمله، وإن الطبيعة حكمة لا تخطئ . ومن الأعمال التي قام بها جالينوس تحضير بعض الأدوية . وبما أن آراء جالينوس وأنكاره التشريحية، وفي علم الأدوية المفردة والمركبة، وتحضير الأشكال الصيدلية . وبما أن آراء جالينوس وأنكاره تتسمج مع ما يقوله رجال الدين المسيحي وعلماء المسلمين، لذلك أطلق عليه اسم الطبيب الملهم والقاضيل .

ومن علماء مدرسة الإسكندرية المشهورين بعلم الفلك بطليموس القزوzi Plotinus claudius عالماً رياضياً وجغرافياً أيضاً . عاش في زمان император ماركوس اوريليوس (١٦١-١٨٠م) . ولد في صعيد مصر بالقرب من مدينة طيبة، ثم انتقل إلى مدينة الإسكندرية . ألف أشهر كتاب في علم الفلك في زمانه، وهو المعروف باسم المجموع الكبير Almagest .

كان علم الفلك عند بطليموس مبنياً على الأرصاد، سواء منها ما قام به هو نفسه، أو ما أورثه عن أسلافه من الفلكيين البabilيين والمصريين والإغريق . واستخدم في أرصاده أدوات فلكية، كالكرة التي تمثل الفلك والآلة التي أصلاحها لقياس أبعاد النجوم . ولم تكن الوظيفة الرئيسية لهذه الآلات تسجيل الأرصاد فقط، وإنما كان الغرض منها الوصول إلى التفسير الرياضي للواقع الذي تكشف عنها الأرصاد وربطها ببعضها ببعض . ومن مشاهير مدرسة الإسكندرية فيلسوف يوناني من أصل يهودي يدعى فيلون Philon، ولد في الإسكندرية عام ١٣ق.م وتوفي عام ٤٥م . لقد ظهر خلال الفترة الممتدة بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثاني بعده تيار غزا الفكر الفلسفى اليوناني، وبعد فيلون أول فيلسوف يميز التيار الجديد الذى حاول أصحابه أن يجدوا الفلسفة الأخلاقية، ويرفعوا التعارض بين الروح والمادة .

كان لترجمة كتاب التوراة إلى اللغة اليونانية في مدرسة الإسكندرية ظهور نزاع قوي بين الفلسفة والدين، أو الفعل والنقل - ويقول الدكتور بدوى، في كتابه الأخلاقية الجديدة، عند الكلام عن فيلون :

"يمتاز فيلون، عن سبقه من المفكرين اليهود، بأننا نجد لديه لأول مرة الحقيقة الدينية، وقد وضعت في صيغة فلسفية، فهو يؤمن كل الإيمان بأن الأسفار الخمسة التي نزلت على النبي موسى لا بد أن تكون صادرة عن وحي إلهي، والا لما استطاعت البقاء تلك المدة الطويلة ... ولكنه كان إلى جانب آخر شديد العناية بالفلسفة اليونانية، التي غزت عقول المفكرين في ذلك العصر، ويرى أنها هي الأخرى تعبر عن الحقيقة ... لكن الأوّال الدينية أكمل وأتم، وما الفلسفة الا خادم للدين ." .

جاء بعد فيلون قيلسوف روماني يدعى أفلوطين Plotin، قطنى عائلته في مصر بين عامي (٢٠٥-٢٧٠) م، درس خلالها في مدينة الإسكندرية. ثم ذهب بعدها إلى روما حيث قام بتدريس فلسفة هي مزيج من أسس الفلسفة اليونانية القديمة ومبادئ الدين المسيحي الجديد.

لقد استطاع أفلوطين أن يفصل فصلاً تاماً بين الخالق الأول وبين الأشياء، فهو الذي جعل الوجود المادي شيئاً صادراً عن الوجود الأول أي وجود الإله. وأن بينن في دقة وإنحصار كيفية صدور الموجودات عن الله، وبين كذلك أثار هذه القوى الإلهية في المخلوقات، ويرتبط ذلك ضمن نظام منطقى معقول . لذلك أطلق على فلسنته هذه اسم الأفلاطونية الحديثة . لأن أفالاطون هو أول من عنى من فلاسفة اليونان بالدين، وتبعه بعد ذلك تلميذه أرسطو ومن جاء بعده من الرواقيين .

ترجمة العلوم اليونانية إلى اللغة العربية :

لم يكن للعرب قبل الإسلام علوم يعتد بها . وترجع علومهم الطبيعية و الطبية إلى ما أورحت به الملاحظات العابرة والتجربة اليومية، وما قبضت به ظروف الحياة وأسباب العيش، كمعرفة مطلع النجوم ومخاربها، وأنواع الكواكب وأمطاراتها . واستعمال بعض الأعشاب المنتشرة في جزيرة أو المستوردة لمعالجة بعض الأمراض البسيطة . ولما جاء الإسلام وجه لنظراء المسلمين إلى ما في الكون من عجائب وغرائب، ودعاهم للبحث والنظر . لقد امتدت فتوحات العرب شرقاً وغرباً، منذ صدر الإسلام فاتصلوا عن قرب بالحضارات القديمة والمعاصرة، ووقفوا على علوم لا عهد لهم بها . وكانوا على درجة عالية من الوعي فلم يمسوا المؤسسات العلمية والدينية التي كانت قائمة لأهل الكتاب، لهذا تابع من يقى من علماء مدرسة الإسكندرية ابحاثهم، كما تابعت مدرسة جنديسابور وحران وغيرهما رسالتهم في نشر العلم والترجمة . وانطلق العلماء من تلك المدارس إلى البلاد العربية، بناء على الخلفاء والأمراء، أو طلباً للرزق الذي انفتحت أبوابه أمام الجميع .

قام بعض هؤلاء الواقفين، إلى جانب ممارسة مهنة الطب، بترجمة بعض المؤلفات الفلسفية أو العلمية من إحدى اللغات الشرقية أو الغربية، وخاصة اليونانية والسريانية . وهكذا تمت ترجمة بعض المؤلفات في الكيمياء والطب منذ العصر الأموي تحت إشراف خالد بن يزيد بن معاوية، الذي أنشأ أول خزانة لكتب في مدينة دمشق .

ومنذ القرن الأول للهجرة ظهرت بين الكوفة والبصرة دراسات لغوية ودينية؛ إلا أن الحركة العلمية لم يبدأ نشاطها الفعلي إلا في القرن الثاني. ثم أخذت تنمو وتترعرع طوال قرون أربعة، فامتد نشاطها بحيث شملت علوماً وفنوناً كثيرة، معتمدة في أول الأمر على الترجمة، ثم تحولت إلى شرح أو نقد أو تلخيص وكان ذلك نتيجة لتمثل علوم كثيرة تمت على يد أعلام أمثال الكلبي والرازي والبيروني والباتاني وأبين سينا والفارابي وغيرهم . ويقول الدكتور العوا في كتابه حقيقة إخوان الصفا :

" إن سيطرة الشعب العربي على شعوب متعددة الحضارة والعقائد الدينية سببت احتكاك ثقافات عديدة بعضها ببعض . وكان من نتيجتها أن دخل الإسلام بعد الفتح أفراد من ديانات مختلفة، وكان بعضهم علماء في دياناتهم، فلما اطمأنوا واستقرروا على الدين الجديد أخذوا يقارنون بين تعاليم الإسلام وتعاليم دينهم القديم ويشرون مسائل ومشاكل، ويطرحون تعليقات بعيدة عن الإسلام ."

كان الجهاد العربي، في ظل الدولة الأموية، منصراً لتوسيع الحكم واستقراره، لذلك لم يكن هناك مجال للتفكير في هذه الأمور. ولكن استقرت أمور المسلمين في العصر العباسي، وبدأت حركة الترجمة على نطاق واسع، للمؤلفات العلمية والفلسفية لأعلام اليونان، تولد علم جديد، كان يمثل أحسن تمثيل حاجة أكثر المواطنين، ويعرف هذا العلم في تاريخ الفلسفة عادة باسم (علم الكلام).

ثم يقول الدكتور العوا "كان اسم (المتكلمون) يدل في أول الأمر على من يجعل مسألة مختلف فيها، من مسائل الاعتقاد، موضوع برهنة جليلة، مقنماً برأهين نظرية لدعم القضايا التي يعرضها . ولكن سريعاً ما تعتد هذا الاصطلاح فأصبح يدل على أولئك الذين يعلمون من المسلمات الدينية الإسلامية قضائياً يجب أن تكون مقبولة حتى من الأئمة المفتكرة . وكانت من نتيجة ذلك أن ظهرت في أوائل القرن الثاني للهجرة نوارة لفرقة المعتزلة بقيادة الحسن البصري ... ثم تابع المسيرة بعده تلميذه وأوصل بن عطاء، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لها ... لقد اعتبر بعض المؤرخين حركة المعتزلة إصلاحاً دينياً، واعتبرها آخرون دلائلاً عن الدين الإسلامي ." .

تأثير العلوم واللهجة السريانية في العلوم واللهجة العربية

من المرجح لدى كثير من المؤرخين أن موطن الكهنة كان جزيرة العرب وأن نزوحهم من هذه الجزيرة حدث بين القرنين الثلاثين والخامس والعشرين قبل الميلاد، ثم انتشروا بعد ذلك في جميع أنحاء سوريا وفلسطين . ويقول العالم ولفسون "لم يلص التاريخ على أن سوريا كانت مأهولة بأحد قبل الكهنة، ولكن يطلب للظنب أن بعض مناطق سوريا وفلسطين كانت مأهولة ببعض الأقوام منذ أقدم الأزمنة".

لم تكن حضارة الشعوب التي كانت تقطن في الجزيرة العربية وببلاد الرافدين معروفة بصورة جلية قبل منتصف القرن التاسع عشر . ولكن بعد هذا التاريخ قامت بعثات أثرية من الدول الغربية بالتقرب عن الآثار في للتلال المنتشرة جنوب العراق وشماله، وعلى ضفتي الفرات، والساحل السوري، والتي يقدر عددها بنحو (١٠٠٠-٧٠٠) تل . ففُتحت على مدن منغمسة في التراب، وهي تضم قصوراً ملكية ومساكن تحيط بها أسوار عريضة متعددة الأبواب . كما وجدوا فيها مكتبات وغرف جمعت فيها تماثيل بأحجام مختلفة، ورقماً طينية متناثرة بالخط المساري، ومئونة بعده لغات . واستطاعت تلك البعثات الأثرية، بالتعاون مع أساندة اللغات الشرقية في أوروبا ذلك رموز تلك الرقم . وبنتيجه تلك الأبحاث تبين لهم أن بلاد الرافدين كان يقطن فيها، منذ حوالي ألف الخامس قبل الميلاد شعبان متعليشان : السومريون، وكانت يشكلون أغلبية السكان في جنوب البلاد، وهم من أصل أري غالباً، والأكاديون، وكانت يسيطرلن على أواسط البلاد، وهم من أصل سامي .

كانت اللغة السومدية لغة الأدب والعلم والتجارة، وبها دونت أكثر الألوان المسارية حتى القرن الثاني قبل الميلاد. أما اللغة الأكادية فكانت اللغة العالمية الشعبية، لكنها استطاعت بكثرة ألفاظها ومعانيها، وسهولة قواعدها والاشتقاق منها، أن تسود البلاد بعد ذلك.

ظهرت اللغة الأكادية باللغتان المشتقات منها وهما البabilية والأشورية، سائدة في بلاد الرافدين قرابة ألفي عام وعندما تأسست الدولة الكلامية، أو البabilية الحديثة، أخذت اللغة الآرامية تحل محل اللغة الأكادية وذلك حوالي عام ٥٣٩ ق.م.

قام علماء اللغات السامية، ومنهم الاستاذ ولفسون، بدراسة ومقارنة بين حروف وألفاظ ومعاني تلك اللغات، وقواعد النحو فيها، فوجدوا شبهاً كبيراً بينها وبين اللغة العربية. وهذا ما دعا العالم Springer إلى القول أن جميع الباليين والأشوريين والآراميين والفينيقيين وغيرهم هم عرب، هاجروا من جزيرتهم كلما امتلأت الجزيرة بهم، أو أجدت على أثر انحسار المطر، أما سكان سوريا فمن المرجح أنهم كانوا من الكنعانيين، تزحفوا أيضاً من الجزيرة العربية قبل عام ٢٥٠٠ ق.م. ثم انقسموا إلى شعوب وقبائل فكان منهم العموريون (العموريون) والخويون البرجاشيون والبيوسيون وأطلق اليونانيون على الكنعانيين الذين سكنا الساحل السوري اسم الفينيقيين. وأنشأ العموريون عدة ممالك في سوريا والعراق، وكان من أشهرها مملكة ماري ومملكة يهودان (حلب)، ومملكة بابل في عهد حمورابي، ومملكة اورغاري، ومملكة ايدلا.

وقبيل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد استوطنت بعض القبائل الرحيل ضفاف وادي الفرات الأوسط، حيث ظهرت قوميتها ولغتها وعرفت باسم الشعب الآرامي. وأطلق العموريون على أفراد هذه القبائل اسم الأخلاص، ويعني الرفاق أو الخلق.

أسس الآراميون عدة دولات في بلاد الهلال الخصيب، وكان من أشهرها إرم عاد في بلاد الاحقاف، وإرم فنان في مدينة حزان، وإرم ذات العداد في دمشق. وكانت الأخيرة أهم تلك الدول، تأسست آخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وامتدت نفوذها من نهر الفرات شمالاً إلى وادي اليرموك جنوباً.

العلاقة بين اللغتين الآرامية والسريانية:

انتشرت اللغة الآرامية في جميع دولات الهلال الخصيب عن طريق التجار الآراميين، فاصبحت لغتهم، حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، لغة التجارة والحضارة، وفاقت بذلك جميع شعوبها من اللغات السامية. حتى أن السيد المسيح، وهو عبادته الفينيقية، لأن الآراميين كانوا من أوائل من اقتبسها. وتفرق اللغة الآرامية. وبانتشار هذه اللغة انتشرت الأبجدية الفينيقية، لأن الآراميين كانوا من أوائل من اقتبسها. وتفرق اللغة الآرامية إلى عدة لهجات محلية، منها النبطية والتدميرية ولهجة سكان الرها Edessa. ولما انتشرت المسيحية بين الآراميين في سوريا اصطفى رجال الكنيسة لهجة الرها لعدوبتها، وصارت تعرف باسم اللغة السريانية منذ القرن الثاني للميلاد.

كان لظهور الديانة المسيحية في بلاد الشرق دعم لانتشار اللغة السريانية فيها. ويقول الدكتور حتى في تاريخه: "كانت اللختان اليونانية والسريانية تستعملان في العبادة وأداء الطقوس الدينية منذ عهد الرسل. وبعد أن ارتفعت انتطاكيه إلى مركز الصداررة في الجزء الذي كان يتكلم أهله اليونانية، بدأت مدينة الرها بالارتفاع إلى مكانة مشابهة في البلاد التي تتكلّم السريانية. وأصبحت أقدم مركز للمسيحية في شمال سوريا وببلاد الرافدين".

وحينما انتشرت الديانة المسيحية بصورة رسمية، في أوائل القرن الرابع للميلاد، فرضت اللغة السريانية نفسها تجاه اللغة اليونانية في كثير من الكنائس الشرقية، ولاسيما تلك التي كانت تقول بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح. كان المتقنون من السورين في ذلك الوقت يتكلمون إحدى اللغتين الأوربيتين: اليونانية أو اللاتينية، فعنهم من اهتم بتعلم اللغة اللاتينية أملاً بالحصول على أحد الوظائف المرموقة في الدولة الرومانية، أما الذي فضلوا دراسة العلوم والفلسفة ففضلوا تعلم اللغة اليونانية. وتمسك عامة الشعب باللغة السريانية باعتبارها اللغة القومية للبلاد. ويقول أحد أئمي في كتابه ضحي الإسلام:

كان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم السريانية واليونانية، وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات. وكان يشرف على تلك المراكز العلمية رهبان النساطرة واليعاقبة. لقد أظهر النساطرة براءة فائقة في تعلم اللغات لذلك كانوا خير الوسطاء في نقل الثقافة اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة. وكانت اللغة السريانية هي همزة الوصل غالباً بين اللغتين، اليونانية والعربية. ويعود إلى النساطرة الفضل في تأسيس بيمارستان جنديسابور، الذي تخرج فيه كثير من الأطباء السريان والفرس، وكان من أشهرهم أسرة بختيشو وعما سويف الخوزي وأبيه يوحنا، وسابور بن سهل، وحنين بن إسحق وأبيه وطلبه.

واشتهر من العياقة سرجيوس الرأسعني، الذي كان فيلسوفاً وطبيباً وعالماً بالكيمياء والفلكلور، ذهب من بلده رأس العين إلى الإسكندرية، حيث اتقن اليونانية بدرس مختلف العلوم. ثم قام بترجمة بعض مؤلفات أبقراط وجالينيوس إلى اللغة السريانية، وتوفي عام (٥٤٦).

ما نقله المترجمون من اللغتين اليونانية والسريانية:

يقول العالم روزنثال في كتابه (استمرار علوم الاغريق القدماء في الإسلام): ليس يمكن الدافع النفسي العلمي والنظري ليجعل لنا ظاهرة العمليّة الواسعة لترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية ببل لابد من فهم موقف الدين الإسلامي ذاته من العلم. وموقفه هذا كان المحرك الكبير لا للحياة الدينية فحسب بل للحياة الإنسانية في جميع جوانبها. وموقف الإسلام هذا كان هو الدافع الأكبر في السعي وراء العلوم.

إن أكثر الباحثين يقولون: إن حركة الترجمة بصورة منتقطة بدأت مع بداية الخلافة العباسية، أي في منتصف القرن الثاني للهجرة، وبذلت ذروتها بين القرنين الثاني والثالث، بعد تأسيس دار الحكمة على يد المأمون. وما لاشك فيه أن أكثر اهتمام المترجمين والباحثين العرب والمسلمين كان منصباً على الطروح ذات الأهمية في الحياة العلمية، وخاصة: الطب والصيدلة والجغرافيا والفلسفة والرياضيات والهندسة وعلم النجوم (التجييم) وعلم الهيئة (الفلك). لقد أحصى ابن النديم أسماء أشهر من قام بنقل هذه العلوم إلى اللغة العربية متجاوزاً عددهم الثلاثين. وكان حنين بن إسحق وأبيه إسحق الفضل نقلاً أكبر عدد من المؤلفات الطبية والفلسفية من اليونانية إلى العربية.

ظل العلماء العرب، كما يقول الدكتور سركين، حتى أواسط القرن الثالث للهجرة، يعتنون أنفسهم بشبه بتلامذة لقديماء العلماء والفلاسفة اليونانيين، وظللوا يكتون لهم الاحترام والتقدير. فكان أبقراط أيام الطلب والأطباء، وأرساطو المعلم الأول للفلسفة والمنطق، وجالينيوس الطبيب المعلم الفاضل.

لقد تحلى العلماء العرب والمسلمون بالأمانة العلمية، والتي تتجلى بذلك المصادر التي يستقى العالم منها معلوماته، دون تحريف أو انتحال. كما كان لهم الفضل في حفظ أسماء علماء، يتمنون لقوميات مختلفة، اقتبسوا من مؤلفاتهم المفقودة في الوقت الحاضر، فأحيوا ذكرهم.

ومن مميزات العلماء العرب والمسلمين النقد البريء من التجريح وتصحيح الأفكار والأراء الخاطئة. ولم يقتصر ذلك على علم معين، فمثلاً في علم الطب انتقد موفق الدين البيهقي جالينيوس لأنه قال بأن الفك الأසفل يختلف من عظميين، والصواب من عظم واحد، كما انتقد ابن النفيس جالينيوس أيضاً لأنه قال بوجود لفتحة بين البطينين في القلب، وإنما يوجد الدورة الدموية المصغرى.

ومما يجب ذكره أن كثيراً من المؤلفات اليونانية المزيفة أو المنحولة ظهرت في بيزنطة بعد انتشار المسيحية.

فقد عد بعض الباحثين إلى وضع مؤلفات مقتبسة من أكادير علماء اليونان الأوائل، ونسوها إليهم سعياً وراء الربح والشهرة. وبما أن المترجمين، من سريان وعرب، قد اتفقاً نقل المؤلفات اليونانية إلى اللغة العربية، فقد استطاعوا كشف هذا التزيف، بالاعتماد على اختلاف أسلوب ولغة قدماء العلماء اليونان عن أسلوب ولغة المحدثين.

التعارض بين اللغة العربية واللغتين السريانية واليونانية:

قام البطريرك مار أغناطيوس أفرام الأول عضو مجمع اللغة العربية بدمشق بتحرير عدة مقالات نشرت في مجلة المجمع بيت عامي ١٩٤٨-١٩٥١م - ثم جمعها في كتاب نشر تحت اسم (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية).

لقد قام غبطته بدراسة لغوية متعمقة للألفاظ السريانية والداخلية، مما استعمله العرب واقتبسوه من لغات الشعوب المجاورة لهم، ومنها الفارسية والأشورية والعبرانية، وبلغ مجده في الألفاظ (٦٦٠) لفظة سريانية بحثة، (٢٧) لفظة يرجع أنها من أصل سرياني بيرو (٤٣) لفظة اتفقت فيها السريانية والعبرية (٤٤) لفظة اتفقت فيها الأشورية والسريانية والعبرانية، ولدي تدقيق مجلل تلك الألفاظ تبين أن فيها (٧٠) لفظة تدل على أسماء نباتات بيرو (٥٠) لفظة تدل على مصطلحات طيبة، وأدوات تستعمل في الصيدليات أو المنازل (٣٥) لفظة هي أسماء حيوانات أو طيور أو مواد معدنية.

وفي عام ١٩٦٩ نشر البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق أيضاً كتاباً عنوانه (البراهمي الحسيبة على تعارض السريانية والعربية) ذكر في مقدمته ما يأتي : "اللقطان الشقيقان، السريانية والعربية يترعضاً عن الدوحة السامية الكبرى، لكن تظل الواحدة في معزل عن الأخرى دهراً طويلاً، ثم تصب الواحدة على الأخرى، فلتلتقيان لتعيشاً متعاقدين متآزرتين متقاربتين". ثم قال بعد ذلك: "لقد تسبا به في كلتا اللغتين مئات من الألفاظ معنى ولقطاً وهي إما مما توارثاه عن اللغة الأكادية، أو مما استقرضته كل منها من الأخرى".

أما اليونانية فهي لغة بعيدة كل البعد عن اللغة العربية، ولكن نظراً لأن اللغة العربية تمتاز بوفرة ألفاظها ومعانيها، ومسؤولية الاستئناس منها فقد استطاع أوائل الترجمة إيجاد ألفاظ ومصطلحات تؤدي معنى الألفاظ والمصطلحات المنتشرة في المؤلفات الفلسفية والعلمية، والتي قاموا بنقلها من اليونانية إلى العربية. ولكن تعذر عليهم إيجاد أسماء كثيرة من مفردات الأدوية من نباتات أو حيوانات أو معادن لم يعرفها العرب فربوها. ونجد ذلك واضحاً في كتاب الجامع لمفردات الأغنية والأدوية لابن البيطار.

ظواهر لهجية اللهجات

د. عبد الله نبهان

١ تخطي عن الناظر في المعجم العربي وكتب النحو وكتب شروح الشعر القديم أو الكتب الميسوطة في التراث القرآنية مثل هذه العبارات: وهي لغة تميم.. وهذه لغة الأزد.. وتتسب إلى لزد شنوة وهذه ما "الحجازية... فإذا أحب أن يقتضي الأمر إلى حوده البعيدة فتنت له كتب فقه اللغة العربية" المصنفة حديثاً ثبتنا لما كتب من دراسات مستقلة في كل لهجة من اللهجات القديمة، فهذا كتاب في لهجة تميم (١)، وذلك طروحة جامعية في لهجة طيء (٢)، وذلك كتاب كبير في "اللهجات العربية في التراث" (٣)، وهذا فصل من كتاب في لهجة تميم (٤) .. ثم يبرز لمame معجم حيث نخل المعجمات القيمة واستخرج ماقتها من الأنماط المنسوبة إلى قبائل بأعيانها، فتجد فيه جميعاً ما نصحت عليه المعجمات القيمة بأنه من لغة جرهم أو تميم أو الأزد أو أهل اليمن أو كاناثة أو الشعريين أو هذيل أو تهيف أو قريش (٥).. وهكذا.. فهل يوحى هذا - أي تلك الدراسات وهذا المعجم - بأن اللهجات العربية القديمة قد جمعت ودرست وبثت خصائص كل لهجة على حد سواء؟

إن الجواب حسب المعطيات الظاهرة يجب أن يكون بالإيجاب، وذلك لأنك عندما ترى بحثاً مطبوعاً بعنوان "لهجة تميم" مثلاً، تتصور وجود مادة شاملة ودراسة مكتملة قام بها الباحث صاحب الكتاب ليقدم معلومات مؤكدة وصورة واضحة عن اللهجة التي هي موضوع البحث.. لكنك ما إن تفحص هذه الدراسات التي تتناول اللهجات القيمة، وتتظر إليها بعين النقد، وتجلب ذكرك في معطياتها وتناقش طريقة معالجتها للمادة اللغوية، حتى تحس أن ليساً ما في هذه الدراسات.. وإن ما يقتضي إليك إنما هو ظواهر لهجية وليس لهجة، ويمكن أن أبين صحة هذا الادعاء فيما يلي من البحث.

أطلق قدماؤنا على اللهجة مصطلح "اللغة" (٦) فإذا قالوا: لغة تميم أو عمان أو الأزد فإنما يعنيون بذلك اللهجة تميم أو عمان أو... غير أن استعمال المصطلح تحدث في عصرنا فأصبحت العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام بالخاص، فاللهجة خاصة ولغة عامة، وبناءً عليه فإن عدداً من اللهجات يمكن أن ينتهي إلى لغة واحدة، ويمكن أن تعرف اللهجة بأنها "مجموعة من الصفات اللغوية تتضمن إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة" (٧) ولن نلتقي هنا إلى رأي بعض اللغويين الذين اتجهوا إلى إنكار اللهجات (٨)، لأننا نرى في إنكار وجود اللهجات ضرباً من المغالطة والمكابرية، لأن الواقع اللغوي التاريخي والواقع اللغوي الحالي الذي هو امتداد على نحو ما للتاريخي يؤكد وجود الظواهر اللهجية في العربية وفي غيرها من اللغات أيضاً (٩)، وقد أيد ذلك أنطوان مالية بقوله: من حقنا أن نتكلم عن وجود لهجات، كلما رأينا عدداً من الخطوط التي تفصل بين الخصائص ينطبق بعضها على بعض ولو بشكل تقريبي، فهناك لهجة

محددة في كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة، وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للنفصل بين منطقتين متاخرتين، فإنه يبقى أن كلاً منها تتميز في مجموعها ببعض السمات العامة التي لا توجد في الأخرى^(١٠). أما العلاقة بين اللهجة واللغة فهي علاقة الخاص بالعام كما أشرنا لأن بيته اللهجة هي جزء من بيته أوسط وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشتهر جميعاً في مجموعة الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللغات "اللهجات" وذلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فاللغة تتضمن عادة على عدة لهجات لكل منها مميزها، وجميع هذه اللهجات تشتهر في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تولف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات^(١١).

وتسير كتب "لعبة اللغة" عندما تبحث في اللهجات القديمة إلى اللهجة قبيلة ما أو منطقة ما، وأعتقد أن الأمر أصيق من ذلك، بمعنى أن ما يسمونه "لغة أهل الحجاز" أو "لغة يمانية أو لغة تميمية" ربما كان لهجة جانب من اليمن أو ناحية من نواحي الحجاز، أو بعض قبائل من "تميم"، لكنها أنه لا يجوز علمياً أن نقول لهجة سورية أو مصرية فإلي أتصور أنه لا يجوز أن نقول لهجة الحجاز ولا لهجة اليمن.. لأن في سوريا عدداً كبيراً من اللهجات، وكل مدينة لها لهجتها، ثم هناك اللهجات القرى واللهجات البدوة.. ومن هنا يظهر الخلاف المحاوارات التي جرت للتعديد لما سمي بالعافية السورية^(١٢) مثلاً وذلك نظراً لعدم وجود ملخص بالعلمية السورية... وقياساً للغائب على الشاهد نقول إنه لا يمكن أن يكون للحجاز لغة "لهجة" واحدة نظراً لتنوعه، ولا يمكن أن يكون التعميمون في العصر الذي جمعت فيه اللغة على لهجة واحدة نظراً لانشار تميم في أصقاع متباينة وسكنها في مدن مختلفة واختلاطها بشتى القبائل العربية وغيرها^(١٣).. هذه بعض المواريث على المستوى النظري تجعلنا نرى فيما يطلق عليه "لغة الحجاز" أو "لغة الأزرد" أو مشابه ذلك تعميناً لا يمكن إقراره علمياً.

نعود الأن إلى الطريقة التي جمعت فيها مواد هذه اللهجات وسجلت ظواهرها فنقول: إن اللهجات القديمة لم تجمع إذ لم يقصد أحد لجمعها، لحسن تعرف مثلاً أن أباً سعيد السكري^(١٤) جمع ديوان هذيل ومسرة، لكن السكري لم يجمع لهجة هذيل في مدوته ولا كان يقصد إلى ذلك.. كل ما في الأمر أن الشعر الذي جمعه السكري ورواه وردت فيه ظواهر لغوية تسببت إلى هذيل.. فهل يجوز أن نستند إلى هذه الظواهر المحددة لنطق عليها لهجة هذيل مع العلم أن الشعر المجموع قد ورد بالعربية الفصحي؟!

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٥) قد صنف كتاب اليمن، ونص فيه على المهم وللمستعمل في لغة العرب، وأورد فيه شواهد كثيرة من كلام العرب وأمثالهم وشعرهم وعلى مثاله سار المعجميون من بعده، سواء اتبعوا طريقته في الترتيب أو خالقوه ذلك.. المهم في الأمر أن محاولة الجمع والاستيعاب لغة مع مراعاة ترتيب ما شتملت على ذكر اللهجات التي كانت تسمى "لغات" لكن هذه اللهجات كانت تذكر عرضاً بمناسبة ورود شاهد أو ذكر مثل أو قراءة قرآنية، ومع كثرة المعجمات العربية القديمة واتساعها فإننا لا نعرف معيماً خصص للهجة من اللهجات، بل إن ما ذكر في المعجمات المتقدمة من اللهجات أخذ ينكر في المعجمات اللاحقة من غير ما إضافة ذاتفائدة وكذلك الأمر في كتب التحو وموظاته وكثير تفسير القرآن الكريم، بمعنى أن الشاهد الذي ينتهي للهجة معينة يتعاونه النحاة ويدور في كتبهم، فنحن مثلاً نجد البيت:

لقت داع أخرى وارفع الصوت جهراً
لعن أبي المغوار منك فربما^(١٦)

في معظم كتب النحو واللغة شاهداً على الجر بـ“تعلّم” في لهجة عَقِيل، كذلك نجدهم يوردون بيت الفرزدق:

فَذَعَاءٌ فَدْ حَلَبَتْ عَلَى عَشَارِي (١٧)

حَمْ عَمَّةُ لَكْ يَا هَبِيرَ وَخَالَةٌ

وذلك بنصب تميزكم الخبرية على مقتضى اللهجة التعبيرية، ويقولون إن طيناً تقول: “حَوْنَثُ”^(١٨) في حيث، وإن بعض العرب يورد الظرف المبني “حيث” معرضاً. وهنا يوردون قراءةً من قرأ (من حيث لا يعلمون)^(١٩) وهذه الشواهد تتكرر، وقد يوهم تكررها كثرتها، لكنها في حقيقة الأمر محدودة محصورة بمواضع.

إن سبب محدودية ذكر اللهجات والاقتاصاد في إيرادها يعود إلى أن اللغويين اتجهوا إلى جمع اللغة الفصحى، واتجه النحاة إلى التعريف لها متمثلة على نحو خاص لديهم في عربية القرآن الكريم، وما كان لهم أن يلتقطوا عن ذلك إذ لأسباب تدعو ولا موجبات توجّب، فما الذي يدعوهם مثلاً لجمع مدونة لهجية لهذيل أوطي؟!^(٢٠) إنما تهمهم هذه الفصحى التي هي خلاصة نقاوة، وذروة لما انتهت إليه اللهجات المتعددة في تطورها الطويل.^(٢١) لقد تجلّت في لغة واحدة هي أشد نصاعة وصفاء ونقاء من اللهجات المتباينة، وبها تخطّبوا في محاقيقهم ودوتوا علومهم.. لذلك نجد أن كل ماورد لدى اللغويين والنحاة مما له علاقة باللهجات إنما ورد عرضاً في سياق لقاضيه، ولم يقصدوا إليهاقصداً.. فإذا ما أراد أحدهم تفسير كلمة(زقا) أورد قراءة ابن مسعود (إن. كانت إلّا زقية)^(٢٢) وهذا يقولون: الزقية هي الصيحة بلغة هذيل.. ولو لا هذه القراءة لما نصوا على معنى الزقية في لغة هذيل ولا التقىوا إليها.. وكل مثل ذلك عندما يمرّون بالأية(ماهذا بشّرا)^(٢٣) برفع(بشر) ونصبها، فإنهم يتحدون عن(ما) تعبيرية وأخرى حجازية...

إن الدراسة العلمية للهجة من اللهجات إنما تعتمد المنهج اللغوي الوصفي التحليلي الذي يستهدف تسجيل ألم الظواهر اللغوية لهذه اللهجة وذلك من النواحي النحوية والصرفية والصوتية وموضع النبر.. وشرحها وتوضيحها وتضع لها منظومة قاعدية مستنبطه منها مع دعم ذلك بالتحليلات الممكنة للظاهرة، ومثل هذه الدراسة تتطلب الملاحظة المباشرة مما يقتضي الاختلاط بالناطقين بهذه اللهجة في مجالسهم وأسواقهم ومشاهدتهم واختيار الرواقي أو بالأحرى الرواية الذين عنهم تتقى اللهجة وتسجل في أشرطة التسجيل.. وإذا كان موضوع الدراسة لهجة عربية معاصرة فإنه يمكن مقارنة هذه اللهجة بالعربية الفصيحة من حيث الأصوات وتركيب الجملة واللقب والإيماع لينظر مدى التوافق والقارب ومدى الاختلاف والتباين.. أو ليرى فيما إذا كانت هناك صفة عامة أو صفات في هذه اللهجة قد حفظ ما يشبهها من اللهجات العربية القديمة في ظواهرها المحفوظة مما يدعو إلى القول حينئذ إن اللهجة المعاصرة ذات أصول تمتد إلى تلك اللهجة القديمة..

يفهم من كل ما تقدم أن الدراسة المنهجية للهجة من اللهجات إنما تنصب على لهجة حية تتكلّمها مجموعة بشرية في زمن معين ومنطقة محددة، فكيف إذن تقدّم لنا الدراسات عن لهجات قبائل أصبح وجودها تاريخياً^(٢٤) ولم يبق من لهجاتها إلا ظواهر حظيت بالتسجيل غير التحقّق مصادفة من غير ما تقدّم؟! لم يكن أن تكون تلك للدراسات في صنيعها مطابقة لما يوجد من عناوين؟!

لبيان هذا الأمر يمكن ان نختار دراسةً من تلك الدراسات التاريخية للهجات وننظر فيها ثم نعرض دراسةً حديثةً للهجة ما تزال قائمةً لنرى الفرق بين الدراستين. وقد اختارت دراسةً منشورة في كتاب هي "لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة" (٢٤) لا لأعراضها وإنما لأكف لدن مفاصل منها معلقاً حيث يستحسن ذلك.

ذهب الدارس مستعيناً بمصادره متحججاً بها إلى أن القراءات القرآنية "كانت مصدرأً أصيلاً من مصادر دراسة اللهجات العربية القديمة ذلك أنها تكاد تكون المرأة العاكسنة لما كان عليه الواقع اللغوي في الجزيرة العربية قبيل الإسلام وبعده" (٢٥) ومع أن هذا الكلام ليس لصاحب الدراسة فإنه يتبعنا على ما فيه من تعليم وإنشائية وبعد عن المنهجية التي تتضمن الاستقراء، وإنني لأتساءل كيف يمكن أن تكون مرأة عاكسة في شبه قارة فيها عشرات القبائل المتباينة في المكان واللغة.. إضافة إلى أن بعض هؤلاء القراء يقررون بقراءات لا علاقة لها بلهجة بيتهم.. ومثل الباحث لهذا الأمر بعد الله بن كثير المكي (٢٦) الذي كان يهمنز في حين أن لهجة أهل مكة لا تعرف الهمز، ثم أورد قراءات لقراء مختلفين وردت على لهجةبني تميم منهم عبد الله ابن مسعود(٢٧) أورد له في قرائته أربعة مواضع على لهجة تميم مع انه هذلي، وأورد عاصم بن بهلة (٢٩) خمس قراءات في خمسة مواضع.. ثم ذكر أحد عشر مواضعاً لقراء مختلفين على لهجة تميم.. واختار الباحث مجموعة من كتب القراءات والتفسير وقدم لنا إحصاءً عن المواضع التي ذكرت فيها لهجة تميم. فقد ذكرت ثلاثة عشرة مرة في كتاب "لغات القرآن" لابن حسون (٣٠) ومثلها في كتاب "مارود في القرآن الكريم من لغات القبائل" للقاسم بن سلام (٣١)، وست مرات في "مختصر شواذ القرآن" لابن خالويه (٣٢) وإحدى عشرة مرة في "المحتسب" لابن جنى (٣٣) وست مرات في الكشاف للزمخشري (٣٤) وتلاثين مرة في "زاد المسير" لابن الجوزي (٣٥) وثمانين وأربعين مرة في "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (٣٦).. فهل تكفي مثل هذه القراءات المنسوبة إلى لهجة تميم لتكون "مرأة عاكسة"؟!!

وانتقل الباحث ليتحدث عن لهجة تميم في شعراء بنى تميم، فوجد نفسه أمام شعر قيل بالعربية الفصحى فرأى أنه من الصعب تتبع اللهجة في شعر بنى تميم لأن هذا الشعر لم ينظم بلهجة يعيinya وإنما بالعربية الأكبية، فإذا كان لابد للشاعر أن يتاثر بلغة بيته فإن ذلك التأثر يبقى محدوداً جداً، إضافة إلى أن هذا الشعر جاء مكتوباً، وذلك يعني اختفاء كثير من الميلول اللهجة فيه كالأملأة والحركات التي تميل إليها لهجة الشاعر" (٣٧) وبناءً على ذلك قاى أنه يكون من الصعب جداً البحث عن خصائص لهجة تميم في أشعار التميميين كعبدة بن الطيب وعلقة الفحل وجريب والفرزدق أو غيرهم من الشعراء لأن اشعار هؤلاء جميعاً نظمت بالعربية الأكبية.."(٣٨) ورأى أن فن الرجز الذي هو أقرب إلى الأشعار الشعبية تظهر فيه بعض الخصائص اللهجية "ومن ثمّ أمكن القول إن أرجاز روبية والعجاج قد تكون ذات نصيبي حسن في الأنفاظ التميمية غير أن من الصعوبة يمكن تحديد هذه الأنفاظ، ذلك أنها وصلتنا بلا عزز مما يعني أننا لا نستطيع الركون إليها في دراستنا... ويدو أن كل ما نستطيع الركون إليه منها ذلك الذي ورد في كتب الأقدمين معزواً إلى لهجة تميم.." (٣٩) وضرب بعد ذلك سبعة أمثلة وردت فيها لفاظاً نصنّ عليها على أنها تميمية كقول العجاج:

وأنزف العزيزة من لافتى العبرى.

قالوا: أنزف لغة تميم، وأهل الحجاز يقولون: نزف (٤٠)

ثم ذكر أن بعض الشعراء من غير التميمين (استعملوا اللهجة التميمية في أشعارهم) (٤١) وضرب ثلاثة أمثلة وعلل هذه الظواهر بأن هذه الأنفاظ التميمية صارت جزءاً من العربية الأبية وذلك نظراً لانتشار التميمية وتاثير الشعراء النجديين وخاصاً إلى ماليي" ولخاتمة القول أنه لا يمكننا الركون إلى الشعر في دراسة اللهجات ومنها لهجة تميم، ذلك أن هذا الشعر لا يمثل لهجة بعينها وإنما انتشرت فيه خصائص لهجات كثيرة، وإذا كان لنا أن نرکن إليه فليس إلا للقليل منه الذي عزا القدماء الفاظه إلى لهجات بعينها.. (٤٢)

وفي الفصل الذي عده عن الأصوات الصامدة في اللهجة التميمية وجد أن أهم ظواهر الأصوات الحلقية في هذه اللهجة هي تحقق المهز والمبالغة فيه، كذلك هناك ظاهرة "العنعنة" أي قلب المهمزة عيناً كما في قولهم: أغن - آن، وأشار إلى ظاهرة إيدال المهمزة من كل واو مكسورة كقولهم في وسادة: إسادة، وفي عاء: إباء (٤٣). ومن هذه الظواهر كلب السين صاداً في طائفة من الأنفاظ: سراط - صراط. سيقـل - صيقـل. سخب - صخب (٤٤).. وهذه الظاهرة الأخيرة لم تتسـبـ إلى تميم على نحو عام وإنما نسبـها بعضـهم إلى بنـي العـنـبرـ من تمـيمـ وبـعـضـهـمـ إلى عـمـروـ بنـ تمـيمـ... وطبعـيـ اـنـتـيـ لـنـ أـقـفـ لـدـنـ كلـ عـنـوانـ فـيـ الـدرـاسـةـ ولكنـ سـأـخـصـ الـجـيـمـ وـالـشـيـنـ بـشـيءـ مـنـ الـكـلـامـ: رـأـيـ الـبـاحـثـ أـنـ الـجـيـمـ لـمـ تـتـحـذـ فـيـ لـهـجـةـ تمـيمـ وـضـعـاـ مـسـتـقـراـ فـيـ تـارـيـخـ جـيـمـ عـرـبـيـةـ، وـأـخـرىـ تـنـزـعـ إـلـىـ أـنـ تـكـونـ شـيـئـاـ، وـثـالـثـةـ تـكـونـ فـيـهـاـ يـاءـ (٤٥) وـيـعـلـلـ الـبـاحـثـ دـعـمـ اـسـتـقـرـارـ الـجـيـمـ فـيـ لـهـجـةـ تمـيمـ بـقـولـهـ: إـنـتـيـ وـرـثـتـ ذـكـرـ ذـلـكـ مـنـ الـغـلـاتـ السـابـقـةـ (٤٦) وـذـكـرـ أـنـ قـلـبـ الـجـيـمـ شـيـئـاـ وـصـلـ فـيـ شـاهـدـ وـاحـدـ، أـمـاـ قـلـبـ الـوـاـيـاـ جـيـمـاـ فـقـدـ نـسـبـ إـلـىـ بـنـيـ سـعـدـمـ تـمـيمـ أـوـ نـاسـ مـنـ تـمـيمـ، وـلـاـيـتـمـ هـذـاـ إـلـاـ بـالـوـفـ، وـمـثـلـ لـهـ بـالـأـبـيـاتـ الشـهـرـةـ فـيـ كـتـبـ الـلـغـةـ:

المطعمان اللحم بالعشيج

(٤٧) بقطع بالود والصنصح

واللداة فلق السبزية

ولن أقف عند ظاهرة الكشكشة لأنها مختلفة فيها على نحو كبير، فقد ضاعت أصواتها وبقيت صورتها في كتابات اللغربين الذين يكتبونها شيئاً، وربما كانت في حقيقتها بين الكاف والشين.. وليس لدينا رمز كتابي يودي هذا الصوت...

وانتهي الباحث إلى أن اللهجة تميم كانت تميل باطراد إلى تجسس الأصوات مما أدى إلى ظهور طائفة من الظواهر اللغوية كالإتباع والإملاء والمعاقبة وكسر حرف المضارعة وكلب السين صاداً والجيم ياء.. وعلى تأثير الأصوات بعضها ببعض بسرعة بني تميم في كلتهم وهي صفة عرفت عن لهجات أهل البايدية عامة..

وتتناولت الدراسة الحركات في اللهجة تميم فبحث في الإتباع الذي يعني أن بعض الحركات تؤثر في بعض وهي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين الحركات حتى لا ينفلت اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتواالية وعلى هذا الأساس فإن هذه الظاهرة تدخل في باب المعاشرة أيضاً (٤٩) وقد وجد الباحث هذه الظاهرة في اللهجة تميم وذلك ينص سيبويه: .. في لغة تميم وذلك قوله: ليم بكسر اللام وشهيد وسييد ونجيف وريغيف وبخيل وشهيد بكسر الشين والهاء - ولعب وضجك .. أما أهل الحجاز فيجرون جميع ذلك على القبابس (٥٠) ورأى الباحث أن سبب انتشار الإتباع في هذه الأنفاظ هو وجود حروف الحلق فيها.. أما في صيغة فعلى مثل

سکاری وکسالی وغیری فان بنی تمیم یتبئون الفتحة الفتحة فيقولون: سکاری وکسالی وغیری.. إلا أن ذلك لا یطرد لأن "الاتباع عند تمیم في حالات اتباع الضمة أو الفتحة الضمة كان بهذه الأنفاس بعينها وليس ظاهرة عامة"(٥١). وبحثنا الباحث عن الإملائي للهجة التميمية دون تحديد واضح لمواضع الإملاء فيها ، بل إنه يذكر أسباب الإملاء وموانعها كما ذكرها سببويه مكتتبًا بذلك.. ثم يحدّثنا عن كسر حرف المضارعة سوى الياء في الثلاثي المبني للفاعل إذا كان الماضي على " فعل" - بكسر العين - وذلك في لهجة تمیم وكل اللهجات العربية القديمة إلا لهجة الحجاز كما يقول. وبناء على هذا فإن تمیما يقول: أنا إعلم ونحن نعلم .. وانت بتعلم .. لكن هذه الظاهرة كمان الصالحة في نفسه غير خاصة بتعميم فلا خصوصية لها بها.. أما في باب المعاقبة فإن تمیما تجنب إلى الياء بوجه عام مقابل جنوح أهل الحجاز إلى الواو، وتعني المعاقبة الحالات التي تتعاقب فيها الياء مع الواو في العربية الفصحى كما في: طبیی - طوبی.. فيبدو تمیم يقولون: فلیت البرز أفلیه قلیاً وأهل الحجاز يقولون فلوتہ أفلوه قلواً.. وتمیم يقول: القصیا وأهل الحجاز يقولون: القصوی، وتمیم يقول: بیجل بیجع والحجازیون يقولون: بیجل بیجع . وینقل تفسیر سببويه لهذه الظاهرة باستقال التميميين الواو التي بعد الياء المفتوحة وكراهتهم قلب الواو ياء من غير كسر ما قبلها، لكن الباحث مايلبیت أن يستدرك بأنه وجد أمثلة أخرى تمیم فيها تمیم إلى الواو في المعاقبة بينما يميل أهل الحجاز إلى الياء، فالتميميون يقولون: قلننسوة والحجازيون يقولون: قلننسیة ، كما أن بعضهم نسب "خونث" - حيث بالواو إلى تمیم. وتقول تمیم: ضحوت للشمس أضحو إذا بربت لها، وغير هم يقول: ضحيت... الخ ويخلص إلى تصور مفاده أن تمیماً تمیل إلى الكسر كما في: مطرف وبصھف ومغزل وبصھف ومغزل وجسد والوتر والولاية. لكن هذه الأمثلة لاتخص تمیماً كافأة، فهما مانسب إلى بنی يربوع من تمیم ومنها مانسب إلى بنی سعد منها أيضًا.

والطريف في الأمر هنا أن الدكتور إبراهيم أتیس(٥٢) والدكتور أحمد علم الدين الجندي(٥٣) من بعده كانوا قد استنتجوا قبل الباحث المطبلی أن لهجة تمیم تنسّع في أغلب الأحيان إلى الضم واستدلّ على ذلك بطائفة من الأنفاس التميمية المضمومة الفاء أو العين قابلاً بها طائفة من الأنفاس الحجازية المكسورة أو المفتوحة وفстра ذلك بأن البدو بطبيعة حياتهم يميلون إلى الشحونة وأن الضم من الشحونة(٥٤) .. وعلق المطبلی على هذا الرأي بقوله "وال واضح أن هذا التعليل تعليل منطقی يخرج عن التعليل اللغوي الذي يرى أن اللغة منطقها الخاص بها"(٥٥)

فنحن نرى هنا ان دارسي اللهجة نفسها يختلفون في إقرار ظاهرة هامة وأساسية تتعلق بميل اللهجة إلى الضم أو الكسر، وكل منهم له شواهد تدعم رأيه.. ومثل هذا الموقف يوحى ضمناً بأن هذه الدراسات اجهتها غير موضوعية، وأن المادة موضوع الاستقراء والاستباط مشتقةً وغير دقيقة، وهذا يعني غياب الدوامة للهجة التي يمكن بموجبها بناء الأحكام وترتیقها.. فإذا مانتقتنا إلى مبحث الأفعال ومباحث الصرف فإننا نجد الواقعات نفسها.. ففي مبحث النبر يرى الباحث أن مبحث النبر في لهجة تمیم لايمکن أن يكون دقيقاً لأننا لاستطيع إذاعاء وضوح سمعي في كلمات وصيغ وصلتا مكتوبة"(٥٦)

وفي مبحث الخصائص النحوية جمع الباحث مارود في كتب النحو من أحكام تتعلق بما نسب إلى لهجة تمیم مما له علاقة بالإعراب والبناء أو المنع من المصرف أو تصريف هلم على: هلما، هلموا ، هلمن.. لكن تصريفها هذا ليس وفقاً على التميمية إنها لغة أهل نجد أيضاً..

ومن الأحكام التي يجب التوقف عندها والتتبه إليها ماذهب إليه الباحث بأن تمیماً تنصب الجزاين(المبدأ

والخبر) بـ "إن وأخواتها" وأورد في ذلك ثلاثة شوادر من الشعر أولها قوله:
 خطك خلطا إن حركتنا أبدا (٥٧)
 إذاً أسود جنح الليل فلتات ولتكن

وثانيها قول الآخر :
 ياليت أيام الصبا رواجا (٥٨)

وثلاثتها قوله:
 قد طرقني ليلى بلدى هاجعا
 كلَّ اثنيني إذا نشوتنا (٥٩)

وعلق على هذه الشوادر بقوله: ولا نستطيع تعليل نصب الجزأين عندهم إلا بكونه أسلوباً لهجياً خاصاً، ويظهر أن هذا الأسلوب كان قليل الاستعمال وربما كان محدوداً ببعض التعبيريين ذلك لأنه لم يصل إلينا سوى هذه الأمثلة القليلة التي لا يمكن أن تكون دليلاً على استعمالٍ واسع كما أن بين أيدينا من أشعار التعبيريين يوضح حقية أنهم لم يستعملوا هذا الأسلوب في أشعارهم" (١٠)

ولزي أن مثل هذا الأسلوب لا يجوز حمله على التعبيرية ولا على غيرها، فإنه حرفي أن يحمل على الضرورة التي تحفظ ولائقاً عليها ولا سيما أن أخبار "إن وأخواتها" في هذه الشوادر جامت كلها في تصاند منصوبة الروي فتصبب، ولا يمكن أن تنسن مثل هذا الشذوذ إلى لهجة بني تميم، لأن قوانين اللهجة لا تتوضع بتصرد شاهد من هنا والقتاح عبارة من هناك.. وإن دراسة اللهجة لا يكون مرجعها الشعر وإنما هو واحد من مراجعها.. ويؤخذ الشعر بجمهوره وبالخصائص الغالبة فيه لا بما وقع فيه من اضطرار والجات إليه ضرورات الشعر ومضايقه، فإن لا يمكن الأخذ بهذه الآيات شوادر على نصب أسماء إن وأخبارها لا في لهجة تميم ولا غيرها

أما على مستوى دلالة الأنفاظ فقد اختصت اللهجة التعبيرية بآن بعض الأنفاظ وردت فيها بدلة معينة تختلف مارتدت عليه في لهجات أخرى، وهذا أمرٌ طبيعي، مع وجوب الإشارة إلى أن هذه الأنفاظ صالحة لأن يُفتح فيها من حيث اختصاصها بالتعبيرية أو اشتراكها بينها وبين غيرها أو كونها مما اشتغلت عليه العربية الفصحى ..

نخلص من هذا كله إلى أن دراسة هذه اللهجة القديمة التي خصتها المصادر بغاية لم تحظ بها غيرها قد جاءت ناقصة مبتورة متلازمة مع غيرها، فنشر تميم لا يمكن الاعتماد عليه وبنرها لا يمكن دراسته، والأحكام المستنبطة هي أحكام احتمالية.. فكيف يسوغ لنا أن نسمي هذا الفتات لهجة؟!؟
 ليس من الأقرب للصحة والمنهجية أن نستوي الدراسة بظواهر لغوية في لهجة تميم ..

ويمكن أن ننتقل الآن لنلقي نظرة متخصصة على دراسة لهجية منهجة للهجة معاصرة لأحياء يعيشون في أيامنا، وبين يدي على سبيل المصادفة دراسة في "لهجة شمال المغرب: تطوان ومحالاتها" (٦١) مع معجم لهذه اللهجة طبع مستقلأ عنها، ولدي دراسة أخرى هي "لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط" (٦٢) وساختار الثانية للحديث عنها.

دراسة لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط لم تعتمد إشارات وردت في الكتب ولا أقوالاً رددها الرواة

ولا أحكاماً استتبعها النها وـ"هذه الإشارات لا تكفي في وصف لهجة"(٦٣).

حدد الباحث منطقة البحث أولأ: إنها إقليم ساحل مربوط، وهي المنطقة الشمالية من مصراء مصر الغربية، وتمتد من غرب الإسكندرية حتى الحدود الفاصلة بين مصر ولبيباً وتمتد شمالاً إلى البحر الأبيض المتوسط وجوباً إلى هضبة الصحراء الليبية المعروفة ببحراء الدقة. وسكان هذه المنطقة هم قبائل بدوية متراقبة معاً دليلاً منهم، وهم يسمون باسم كبرى قبائلهم قيابيل أولاد على"(٦٤).

هذه الدراسة قدمها الدكتور عبد العزيز مطر وقدم لها بقوله إنها "دراسة لغوية وصوتية تحليلية تسجل أهم الظواهر اللغوية للهجة من التواحي الصوتية والصرفية والتلوينية وتشرحها وتضع القواعد التي تخضع لها هذه الظواهر، وقد علل لما أمكن تعليمه منها وقارنت بعد الوصف والشرح - أحياناً بين مسلك اللهجة و المسلك العربي الفصحي، أو بين مسلك اللهجة ومسلك غيرها من اللهجات العربية الحديثة والمنهج الذي سلكته في تسجيل اللهجة هو منهج الملاحظة المباشرة الخارجية بشكلها الإيجابي والسلبي، والملاحظة غير المباشرة عن طريق التسجيلات الصوتية التي قمت بها...."

وقد التقى جمع المادة اللغوية وتسجيل اللهجة أن أيام بين هؤلاء البدو وتردد عليهم في فترات مختلفة خلال عامي ١٩٥٩-١٩٥٨ وقد شملت زياراتي المنطقة كلها تقريباً من العامرة الغربية الإسكندرية إلى السطوم التي تبعد عن الإسكندرية بستة وخمسين كيلومتر.. وفي هذه الزيارات اخترت بالبدو وشهدت مجالسهم وأسواقهم وانتخبت منهم رواة لغويين ثقيلت عليهم اللهجة، وقد درست في ملحق البحث اسم كل راوٍ وموطنه والقليلة التي ينتمي إليها والناس الذي تلقته عنه"(٦٥)، ثم درست المادة اللغوية ضمن ثلاثة مراتب:

١- مرتبة الصوت

٢- مرتبة الصرف

٣- مرتبة التحو

فنحن إذن هنا أمام دراسة ميدانية عملية تعتمد السماع المباشر وتسجيله ثم تسلط على المادة مباضع البحث والاستنتاج، فمما نذكره من ذلك أن الباحث تطرق إلى وصف أصوات اللهجة حرفاً حرفاً كما سمعها واعينها مستعيناً بمصطلحات علم الأصوات وبرموز كتابية وضعها في مذمتاته، فهو يعرض لكل حرف ويحدد مخرجيه وينظر صفاتيه ويقترب تعليلات مفيدة على الحرف إذا كانت له وضعيّة ما في تلك اللهجة.. ففي حرف "الثاء" المثلثة ينصن على أن بدور هذه المنطقة يستخدمون هذا الحرف فيقولون: ييُثُ، ييُثُرُ،.. كثُرُ، ثُوم، ييُثُ - ثالث على حين أن معظم اللهجات العربية المعاصرة قد تخلت عن هذا الصوت مستبطة به الثاء أو السين"(٦٦).. ويقول في حديثه عن "الجيم" إن جيم البدو في ساحل مربوط شديدة التطبيش وتشبه صوت الجيم في اللهجة العربية في سوريا(٦٧)، كما لا حظ أن البدو في هذه المنطقة قد احتفظوا بحرف الذال فهم يقولون: ييُذُجُ، ييُذُكُ، ييُذُهُ.. في حين نرى أن كثيراً من اللهجات العربية المعاصرة قد تخلصت من صوت الذال واستبدلت به الذال أو الزاي(٦٨)....

ثم تحدث الباحث عن الإملاء في اللهجة الإقليل المذكور مستخدماً أمثلة من لهجتهم مستبطاً منها قواعدها. وليس من غرضي عرض هذه الدراسة عرضًا استقصائيًّا وإنما اتجهت إلى الاكتفاء بالأمثلة الدالة على الدراسة العلمية المنهجية ..

بعد أن عرض الباحث لنظام الجملة وصيغ الأفعال قدم نصوصاً حية سمعها من بدو المنطقة، فالنص الأول رواه البدوي "زيات جاب الله" أمني، عمره خمس وثلاثون سنة.. وكتب النص بلهجته البدوي كما نطقها، واستعان الكاتب على ذلك برموز فشرتها في أول كتابه، ثم أورد طائفة من الأمثال المتدولة في المنطقة ثم ذكر قصائد ومقطوعات نظمت باللهجة نفسها في مناسبات مختلفة.. وألحق الباحث بحثه معجماً دلائلاً للمفردات التي وردت في نصوص اللهجة التي دونها الباحث فكان يورد اللفظ كما ورد ويوارد أصله العربي الفصيح ومعناه الذي ورد عليه في المعجمات. فمثلاً يذكر كلمة هنْ. قال: يقولون "هلي أي أهلي، أسرتي، وأقاربِي، وتاتي بمعنى أصحاب مثل "هلي" أي أهلي، أسرتي، وأقاربِي، وتاتي بمعنى أصحاب مثل "هل النجع" وأصحابِها العربي "أهل" وجاءت في المعجمات للمعنىين. في الصحاح: الأهل: أهل الرجل وأهل الدار (٦٩) ..

وفي ترسٍ يذكر استعمالهم: تراس مقابل: الراكب، يقولون: تيرس وتراس ما يتربوش - فارس وراجل لا يتراشقان. أي لا يتساويان.. وهذا على الدكتور مطر بقوله: أصل التراس في اللغة صاحب الترس الذي يستتر به في القتال، فربما أريد به أو لا م مقابل الفارس في الحرب، ثم أريد به مقابل الفارس مطلقاً (٧٠) ..

وكان من نتائج هذا البحث أن قدم دراسة للهجة حية مع محاولة ربطها بما عرف من ظواهر مماثلة في اللهجات العربية القديمة، فمن ذلك على سبيل المثال ماقدمه الباحث في وصف تراكيب لهجة ساحل مريوط: "ال فعل المتقدم على المستند إليه الظاهر يشتمل في اللهجة على واو الجمع إن كان المستند إليه مذكرة أو مثني مذكورة، وعلى نون النسوة إن كان المستند إليه جمع مؤنث أو مثني مؤنث وهي اللهجة العربية القديمة المعروفة بلغة "أكلوني البراغيث" وقد رويت عن طيء أو أرداشونة، وربما كانت هذه اللغة من أثار اللغة الأرامية كما ذكر الدكتور أتيس فريحة (٧١) ..

المهم في الكلام أن الدراسة للهجة لا يمكن أن تتم علمياً إلا بالمنهج الوصفي التحليلي مع الاستعارة بما يوفره تقدم العلم من أدوات مُعينة في البحث، لذلك رأينا الدراسات اللغوية للهجات المعاصرة تأتي مقنعة في وصفها للهجة واستنباط قواعدها لأن ذلك إنما يتم استناداً إلى سباع مباشر وملحظة شخصية، أما الدراسات اللغوية التي اتجهت دراسة للهجات العربية القديمة وبذلت جهداً جهيداً في جمع المادة من الكتب وتصيد الأحكام والشوادر فإنها جاءت قاصرة عن الغاية، عاجزة عن تصوير تلك اللهجة، إنها دراسات غير متكاملة تقتصر على تقديم ظواهر لهجة طفيفة رواها الرواة في الكتب، أو أشار إليها اللغويون والباحثون.. فالدارس لم يسمع اللهجة التي يدرسها ولا يملك مدونة عنها.. لذلك ترى دارسي اللهجات العربية القديمة ينماض بعضهم ببعض كما رأينا في عزوفهم تعييناً إلى الميل إلى الضم، في حين أن بعضهم زعم أنها تميل إلى الكسر.. لذلك كله أرى أنه من باب الآذاء أن نزع عن أننا ندرس لهجة تميم أوطيء أو الحجاز أو غيرها وأنه علينا من باب العلم والتواضع فيه أن نقول إننا نجمع ما ذكر لنا من ظواهر هذه اللهجة القديمة أو تلك.. أي إن دراستنا لأي اللهجة قديمة ستكون مجرد جمع لما ذكرته المعاجم أوكتب شروح الشعر أو مطولات النحو.. وفرق كبير بين هذه الدراسة وبين الدراسة العلمية الميدانية، إضافة إلى أنني أظن أن أي بحث في لهجات القبائل لا يستطيع أن يقدم لنا نصاً في عدة أسطر مكتوباً أو منطوقاً باصوات اللهجة التي درسها لأنه في الأصل لم يسمعها ولا يمكن له أن يدرك إدراكاً شاملًا طبيعتها في الاستعمال.. ولا أحب أن يفهم من هذا البحث أنني أثبت لهم عن دراسة اللهجات القديمة وأدعوه إلى صرف النظر عنها، فهذا مما لا يخطر لي ببال، ولكنني أتبه وأشير إلى أن

دراسة هذه اللهجات لا تعني ضبطها ولا الإحاطة بها وإنما هي تجميع أحكام وردت فيما يمس الظاهرة أو تجميع مفردات نسبت إلى هذه اللهجة أو تلك وهذا بعيد جداً عن الدراسة الحديثة التي تتجه إلى الدراسة الميدانية العملية للجهات. لذلك قلنا إنها ظواهر لهجية لا لهجات.

الإحالات والتعليقات

- (١) صدر كتابان في اللهجة تيم وألهمها "لهجة تيم وأثرها في العربية الموحدة" لغالب فاضل المطلاعي مصدر عن وزارة الثقافة والفنون ببغداد سنة ١٩٧٨. والثاني صدر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ولا أذكر مؤلفه ولا تاريخ نشره.
- (٢) هي أطروحة نال بها الدكتور عبد الفتاح محمد درجة الدكتوراه من جامعة دمشق.
- (٣) اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي. صدر عن الدار العربية للكتاب بطرابلس بلبيبا سنة ١٩٨٣ في مجلدين.
- (٤) انظر على سبيل المثال والأمساك للدكتور جميل سعيد والدكتور داود سلوم. صدر عن المجمع العلمي العراقي في مجلدين سنة ١٩٧٨.
- (٥) هذا أمر شائع في معجمات اللغة والكتب اللغوية والتحويم القديمة. وانظر كتاب "تصول في فقه العربية" للدكتور رمضان عبد القرايب من ٢٤ مجلداً.
- (٦) المرجع السابق: ٧٢ وقد نقله وعزاه إلى كتاب في اللهجات العربية ١٦ للدكتور إبراهيم أنيس.
- (٧) انظر المرجع السابق: ٧١
- (٨) قال بيتر روتين: إن أحد الأمور التي يعرفها الجميع عن اللغات هو أن لها لهجات مختلفة، وتلتف اللهجات بشكل مختلف من قبل أشخاص في أماكن جغرافية مختلفة، ومنطبقات اجتماعية مختلفة وذوي أعمار مختلفة وخلفيات تعليمية مختلفة.
- انظر كتاب الصوتيات وعلم الأصوات الكلامية في اللغة الإنجليزية: ٨
- (٩) انظر "تصول في فقه العربية": ص: ٧١، ٧٢.
- (١٠) المرجع السابق: ٧٢
- (١١) كام بهذه المحاولة عام ١٩٢٥ مارون غصن في كتاب سماه "حياة اللغات وموتها: اللغة العامية". نشر في المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٥ في ٦٠ صفحة.
- (١٢) لهجة تيم: ٣٩
- (١٣) أبو سعيد السكري الحسن بن الحسين شرح ديوان المذهبين. ونشر هذا الشرح بتحقيق عبد المستار أحمد فراج ومراجعة محمود محمد شاكر بدار العروبة بالقاهرة /ب ت/
- (١٤) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٠-١٠٠هـ. وكتابه نشر تماماً بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي وصدر عن دار الرشيد ببغداد
- (١٥) البيت لصعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه أبي المغوار. انظر البيت في مقتني الليب برقم ٥٢٥ وموخرة الألب: ٤٤٠٣٧٠.

- (١٧) البيت في سيبويه ١ و٢٥٣ و٢٩٣ و٢٩٥ وفي معنى اللبيب برقم ٣٣٧
- (١٨) معنى اللبيب: ١١٧٦: ١
- (١٩) سورة الأعراف ١٨٢: ٧ وانظر معنى اللبيب ١٧٦: ١
- (٢٠) انظر: قصور في فقه العربية ٧٦٦: ٧٦ وما بعدها
- (٢١) الآية "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِحَّةً" سورة يس ٢٩٤: ٣٦ قال صاحب اللسان: الزقبة: الصيحة. روى عن ابن معسعود انه كان يقرأ "إِنْ كَانَتْ إِلَّا زُقْبَةً وَاحِدَةً"
- (٢٢) سورة يوسف ٣١: ١٢ . انظر معجم القراءات القرآنية ٣: ٦١٧
- (٢٣) بل ابن خلدون في أيامه لم يستطع أن يكتفى القبائل العربية التي شاركت في الفتح ثم تحضرت واكتفى بأن قال : "... هؤلاء كلهم أنتقموا من الدولة الإسلامية العربية، فاكتفوا بالقتال المتباعدة، واستلهمتهم الواقع المذكور فلم يقع منهم عشير يعرف ولا قليل يذكر..."
- عن كتاب لهجة شمال المغرب: ٤٢
- (٢٤) انظر التعليق رقم (١)
- (٢٥) لهجة تميم: ٥٨
- (٢٦) إرشاد الفحول: ٤٦ و٤٧
- (٢٧) عبد الله بن كثير المكي (٤٠-١٢٠ هـ) أحد القراء السبعة
- (٢٨) عبد الله بن مسعود الهمذاني، صحابي. نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء ملي علمًا توفى عام ٣٢ هـ
- (٢٩) عاصم بن بهلة: عاصم بن أبي النجود الكوفي، أحد القراء السبعة. توفي سنة ١٢٧ هـ
- (٣٠) ابن حسرون: عبد الله بن الحسين. توفي سنة ٣٨٦ هـ. وكتابه "اللغات في القرآن" حققه الدكتور صلاح الدين المنجد ونشره بالقاهرة (مطبعة الرسالة ١٩٤٦ م) ثم نشر دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٢
- (٣١) القاسم بن سلام: أبو عبيدة الهرمي من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه توفي سنة ٢٢٤ هـ . ولا أعرف كتابه المشار إليه.
- (٣٢) ابن خالويه: الحسين بن أحمد. توفي سنة ٣٧٠ هـ . وكتابه المشار إليه نشره برجسبرس في المطبعة الرحمنية بمصر سنة ١٩٣٤
- (٣٣) ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني. توفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ. وكتابه (المحتسب) نشر في القاهرة بتحقيق علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم التجار ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبي سنة ١٣٨٦ هـ.
- (٣٤) الزمخشري: محمود بن عمر (٤٦٧-٥٣٨ هـ). وكتابه "ال Kashaf " له طبعات عديدة
- (٣٥) ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي. توفي عام ٥٩٧ هـ . ونشر كتابه "تفويم اللسان" بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر بدار المعرفة بالقاهرة سنة ١٩٦٦
- (٣٦) القرطبي: محمد بن أحمد. توفي سنة ٦٧١ هـ . طبع تفسيره المذكور في دار الكتب المصرية بالقاهرة.
- (٣٧) لهجة تميم: ٦٨
- (٣٨) المرجع السابق: ٧٣
- (٤٠) المرجع السابق: ٧٤

(٤٣) يوردون في هذا الموضوع شاهداً لذى الرمة. قال صاحب المعني:١٩٨؛ وذلك أنّ بنى تميم يقولون في نحو "أعجبني أن تفعل": عن ت فعل قال ذو الرمة:

أغنْ ترسُّمتَ من خرقَاءَ مِنْزَلَةَ ماء الصبايةَ من عينيكِ مسحومَ

(٤٤) وردت في قراءة ابن حبير في سورة يوسف:١٢٦، انظر معجم القراءات القرآنية:١٨٤.

(٤٥) انظر أمثلة كثيرة من هذا الضرب في كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي:٢٧٢ وما بعدها

(٤٦) لهجة تميم: ٩٧

(٤٧) المرجع السابق: ٩٧

(٤٨) الرجز في كتاب الإبدال: ١: ٢٥٧ وهو متداول في كتب النحو واللغة.

(٤٩) لهجة تميم: ١٢١

(٥٠) المرجع السابق والموضع نفسه

(٥١) المرجع السابق: ١٢٤

(٥٢) وذلك في كتابه "في اللهجات العربية"

(٥٣) وذلك في كتابه "اللهجات العربية في التراث"

(٥٤) عن كتاب لهجة تميم: ١٤٢

(٥٥) المرجع السابق: ١٤٢

(٥٦) المرجع السابق: ٢١٤

(٥٧) البيت في مغني الليبيب برقم: ٤٨

(٥٨) الرجز في مغني الليبيب برقم: ٥٢٤ وهو في سيبويه: ١: ٢٨٤ وهو للعجاج

(٥٩) الرجز في مغني الليبيب برقم: ٣٤ قال محقق المعني: الرجز لمحمد بن ذؤيب العماني في وصف فرس وينسب لأبي نخلية يعمر بي حزن الجماني (١٤١هـ) ولا يستشهد به لاضطراب الروايات ولتأخر قائله العماني عن زمن الاحتياج..

(٦٠) لهجة تميم: ٢٥٢ و ٢٥٣

(٦١) لهجة شمال المغرب "تطوان وما حولها" للدكتور عبد المنعم عبد العال. نشر بالقاهرة سنة ١٩٦٨ وصدر عن دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. وعن الدار نفسها في العالم نفسه صدر "معجم شمال المغرب. تطوان وما حولها" للمؤلف نفسه (وزارة الثقافة)

(٦٢) وهي دراسة للدكتور عبد العزيز مطر صدرت بالقاهرة سنة ١٩٦٧ عن دار الكاتب العربي (وزارة الثقافة).

(٦٣) لهجة البدو: ٥

(٦٤) المرجع السابق: ١٢

- (٦٥) المرجع السابق: ٦
- (٦٦) المرجع السابق: ٤٤
- (٦٧) المرجع السابق: ٤٥
- (٦٨) المرجع السابق: ٤٦
- (٦٩) المرجع السابق: ٣٠٢
- (٧٠) المرجع السابق: ٣٠٦
- (٧١) المرجع السابق: ٢٦٢

أهم مراجع البحث

- الإدال. أبو الطيب اللخري. تحقيق عز الدين للتوفيق. المجتمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٠
- إرشاد التحول إلى تحقيق من علم الأصول . محمد بن علي الشوكاني. مطبعة السعداء بمصر ١٩٢٧
- حياة اللغات وموتها. الخوري مارون غصن-المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٢٥
- دراسات في فقه اللغة. د. صبحي الصالح. المكتبة الأهلية. بيروت ١٩٦٦
- الصوتيات وعلم الأصوات الكلامية. بيتر روتين. ترجمة خالد حداد. دار الزواد. طب. ب ت في اللغة الإنكليزية
- خصول في فقه العربية. د. رمضان عبد الواب. مكتبة الخاتمي بالقاهرة ١٩٨٠
- مسلمان العرب. ابن منظور. مطبعة دار صادر . بيروت
- اللهجات العربية في التراث. د. أحمد علم الدين الجندي. ليبيا ١٩٨٣
- لهجة البنو فيإقليم ساحل مريوط . د. عبد العزيز مطر. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة. وزارة الثقافة ١٩٧٧
- لهجة تميم وأثيرها في العربية الموحدة. غالب فاضل المطلين. وزارة الثقافة والفنون. دار العربية للطباعة. بغداد ١٩٧٨
- لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها. د. عبد العنعم عبد العمال. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة. وزارة الثقافة ١٩٦٥
- مجمع لغات القبائل والأمطار. د. جميل سعيد و د. داود سلوم. المجتمع العلمي العربي ١٩٧٨
- مجمع القراءات القرآنية. عبد العال سالم مكرم و د. أحمد مختار عمر. جمعية الكويت ١٩٨٥-١٩٨٢
- سمعي للطبيب. ابن هشام الأنصاري. تحقيق د. مازن البارك ومحمد علي حمد الله. ومراجعة سعيد الأنصاري. دار الفكر. دمشق - بيروت ١٩٧٩. طبعة خامسة.

كتب الغريب:

(غريب القرآن)، (غريب الحديث)... (غريب اللغة)

- يُبيّن حقيقة معنى (الغريب) واقع التأليف -

د. محمد كشاش

توطئة

للغوية فقرها في حياة الإنسان، فهي إحدى أدوات التواصل التي يعبر بها عما في الجنان للألفاظ بوساطة اللسان، لأن للغظى يجسّد ما في النفس. قال الشاعر: (من الكامل)
 لا يُجْبِيَكَ مِنْ خَطِيبٍ خَطْبَةً حتى يكونَ معَ الْكَلَامِ أَصْبَلاً
 إنَّ الْكَلَامَ لِفِي الْفَوَادِ، وَإِنَّمَا جُنْلَنَ اللَّسَانَ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

ويترافق دور الألفاظ مع تطور الحياة الفكرية وتقدم العلوم. ويرز ذلك حين تصبح الألفاظ أ نوعية النكر ومظاهره. إذ لو لاها لما وصلت العلوم والمعرفة من السابق إلى الحق شيء.^{١)}
 ولما كانت الألفاظ خزان المعاني وحاضنة المعارف، توقف عليها الكثير من الأمور، إذ يفهمها فهم مدلولها وتحصيل ما تحويه من معانٍ، ولهذا كانت مقدمة على المعاني عند العلماء. ذكر الإمام مجد الدين بن الآثير ما يلزم لمعرفة علم الحديث، قال: أحدهما معرفة الفاظه، والثاني معرفة معانيه. ولا شك أن معرفة الفاظه مقدمة في الرتبة، لأنها الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عرفت ترتبت المعاني عليها، فكان الاهتمام ببيانها أولى.^{٢)}

وتندرج لأهمية الألفاظ، اشتهرت الأئمة في الفقه معرفتها، والإمام بها، نقل عنهم قولهم:

^{١)} نسبة ابن هشام إلى الأسطول، ولم أغذر عليه في ديوان طبعة دار صادر، بيروت، ينظر، ابن هشام: شرح شذور النزاع (تحقيق خالد عيسى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكوى، مصر، ط ١٠، ١٣٨٥ـ١٩٦٥م)، ص ٢٨.

^{٢)} مخد الدین بن الآثار: المنهایۃ في غريب الحديث والآثار (تحقيق طاهر أحد الزاری ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لا. ٢)، ج ١ ص ٣.

(ابن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنّة والفتيا بسبب، حتى لا غنى لأحد منهم عنه. وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربى. فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عز وجل وما في سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل كلمة عربية، أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدأ^(١)).

وتوسيع العلماء في تقدير معرفة اللغة إلى درجة أعلى، حين رفعوا تكليف تعلمها والإمام بها إلى مرتبة تفرض الكفاية، قال ابن حزم: «أما النحو واللغة ففرض على الكفاية.. لأن الله يقول:»
 »**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ يَئِيَّذُونَ لَهُمْ**^(٢)«، وأنزل القرآن على نبيه عليه السلام بلسان عربى مبين، فمن لم يعلم النحو واللغة، فلم يعلم اللسان الذى به بين الله لنا ديننا وخطيبنا به ومن لم يعلم ذلك فلم يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه، ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم اللغة والنحو^(٣).
 وحقيقة الأمر أن الألفاظ تؤدي دوراً جليلاً في حياة الإنسان اجتماعياً وفكرياً.. فإذا ما أصابها الزلل واعتراها الخطأ، تعطل دورها وخفيت دلالتها، فبات الإنسان في حيرة من أمره. ولا غرابة بعد ذلك أن ينشد الباحثي: (من الكامل).

عن وبيهذ ثنيه في فرنسي^(٤)

ولعظم أهمية الألفاظ، أغارها علماء العربية عطائهم من الدراسة والجمع، وكانت بواكيير المؤلفات اللغوية تدور حول الألفاظ، من هذه المؤلفات كتب «غريب القرآن»، وفي طبعتها كتاب عبد الله بن عباس (١٩٨٧هـ/١٩٨٧م)، الذي عد اللبنة الأولى في بناء المعاجم العربية^(٥) ثم توالى التأليف في هذا اللون من اللغة، فعرف كتاب غريب القرآن لأبى عبيدة، وكتاب غريب القرآن لمورج التدوسي، وكتاب غريب القرآن لابن قبيبة، وكتاب غريب القرآن لأبى عبد الرحمن البزري، وكتاب غريب القرآن لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروي.. وسوها^(٦).

وامتد هذا النوع من التأليف اللغوى إلى الحديث النبوى، فكان منه كتاب غريب الحديث لأبى عبيدة، وكتاب غريب الحديث للأصمعى، وكتاب غريب الحديث للنضر بن شميل وكتاب غريب الحديث لقطرن

(١) عبد بن فارس: الصاحي في فن اللغة (حققت وقدم له مصطفى الشوامي، مؤسسة أ. برمان، بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م)، ص ٦٤. وإلى مثل ذهب ابن حزم. يراجع ابن حزم: رسالة الشعيم لوجه التعليم (ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق د. إحسان عباس، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ٢، ١٩٨٧م)، ج ٣ ص ١٦٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٣) ابن حزم: رسالة الشعيم لوجه التعليم (ضمن رسائل ابن حزم) ج ٢ ص ١٦٦.

(٤) البحري: الم gioan (دار صادر، بيروت، لاتا)، ج ٢، ص ٣٣٥.

(٥) ذكر أحد المدرسون أن «طليعة الم Gunnar العربي حامت بالإسلام، وأول من حل رايها عبد الله بن عباس في كتابه «غريب القرآن» الذي كان يودي ما تؤديه للمحاسن للسائلين». ينظر أحد عبد الغفور عطاطر: الصحاح وبيان المحاسن المعرفية (ابن المكتوم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ص ٦٣. ومثل ذلك قال محمد حسین آل ياسين: «بعد التأليف في غريب القرآن أول ما ظهر من فنون التأليف اللغوى، وذلك أنه نسب لابن عباس كتاب في هذا الموضوع. يراجع، محمد حسین آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث (مشتورة دار سكبة الحماه، بيروت ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، ص ١٤٦.

(٦) ينظر تفصيل ذلك، ابن النديم: المهرست (دار المعرفة، بيروت، لا. تا)، ص ٥٣-٥٦.

وكتاب غريب لابن الأعرابي .. وغيرها^(١).

وتعد مؤلفات العلماء في الغريب حدود القرآن والحديث إلى اللغة نفسها، عرف من كتبها غريب اللغة للدارقطني (علي بن عمر)^(٢)، وتسير الغريب لبزرج بن محمد العروضي، وغريب الحديث والكلام الوحشي للأصمسي، وغريب الأسماء لأبي زيد الأنصاري ... وغيرها^(٣).

كتب الغريب: حقيقتها وفوائدها

برز اهتمام العرب بلغتهم عندما بدأوا نشاطهم الأول في جمع ألفاظها في مصنفات حملت - كما سبق - اسم "الغريب". ودارس العربية والباحث فيها يشنف سعه مصطلح "الغريب" فهو من الورلة الأولى - انسجاماً للمعنى مع اسمه^(٤) - أنه يدور حول الألفاظ الغربية المتعارف على سماتها في العرف اللغوي - البلاغي. فهل ضمت هذه المصنفات في ثلثاها الألفاظ الغربية؟؟ وما هو الغريب المقصود فيها؟؟

وتوكلاً للذقة، وتوضيحاً للطريق، لا بد من القاء الأضواء على مادة "غريب" في العرف اللغوي، وفي المعنى الاصطلاحي، ثم موازنته بما جاء في مؤلفات الغريب، للخروج بالرأي الصائب والحكم الأستد، وهذا يثار تساؤل مفاده، ما هو الغريب؟؟

الغريب في اللغة البعيد عن وطنه، جمعه غرباء. قال الشاعر: (من الطويل)

إذا حوكبُ الخرقاء لاح بمسخرةٍ
منهن: إذا دعتْ غزَّتها في الغربة^(٥)

وقالت العرب: "كذلك نوى غربة، أي بعيدة".^(٦) كما جاء في استعمالهم: "أصابه سهم غرب وسنهم غربة، أي لا يدرى راميها".^(٧) واشتقتوا من مادة (غريب) أفعالاً، قالوا: "اغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه"^(٨) وفي الحديث المنسوب إلى النبي(ص): "اغتروباً ولا تستخروا"^(٩)

من خلال المعاني المتقدمة، يلاحظ أن مادة (غريب) تحمل في أصولها معنى البعد من الأئم، والانفراد عن أبناء الجنس، لذلك استعاروا منها صورة تشبيهية تلخصها لمن انفرد عن أهله ولا ناصح له، قالوا: "وجه

^(١) يراجع ابن اللديم: التبرست، من ١٢٩-١٣٠.

^(٢) ينظر، حاجي حلقة: كشف الظلوون عن أساس الكتب والفنون (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢-١٩٨٢)، مع ٦ من ١٦٠.

^(٣) جمع محمد حسين آل ياسين قدواً كثروا من مؤلفات "غريب اللغة". يراجع محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، من ١٦٦.

^(٤) قاتل العرب: "كل مني من أمه نصيب، فسوا نبعي" ليكون له من أمه نصيب، فيطول به العمر، ينظر، محمد خيري الدين عبد الحفيظ: متى الأرب بتحقيق شرح شنور النسب (جامعة شنور النسب)، من ٣٧، حاشية (١٩٦).

^(٥) ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت ط١١٠، ١٩٥٠-١١١)، مع ١ من ١٣٩، مادة (غرب).

^(٦) ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت، ١٩٣٩)، مع ١٣٩، مادة (غرب).

^(٧) ابن منظور: لسان العرب (دار الفكر، بيروت، ١٩٢٦-١٩٣٩)، من ٤٤٧، مادة (غرب).

^(٨) المخوزي الهمادي: للقاموس المحيط (دار الفكر، بيروت، ١٩٣٩)، مع ١١١، مادة (غرب).

^(٩) الإمام الرizي: خاتم المساجح (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩)، من ٤٧٠، مادة (غرب).

^(١٠) لم أثر على هذا الحديث في كتاب المساجح، ولا في المجمع للنحو للغاظ الحديث، ينظر، المجمع للنحو للفاظ الحديث (رب ونشر)، د.أ.ي. رشيق، مطبعة بوليل، لندن، ١٩٤٣)، آج ٣، ص ٥٦٢، مادة (ضو).

كمراة الغريبة لأنها في غير قومها فمرأتها أبداً مجلولة لأنه لا ناصح لها في وجهها^(١٨) ومن هنا ظهر المعنى الاصطلاحى.

الغريب في الاصطلاح هو "الغامض من الكلام، وكلمة غريبة"^(١٩) ويقال: تكلم فأغرب إذا جاء بغيرات الكلم ونواهيه، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فمعنى غريبة، ومنه مصنف الغريب^(٢٠) وأوضحاوا المقصود من الكلم الغريب، بقولهم: "وكلام غريب بعيد عن الفهم"^(٢١). بعد ما سبق، يلاحظ أن الكلم الغريب، أو الغرابة في اللقطة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا ملائسة^(٢٢).

أغار علماء العربية اللقب الغريب عنايتهم من الدرس والبحث، فميزوا بين نوعين من الغريب،^(٢٣) الأول أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفتها إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوى أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأكم على تكاؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عنى، أي اجتمعتم، تحروا. والثانى أن يخرج لها وجه بعيد كما في قول العجاج: (من الرجز)

ولدحاماً وزنبينا مسرجاً^(٢٤)

قال العلماء معلقين: "فإنه لم يظهر ما أراد بقوله مسراجاً حتى اختلف في تدريجه، فقبل هو من قوله للسيوف سريجية منسوبة إلى قلن يقال له سريج، يريد أنه في الاستواء والدكة كالسيف السريجي، وقيل إنه في البريق كالستراج".

ثم وضع علماء العربية والبلاغة معايير وأقىسة، لزكروا فيما بين اللقب الغريب وما يقابلها من فصيح^(٢٥).

وبهذا الإيضاح لمادة "غريب" تجلى المقصود منها في عرف اللغويين والمتخصصين في حقل الدراسة اللغوية، وبكلمة "الغريب" مراد للحوشى والشارد والنادر. قال السيوطي: "معرفة الحوشى والغرائب والشاذ والنوازير هذه الألفاظ متقاربة، وكلها خلاف الفصيح".^(٢٦) فهل راعى المصنفون في "غريب القرآن" و"غريب الحديث" و"غريب..." مقصود مادة "غريب"، فضموا في خضم مؤلفاتهم الشاذ والنادر والوحشى؟؟

^(١٨) الزخشي: أساس البلاغة، ص ٤٤٧، مادة (غرب).

^(١٩) ابن منظور: لسان العرب، مع ١، ص ٦٤٠، مادة (غرب).

^(٢٠) الزخشي: أساس البلاغة، ص ٤٤٧ مادة (غرب).

^(٢١) التبوى: المصباح المنير (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧) ص ١٦٩، مادة (غرب).

^(٢٢) الشريفي المحرجاني: كتاب التعريفات (مكتبة لبنان، بيروت، ط جديدة، ١٩٨٥) ص ١٦٧، مادة (غربانة).

^(٢٣) ينظر، السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (شرح وضبط وصححة). عبد الحليم جاد الول وعلي محمد الجاوي رخدان أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت لـ(١٨٦)، مع ١، ص ١٨٦، والمذكورين: الإيضاح في علوم البلاغة (شرح رتعليق وتفريح). عبد الله سعدي محفوظي، دار الكتاب اللبناني، بيروت طـ١٩٨٠ - ١٩٨٠، ج ١ - ص ٧٦.

^(٢٤) العجاج: الدلوان (تحقيق عبد الخفيف السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١) ج ٢ ص ٣٥.

^(٢٥) ينظر معايير الفصاحـة، المذكورين: تلخيص في علوم البلاغة (ضبط وشرح عبد الرحمن التوقيـي)، دار الكتاب العربي، بيروت، لـ(١٨٦)، ص ٣٦ - ٢٤.

^(٢٦) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مع ١، ص ٢٢٣.

استناداً إلى ما ترمي إليه الكلمة، أم ذهروا مذهبها مغايراً؟^(١)
 إن مؤلفات الغريب التي اتخذناها نماذج في دراستنا تجبيب، وليس بها صمم، ولا تعنى عن الكلام، لفسي
 شوادها تكمن الحقيقة، وفي موادها الخير للهين.
 جاء في غريب ابن عباس مادة «عزبٍ»، ثم ثبتت معها الشرح التالي^(٢)، قال: «فقال: يا ابن عباس
 أخبرنا عن قول الله عز وجل **«عن اليمين وعن الشمال عزبٍ»**^(٣) قال: عزبٍ: عزبٌ: للحق الرائق.
 قالا: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبر من، وهو يقول: (من الوالر).
يكونوا حول منبره عزبٌ»^(٤)

ويتجاذب أبو عبد الرحمن بن البيزيدي أسلوب ابن عباس الحواري، فيشي على شرح الملاعة اللغوية
 مباشرةً من دون تطويل وتعليق، يوضح ذلك قوله في الآية الكريمة: **«لارتب فيه»**^(٥): لا شك فيه^(٦).
 وقد يحيى ابن البيزيدي في غريبه القراءات واللغات لمثلثة شرحه، كما في **«تيتجدون»** الواردة في قوله
 عز وجل **«لوثروا الذين تلحدون في أسمائه»**^(٧)، وقال: **«تلحدون وتلحدون: لقنان، يجورون، والحاد: الجور عن القصد، والملحد: المثال عن الحق، وإنما متن اللحد لأنّه في ناحية القبر، وإذا كان في وسطه**
ستي ضريحان»^(٨).
 وتتابع الرابط الأصفياني في غريبه للفظة، لشرحها موضحاً معناها في كل موضع جاءت فيه، أي بحسب
 استعمالها في القرآن الكريم. من مقتنه ما جاء في مادة **«كتز»** قال: «كتز جعلِ المال بعضه على بعض وحفظه
 وأصله من كنزتِ التمر في الوعاء، وزمن الكثار وقت ما يكنز فيه التمر، ونفلة كنز مكتزة للحم.
 وقوله: **«ولو أثبن عليه كنز»**^(٩)، أي يذخرونها وقوله: **«تفوقوا ما كنتم تذبذبون»**^(١٠).
 وقوله: **«لو لا أثبن عليه كنز»**^(١١)، أي مال عظيم، **«وكان تحته كنز لهما»**^(١٢) كيل كان صحفة
 علم^(١٣).

^(١) عبد الله بن عباس: غريب القرآن في شعر العرب - سلالات نابغ بن الأزرى إلى عبد الله بن عباس (تحقيق محمد عبد الرحمن راجح)
 نصر الله، مؤسسة الكتب الفتايات، بيروت، ط١، ١٤١٣ - ١٩٩٣م، ص ٢٨.

^(٢) سورة العنكبوت، الآية ٣٧.

^(٣) نسبة ابن عباس في غريبه لعبد بن الأبر من، ولم أثب في ديوانه، دار صادر، بيروت..

^(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨.

^(٥) ابن البيزيدي: غريب القرآن وتفسيره (تحقيق د. عبد الرزاق حسنين، مؤسسة رسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧ - ١٩٧٨م) ص ١٩.

^(٦) سورة العنكبوت، الآية ١٨٠.

^(٧) ابن البيزيدي: غريب القرآن وتفسيره، من ٦٧.

^(٨) سورة فاطحة، الآية ٣٤.

^(٩) سورة فاطحة، الآية ٣٥.

^(١٠) سورة مودودة، الآية ١٢.

^(١١) سورة الكهف، الآية ٨٢.

^(١٢) الرابط الأصفياني: المفردات في غريب القرآن (تحقيق محمد سعيد كھلاتي، دار المعرفة، بيروت، ل.١)، ص ٤٤٦، مادة **«كتز»**.

وذهب أصحاب الحديث في غريبهم مذهب أصحاب "غريب القرآن"، فراحوا يفسرون مواد الحديث اللغوية التي اسموها "غريباً". من شواهد ذلك تفسير مادة "سبخ" في غريب الهروي، جاء فيه: "... في حديثه عليه السلام حين قال لعائشة وسمعوا تدعو على سارق لها شيئاً، فقال: لا تسبخي عنه بدعائك" (١٩). قال الأصمسي، قوله: لا تسبخي، يقول: لا تخفي عنه بدعائك عليه. وهذا مثل الحديث الآخر من دعا من ظلمه فقد انتصر؟ وكذلك كل من خف عن شيء فقد سبّخ عنه. قال: يقال: اللهم سبّخ عني الحمى، أي سلّها وخفّها. قال أبو عبيد: ولهذا قبل لقطع القطن إذا نتف: سباتخ، ومنه قول الأخطل بصف الفقاصل والكلاب: (من البسيط).

يذري سباتخ قطن. نتف أوتر (٢٠)

فارسلوهن يذربين التراب كما

يعني ما يتتساقط من القطن... (٢١)

ومثل هذا صنف ابن الأثير في كتابه "النهاية" وقال في باب "الباء مع الواو" "بوا" "أبوه" بمعنىتك على أبيه بذنبي". أي التزام وأرجع وأثر، وأصل البواء اللزوم منه الحديث: "فقد باه به أحدهما" أي التزم به ورجع به. ومنه حديث وائل بن حجر: "إن غفوت عنه بيته بإيمائه وإيم صاحبه" أي كان عليه عقوبة ذنبه وعقوبة قتل صاحبه، فأضاف الإمام إلى صاحبه، لأن قتله سبب لإثمه. وفي رواية "إن قتله كان مثله" أي في حكم البواء وصارا متساوين لا فضل للمقصى إذا استرفي حقه على المقصى منه (٢٢)

ويستمر ابن الأثير في هذا الحال، يعرض الأحاديث المختلفة التي استعملت فيها مادة "بوا" شارحاً مفسراً معانها المختلفة، ذاكراً لغاتها بحسب ما وردت في حديثه (ص)، كما في الحديث "عليكم بالباءة" يعني الكتاب والتزوج. يقال فيه الباءة والباء، وقد يقصر، وهو من المباءة: المنزل، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلة. وقيل لأن الرجل يتبرأ من أهله يستمken كما يتبرأ من منزله (٢٣)

ولم يذهب أصحاب "غريب اللغة" مفاضلين رافقين منهم أصحاب غريب القرآن وغريب الحديث، بل احتطوا بحليهم وساروا على هديهم، ففسروا ألفاظ العربية من دون قصد تمييز بين عربي فصيح أو نادر غريب، يشفع ذلك ما جاء فيه "المسلسل في غريب لغة العرب" قال في شرح مادة "الحال" في قول أمي القيس: (من الطويل)

سمو حبابي الماء حالاً على حال (٢٤)

سموتها إليها بعد ما نام أهلها

(١٩) اخافظ أبو دارد السجستاني: متى أتي داود (العدد وتعليق عزت عبد الداعس)، رعاعيل السيد، دار الحديث، حمص - سوريا، ل.نا، مج ٥ ص ٦١٢-٦١٣، ٢٢٣، كتاب الأدب باب فتن دعا على من ظلمه.

(٢٠) الأسطعل: الديوان (ط. بيروت، ١٨١٩)، ص ١١٥.

(٢١) أبو عبد القاسم بن سلام: غريب الحديث (طبع بحرقة)، د. محمد عبد العيد عمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حیدر آباد الذهن - المند ط، ١٣٨٤ - ١٣٨٥، ج ١٩٦٤ - ١٣٦٤، ج ١، ص ٣٣ - ٣٤.

(٢٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والآثار، ج ١، ص ١٥٩.

(٢٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والآثار، ج ١، ص ١٦٠.

(٢٤) أمرأ القيس: الديوان (دار صادر، بيروت، ل.نا)، ص ٨٤١.

الحال: الطريقة، والطريقة: الدّة، والدّة: القارة، والقاراء: الأكمة، والأكمة: العنز، والعنز: العقاب، والعقاب: الرأبة، والرأبة: الحقيقة، والحقيقة: ما تحقّق عليه الحفظة، والحفظة: الحمية، والحمية: الأنفة، والأنفة: العبد، والعبد: الحرب، وال الحرب: الترس، والدرس: الثوب الخلق، والخلق: النهج، والنهج: الطريق القاصد، والقصاد: الكاسر، والكاسر: البازي^(٤٠) وهكذا يبدأ بتفسير المادة ثم ينتقل من مراده إلى آخر...مشكلاً سلسلة من الألفاظ اللغوية، كل واحد يشتراك في المعنى مع سابقه.

واستعمل شرّاح الدّواوين مصطلح "غريب" لي شروحهم، فصدوا به ما تصدّى أصحاب غريب القرآن وغيره، من تفسير الألفاظ وشرحها. من أمثلة ذلك ما جاء في شرح قول المتنبي: (من المنسرح)

وبذلة لست ربها نقلَ

قال العكري في شرحه: "الغريب، الكتيبة: الجماعة من الخيل والنفل: الغنيمة، والعبطل: التي لا حلّ عليها"^(٤١)

بعد استقراء النماذج المتقدمة ومدارستها، يمكن القول أن المؤلفين في الغريب قد صدوا في مادة "غريب" شرح المواد اللغوية في الموضوع المخصص، ولم تكن وجهتهم استخراج غريب اللغة المراعي في الاصطلاح اللغوي عند أهل الصرف والبلاغة. وهذا النهج في التسمية يدعو إلى التساؤل وإعادة النظر في أسماء كتب "غريب اللغة"، إذ كان القصد منها تفسير ألفاظها من دون تمييز بين لفظ وأخر.

اسم "الغريب" بين النقد والتوجيه:

استناداً إلى مasic من أمثلة "شواهد، يلاحظ أن اسم "غريب" قد أطلق جزافاً على الألفاظ اللغوية في حقل من حقول المعرفة الموضعة للشرح، كالقرآن الكريم، والحديث الشريف... ولم يقع التمييز فيها بين عربي فصيح وغريب وحشي نادر، أو غريب مستنقع نادر، على الرغم من أن معنى الغريب الظاهر للدارس من خلال اسم الكتاب هو غير ما عالجوا ونخلص بعد ذلك إلى القول: إن الاسم الأدق والأصول هو: شرح أو تفسير ألفاظ القرآن، وشرح الفاظ الحديث" وسواهما ففي هذا الاسم انسجام بين الاسم المسمى، وطرد عن مضمون الكتاب كل احتمال معنى يشدّ أزر ما نقوله، جملة من الألة.

١- ابن محتويات مؤلفات "الغريب" ليست من الغامض النادر، بل مما عرفه العربي واستعمله ووعلمه، يقوى ذلك المقونة التي كان يرددها ابن عباس في تفسير مواجه، وهي "هل تعرف العرب ذلك؟ من شواهده تفسير "الوسيلة" في قوله تعالى: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)"^(٤٢) قال ابن عباس رداً على نافع "الحاجة"^(٤٣)،

^(٤٠) عبد بن يوسف، بن عبد الله النسبي: كتاب الملسل في غريب لغة العرب (قدم له وحقّته وعلّق عليه الاستاذ محمد عبد الحساد ورافقه الاستاذ ابراهيم الدسوقي الساطلي، مكتبة الماخناني، نصر، ١٩٨١م)، ص ٢١٥-٢١٤.

^(٤١) النهي: المديوان شرح المكتوي (ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وابراهيم الباري وعبد الحفيظ الشلبي)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م، ج ٣، ص ٢١٧.

^(٤٢) العكري: البيان في شرح المديوان (ضبطه مصطفى السقا وابراهيم الباري وعبد الحفيظ الشلبي دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م)، ج ٣، ص ٢١٧.

^(٤٣) سورة المائدۃ الآیة ٣٥.

ثم سأله: "أتعرف العرب بذلك؟، أجابه: نعم، أما سمعت عنترة العبسي، وهو يقول: (من الكامل)
لبن ياخذونه تشكى وتنظمي^(١)"

٢- لبن بعض ما جاء في كتب الغريب فهو من الألفاظ العامة التي يشارك في معرفتها جمهور أهل اللسان العربي، وهو ما يدور في الخطاب تناوله فيما بينهم وتداروه، وتقتصر هذه الصغر لضيقه الفاهم، من لدنة ذلك ما أثبته الراغب الأصفهاني في غربيه، من نحو "عَنْمَ" قال في تفسيره: "القلم معروف، قال تعالى: (وَمِنَ الْمَقْرَرِ وَالْقَمْ هُرْمَا عَلَيْهِمْ شَعُومُهَا) ^(٢)"، والقلم إصباته والظفر به ثم استعمل في كل مظفوري به من جهة العدى وغيره ^(٣) ويشبهه ليضاً ما جاء في "غريب القرآن" لأبي حيان الأندلسى، قال: "تَسْجُرُ" في الآية: (وَمِنَ الشَّهْرِ وَمَا يَغْرِبُونَ) ^(٤) وما قام على ساق ^(٥)، وغيرها من الألفاظ اللغوية المعروفة المتناولة كـ "زوج" وـ "صيد" ^(٦)، هل هذا غريب مستقل؟

٣- لبن إطلاق مصطلح "غريب" على ما جاء في القرآن يتلاطم مع البيان الإلهي لأن ما جاء في القرآن نصيبي بعد عن الغربة والشواذ، مصدراً لقوله عز وجل: "(لِيَسَانُ عَرَبِيِّينَ مِنْ) ^(٧) وقوله: "(إِنَّ أَنْزَلْنَا
 قُرْآنَ اَنْعَرِبِيَاً لِّتَعْلَمُ تَعْلُمُونَ) ^(٨)" وكذلك ما جاء على لسان الرسول (ص) أنا أغرتكم، أنا من فریش ولستني لسان بني سعد ^(٩) فهو لغة القرآن غربية مبهمة، لم ألودع في كتب الغريب قصد به شرح المفردات وتفسيرها؟!

٤- ابن أصحاب مصنفات "الغريب" قدروا تفسير الألفاظ حققة لا للبحث عن الغريب في حرف البلاعرين كما توحى للتصفيحة، يقوى ذلك اعتراض أصحاب المصنفات أنفسهم في حققة عطتهم... قال الراغب الأصفهاني في مقدمة غربيه، يوضح خطأه ورسور منهجه: "ونذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتمل به من طروم القرآن العلوم اللغوئية ومن العلوم اللغوئية تحقيق الألفاظ المفردة لتحصيل معانى مفردات الفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه... وقد استقرت الله تعالى في املاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فلتقدم ما أوله الآلف ثم اليماء" ^(١٠) ويشبهه ما نقل عن أبي عبد

^(١) ابن عباس: غريب القرآن، ص. ٦٩.

^(٢) عنترة: المليون (المختلق دراسة محمد مولوي)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣-١٤٨٣هـ (١٩٨٣م) ص. ٢٦٣.

^(٣) سورة الأتحام الآية ١٢٦

^(٤) ينظر، الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص. ٣٦٦، مادة (خط).

^(٥) سورة فتحعل، الآية ٦٨.

^(٦) يراجع أبو حيان الأندلسى: ترتيب خمسة الأدب بما في القرآن من الغريب، (المختلق وغريب وتقديم د. دود سلوم ود. نورى حمودى التيسى)، عالم المكتب وملكية الهيئة، بيروت، ط١، ١٤٠٩-١٤٨٩هـ (١٩٨٩م) ص. ١٠٧.

^(٧) ينظر، أبو حيان الأندلسى: ترتيب خمسة الأدب بما في القرآن من الغريب، ص. ١٠٦.

^(٨) سورة الشمراء الآية ١٩٥

^(٩) سورة يوسف الآية ٦

^(١٠) ابن سعد: الطبقات المكتوى (دار سادر، بيروت، ل.تا)، ج ١، ص. ١١٣، وفي المسورة الثانية: (إِنَّ أَغْرِبْكُمْ أَنَا فَرَشِي اسْرَاضْتُ بِي
 بَنْ سَعْدَ بْنَ بَكْرٍ) ينظر ابن هشام: المسورة الثانية (المختلق مطلع السنّة وأخرين، دار القلم، بيروت، ل.تا)، ج ١، ص. ١٧٦.

^(١١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص. ٦.

في مقدمة كتابه: قال أبو عبيد في لفظاته حدثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن ... عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيد يعني كان يستشهد على التفسير^(١٠) ففي كلام ابن عباس وأبي عبيد تلقي على أن المقصود شرح مفردات القرآن، ولهذا على أحد الدارسين على عمل أصحاب الغريب بقوله: غير أننا نعرف أن ابن عباس كان يسأل عن معانٍ مفردات القرآن، وأنه كان يفسرها تفسيراً لغويًا، مستشهدًا على ما يقوله بالشعر العربي القديم^(١١)

ـ ابن أصحاب الغريب عمل مجمعي، غايته شرح معاني المفردات وتوضيحها العامة، لا حصر الغريب، يصدق ذلك قول ابن قتيبة في مقدمة غريبه: قد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث، وأن الناظر فيه مستغنٌ به، ثم تعقبت ذلك بالنظر والتنتيشه والمذاكرة فوجدت ما تركته نحواً مما ذكر أو أكثر منه، لافتتني ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر...، وأشبعت ذلك بذكر الاشتغال والمصادر والشواهد من الشعر، وكروت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب، فلودعه من قصار أخبار العرب وأمثالها، وأحاديث السلف وألقاظهم ما يشكل الحديث أو يوافق لفظه، لكثر فائدة الكتاب، ويمنع قارئه، ويكون ذلك عوناً على معرقه وتحفظه^(١٢) وهذا النهج الذي ذكره ابن قتيبة هو نهج أصحاب المعاجم الذين يفسرون المادة ويدركون اشتغالها ومصادرها... يوضح ذلك قول ابن منظور في مادة "عرب": "العرب والغرب جبل من الناس معروف، خلاف العجم.. وتتصغيره بغير هاء نادر. الغريب تصغير العرب... والعرب العربية: هم الخالص منهم، وأخذ من لفظه فاكده به... والعربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويا... والتغريب بعد الهجرة: هو أن يعود إلى البايدية وبقى مع الأعراب، بعد أن كان مهاجرًا... والعربية: هي هذه اللغة. واختلف الناس في العرب لم سموها عرباً فقل بعضهم: أول من أطلق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان^(١٣)

إنها أدللة سقفاً لها لتكون البيان واللحجة والبرهان على صحة ما نذهب إليه. ولهذا نقول مجدداً إن الاسم الأدق لمؤلفات الغريب هو "شرح مفردات..."

وينتفي إشكالية لغوى علة، وهي لماذا سمى أصحاب المصنفات كتبهم "بالغريب" مع أن مادة "غريب" لا تختزن في مضمونها معنى الشرح والتوضيح؟ ما سرّ هذه التسمية؟ وهل أطلقت مجازاً تحمل معنى التفسير؟
الحقيقة أن "الغريب" لم يطلق مجازاً على معنى الشرح والتوضيح، لفقدان الشرعية في اللغة التي تسمح له بهذا الجنوح المعنوي؛ لأن المجاز "أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب" ^(١٤) كما في قول معاوية بن مالك: (من الوافر)

رجيناً وإن كانوا غضباً^(١٥)

إذا سقط السماء بارض قوم

^(١٠) ينظر، المسؤول: الاتنان في علوم القرآن (المكتبة الشافية)، بيروت، ٢١٩٧٣م، ج ١، ص ١١٩ - ١٢٠.

^(١١) يراجع، محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، ص ١٤٧.

^(١٢) ابن قتيبة: غريب الحديث (تحقيق د. عبد الله الجبوري)، وزارة الأرافق، بغداد، ١٩٧٧-١٩٧٦م، ج ١، ص ٥.

^(١٣) ابن منظور: لسان العرب، مع ١ ص ٥٨٦، مادة (عرب).

^(١٤) ينظر، ابن رشيق: العدة في حامن شعر وآله (التحقيق)، عهد فرقان، دار للمرفأ، بيروت، ط ١، ١٤٠٨-١٤٠٩م، ج ١، ص ٤٥٦.

^(١٥) المفضل بن الحنفية: المضليلات (تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام محمد هارون)، دار المعارف، مصر، ط ١، ١٩٧٩م، ص ٢٥٩.

أراد للسماء المطر، تقبّه من السماء.

والغريب أيضًا ليس مما يقارب الشرح والتوضيح ولا سببًا منه، ولم يجر استعمال "الغريب" على سنن العرب الأخرى كوصف الشيء بما يقع فيه أو يعود منه، كما في قولهم: "ليل نائم" أي ينام فيه، و"ليل ماهر" أي يسهر فيه فـ "ليل" قدروا لفاظاً يقع فيها الإهراـب والإبهـام، إلا أنـهم جمعوا في بطـون مؤلفـتهم لفاظـاً متداولة معروفة على كلـ لسان.

يency الأمر موضع شكـلـ، وهو يتطلب تبرـأـ واجـهـادـاـ واستـنـادـاـ إلى أنـ العـلـمـاءـ الـذـينـ أـلـفـواـ فيـ "الـغـرـبـ" لمـ يـجـهـلـواـ معـنـىـ التـرـيـهـ، وـلـكـ هـذـكـ مـلـابـسـةـ يـمـكـنـ عـلـىـ ضـوـئـهـ تـقـسـيرـ مـذـهـبـ الـعـلـمـاءـ لـفـيـ التـسـمـيـةـ، وـهـيـ:

١ـ إنـ الـفـاظـ لـلـعـربـ يـمـدـ اـجـتـمـاعـ الـعـربـيـةـ فـيـ لـغـةـ كـرـيشـ لـمـ تـحـلـ الدـلـالـةـ الـواـحـدـةـ عـنـ الـقـبـائلـ الـمـخـلـتـفـةـ. فـقـدـ تـحـلـ تـقـصـيـصـيـ فـيـ قـبـيلـةـ، وـمـعـنـ مـخـالـفـ فـيـ أـخـرـىـ، يـتـوـضـيـعـ مـعـنـ الـاـخـلـافــ كـمـلـ. مـنـ خـالـلـ مـادـةـ "كـرـهـ" قـالـ الـمـبـرـدـ: أـهـلـ الـجـيـازـ يـرـوـنـ "الـإـكـراهـ" الـطـهـرـ، وـأـهـلـ الـعـرـاقـ يـرـوـنـهـ لـلـعـيـضـ، وـأـهـلـ الـمـدـيـنـةـ يـجـلـوـنـ عـنـ الـنـسـاءـ الـأـطـهـرـ^(١) وـلـهـذاـ اـعـتـورـ الـعـربـيـةـ الـإـهـراـبـ وـالـكـلـ، نـتـجـةـ اـجـتـمـاعـ الـقـبـائلـ. الـلـفـاظـ تـتـداولـ عـلـىـ لـسـنـ قـومـ، تـعـتـرـ غـرـبـيـةـ لـدـيـ قـومـ آخـرـينـ، وـكـمـ الـمـعـ بـهـ فـارـسـ إـلـىـ ذـلـكـ، قـالـ: كـلـ هـذـهـ الـلـغـاتـ مـسـمـةـ مـشـوـشـةـ وـهـيـ وـإـنـ كـانـ لـقـوـمـ دـوـنـ قـوـمـ فـلـقـهاـ لـمـ اـنـتـشـرـتـ تـعـاـوـرـهـاـ كـلـ. وـمـنـ الـاـخـلـافـ الـتـضـادـ، وـكـلـ كـوـلـ حـتـيرـ لـقـائـمـ: ثـبـأـيـ الـقـدـ^(٢)

٤ـ لـيـنـ الـعـربــ فـيـ أـحـيـانـ كـثـيرـةــ لـاـ يـفـهـمـوـنـ كـلـامـ بـعـضـهـ، وـبـخـاصـةـ عـنـدـمـاـ تـكـلـمـ كـلـ قـبـيلـةـ لـفـتهاـ لـلـخـاصـةـ بـهـاـ، لـأـنـ كـلـ لـغـةـ تـخـتـلـفـ عـنـ غـيرـهـاـ مـنـ لـفـاتـ الـقـبـائلـ بـلـمـورـ^(٣)... وـدـعـمـ ذـلـكـ مـاـ روـيـ عـنـ الـإـسـلـامـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـلـبـ "كـرـمـ اللـهـ وـجـهـ" أـنـهـ سـأـلـ رـسـوـلـ اللـهـ "صـ" حـينـ كـانـ يـخـلـطـ وـلـدـ بـلـيـ لـهـ، قـالـ: "يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ نـعـنـ بـنـوـ أـبـ وـاحـدـ، وـنـرـاكـ تـكـلـمـ وـفـوـدـ الـعـربـ بـمـاـ لـاـ نـفـهـ أـكـثـرـهـ قـالـ: أـنـيـ رـبـيـ فـاحـسـنـ تـدـبـيـ، وـرـبـيـتـ فـيـ بـنـيـ سـعـدـ. لـكـانـ "صـ" يـخـاطـبـ الـعـربـ عـلـىـ اـخـلـافـ شـعـوبـهـ وـقـبـائلـهـ، وـتـبـاهـيـ بـطـوـنـهـ وـأـنـاخـذـهـمـ وـفـصـلـهـمـ، كـلـاـ مـنـهـ بـمـاـ يـفـهـمـ، وـبـعـادـهـمـ بـمـاـ يـعـلـمـونـ^(٤)

استـنـادـاـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـلـابـسـةـ الـلـفـاظـيـةـ الـحـاسـلـةـ مـنـ اـهـمـاـتـ الـقـبـائلـ الـعـربـيـةــ وـبـخـاصـةـ بـعـدـ الـإـسـلـامــ أـصـبـحـتـ الـلـفـاظـةـ الـمـتـدـاـولـةـ فـيـ وـسـطـ عـربـيـ غـرـبـيـ لـدـيـ الـآخـرـينـ. وـمـنـ هـنـاـ يـبـرـزـ سـبـبـ استـعـمالـ مـصـطـلـحـ "غـرـبـيـ" لـفـيـ لـسـاءـ الـمـسـنـفـاتـ الـفـلـقـرـيـةـ نـسـيـبـةـ، وـلـهـذاـ مـكـنـ لـلـقـوـلـ إـنـ حـدـ الـلـفـاظـةـ فـيـ الـلـفـاظـةـ يـتـبـغـ بـتـغـيرـ بـتـغـيرـ الـقـبـيلـةـ مـاـ تـسـدـقـ عـلـىـ الـغـرـبـيـةـ مـنـ الـلـفـاظـ فـيـ قـوـمـ وـعـصـرـ لـاـ تـسـدـقـ عـلـيـهـ فـيـ قـوـمـ آخـرـينـ وـبـعـدـ حـينـ.

نـخـلـصـ مـنـ الـقـلـعـشـ عـنـ تـسـمـيـةـ "غـرـبـيـ" لـنـصـعـ تـوجـيهـيـنـ يـفـيدـانـ دـارـسـ الـعـربـيـةـ، وـبـاـحـثـ فـيـهـاـ، الـأـوـلـ

^(١) يـاـمـ، الصـالـيـ: فـيـ الـلـفـاظـ وـأـسـرـوـلـ الـعـربـيـ (ـشـورـاتـ دـلـوـ سـكـيـ الـلـهـ)، بـرـوـتـ، لـاـ (ـ) صـ ٢٦٢ـ.

^(٢) يـظـرـ، الـمـودـ: الـكـامـلـ (ـحـقـقـ وـعـلـىـ عـلـيـ دـ. عـمـدـ أـحـدـ الـدـالـيـ، مـوـسـأـ الـرـسـالـةـ)، بـرـوـتـ طـ ٢٤ـ، ١٤١٣ـ (ـ١٩٩٣ـ) صـ ١ـ ٣٦٠ـ ٣٦١ـ.

^(٣) يـظـرـ، أـحـدـ بـنـ فـارـسـ: الصـاحـيـ فـيـ فـيـ الـلـفـاظـ وـسـنـ الـعـربـ فـيـ كـلـامـهـ (ـحـقـقـ وـقـدـمـ لـهـ مـصـطـلـحـ الـشـوـعـيـ)، مـوـسـأـ الـبـرـانـ، بـرـوـتـ، ١٤٢٨ـ (ـ١٩٦٤ـ) صـ ٥٠ـ ٥١ـ.

^(٤) عـدـدـ بـنـ فـارـسـ فـصـلـانـيـ كـاهـ لـوـضـ فـيـ وـجـهـ الـمـعـلـافـ لـفـاتـ الـعـربـ.. يـاـمـ، أـحـدـ بـنـ فـارـسـ: الصـاحـيـ فـيـ فـيـ الـلـفـاظـ، صـ ٤٨ـ ٤٧ـ.

لغوي وهو اتساع مادة "غريب" لتشمل معنى آخر في أحشائنا سوًّاً لها المؤلفون في الغريب، وهو معنى الشرح والتوضيح اللذين يرديهما مصطلح "معلم" و"قاموس". والثاني أكاديمي يقتضي أحد الأمور بــ"من الاحتراز عند التعامل مع مصادر العربية". فما حمل اسم الغريب ليس ضرورة أن يبحث في الفاظ غريبة في القواعد والاستعمال، غير مأنسنة، بل هو أشبه ما يكون بقاموس لغوي. وكذلك الالتفات إلى غيرها من المصادر والتبرير في الحكم على مضمونها، لا التجارب في الحكم عليها حملًا على اسمها... من أمثلة ذلك كتاب الخليل بن أحمد رحمة الله الموسوم "الجمل في النحو" للروهله الأولى يُظعن أن مباحثته تدور حول مصطلح "الجملة" في العربية، وأنواعها وأسمائها... وسواها من الأمور التي تفترضها التسمية ولكن الخوى غير ما دل عليه العنوان، بل هو كتابــ كما صرخ به صاحبهــ "فيه جملة الإعراب إذ كان جميع النحو في الرفع والنصب والجرــ والجزم وقد أثنا هذا الكتاب وجمعنا فيه جمل وجوه الرفع والنصب والنصب والجزم وجمل الألفاظ، والهاءات، واللامات، والهاءات، ولنتمامــ وما يجري من اللام الفلتــ" (١)

إنها محاولة تقريمية في مسيرة مؤلفات التراث العربي، تؤتي أكلها ثماراً يجنيها الباحث في العقل اللغوي، عن طريق الامتداء بنورها عندما يعيش في ثالياً المصنفات والممؤلفات فيسفر جزءاً من وقته وجهده، وذلك حين يحدد مصادره بدقة، وهو يعرف محتوياتها. لا يصلحه اسم لا ينطبق على مسماه، ولا مصنف يخالف عنوانه لحواه... فانطلاقه للباحث الأولى للصحيفة تؤدي في النهاية إلى نتائج صحية دقيقة، يصدقه قول الشاعر: "من الوالر"

لمت أجيلاً إلا النواة (٢)

إذا ضئعت أين كل نمر

◆◆◆

(١) الخليل بن أحمد: كتاب الجمل في النحو (تحقيق د. فخر الدين قنارة، موسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ مـ)، ص٣٣.

(٢) ينظر، أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (حقائق وضبط نسبــ د. مليد قبيحة، دار الكتاب العلمي، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ مـ)، ص١٥١.

محبادر

التراث الصوتي العربي

د. أحمد عزوز

مقدمة:

افتتح العرب بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وشراحاً وتقسيراً منذ نزوله على الرسول الأمين محمد (ص)، وأصبح المنهل الذي لا يتضمن لكل دروس اللغة العربية. وزادت الغالية به لما دخلت الأقوام المختلفة الأجناس إلى الإسلام التي كان من آثارها فشو اللحن وترتبه إلى الأمسنة وبخاصة إلى التزير الحكيم.

وكان من نتائج هذه الغالية ظهور علم التجويد الذي حافظ على النطق السليم لأصوات القرآن الكريم، إذ تحدث المجودون عن مخارج المزدوج ووصفوها وصفاً دققاً، وبيتوا علاقتها بما يجاورها مع توضيح ثائر هذا التجاور، مما يدل على ذوقهم المرهف وشفافيتهم، فجاءت جوائب كثيرة من دراستهم علمية ودققة.(١)

وأنت الملاحظات الصوتية إلى أن أصبحت معالجة في علوم اللغة المختلفة، تsem في تقسير كثير من مشكلاتها، أدى إلى إعجاب المستشرقين^٠ بها، فأثنادوا بجهود علماء العربية في هذا الميدان، كما استفاد الغربيون منها وأصلوا عليها فرعاً عديداً مكتنماً منها ظهر الالات الدقيقة والتحليل الصوتي في المختبرات، والتطور التقني الذي شهد له القرن وبخاصة ابتداء من السبعينيات.(٢)

وقد فرتقت هذه الدراسة على قطبين أساسيين هما: علم الأصوات النطقي والسمعي وعلم وظائف الأصوات، اللذان عولجا تحت مظلة واحدة، إذ كلاماً يدرس الصوت اللغوي، والعلاقة بينهما شديدة والفصل بينهما صعب الحصول.

وتحسن الإشارة إلى أن البحث الصوتي العربي لم يضم مصر ولحد، ولم يتاح له عالم واحد، ولكن تثار بين طواب مصنفات علوم العربية المختلفة، الصوتية منها وال نحوية الصرفية، والبلاغية، والتجويدية وإعجاز القرآن والمعالجم، وتعدد العلماء الذين شاركوا في إقامة صرحه وتوطيد بنائه^(٣) وكل ذلك يدل على غالية التقليد وتعلقهم بهذا الميدان لأهميته وثره الفعال في تقسير كثير من الطواهر اللغوية^(٤)).

ومن الأعلم الذين ضربوا بسهم وله في عدة نواح من الدراسة اللغوية، وكانت لهم اليد الطولى في تأسيس التراث الصوتي، وللذين لا تزال تفتخر بهم الأمة العربية: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وسيسيويه (ت ١٨٠هـ)، وقطرب (م ٢٠٦م)، وبين جنى (ت ٣٩٢م) وبين سينا (ت ٤٢٨هـ) وبين سنان الخفاجي

(ت: ١٦)، والمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، والسكاكني (ت: ٦٢٦ هـ)، إلى غيرهم من الأذلاء، والعلماء الأجلاء الذين ولصلوا المسيرة العلمية عبر القرون، شعروا بمسؤولياتهم تجاه لغتهم ولديهم لها لتكب على تعلم لغتها وتدرسها والاعتزاز بها.

ومن المصطلحات التي تعدد مصادر صوتها:

المعاجم العربية:

تعتبر المعاجم العربية من مصادر التراث الصوتي، لأنها زخرت بفريض هائل من الفكر الصوتي عند العرب.

وقد توارت الفضلا الصوتية إنما في المقدمة لو في شباب العادة اللغوية المجموعة. ويرجع الفضل في الدراسة الصوتية إلى الخليل بن أحمد الذي وضع الأساس الأولى لعلم الأصوات العربية، ويتجلى ذلك من مقدمة "العين" حيث يقول محققا المعمم: كفي هذه المقدمة بوأكيد معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرون عدة من حصر الخليل^(٥). وبذلك احتل هذا المعمم مكانة سامية في اللغة العربية باعتباره أول معلم عربي، إن لم يكن أول معلم عالمي، ينضر بطريق علمية دقيقة اعترف بها في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة، اهتمى إليها الخليل بذكره للثاقب ومرهبيه للنادر وعلمه الواسع.

وجاء تأليف معلمه مناسباً لمدارج الجهاز الصوتي انطلاقاً من الحلق إلى الشفتين، وذلك تبعاً لطريق مخرج الكلام الذي ينطلق بطبيعة من الداخل إلى الخارج، لكن الخليل يتطرق للحروف بفتحها ثم ينطوي بالألف وبظير الحرف نحو: آلة- آلة- أ- أ- ع^(٦) إلى نهاية كل الحروف، لتم اختصاره بدالية الترتيب بالعين التي جعلها أول الكتاب ثم ما قارب منها، الأربع فالأربع حتى آتى على آخرها، فتوصل إلى الترتيب التالي: ع، ح، هـ، خ، ظ، ق، ك، ج، ئ، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، أى، الهمزة^(٧).

وقد رسم الخليل الطريقة التي يمكن بها معزنة مخرج الصوت، وكان في ذلك موقفاً كل التوفيق إلى حد أن علم الأصوات الحديث يعترف بكثير من آرائه ومتلئمه الصحيحة^(٨). ومنما قاله الخليل إن "ال LCSL الحروف كلها العين ثم الحاء، ولو لا بحة في الحاء لأشبهت العين قرب مخرجها من العين، ثم الها، ولو لا همة في الها... لأشبهت الحاء لقرب مخرج الها من العاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أربع من بعض"^(٩).

ويرى الفراهيدي أن "الألف لم يستعمله والتشر و واستخفى و استبكي لم يست من أصل البناء. وإنما ادخلت هذه الأنفاس في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عمداً وسليماً للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فهوحتاج إلى ألف الروصل، إلا أن تغزج و هملاج و فطرط لم يفتح فيهن إلى الألف ل تكون السلم، فلهم بن شاء الله"^(١٠).

ويتحدث عن سمات البناء اللغوي، مبيناً أن كلام العرب يعني على أربعة أصناف، للشأن، والثلاثي والرباعي والخمسي، ومقرراً أن الكلمة الرباعية والخمسية إن لم تكن تتحتوي على حرف من أحرف الذلة

أو الأحرف الشفوية فهي لوست من الكلام العربي. حيث يقول: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معاة من حروف الذالق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، لويست من كلام العرب لأنك لست واحداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذالق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر" (١١) إلى غير ذلك من الأفكار والتقليلات والابتكارات التي ظلت نبراساً، وهدياً لعلماء اللغة والنحو والصرف والعلوم الإنسانية بصفة عامة (١٢)

ولقد تناقلت المعاجم الأنكار الصوتية التي قررها الخليل، وخاصة تلك اتبعت منهجه في التأليف، أي وفق النظم الصوتي، أو التقليليات المهجانية مثل لابن دريد. الذي تعرّض إلى قضايا صوتية كنسخ الكلمة وبنيتها، والأصوات التي تتألف والتي لا تتألف حيث بين أن القاف والكاف لا تختلفان في كلمة إلا بوجود حواجز، وأشار أيضاً إلى أن تباعد الحروف في المخرج يؤدي إلى خفة البناء خلاف التقارب الصوتي الذي يؤدي إلى نقل الكلمة على اللسان.

وتحتث أيضاً عن صفات الأصوات كالرخاوة والإطباقي والشدة، وتعرض إلى نسبة تردد الأصوات في اللغة العربية، إذ رأى أن أكثر الأصوات استعمالاً في اللغة العربية هي الواو والياء والهاء وأن لها الظاء ثم الذال ثم الثناء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم التون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم (١٣) ويبدو أن إبراهيم أنيس قد انطلق من مثل هذه الفكرة لدراسة روى الشعر، والبحث عن نسبة تردد الأصوات، معللاً ذلك بكثرة الجهد الذي يتطلبها صوت ما، أو قوله (١٤)

المصنفات النحوية الصرافية:

يقوم كثير من أصول النحو العربي على أساس صوتية كتفسير كثير من الآثار الإعرابية التي تطرأ على الكلمات.

فقد حوت المصنفات النحوية الصرافية بين ثناياها كثيراً من ملامع التراث الصوتي العربي، وضمت دراسة مسهبة للمنحي النفسيولوجي المتعلق بكيفية تكوين الأصوات وإصدارها، وما ينجم عن ذلك من تنوع في صفاتها.

فقد خصص النحاة بعض الأبواب في كتبهم للدراسة الصوتية وخاصة حين تعرضهم لباب الإدغام أو الحديث عن قياس الإعلال والإبدال.

وكتاب سيبويه شاهد عدل على ذلك، وكذا المنفصل للزمخشري، والجمل للزجاجي وغيرها من المصادر التي لا تخلو من الإشارة إلى الملاحظات الصوتية.

فسيبويه - مثلاً - أشار إلى كثير من الخصائص الصوتية، واتسم تصنيفه بالدقّة والشمول، تناولته التأليف العربية بعده، وهي معلومات مأفوحة من دون شك عن أستاذة الخليل وإن كان لا يتحدث عن ذلك إطلاقاً.

يتعرض في موضوع الإدغام إلى الأصوات فيقول: "هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها.

فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفًا: الهمزة، والألف، والباء، والعين، والحاء، والغين،

والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والباء، والباء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والدال، والباء، والفاء، والباء، والميم، والواو” (١٥)

ويضع سيبويه ستة عشر مخرجاً لغورف العربية، وما يلقي الانتباه هو أنه يضع المهمزة والألف في مخرج أقصى الحلق وفي وسطه العين والباء، (١٦) وهو يخالف في ذلك الخليل الذي جعل العين والباء أقصى الحلق، وجعل المهمزة مع الواو والألف والباء.

ويتناول صفات الأصوات من جهر وهمس وشد ورخاء ومنحرفة، ومكررة ولينة وهاوية ومقطبة ومنفتحة، (١٧) ويختتم ذلك بقوله: “إلينا وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدلاته استثناؤها تدغم، وما تخفيه وهو بذنة المترنح” (١٨).

فلم يخل مصنف في النحو لم يتعرض إلى القضايا الصوتية وهذا للعلاقة التي تربط العلمين.

ولقد قدم بعض النحاة القدماء الشرح اللغوي للحركات متصلًا بالجانب الفسيولوجي والكيفية التي يتم بها نطقها، ومن أولئك الزجاجي حيث يقول في باب القول في معنى الرفع والنصب والجر من طريق اللغة:

”فنسبيوا الرفع كله إلى حركة الرفع لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفتيه وجعل ما كان منه بغير حركة موسماً أيضاً باسمة الحركة لأنها هي الأصل.

ومتكلم بالكلمة المنصوصة يفتح فاء، فيبين حنكه الأسفل من الأعلى، فيبين للنازح إليه كأنه قد نصبه لإباته أحدهما عن صاحبه.

وأما الجر.. ومن سماته منهن من الكوفيين خصصاً، فإنهم فسروه نحو تفسير الرفع والنصب لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به، وميله إلى إحدى الجهات.

وأما الجزم فأصله القطع.. فكان معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة.. وكان المازني يقول: الجزم قطع الإعراب” (١٩).

وأشارت تلك المصنفات ولاسيما في الميدان الصرفي إلى كثير من الملامح الفونولوجية التي تتعلق بتجاور اللبنات المكونة للصيغة، وما يطرأ على بنية الكلمة العربية من تغيرات: إما في التصرفات المختلفة (من إفراد وتشيية وجمع، وتنكير وتأنيث، وتصغير، ومبالغة، ونسبة، ومواض، ومضارع، وأمر.. الخ) وبما عند وقوعها في درج الكلام في سياقات صوتية مميزة (كالإدغام والوصل) (٢٠).

ومن المصادر الصرافية التي عالجت مباحث صوتية متعددة كالإعلال والإبدال والقلب والإدغام، وغيرها، الشافية لابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ).

وبذلك عدت المؤلفات النحوية الصرافية من المصادر الصوتية العربية.

المصنفات الأدبية:

ناقشت المصنفات الأدبية كثيراً من القضايا الصوتية، ولاسيما الجانب النطقي أو الفسيولوجي منها، ومن هذه المصنفات ”البيان والتبيين“ للجاحظ.

فقد تعرّض إلى تعريف الصوت حيث قال: "هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا متثراً إلا بظهور الصوت" (٢١) ويتناول موضوعاً ذات صلة وثيقة بالأمراض الكلامية أو العيوب النطقية التي أصبحت علمًا مستقلًا في العصر الحديث لما له من مختصين ومعاهد ومستشفيات تعالج فيها هذه الأمراض.

فهو يردّ بعضها إلى السرعة كاللكلف أي أن يدخل المتكلم الكلام بعضه في بعض، وبعضها الآخر إلى عيوب عضوية كسرقط الأسنان، (٢٢) فيحدث صفير في الكلام، وبالتالي لا تقبله الأذن.

"من خلال العيوب الصوتية كاللثغة وغيرها يتوصّل إلى دراسة التقطيع الوظيفي، فاللائحة مثلاً عندما يقطع كلمة "مضى" يقول "مضى" بآخر الراء من مخرج الياء، لتفصان في آلة النطق، وعجزه في إداء الصوت، مع أنه يقصد "مضى"، لأن الساعي الذي يسمع مضى يفطن للعامة، ويصحح الخطأ الصوتي، وفيهم كلامه بالاعتماد على التقطيع المألف" (٢٣)

وذكر أن الأصوات التي تدخلها اللثغة هي القاف والسين واللام والراء فتقلب القاف إلى طاء، والسين إلى ثاء، واللام إلى ياء أو كاف، والراء إلى غين أو ياه.

وتحثّت الجاحظ عن اللكنة التي تظهر في كلام الأعمى الذي ينطق باللغة العربية كنطق السندي الجيم زايا، والنبطي الزاي سينا والعين همة.

وأنشر أيضًا إلى البناء الصوتي للكلمة العربية، وإلى ما يختلف في نسجها وما لا يختلف، أي ما عرف بالتناقض والتلازم، حيث قال: "فاما في الفراق الحرروف، فإن الجيم لا تقارن الطاء، ولا القاف، ولا الطاء.. بتقديم، ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الطاء ولا السين والضاد ولا الذال.." (٢٤)

مصنفات البلاغة وإعجاز القرآن:

لما كانت العلاقة جد وثيقة بين البلاغة والأصوات في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، فلا غرو أن تضم المصنفات البلاغية وإعجاز القرآن بين شياهاها حديثاً عن الأصوات، ومناقشات ترتبط بصييم المدائين الفونتيكي والфонولوجي، وخاصة حين تعرّضها للفصاحة وما يرتبط بتناقض وانتلاف الحروف.

ومما يمكن الاستشهاد به، على سبيل التوضيح لا الحصر جميع ما ورد في المصنفات العديدة، ما جاء في "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي الذي يرى أنه كلما تباعدت مخارج حروف اللفظة حسن وقعها على السمع، وكلما تقاربـت قبح، فذكر ذلك في قوله: "إن الحروف وهي أصوات تجري من السمع مجرـى الألوان من البصر. ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعـت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، لقربـ ما بينـه وبينـ الأصـفـر، وبعدـ ما بينـه وبينـ الأسود، وإذا كانـ هذا موجودـاً علىـ هذهـ الصـفةـ لاـ يـحسـنـ التـزاـعـ فـيهـ، كانتـ الـطـلـةـ فيـ حـسـنـ الـفـظـةـ المـؤـلـفـةـ منـ الـحـرـوفـ المتـبـاـعـةـ" (٢٥)

وفي هذا المجال يوازن الرمانـي بين قوله تعالى: "ولكم في التصـاصـنـ حـيـاةـ" وقولـ العربـ "الـقـتـلـ أـنـفـ لـقـتـلـ" فقالـ: "وـأـمـاـ الـحـسـنـ بـتـأـلـيـفـ الـحـرـوفـ الـمـتـبـاـعـةـ فـهـوـ مـدـرـكـ بـالـحـسـنـ، وـمـوـجـودـ فـيـ الـفـظـ بـاـنـ الـخـرـوجـ مـنـ الـفـاءـ إـلـىـ الـلـامـ (ـفـيـ الـتـصـاصـنـ) أـعـدـلـ مـنـ الـخـرـوجـ مـنـ الـلـامـ إـلـىـ الـهـمـزةـ بـعـدـ الـهـمـزةـ مـنـ الـلـامـ (ـالـقـتـلـ أـنـفـ لـقـتـلـ)" وكذلك الخروج

من الصاد إلى الحاء (القصاص حياء) أعدل من الخروج من الألف إلى اللام (أنفى للقتل).

وقد تناول أيضاً التأليف اللغطي، وقسمه إلى متأخر ومتألم، وذكر أن السبب في التلاوة مردّه إلى تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤماً، وأما التلاؤف فسيبه مثلاً ذكر الخليل يعود إلى البعد أو القرب الشديد بين مخارج الأصوات، فإذا بعدت الأصوات كانت بمنزلة الطفر، وإذا قربت القرب الشديد كانت بمنزلة المشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإذعام والإبدال.^(٢٦)

وقد ضم كتاب إعجاز القرآن للباقلاني كثيراً من المباحث الصوتية، بقصد تحليل آيات القرآن، وبين أوجه إعجازه، فذكر ما يتعلق بفواتح السور، وسر اختيار حروف معينة لها، فمما قاله: إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعه وعشرون حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً، ليدل بالذكر على غيره، وليرعوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينطمون بها كلامهم.

والذي تقسم إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها -أنسام، نحن ذاكرواها: فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف ممهومة، وأخرى مجهرة، فالممومية منها عشرة وهي الحاء والاهاء والخاء والكاف والشين والثاء والفاء، والتاء والصاد والسين.

وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهرة. وقد عرفنا أن نصف الحروف المهمومة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور. وكذلك نصف الحروف المجهرة على السواء. لا زيادة ولا نقصان^(٢٧).

ويقول الباقلاني عن البدء بحروف (ألف): لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها مطلعاً، واللام متوسطة، والميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفقة، فنبتئ بذكراها على غيرها من الحروف، وبين أنه إنما أتاهم بكل منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتعدد بين هذين الطرفين ويشبه أن يكون التصنيف وقع في هذه الحروف دون الألف، لأن الألف قد تلقي، وقد تقع الهمزة وهي موقعاً واحداً^(٢٨).

إلى غير ذلك من النماذج ذات الصلة بالميادين الصوتية والتي يجدها الدارس في هذا المصدر الفقير. وتتجدر الإشارة أيضاً إلى "فتح العلوم" للسكاكبي الذي يعد مصدراً بلاطياً ولكنه لم يغفل الجانب الصوتى، إذ بدأ به كتابه، فتعرض إلى مخارج الحروف وصفاتها، وما يثير الإعجاب أنه رسم جهاز النطق

ووضع ضمه مخرج كل حرف، على الرغم من أنه لم تكن لديه الأجهزة العلمية التي يستعين بها لرسمه. وهكذا حوت تلك المصادر البلاغية وإعجاز القرآن مجالاً خصباً للبحوث الصوتية، يمكن للدارس الإفادة منها لفهم كثير من أسرار اللغة العربية.

علم القراءات والأداء القرآني:

تعد مصنفات التجويد من أهم مصادر التراث الصوتى، بل منابعه الأولى التي أدت دوراً مهماً في الحفاظ على النطق السليم لأصوات اللغة العربية.

فقد كان علماء القراءات من أحرص القوم على تناول المباحث الصوتية في مؤلفاتهم التي ضمت كثيراً

من الخصائص والمصطلحات الصوتية مثل الإشمام والإثباع والاختلاس والمد، والتغريم والتترقيق ونحوها، كما وضعوا رموزاً كتابية تمثلها (٢٩)

وجمع هذا التناول للمادة الصوتية بين النظري والتطبيقي "عرض لمخارج الحروف وصفاتها وتقسيماتها وفق ذلك، واللامتحن الأدائية لها في السياقات المختلفة والتجاورات المتعددة" (٣٠)

وما يُعرف عن مراحلها الأولى هو أن أول من استخدم هذا المصطلح قريباً من معناه هو ابن مسعود الصحافي الذي كان ينصح المسلمين بقوله: "جروا القرآن وزيروه بأحسن الأصوات" ويرى أنه كان يقتنـ في تجويده وترتيله، وأن الرسول (ص) كان يجهـ بالبكاء حين يسمع القرآن الكريم بترتيل ابن مسعود. (٣١) ولعل تأثير قواعد القراءة القرآنية جـ استجابة لدعوة ابن مسعود، فأصبح كل كتاب في القراءات يشتغل على مباحثـ في مخارجـ الحروف وطريقةـ نطقـها وكذلكـ صفاتـها المختلفةـ كما فعلـ ابنـ الجـزـريـ في مؤلفـه "النشرـ في القراءـاتـ العـشرـ" (٣٢)

ومن الكتبـ المهمـةـ التيـ وصلـتـاـ فيـ هـذـاـ المـجاـلـ:ـ الحـجـةـ لـابـنـ خـالـوـيـهـ وـالـحـجـةـ لـأـبـيـ عـلـيـ الـفـارـسـيـ وـالـمحـتـسبـ لـابـنـ جـنـيـ.

المصادر الصوتية:

على الرغم من تأثيرـ الـدرـاسـةـ الصـوتـيـةـ فـيـ مـصـادـرـ مـخـتـلـفةـ مـنـ التـرـاثـ الـعـربـيـ،ـ وكـثـرـ الـعـلـمـاءـ وـالـبـاحـثـينـ فـيـ هـذـاـ الـمـيدـانـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـظـهـرـ مـصـدـرـ مـسـتـقـلـ يـجـمـعـ شـتـاتـ الـقـضـاـيـاـ الـصـوتـيـةـ وـضمـ مـتـرقـقـاتـهاـ إـلـاـ فـيـ فـتـرةـ مـتأـخـرـةـ مـنـ مـسـيـرـ الـبـحـثـ الـلـغـويـ الـعـربـيـ،ـ وـذـكـرـ عـلـىـ يـدـ اـبـنـ جـنـيـ فـيـ كـتـابـهـ "ـسـرـ صـنـاعـةـ الـإـعـرابـ"ـ،ـ وـلـدـ اـبـنـ

وقد يرجع سبـبـ هـذـاـ التـأـخـرـ إـلـيـ طـبـيـعـةـ الـمـنهـجـ الـلـغـويـ قـدـيـماـ فـيـ مـعـالـجـةـ جـوـانـبـ الـدـرـسـ الـلـغـويـ بـيـنـ نـفـتـيـ المصـدـرـ الـواـحـدـ،ـ إـذـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ فـصـلـ دـقـيقـ بـيـنـ فـرـوـعـ الـدـرـاسـاتـ الـلـغـويـةـ"ـ (٣٣)ـ وـبـعـدـ اـبـنـ جـنـيـ أـولـ مـنـ نـظـرـ إـلـيـ الـمـبـحـثـ الـصـوتـيـ عـلـىـ أـنـهـ عـلـمـ قـاتـ بـذـاتهـ،ـ وـأـنـهـ أـولـ مـنـ استـعملـ مـصـطـلـحـ لـغـويـاـ لـدـلـلـةـ عـلـىـ هـذـاـ عـلـمـ مـاـ زـلـنـاـ نـسـتـعـمـلـهـ إـلـيـ الـآنـ وـهـوـ عـلـمـ الـصـوتـ،ـ وـكـانـ عـلـىـ حـقـ حـينـ قـالـ:ـ "ـوـمـاـ عـلـمـتـ أـحـدـاـ مـنـ أـصـحـابـنـاـ خـاصـ فـيـ هـذـاـ الـفـرـشـ وـلـأـشـبـعـهـ هـذـاـ الإـشـبـاعـ"ـ (٣٤)ـ بـمـعـنـيـ أـنـ كـتـابـهـ لـمـ يـكـنـ جـمـعـاـ لـأـرـاءـ السـابـقـينـ وـأـفـكـارـهـ،ـ وـإـنـماـ تـمـيـزـ بـالـإـضـافـاتـ الـجـادـةـ،ـ تـبـيرـ عـنـ نـظرـهـ الـعـلـمـيـ الـصـائبـ وـدـقـتهاـ الـفـانـقـةـ،ـ وـتـبـينـ أـنـهـاـ درـاسـةـ لـغـويـةـ مـهـمـةـ يـجـبـ عـلـىـ عـالـمـ الـلـغـةـ أـنـ يـضـعـهـاـ فـيـ الـاعـتـارـ"ـ (٣٥)

وـمـاـ يـتـبـirـ الـاعـجـابـ فـيـ هـذـاـ الـدـرـاسـةـ اـهـتـمـ اـبـنـ جـنـيـ بـالـجـانـبـ الـعـلـمـيـ الـتـطـبـيـقـيـ كـمـاـ يـلـاحـظـ ذـلـكـ فـيـ الـمـخـبـراتـ الـحـدـيثـةـ الـمعـتمـدةـ عـلـىـ الـآـلـاتـ وـالـأـجـهـزةـ الـمـتـطـورـةـ.

فـقـدـ شـبـهـ الـحـلـقـ بـالـنـايـ (ـالمـزـمارـ)،ـ وـشـبـهـ مـدـارـجـ الـحـرـوفـ وـمـخـارـجـهـاـ بـفـتحـاتـهـ الـتـيـ توـضـعـ عـلـيـهـاـ الـأـصـابـعـ،ـ فـإـذـاـ وـضـعـ الزـامـرـ أـنـاملـهـ عـلـىـ خـرـوقـ الـنـايـ الـمـنسـوـقـةـ،ـ وـرـأـوـيـ بـنـ أـنـاملـهـ اـخـتـلـفـتـ الـأـصـوـاتـ،ـ وـسـمعـ لـكـلـ خـرـقـ صـوتـ لـاـ يـشـبـهـ صـوتـ صـاحـبـهـ،ـ فـكـذـلـكـ إـذـاـ قـطـعـ الـصـوتـ فـيـ الـحـلـقـ وـالـفـمـ،ـ باـعـتـمـادـ عـلـىـ جـهـاتـ مـخـتـلـفةـ،ـ كـانـ سـبـبـ سـعـاـنـاـ هـذـاـ الـأـصـوـاتـ الـمـخـتـلـفةـ"ـ (٣٦)

ويربط ابن جنی بين علم الأصوات وعلم الموسيقى، فيقول: "إن علم الأصوات والحروف له تعلق، ومشاركة للموسيقى، لما في صنعته الأصوات والنغم" (٣٧)

وعلى العموم يمكن تلخيص محتويات الكتاب في العناصر التالية:

١. اعطاء المفهوم اللغوي للصوت والحرف، والفرق بينهما.
٢. ذكره لعدد الحروف الهجائية العربية وترتيبها وذوقها. والحديث عن مخارجها وبين صفات الحروف وتشبيهها أسلاماً مختلفة.
٣. التفسير الذي يطرأ على بنية الكلمة فؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو التقليل أو الحنف.
٤. التباين بين الحروف بعضها مع بعض لتكون الكلمات، وأنثرها في فصاحة اللفظ التي ترجع إلى تباعد مخارج الأصوات.

أما ابن سينا فقد ركز في رسالته "أسباب حدوث الحروف" على الجانب الفيزيائي والتشريحي أكثر مما ركز على الجانب اللغوي، بسبب تخصصه الذي اشتهر به والثقافة التي نهل منها، فقد كان فيلسوفاً حكيمًا وطبيباً خبيراً.

فهو يعرف الصوت بقوله: "ظن أن سبب الصوت القريب تموح الهواء دفعه وبقوه وبسرعة من أي سبب كان" (٣٨)

ويحيل بهذا التعريف إلى البحث في ظاهرة فيزيائية هي الموجات الهوائية، والسبب القريب هو تموح الهواء والسبب البعيد هو علة تموح الهواء المتمثلة إما في القزع وإما في القلع.
ويقول عن الحرف: "هو هيئة للصوت عارضة لها، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والتقليل تميزاً في المسموع" (٣٩)

وقد اشتملت الرسالة على ستة فصول تضمنت ما يلي:

١. حديثه عن سبب حدوث الصوت والحرف.
٢. تخصيص هذا الفصل لمخارج الأصوات ومحابيسها، ويقدم فيه صفات الأصوات منها التقليل والحاد، خطوت الصوت وجهره، الصوت الأمثل، والصلب المختلف.
٣. يعرض فيه مكونات الحنجرة والسان.
٤. بين ابن سينا في هذا الفصل كيفية صدور كل صوت من أصوات العربية، ويصف العملية الضوئية في إنتاجه، ويرتب الأصوات بحسب مخارجها على شاكلة الخليل بن أحمد.
٥. تحدث فيه عن أصوات سمعها في لغات أخرى غير العربية مثل السن الراشية والزاي السينية والزاي الظاهرة والفاء الشبيهة بالياء.
٦. لما اللصل الأخير، فقد جعله لكتابية إنتاج أصوات بحركات غير نطقية كالثنين التي تسمع عن تشريح الرطوبات والطاء التي تحدث عن تضليل اليدين بحيث لا تتطبق الراهنات.
- والرسالة درة ثمينة استطاع أن يوصل بها ابن سينا علم الطبيعة إلى علم اللغة، فكشف عن أسرار

خامضة مازالت من صميم الدراسة المعاصرة كظاهرة التمرج الفيزيائية وكثافة الهواء في كل موجة وشكل الموجة وما يترتب عنده من صوت.

وهكذا يكون قد انفرد بحقائق له فيها فضل السبق والاكتشاف بعد الخليل وسيبوهه ابن جنی على عكس أولئك الذين أعادوا صياغة ماقاتل هؤلاء العلماء. وفي ذلك يقرر إبراهيم أنيس: "ولما وقنا على هذه الرسالة منذ بضع سنوات استرعى انتباها أنها تعالج طرفاً من الدراسة الصوتية اللغوية علاجاً فريداً يختلف اختلافاً يبتعد عن علاج سيبوهه وأمثاله من علماء العربية"(٤٠).

وأخيراً يتضح مما سبق أن الدراسة الصوتية العربية تأثرت في مصنفات عديدة ومتعددة، إذ يعثر علينا الدارس في مصادر التجويد والبلاغة وإعجاز القرآن والنحو والصرف والمعاجم العربية.

ولا يكاد يجد الباحث مصدراً مستقلّاً في هذا المجال إلا ما جاء على يد ابن جنی في "سر صناعة الاعراب" وأبن سينا في "أسباب حدوث الحروف".

الهوامش:

- ١- ينظر د. عبد الغفار هلال حامد، *الأصوات اللغة العربية*. مطبعة الجيلاوي القاهرة مصر ط٢-١٩٨٨ ص: ١٤.
- ٢- يقرر فيريث: "إن علم الأصوات شب ونما في أحضان لغتين مقتنستين هما العربية والمنكرية"، ويعلن برجس تامر سبق العرب للغربين في الدراسة الصوتية قائلاً: "ثم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهذا أهل الهند - يعني البراهمة - والعرب".
- ٣- ينظر د. عبد المنعم عبد الله محمد، *المقطع الصوتي في ضوء نراثنا اللغوبي*. مطبعة الجيلاوي، القاهرة، مصر ط٣ ١٩٨٨ ص: ١٧.
- ٤- المرجع السابق ص: ١٧.
- ٥- الخليل بن أحمد الفراهيدي، *كتاب العين*، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم الماسرياني. مؤسسة دار الهجرة ط٢-إيران ١٤٠٩ هـ. ج ١-١٠: ص: ١٠.
- ٦- الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، ج ١، ص: ٤٧.
- ٧- المصدر نفسه ج ١، ص: ٤٨.
- ٨- عبد الغفار هلال حامد، *الأصوات اللغة العربية* ص: ٩.
- ٩- الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، ج ١، ص: ٥٧.
- ١٠- المصدر نفسه ج ١، ص: ٤٩.
- ١١- المصدر نفسه ج ١، ص: ٥٢.
- ١٢- ينظر د. إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*. مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧٥، ٥، ١٠٤-١٠٥.
- ١٣- ينظر د. أحمد مختار عمر، *البحث اللغوبي عند العرب*. عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط٤، ١٩٨٢، ص: ٩٣.
- ١٤- ينظر، إبراهيم أنيس، *موسوعة النثر*، ط٤- القاهرة ١٩٧٢-١٩٧٣: ص: ٢٤٨.
- ١٥- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قتيبة سيبوهه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخالجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢، ج ٤، ص: ٤٣١.
- ١٦- المصدر نفسه ج ٤-٤٣٢: ص: ٤٣٢.

- ١٧- المصدر نفسه ج ٤، ص ٤٣٦ - ٤٣٥.
- ١٨- المصدر نفسه ج ٤، ص: ٤٣٦.
- ١٩- أبو القاسم الزجاجي، الإضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٩، من: ٩٤ - ٩٢.
- ٢٠- ينظر، عبد النعم عبد الله محمد، المقطع الصوتي في ضوء نزاراتنا اللغوية، من: ١٩.
- ٢١- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مؤسسة الخاتمي، القاهرة، مصر، ط: ٣، ج ١، ص: ٧٩.
- ٢٢- المصدر نفسه ج ١، ص: ٦٩.
- ٢٣- محمد الصغير بنتي، النظريات اللسانية والبلاغية والأكيدية عند الجاحظ من خلال "بيان والتبيين"، ديبول المطابعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣، ص: ١١٢.
- ٢٤- الجاحظ، البيان والتبيين ج ١، من: ٧٩.
- ٢٥- ابن سنان الخطامي، مر الفصاحة، شرح عبد المتعال الصعيدي، محمد علي صبيح ولو لاده، الأزهر، القاهرة، ١٩٦٩، ص: ٥٤.
- ٢٦- عن الرمانى، الكتّاف في إعجاز القرآن، عن د. عبد الغفار هلال حلمى، أصوات اللغة العربية، ص: ١٢.
- ٢٧- البلاطى، أبو بكر محمد بن الطيب، [إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، من: ٤٤.
- ٢٨- المصدر نفسه، من: ٤٦.
- ٢٩- ينظر، د. محمود السرمان، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص: ١٠١.
- ٣٠- د. عبد النعم عبد الله محمد، المقطع الصوتي، من: ٢١.
- ٣١- ينظر، د. أخت مختار عمر، البحث للغوي عند العرب، من: ٩٣.
- ٣٢- ينظر ابن الجوزي، الحافظ في الغير محمد بن محمد بن الحمقي، التشر في للتراجم العشر، دار الكتاب العربي، جزءان.
- ٣٣- د. عبد النعم عبد الله محمد، المقطع الصوتي، من: ١٨.
- ٣٤- أبو الفتح عثمان بن جنى، مر مناجاة الإعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوى، القاهرة، مصر ج ١، ص: ٦٢.
- ٣٥- د. عبد الغفار هلال حلمى، أصوات اللغة العربية، ص: ١٠.
- ٣٦- ينظر ابن جنى، مر مناجاة الإعراب ج ١، ص: ٩.
- ٣٧- المصدر نفسه ج ١، ص: ٩.
- ٣٨- ابن سينا، على الحسيني - لمباب حدوث الحروف، راجعه وقتم له طه عبد الرزوف سعد ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، مكتبة الكلية الأزهرية، ص: ٨.
- ٣٩- المصدر نفسه، من: ١٠.
- ٤٠- د. إبراهيم ثور، الأصوات اللغوية، ص: ١٣٧.

أحمد طربور

أستاذ مكالب بالدورات

بمعهد اللغة العربية وأدبها

جامعة السادات وهران

الكتابات العربية الجنوبية

في سوريا

(النقوش الصفائية)

بقلم: مني المؤذن

تفتتشو الكتابات العربية المشتقة من الأجدية المسندية، والمنقوشة على الصخور في شبه الجزيرة وذوعت وقسمت إلى الكثير من الأنواع وكل نوع عدد من الفروع، غالباً ما تنسب هذه الفروع إلى الأماكن التي تواجد فيها، فالشودية مثلاً وهي نوع من الخط المسند لها فروعها في قال الشودية العجازية والشودية الب TOKIKA و الشودية التجوية، ولكن بشكل عام كل هذه الأنواع تتميز أولاً بأنها عربية وتتسكب إلى العرب العربية^(١)، وهي تتتألف من ٢٨ حرفاً فهي في عدد أحرفها تقابل أبجديتنا الحالية، كما أن هناك شبهاً وأصنافاً في شكل الحرف بين الأنواع المتعددة ولكن بدرجات متباينة، وأن الحرف الواحد في كل نوع يمكن أن يأخذ أكثر من شكل وقد يصل إلى ستة أشكال (راجع الجدول رقم ٢-١).

والذي يساعد على معرفة الحرف القراءة ومعرفة الكلمة من خلال النص، والدراسات الجارية الآن لهذه الأنواع في سوريا تحصر في الجنوب في المنطقة الشرقية لجبل العرب، وتمتد من جبل أيسين شمالاً وحتى قرية اسغنا جنوباً. ومن جبل العرب شرقاً وحتى صحراء الزلف غرباً، وتنتركز الكتابات في هذه المنطقة في مجموعة من الأودية، أمها وابيان متوازيان هما: وادي الغرز ووادي الشام اللذان يصبان في بحيرة الرحبة، أما باقي النصوص فإنها تتوزع على مسافات بعيدة مثل موقع رجم المره وموقع جبل أيسين وخربة الاميashi وغير الدرب.. وغيرها.

وهكذا تم تحديد ١٣٣ موقعاً منها ٣٦ موقعاً كانت قد حددت سابقاً من قبل الرحالة والعلماء والمكتشفين الأوائل والباقي تم تحديده حديثاً، هذا يعني أن عدداً كبيراً من الواقع الجديد سوف تدرس نصوصها

(١) ورد في ناج العروس العرب بالقسم خلاف العجم، والأعراب منهم بالفتح سكان آباديه، والعرب العاربة: هم المخلص منهم وأخذ من لفظه فاكده به كثولك ليل لا بل والعرب المستعربة أو مستعربة دعاء، قال ابن الخطاب بن دحية المعروف بذئب الدين (العرب أقسام الأول عاربه وعرباه دهم المخلص دهم نفع ثليل من ولد ارم بن سام بن نوح وهي عاد وثود وأيمون وعييل وطم وحدب وعلق وجهم ورباد دهمن نعلم اسماعيل عليه السلام العاربة، والقسم الثاني المستعربة دهم بنو اسماعيل ولد معن بن عدنان بن أزد.

وستعطي أضواء جديدة على تاريخ المنطقة.

أما بالنسبة لنوعية هذه الكتابات فقد وجدنا عدداً محدوداً من النقوش الشودية واليونانية واللاتينية والعربية الشالية وهي لا تتجاوز العشرات، أما لغة النقوش فهي صفائية، وساحصر البحث هنا في هذا النوع من الكتابة.

-أهم من بحث في الكتابات الصفائية في سوريا:

أول من بدأ الكشف عن النقوش الصفائية هو الانكليزي سيرل جراهام Cyril Graham وذلك سنة ١٨٥٧م فهو الذي جمع نقوشاً وقدمها إلى الجمعية الجغرافية الملكية بلندن وحدد أماكن وجودها، وقام بعده الألماني يوهان فترن شتاين عام ١٨٥٨ Johann Weizstein بمرحلة إلى جنوب سوريا ونسخ ٣٧٩ نصاً وألف كتاباً عن آثار المنطقة في سهل حوران والجبل ونشر عدداً من هذه النقوش.

اما في عام ١٨٨٢ قام جوزيف هاليفي Joseph Halévy بنسخ عدد من النصوص وهو الذي أطلق عليها اسم الكتابات الصفائية نسبة إلى مكان وجودها في تول الصفا المحيطة بالصبة البركانية الأساسية، كما أنه تعرف على ستة عشر حرفاً من أبجديتها.

كما أن العالم الفرنسي دوسو R.Dussaud نشر ١٨٢ نقشاً في مجلة سوريا العدد العاشر سنة ١٩٢٩.

اما الذي تمكن من الكشف عن جميع الحروف الصفائية، ووضع القواعد الأساسية في هذه الكتابة هو العالم الألماني إنيوليتمان Ennolittmann، فقد قام مع بداية القرن الحالي بالتعاون مع جامعة برنسنون بحملة في الأعوام ١٩٠٤ وحتى ١٩٠٩، وقام بنشر نقوش عددها ١٣٠٢ في مجلة سوريا العدد الرابع سنة ١٩٣٤.

وقد نشر ركمانس G.Rycmans مجموعة من النصوص من وادي الرشيدة في مجلة McLanges Syriens قدمها له دوسو، أما أكبر مجموعة فقد نسخها موريس دونان Dunand وزوجته وقد نشرت ركمانس مع مجموعة من الكتابات الصفائية في جامع النقوش السامية Cqrpus Inscriptionum Semiticarum ويمكتنا القول بأن العمل في هذا الميدان توقف في سوريا منذ عام ١٩٢٠ إلى أن شكلت بعثة أثرية سوريا - بريطانية في عام ١٩٩٥ ، بادارة مشتركة من قبل السيدة مني المؤذن والسيد مايلك ماكدونالد^(١) ، وقد عدنا في الموسم الأول كما ذكرت سابقاً على تتبع مسيرة المكتشفين الأوائل وتعريف الواقع التي زاروها مع اكتشاف مواقع جديدة، وتحديد الجميع على خرائط مفصلة وذلك تمهدياً للمواسم القادمة، مع تصوير جميع النقوش المنسوخة وإدخال جميع المعلومات في الحاسوب.

اما في موسم عام ١٩٩٦ فقد انحصر العمل في موقع العيساوي وتم تسجيل معظم نصوصه، و لا يوضح العمل بالأرقام فإن مجموع ما نشر سابقاً عن هذا الموقع هو ٤٧٨ نصاً، أما مادوناه في هذا الموسم فهو ٨٨٩ نصاً، و علينا أن نتابع العمل مستقبلاً لكي نكمل توثيق جميع نصوص هذا الموقع فقط.

^(١) و كان أعضاء البعثة السورية في موسم عام ١٩٩٥م ، السيد حسين زين الدين والسيد غازي علولو والآنسة دينا بكبور، أما البعثة البريطانية فكانت مؤلفة من الدكتورة ليلى نعمة والطهريغاني السيد رئيس سوابان .
الموسم الثاني في عام ١٩٦٩ كان الغريق السوري مكوناً من السيد حسين زين الدين والآنسة ريم الصالحة، أما الغريق البريطاني فهو مولف من الدكتورة ليلى نعمة والدكتورة حير الدين كبيه.

النقش على الصخر:

نُقشت الكتابة الصفانية على الحجر البازلتى القاسى بـأداة حادة وصلبة ويأخذ الخط مظاهر متعددة منها المزوى ومنها اللين ومنها شبه المزوى ومنها الحروف المنقلبة ٩٠ درجة، أما أسلوب التنفيذ فاما الطريق المباشر أو غير المباشر ويغلب على الحرف عندما أن يكون عريضاً وواضحاً، أو بالحرز بـأداة حادة ويكون الحرف رفيعاً وصغيراً الحجم غالباً، ولا يوضح جميع ما ذكرت يمكن دراسة ما نقش على الصخرة التالية وهي من موقع خربة الامباشي^(٢) وما نقش عليها يوضح معظم مظاهر الحرف الذي أشرت إليه سابقاً.

(١) يعثم بن عبد (الحروف شبه مزاوة ومتقلبة ٩٠ درجة)

(٢) لمسكين بن قدم (الحروف مزاوة ومتقلبة بالطريق غير المباشر)

(٣) لعبدائيل بن كت (الحروف ذات مظهر لين ومتقلبة بالحرز)

(٤) لكت بن سبر (الحروف ذات مظهرين ومتقلبة بالطريق)

عند طرف الصخرة نجد سبعة خطوط ينتهي كل منها بدائرة:

(الصورة رقم ١)

أسلوب النص الصفاني:

لن النصوص الصفانية يشكل عام يمكن القول بأنها تتكاربة والنسب هو الموضوع الأساس الوارد فيها ومن النادر أن نجد نصاً لا يبدأ بالتنبيب. وكما هو معروف لقضية النسب شيء هام جداً للإنسان العربي وهناك نصوص وصل فيها النسب إلى الجد السادس، أما الأسماء الواردة فعنها ما هو معروف إلى الآن وقريب من اسماعينا مثل (نصر، آدم، عبد، أمير، حاج، خالد، عمر، مطر، أوس،...الخ)، ومنها ما هو غريب مثل (حملج، أبشمن، عضضت، حضب، نففت...الخ) ويمكن أن نأخذ المثال التالي وهو من موقع الامباشي والنص مؤلف من اسمين (سعد بن ثغر) ونلاحظ أن الاسم الأول مأثور جداً أما الثاني فهو غريب بالنسبة لنا (الصورة رقم ٢).

وهناك أسماء استعيرت من أسماء الحيوانات مثل (نمر، عقاب، نسر، ورل، ضب،أسد، مهر، حوت...).

كما نجد أسماء دينية مركبة وهي ثلاثة أنواع الأول يقرن باسم الله مثل (عبد الله - عبد الله وسعد - لـه - سعد الله) (وهب - له - وهب الله) والنوع الثاني مضاد إلى أسماء آلهة أخرى مثل اللات (وهب لـت - وهب اللات).

أما النوع الثالث وهو الأكثر تداولاً إضافة اسم الله بلغظ (ال) مثل ذلك (عبدائيل - عبد الله) (خرينيل - خير الله) (سعينيل - اسماعيل) (خللينيل - خليل الله...الخ).

وإذا ابتعدنا عن الأسماء الدينية فإننا نجد الأسماء التي لها صيغة الصفة مثل (سکران وسهران وحميان

^(١) لقد تم تزويدي بمجموعة من صور النقش الصفانية المكتشفة في خربة الامباشي والتي قدمها لي مشكوراً الاستاذ أحمد طرغبي الذي عمل بالتنبيب في هذا الموقع، وسأقوم بنشر هذه المجموعة مستقبلاً إن شاء الله، والمعنى بحسب الرقم ٨٦.

ونازل وفالح وثابر وشاهر... الخ).

وينتهي التسبيب إلى ذكر القبيلة ويعبر عنها بكلمة (آل) وقد وجدها أن هذا اللفظ يستعمل أيضاً عند ذكر الرهط أو الفخذ أو البطن أو العمارة أو القبيلة ولعل من أكبر القبائل الصنافية قبيلة وهبنيل والنص (التالي^(١)) سيوضح ما ذكرت:

النص:

(الغيرينيل بن سالم غيرينيل بن حوت ذآل زمر ذآل كن ذآل صنف ذآل وهبنيل ورعى هضأن سنة نجي تيم بن أنعم هدر وفقط بشنا وهم^(٢) هنمرت وتنتظر هسمي فهبعل سمن روح.. وعور...). (الصورة رقم ٣).

المعني:

غيرينيل بن سالم بن غيرينيل بن حوت من فخذ زمر من بطن كون من عماره ضيف من قبيلة وهبنيل الذي رعى الأغنام سنة نجمي يتم ابن أنعم في هذه الديار وخف الأداء وهم (...) في منطقة النماراء ونظر إلى السماء (وخاريه) فراسيد السموات فرّج عنه (...) وعمي (...).

وكان العلماء يعتبرون أن القبائل الكبرى الأساسية التي ينسب لها الصنافيون هم آل وهبنيل وصنيف وعوز وانتعدوا^(٣) في ترتيبهم هذا بأن جد وهبنيل وصنيف وعوز قد وصلوا إلى مراتب الآلهة وحديثاً وبعد اكتشاف هذا النص نلاحظ بأن صنيف تطوي نسباً تحت وهبنيل لهذا فإننا نرى الآن بأننا يمكننا أن نطلق عليهم اسم الوهبنيليين -للغوريين نسبة إلى أجدادهم.

بعد ذكر النسب يقوم الكاتب بإيراد جملة قصيرة يحدد فيها الحدث الآتي الذي يقوم به مثل الرعي أو الاتجاج، أو أنه حط رحاله في هذه الديار التي نقش فيها النص، أو أنه نجا من الأداء ويمكن في هذه الحالة ذكر الروم، وبأن أغلب الفصوص تتوضع على رجوم حيث يتم دفن الميت ويقوم المشاركون في هذه العملية بنقش أسمائهم على الحجر ويصرحون بأنهم قاموا بعملية الرجم.

- يستعمل في الصنافية فعل وجم بمعنى رجم - على فلان، ويمكن أن نذكر فيها حالته النفسية حيث يذكر بأنه رجم وهو حزين أو يائس أو ترح .. الخ.

هذا لا يعني أن فعل "رجم" يستعمل فقط في حالة الدفن، ولكن يمكن إيراده في حال اعتبار الشخص في عداد المفقودين مثال ذلك النص التالي وهو من موقع زملة^(٤) ناصر: (الصورة رقم ٤).

"شامت بن صعد بن شاس ووج على أنعم وعلى أمه وعلى صحرت وعلى بنت أخيه المسيبة" "شامت بن صعد بن شاس الذي وضع رجوماً على أنعم وعلى أمه وعلى صحرت وعلى بنت أخيه المسيبة".

^(١) يشير هذا النص إن شاء الله في المخطوطات الأثرية السورية وهو يحمل الرقم MU٣٢١ وهو من نصوص موقع العيساوي.

^(٢) راجع كتاب سورية الجنوبية حوران، مقال "د. ميليك بعنوان المقوش والكتابات الصنافية" ص ٢٧٩.

^(٣) النص يحمل الرقم ٤٢ من موسوعة عام ١٩٩٥م.

أي أن شامت بن صعد قد تعرض أهله للغزو فقام بدفع أنعم وأمه وصحرت وكذلك وضع رجماً لبنت أخيه علماً بأنها سبيه وليس في عداد الأموات.

وبشكل عام فإن النصوص كما ذكرت سابقاً بأنها تناکارية مشحونة بالعاطفة أما النصوص الوثائقية مثل تحديد زمن فرس أو شراء أمة أو تحديد ملكية.. الخ فإنها نادرة.

بعد ذكر الجملة الخبرية يمكن أن نجد نصوصاً يذكر فيها كلمة وسنة، وذلك لتمديد التاريخ، ولكن من الصعب استعمال كلمة تحديد هنا، لأن الصنفانين في معظم النصوص لم يستمدوا تاريخاً معيناً كال تاريخ السلوقي مثلاً الذي اعتمد التدمريون ولكنهم أرخوا بحدث هام بالنسبة لهم مثل "سنة قتل معن" أو سنة قبر أرامي أو "سنة نجا أنعم" وهناك تواريخ ليست بالهامة مثل "سنة رعي القطعان". ولكن في بعض الحالات القليلة جداً يمكن استعمال عدد معين للدلالة على التاريخ وهذه الأعداد تتبع تاريخ بصرى، ومن الأمثلة الجيدة التي وجدت في تلك العيساوية نص ورد فيه التاريخ كالتالي "سنة أرخت عشر" ^(٣). ونلاحظ هنا استعمال كلمة "أرخت" لتحديد الزمن وهذا من النصوص الفريدة في العربية حيث يعود للقرن الثاني الميلادي ويكتون فيه كلمة تاريخ لتحديد السنة.

كما نجد نصوصاً مورخة مجازاً مثل "سنة حرب النبيط" أي أنها سنة ١٠٥، وإجمالاً في النقوش الصنفانية تعود للقرن الأول قبل الميلاد وللقرن الأول والثاني والثالث الميلادي.

ويمكن أن ينتهي النص بعيارات الدعاء التي تطلب عادة من الآلة، أما أسماء هذه الأرباب والألة فهي اللات وترد (لت او آلت) وهي مؤنثة (إل) (إل) يقصد به الله وهو الله السماء، وهناك الرضي والرضوة وهي آلة مذكورة ومؤنثة وخاصة بالأرض، وهناك ذكر للله "نشر" أو "نشر" وقد ورد عند الاتصال باسم ذو الشرى.

ولديهم الله القوافل ويدعى شيع القوم وقد وجد هذا الآلة عند التدمريين. أما الآلة الأكبر فهو بعل شمين وصيغته عند الصنفانين (بل - سمن)، كما نجد لديهم عبادة الجد الأكبر للقبيلة وهو بمثابة الحامي لها مثل "جد وهبئيل" و"جد ضف" و"جد عوذ"، وقد ورد اسم الله جديد في تلك العيساوية وهو شمع نبو ^(٤)، الذي عيد هذا الآلة في جنوب سوريا ولدينا تمثال له يعود إلى القرن الثاني الميلادي وفي تتمة أيضاً.

أما الدعاء بحد ذاته فهو إما طلب للسلامة أو الغنيمة أو الجزاء أو القبول أو الراحة والتغريح أو النجاة أو المساعدة للهاء أو الحلم والألة وكل ذلك لمن لا يطمس النصوص أو الرسوم، أما الأدعية المعاكسة لها فهي العمي والخرس والعرج والرجم والحزن والثار لمن يشهو الرسم ويطمس الكتابة.

وبشكل عام يمكن القول إن هذه العناصر التي ذكرتها سابقاً وهي التسبيب والنص والتأريخ والدعاء نادرًا ما تأتي في نص واحد وعندها نعتبره نموذجاً أما في معظم الأحيان فإننا نجد عنصراً أو عنصرين فقط.

الرسوم على الصخر:

بقي أن نذكر أن هذه النقوش ترافق برسوم منفذة من قبل الكتبة أنفسهم وغالباً ما يتم الرسم قبل الكتابة

^(٣) نفع خصل الرقم ٢٩٦ MU٢٩٦

^(٤) ورد اسم هذه الآلة في النص رقم MU ٢٩٠

حيث نرى الأحرف تتداخل مع الرسم أو تحيط به، ولعل أهم العناصر المرسومة هي الشمس والجمل والسبب واضح فالشمس ملازمة لهذا الإنسان طوال النهار والجمل من الحيوانات المصورة التي تشاركه هذه الطبيعة القاسية. لاحظ النص التالي^(٤) تزف بن أوس -آل بن سخر بن سمك- إل هخطط^(٥) (المصورة رقم ٥)، حيث نجد النص تحيط به الكتابة وهو عبارة عن راع ومعه جملان.

أما باقي المواضيع فهي مشاهد من حياتهم اليومية مثل حراة الأرض وقطف التمور ورعي القطعان ولماحة الحيوانات البرية أو ترويضها. ولعل الحيوانات من أكثر ما رسم ويمكن إيراد ما وجدها من رسوم كالتالي:

الجمل (هناك جمال بضم، وجمال بسمنين)^(٦)

والحصان والثور والغزال والكلب والنسر والنعامة والعقرب والأفعى والنيل^(٧) والأسد والبقر الوحشي والحمار، ومن مواقفهم التي خلدت بهذه الرسوم أيضاً عمليات الغزو والقتال. (انظر اللوح رقم ١)، الذي يحوي مجموعة من هذه المشاهد).

ولا بد من القول بأن هذه الرسوم رغم صعوبتها تتفيد بها على الصخر فهي ولعنة جداً لفنحن لا نرى أشكالاً خرافية ولا مشاهد لأساطير ميثولوجية ولا تصوير الآلهة أبداً بل مشاهد تبيض بالحياة والحركة والحيوية على الرغم من كونها رمزية جداً فهي لا تتناول التفاصيل لأي شكل من الأشكال فإذا رسم إنسان مثلاً فإنه يحدد برأس وجذع وأطراف في وضع وحركة معينة، أما الملابس أو تفاصيل الوجه أو غطاء الرأس، فلا نجد شيئاً من هذا، إلا في حالات نادرة.

وعلينا أن ننوه بأن هذه الكتابات والرسوم قد انتقلت من جبل إلى آخر عن طريق التقويم بين الآباء والأجداد إلى الأبناء، ولم نجد ما يدل على تعلم مقصود عن طريق المدارس، علماً بأنه قد تم اكتشاف أول أبجدية صفاتية مدونة في سوريا في موقع^(٨) المثبت ١٦ (انظر اللوح ٢)

أما الأبجدية الثانية فقد وجدت في موقع^(٩) العيساوي ٤٠، ونلاحظ بأن الأبجديتين لا تعتمدان على الترتيب الأبجدي وإنما على تقارب الشكل بين الحروف وذلك تسهيل عملية التعليم.

وصفتة القول إن هذه الكتابات هي تذكرة راسخة بأسلوب رسائل سائل سريعة. أما عن علوم الصفاتيين ومعارفهم وأدبهم فلم نجد شيئاً، وهذا لا يعني طبعاً أنها غير موجودة، لكن هذا دليل على أنهم يتمتعون بذاكرة ممتازة تحفظ جميع ما توصلوا إليه، فهذه القبائل كان لها دورها الحضاري الكبير في المنطقة، وستقوم مستقبلاً بالقاء المزيد من الأضواء على تاريخهم وثقافتهم ومكانتهم من خلال متابعة نقشهم ورسمهم، وذلك من قبلبعثة السورية - البريطانية التي أشرت إليها خلال البحث، أرجو ذلك وشكراً.

^(٤) الشخص تحمل الرقم MUL٤٩

^(٥) هذا يدل على العلاقات التجارية بين هذه المنطقة وأواسط آسيا.

^(٦) صور الغليل نادرة وقد وجدت في العماري MUL١٦

^(٧) تم اكتشاف هذه الأبجدية من قبلي في موسم ١٩٩٥ وهي تحمل الرقم MUL١٣

^(٨) تم اكتشاف الأبجدية الثانية من قبل جورج الدين كيني في موسم ١٩٩٦.

□ المصادر والمراجع:

- ١- ولنفس تاريخ اللذات السلمية، ١٩٨٠- مجموعة بحوث أثرية بيشرافن ج، م دانتر، مورية الجنوبية حوران.
- ٢- علي أبو عسات، المارليات الأثرية السوروية ١٩٧٢.
- ٣- محمود محمد الروسان، القبائل الشمودية والصغوبيّة دراسة مقارنة (تتمة المراجع).
- ٤- مجموعة النقش المنسوبة من قبل من المؤذن وماليك ماكنالد عام ١٩٩٥ و ١٩٩٦ مع التقارير الأولى.

1- Corpus Inscriptionum Semiticarum tomus I

2-D . anno littmann : syria - publication of the princeton university archaeological Expeditions to Syria 1904 -5 and 1909, Division iv.

3-M. Macdonald , M. Muazzin et nichm, nichm, les inscriptions sasitique de syrie, cent quarante après leur découverte le craib , 1996, pages 435-494.

□□

الأبجدية الصنائية

ل ل ل ل ل ل	م	ي ي ي ي ي	ا
ن ن ن ن ن ن	ن	ج ج ج ج ج ج	ب
س س س س س س	س	ه ه ه ه ه ه	ه
ع ع ع ع ع ع	ع	ف ف ف ف ف ف	و
ك ك ك ك ك ك	ك	ب ب ب ب ب ب	ذ
ل ل ل ل ل ل	ل	غ غ غ غ غ غ	م
ص ص ص ص ص ص	ص	ث ث ث ث ث ث	د
خ خ خ خ خ خ	خ	ر ر ر ر ر ر	ر
ق ق ق ق ق ق	ق	س س س س س س	س
ط ط ط ط ط ط	ط	ل ل ل ل ل ل	ل
ظ ظ ظ ظ ظ ظ	ظ	ئ ئ ئ ئ ئ ئ	ئ
ى ئ ئ ئ ئ ئ	ى	ك ك ك ك ك ك	ك
ك ك ك ك ك ك	ك	ل ل ل ل ل ل	ل
ل ل ل ل ل ل	ل		

ثمودي ليباني سبئي

ث	ل ل ل ل	أ خ خ خ خ	أ
ث	ل ل ل ل	أ خ خ خ خ	أ
ث	ل ل	أ خ	ب
ث	ل	أ	ج
ث		خ	ح
ث		د	ذ
ث		ه	هـ
ث		و	وـ
ث		ز	زـ
ث		ع	عـ
ث		خـ	خـ
ث		طـ	طـ
ث		ظـ	ظـ
ث		يـ	يـ
ث		كـ	كـ
ث		لـ	لـ
ث		مـ	مـ
ث		نـ	نـ
ث		سـ	سـ
ث		فـ	فـ
ث		صـ	صـ
ث		ضـ	ضـ
ث		غـ	غـ
ث		قـ	قـ
ث		شـ	شـ
ث		ثـ	ثـ

المفردات العربية في اللغة الألبانية: نظرة في إسهام المستشرق الألباني

طاهر دزداري

د. محمد م. الأرناؤوط

بالمقارنة مع اللغات الأخرى المجاورة تُعتبر اللغة الألبانية (سواء الشعبية أو الألبانية) غنية بالمفردات العربية نتيجة للظروف التاريخية التي ربطت ألبانيا والألبان خلال القروء من السنة الأخيرة بالشرق والإسلام. فقد لمتد الحكم العثماني في ألبانيا منذ مطلع القرن الخامس عشر، مع أن الصلات العثمانية-الألبانية، تعود إلى الربع الأخير للقرن الرابع عشر، وانتشر الإسلام بالترويج وسط الألبان حتى أصبح يمثل دين الغالبية في القرن السابع عشر. ونتيجة لما يمكن تسميته بـ“الثقافة الألبانية” دخلت المفردات العربية (إلاضافة إلى المفردات التركية والفارسية) وزادت زيادة كبيرة حتى أصبحت النصوص الألبانية ليضمنا ملئنة بهذه المفردات^(١).

ومع تطور الدراسات الألبانية (الأبايلولوجيا) أخذ بعض العلماء في الاهتمام بهذه المفردات ونشر الدراسات حولها. وخلال منة عام، أي منذ ف. ميكلوستيش A. Miklosich و. أ. جوفانى A. Xhuvani و. دستيكيلايا A. Desinckaja و. أ. تشاباي E. Qabaj و. أ. كوستالاري A. Kostalari و. ول. مولاكو I. Mulako وغيرهم^(٢)، كانت المفردات العربية تدرج ضمن ما يُسمى “التركيات” أو المفردات التركية في اللغة الألبانية *wurqizmat*، على اعتبار أن هذه المفردات دخلت اللغة الألبانية من خلال اللغة العربية.

وقد حاول الباحث مناقشة ذلك وتبيّن هذه المفردات العربية في دراسة نشرت قبل حوالي عشرين سنة في عدد خاص من مجلة “المعرفة” السورية. وفي هذا الإطار حاول المؤلف عرض الأرضية التاريخية، وأيّر از التواصيل المباشر للألبان مع اللغة العربية من خلال الإسلام والاتصال المباشر والتّرجمة، وأهم المجالات التي انتشرت فيها هذه المفردات، مع مصدر هذه المفردات بعد التطورات السياسية التي لحقت بالألبان^(٣). وقد أعقبت هذه المحاولة دراسة أخرى للمفردات العربية في نقاط كتاب ألباني معاصر (سنان حساني) لما لذلك من مغزى خاص بالنسبة للإطار المكاني والزمانى والثقافى والسياسي^(٤).

وبعد نشر هذه الدراسة أتيح للمؤلف الإطلاع على “موسوعة حلب المقارنة” للمرحوم خير الدين الأسدى، التي أصدرت حينئذ، حيث نشر بعد ذلك دراسة مطولة بعنوان “إسهام الأسدى في الكشف عن

المفردات العربية في اللغات البقانية^(٥)). وفي الواقع أن هذه الدراسة كانت تركز على إسهام رائد للمرحوم الأسدی (١٩٠٠ - ١٩٧١) في هذا المجال، حيث أنه ركز أكثر على وجود المفردات العربية في اللغة الألبانية بالمقارنة مع اللغات البقانية الأخرى، وهكذا نجد في قائمة المفردات العربية في اللغات البقانية (كما وردت لديه: الرومانية والقرطاجية والبلغارية واليونانية والألبانية) ١٢٦ مفردة أبرز وجود معظمها (٨٨ مفردة) في اللغة الألبانية.

وفي غضون ذلك (١٩٨٨) أتيح للمؤلف أن يزور "معهد اللغة والأدب" التابع لجامعة العلوم في تيرانا، وأن يطلع على إسهام عالم آخر في هذا المجال، لا وهو المستشرق الألباني المرحوم طاهر دزداري Tahir Dizdari (١٩٠١ - ١٩٧٢)، والذي لم يأخذ حظه من الشهرة خارج ألبانيا بسبب عدم وفاته مع النظام الحاكم آنذاك.

وقد ولد ط. دزداري في مدينة شكوردا Shkodra شمال ألبانيا في عائلة ذات تقاليد ثقافية قومية. فقد كان والده نصوح دزداري أبيبا وصحفياً معروفاً على المستوى القومي، وأشتغل بجمع التراث الشعبي الألباني مما أثر لاحقاً على توجه الفتى طاهر نحو هذا المجال. وقد بدأ طاهر دراسته بمدينته في المدرسة العسكرية العثمانية حيث تعلم التركية والعربية، ثم تابع دراسته (بعد نهاية الحكم العثماني في ١٩١٢) في المدرسة اليوسوعية حيث تعلم هناك الإيطالية والفرنسية.

وفي ١٩٢٠ بدأ ط. دزداري عمله الوظيفي في إدارة الدولة الألبانية الجديدة وتدرج في العمل حتى أصبح مديرًا لمنطقة بوكا Puka في ١٩٣٩، حين تعرضت ألبانيا للغزو الإيطالي. وبسبب مقاومته حينئذ للغزو الإيطالي اعتقل ونفي إلى أحد معسكرات الاعتقال في إيطاليا، حيث بقي هناك إلى سنة ١٩٤٢، وخلال ١٩٤٤ - ١٩٤٣، بعد استسلام إيطاليا وانسحاب قواتها من ألبانيا، بدأ ط. دزداري بشكل منظم في جمع التراث الشعبي الألباني والكتابة في الصحف والمجلات الألبانية حول الإسلام والتقاليد الشرقية، وأخذ ينشر أولى مقالاته حول المفردات الشرقية في اللغة الألبانية مستهلاً ذلك في ١٩٤٤ بـ"المفردات الإيرانية في اللغة الألبانية".

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وتسليم الحزب الشيوعي للسلطة، جال ط. دزداري أرجاء البلاد خلال ١٩٤٥ - ١٩٥١ لجمع التراث الشعبي من أقواف الناس. ولكن في ١٩٥١ سجن عدة شهور للاشتباه به فيما سُمّي حينئذ بمحاولة الاعتداء على السفارة السوفيتية. ومع أنه بُرئ من التهمة إلا أن علاقته مع النظام لم تعد على ما يرام^(٦).

وتنقد المعطيات المتوفرة لدينا أن ط. دزداري قد استمر في الاهتمام الجدي بالمفردات العربية وغيرها من المفردات الشرقية في اللغة الألبانية خلال الخمسينات بعد أن تفرغ تماماً للبحث العلمي والتأليف. وقد أصبح هذا الموضوع شغله الشاغل طيلة العشرين سنة اللاحقة، أي حتى وفاته في عام ١٩٦٢، حيث أتيح له أن يجوب أرجاء البلاد ويتصمل بالناس في مختلف مواقعهم وأن يسجل من أقوافهم مباشرة المعطيات التي كانت تهمه.

ويلاحظ هنا أن ط. دزداري لم يأخذ بالمصطلح الشائع حتى ذلك الحين، أي "التركيات" أو المفردات التركية، بل فضل أن يستخدم مصطلح "الشرقيات" Orientalizmat أو المفردات الشرقية في اللغة الألبانية التي تضم العربية والتركية والفارسية. ونظراً لإضلاعه في هذا المجال فقد نشرت له مجلة "دراسات فيلولوجية"

خلال ١٩٦٠ - ١٩٦٦ عدّة حلقات من المفردات الشرقية في اللغة الألبانية التي كان يجمعها وينسقها ويطلق عليها(٧). وبعد نشر هذه الحلقات انضم ط. دزداري للعمل في "معهد اللغة والأدب" حيث تفرغ هناك لإكمال مشروعه الحياني "المفردات الشرقية في اللغة الألبانية"، الذي أُنجزه قبل وفاته بقليل في أيار ١٩٧٢. وقد تجاوز هذا المعجم الموسوعي الأنفي صفة وتضمن حوالي ٤٥٠٠ مفردة من اللغات الشرقية التي دخلت واستقرت في اللغة الألبانية.

وفي الحقيقة لدينا بعض الشبه بين هذا المعجم الموسوعي وبين "موسوعة حلب المقارنة" للمرحوم الأسدي. فقد كانت فكرة الموسوعة في البداية عند الأسدي أقرب إلى المعجم الذي يهدف إلى الكشف عن جذور اللهجة الحلبية في اللغات الأخرى، إلا أن ثقافة الأسدي الواسعة حولت العمل إلى موسوعة بما أضافه من الأمثل والحكم والتوادر الخ. وفي المقابل كان المرحوم دزداري يطمح إلى وضع معجم للمفردات الشرقية في اللغة الألبانية، يتبع فيه جذور هذه المفردات في اللغات الأخرى (العربية والتركية والفارسية)، إلا أن ما أضافه أيضاً من الأمثل والحكم والتوادر الألبانية التي تستعمل فيها تلك المفردات الشرقية حول هذا المعجم إلى موسوعة مصغرة عن التراث الشعبي الألباني.

وفي هذا العمل الموسوعي وضع المرحوم دزداري المفردات حسب التسلسل الأبجدي في اللغة الألبانية، حيث كان يحل كل مفردة ابتداءً من توسيع أصلها وما لحقت بها من تغيرات صوتية في الألبانية حسب المناطق التي تستخدم فيها، ويتناول إلى شرح معانيها إذ كان لها أكثر من معنى، ويشهد على ذلك بالأمثال والحكم والتوادر. وكمثال على غنى هذا المعجم الموسوعي ومنهج المؤلف في استعراض المفردات الشرقية (العربية) نقدم هنا ترجمة كاملة لمفردة واحدة:

"آلـة-i alec-i" (ع) تستخدم في ألبانيا الجنوبية والوسطى، ولكن في ألبانيا الشمالية تصاف إليها الهاء "الـ في الـبداية وتشند الــم" في الوسط فتصبح hallat .

١- أداة لإجاز عمل ما، أداة لازمة لممارسة مهنة ما في الصناعة والزراعة والعمليات الطبية الخ. وفي الأمثال الشعبية يقال "الشفل للآلـة والمـدعي لصاحبها" Hallati punon e izot ilavddohet ويقال كل قليلاً واعمل كالآلـة". Ha pak e ban hallat .

٢- العضو التناسلي للرجل.

٣- في المفهوم المجازي تستخدم بمعنى أداة أو لعبة، ويقال في الأمثال الشعبية "لا تكون أداة بيد فلان أو علان" Mos uben hallati i njanit e tjetrit .^(٨)

وتجدر الإشارة إلى أن المرحوم دزداري جمع على هذا النحو ٤٤٠٦ مفردة تغطي الجوانب الإدارية-التاريخية والحياتية-الثقافية، أي ما كان يستخدم ولا يزال إلى حد ما في القاموس الشعبي في بعض المناطق الألبانية وما يستخدم الآن في اللغة الألبانية بعد أن استقر في المعجم الحديثة. وفيما يتعلق بأصول هذه المفردات الشرقية فقد توزعت حسب المرحوم دزداري كما يلي:

١٤٦٠ مفردة عربية.

١٧٣٢ مفردة تركية.

٥٠٥ مفردة فارسية.

- ٧٢ مفردة مركبة عربية- فارسية.
 ٤٣ مفردة مركبة عربية- تركية.
 ٢٧ مفردة عربية(٩).

وعلى الرغم من ضخامة العمل المبذول خلال ثلاثة سنين وأهمية هذا المعجم الموسوعي، سواء باعتباره تعبيراً تاريخياً عن العلاقات الثقافية بين الألبان والشرق/ الإسلام أو مرجعاً مهماً للمشتغلين في وضع المعاجم الحديثة والباحثين في التراث الشعبي، إلا أن مصيره كان كمصير صاحبه حيث عانى من الإهمال والعزل ولم يطبع حتى الآن منذ تسلمه في ١٩٧٢ والمثير في الأمر أن هذا المعجم الموسوعي الذي طالما انتظره المعنيون لم يعد سراً، حيث أفاد في وضع "معجم اللغة الألبانية الحالية" الذي صدر في تيرانا سنة ١٩٨٠ وأشار إليه في المقدمة ضمن المراجع التي اعتمد عليها المشتغلون في وضع هذا القاموس. وقد أفاد منه بشكل خاص الباحث الألباني المعروف أكرم تشاباي Qaby E. في وضع كتابه المشهور "دراسات اتمويلوجية في حقل الألبانية"(١٠) الذي صدر في تيرانا سنة ١٩٨٩، حيث استشهد بالمرحوم ذزارى على الشكل التالي:

- ١- في الجزء الثاني A ١١١ مرة.
 ٢- في الجزء الثالث C-D ١٥٨ مرة(١١).

وفي الواقع إن تغريب مثل هذا المعجم الموسوعي طيلة هذه العقود لا يمكن فهمه إلا بطبيعة النظام السائد وسياسة النظام في تلك السنوات بالذات (نهاية السبعينيات وطبيعة السبعينيات). فطبيعة النظام الشمولي السابق في ألبانيا (١٩٤٥-١٩٩١) كانت تسمح في أحسن الأحوال بـ"تغريب" المثقف وهو على قيد الحياة وذلك بعدم السماح له بالنشر في الصحف والمجلات أو بشر مؤلفاته(١٢). ومن ناحية أخرى فقد أدت سياسة النظام بعد "الثورة الثقافية" إلى حد "إلغاء الدين" في سنة ١٩٦٧ والعمل على "تغريب" الدين تماماً من الكتب ومن الوعي. ولذلك لم يكن النظام ينظر بارتياح حينذاك إلى المرحوم ذزارى وأمثاله من المهتمين بالعلاقات الثقافية- التاريخية مع الشرق/ الإسلام، وإلى موضوع "الشريفات" في اللغة الألبانية بالتحديد، فقد كانت معظم المفردات العربية تتعلق بالثقافة الشرقيّة والإسلامية. وهذا ما كان يمكن أن يحفظ هذه المفاهيم في أذهان الناس، ولذلك تم الترجيح بالقليل قدر الإمكان من هذه المفردات في المعاجم اللغوية التي وضعت ونشرت في تلك السنوات كـ"معجم اللغة الألبانية الحالية" وغيره(١٣).

وفي تلك الظروف الصعبة جاء التكريم للمستشرق ذزارى، الذي كان يعاني من إحباط شديد، من الخارج حين وجهت له الكوليج دو فرانس دعوة للمشاركة في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين في باريس خلال تموز ١٩٧٢، إلا أن الموت خطفه في أيار ١٩٧٢ وحرمه من المشاركة في مثل هذا المؤتمر الدولي بال موضوع الأكبر إلى روحه- المفردات الشرقية في اللغة الألبانية، وعلى كل حال إن التكريم الوحيد الممكن للمستشرق ذزارى، الذي قضى جل حياته يبحث في هذا المجال، إنما يمكن في إصدار هذا المعجم الموسوعي الذي طال انتظاره(١٤).

المواضيع

- (١) للمرزيد حول هذا "الشرق" في الثقافة الألبانية ونتائجها بما في ذلك تزايد المفردات العربية في اللغة الألبانية انظر كتابنا: الثقافة الألبانية في الأرجحية العربية، مسلسلة عالم المعرفة، الكويت . ١٩٨٣
 - (٢) F. Miklosich., Dic turkischen Elemente in den südlichen und osteuropäischen Sprachen 1-2 1884-1890, A. Xhvani. Per pastertine" egjuhes. Tirane 1966 A. Krajani Hyrja e truziqizmave ne shqipen dhe perpjekjet per zevendisimin e tyre. Studime filologjike, no 1. Tirane 1965. E. Cabaj. Per njeshtrezzim kronologjik te huazimeve turke te shqipes. studime filologjike, no. 2. Tirane 1975. A. Kostallari." Reth deputimit te turqizmave ne gjuhen shqipe." Gjurmimë albanologjike. no 8. Prishtine" 1977.
 - (٣) اللغة العربية في اللغة الألبانية، مجلة "المعرفة" عدد ١٧٨، نصف ١٩٧٦ - ص ١٢٣ - ١٨٣ .
 - (٤) مخزى المفردات العربية في رواية سنان حسانى "بدأ العنبر يتضاجع"؛ مجلة "الموقف الألباني" عدد ١٩٦٦، نصف ١٩٨٧، ص ٩٦ - ١٠٨ .
 - (٥) إسهام الأشدي في الكشف عن المفردات العربية في اللغات البلقانية، مجلة مجتمع اللغة العربية الأرمني" عدد ٤٨، عمان ١٩٩٥، ص ٢١١ - ٢٦٦ .
 - (٦) Sulejman Cerkeli, "Tahir Dizdari- Gjuhetar dhc orientalist I shquar". Dituria islamie no. 51, Prishtine 1993. PP. 12-13.
 - (٧) T. Dizdari, Huazime orientalizmash ne shqip". Bulletini i Universitetit Shkencor te Tiranes-Seria e shkencave shqiptare, no. 1. Tirane 1960.
 - (٨) Tahir Dizdari, Orientalizmat ne gjuhen shqipe, doreshkrim ne Institutin e Gjuhes e Letersise. P. 18.
 - (٩) Gerkezi, P. 13, Nasuf T. Dizdari. "RReth doreshkrimit "Orientalizmat ne gjuhen shqipe" te Tahir Dizdarit" in: Feja. Kultura dhc tradita islamie ndër shqiptaret. Prishtine 1995, P. 334.
 - (١٠) Eqrem Cabej. Studime etimologjike Ne fushe te shqipes. Tirane 1989.
 - (١١) Cerkeli, P. 13, Dizdari. P. 331.
 - (١٢) تكفي الإشارة هنا كنموذج إلى أحد أهم أعمال الأدب واللغة في ألبانيا فائق كونتيسا F. Konica، الذي كان أول من ترجم "ألف ليلة وليلة" في اللغة الألبانية، طبعة ١٩٤٥ - ١٩٩١ .
 - (١٣) Akademie e shkencave. Fjalori I gjuhes shqipe, Tirane 1980.
- تجدر الإشارة إلى أن المجلة الفصلية "برلا Perla" التي تصدرها المؤسسة الثقافية "سعدي الشيرازي" في تيرانا، والتي تغطي بالصلات الثقافية الفارسية - الألبانية، قد بادرت منذ عددها الأول (١٩٩٦) إلى نشر المفردات الفارسية من هذا المعجم واستمرت في ذلك حتى العدد الأخير من سنة ١٩٩٧ (٨ حلقات). وبهذا يتجدد الأمل في أن تبادر مجلة أخرى إلى نشر المفردات العربية أيضاً.

عالمية اللادينية العربية

محمد الأرناؤوط

١١ يختلف اثنان من الدارسين في العالم العربي ومواطن الاستشراف في جميع أنحاء العالم بإن اللغة العربية تعد واحدة من أهم اللغات العالمية في عالمنا المعاصر، نظراً لما تتمتع به من ماضٍ عريق وجذور قوية ثابتة، وحاضر لا يقل أهمية عن ذلك الماضي بحال من الحال، لموقع الأمة العربية في وسط الكرة الأرضية ولاهتمام شعوب الأرض كافة، وينسب مختلفه، في دراسة تاريخ هذه الأمة العريقة واستكشاف العوامل التي أدت في الماضي إلى تربع الأسلام على عرش الثقافة العالمية دون منازع فرونّا عد، بحيث أصبح زاماً على كل دارس في تلك القرون تعلمها وفهم مقاصدها وقوانيين كتابتها وإدراك أبعاد أفلاطها ليكون في عداد العلماء المشاركون في صنع الحضارة في عالم الإسلام المتراصي الأطراف، فانضوى تحت لوائها طواعية علماء كبار من أبناء الشعوب التي تم تحريرها على أيدي جيوش الفاتحين من العرب في عهد الخلفاء الراشدين ومن تلاميذهم من أعيان الدول وقادتها خلال قرون العزة والمنعة، يوم أن كان سلطان الدولة العربية قد بلغ حدود الصين وأواسط آسيا الصغرى شرقاً، والمغرب وموريتانيا ومالى غرباً، وجنوباً أوروباً شماليّاً، وأواسط إفريقيّة جنوباً، الأمر الذي جعل الحرف العربي سيد الحروف المكتوبة والمنطقية في عالم تلك الأيام، فأصبحت اللغة العربية الأهم بين لغات شعوب الأرض قاطبة، وغدت لغة العلم والثقافة والحضارة، فأثرت بذلك في بناء لغات شعوب عدة ولاسيما لغات شعوب الأمم الكبرى في تلك الحقبة من الزمن، كالفارسية، والتركية، والأوردية، وغيرها، وبلغ هذا التأثير مداه الواسع باستخدام تلك الأمم فيما بعد الحرف العربي في كتابة لغاتهم والتعبير عما يدور في خواطرهم من شؤون العلم والثقافة، وكان تأثير العربية في بعض الشعوب الأخرى أمّ كثيراً كشمال إفريقيّة وأواسطها، فطبعـتـالـعـرـبـيـةـ شـؤـونـالـعـلـمـوـالـقـاـفـةـ في تلك الرقعة الفسيحة بطابعها، وهكذا غدت العربية إحدى أهم اللغات العالمية على مسرح العالم القديم، وتبعد مراحل القوة والسلطان في الدولة العربية اهتمام أولى الأمر بترجمة مؤلفات علماء الأمم المتقدمة في ذلك الوقت، واهتمام علماء تلك الشعوب بالعربية لمعرفة ما يدور في هذه الدولة الكبيرة العريقة من شؤون التأليف والبحث والبنية الحضاري بكل، فترجمت كتب الجهتين على أيدي مجموعة من العلماء الكبار من كلا الطرفين، وأصبح للعلم والثقافة أسوق رائجة في حواضر العرب الكبرى، كبغداد، ودمشق، والقاهرة، والقبرص، وقرطبة، وغرناطة، وإسبانيا، وتصدى تلك الحواضر من علماء الأمم الأخرى وعلى نحو مستمر، واستمرت مراحل الفتح الإسلامي للبلدان جديدة في بلاد ماوراء النهر، وصقلية، وبعض الجهات من أواسط القارة الإفريقية.

ثم شكل سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين صفحة جديدة من صفحات انتشار العربية، فوصلت بذلك

إلى واحدة من أهم المدن الأوروبية الكبيرة المولعة في الحضارة والقدم، وتبع ذلك سقوط حواضر أخرى كثيرة في شرق أوروبا على أيدي العثمانيين، كصوفيا، واسقسطون(١) واسكوبيا، وسريليف، وبغراد، وقرس(٢)، وسالونيك، وغيرها، ووصل العثمانيون إلى قسم كبير من النساء، وحصورت فيينا لفترات طويلة وكانت عاصمة لأمبراطورية عظيمة في تلك الوقت ودكت أبوابها بقوة، وأسمهم ذلك في وصول العربية إلى تلك البقاع، على اعتبار أنها لغة الدين الإسلامي، وأنه لابد لمن يتبع هذا الدين على نحو صحيح من معرفة العربية بشكل سليم، فأقيمت المدارس في تلك البقاع وسواها، وانتشرت العربية انتشاراً واسعاً في معظم تلك المدن، وفي غيرها أيضاً من المدن الأصغر مساحة والأقل شأنًا، وبلغ الأمر ببعض أهل العلم من المتنورين، من إبناء تلك المناطق أن فكروا باعتماد الحرف العربي في أبجديات لغات بعض الشعوب البلقانية، تقلیداً لما فعله العثمانيون من قبل حين اعتمدوا الحرف العربي في أبجديتهم الشهير، وكان من بين أصحاب تلك المحاولات الكاتب رجب فوكا(٣).

أبجدية رجب فوكا للغة الألبانية

الأبجدية الألبانية الحالية مع ما يقابلها من أبجدية فوكا العربية

a	ا	m	م
b	ب	n	ن
c	خ	nj	نـ
d	ج	o	و
dh	ذ	r	ر
e	اه	p	پ
ë	هـ	ri	ريـ
f	فـ	s	سـ
g	غـ	sh	شـ
gj	ڭـ	th	ٿـ
h	هـ	u	وـ
i	ايـ	y	يـ
j	يـ	v	ڻـ
k	قـ	z	ڙـ
q	کـ	x	ڦـ
l	لـ	xh	ڦـ
ll	گـ	zh	ڦـ



وهكذا أصبحت العربية لغة عالمية وازداد اهتمام الأوساط العلمية العالمية بها، ونشطت مراكز العلم وقلّاعه في عموم أوروبا لدراسة العربية على أيدي فئة من المتخصصين من علماء تلك الشعوب وأبنائهما والنظر في أُنجح الوسائل لإيقاف مذ الإسلام الجارف نظراً لما كان يمثله من خطر على حضارتهم وثقافتهم من وجهة نظرهم. وظهرت من بعد ذلك مراكز استشراق في بلدان أوروبية مختلفة، أصبح لها أهداف أخرى غير دراسة العربية وشُوّرَن حضارة الإسلام وما يتصل بذلك، فتحولت طلائع المستشرقين من الجيل الثاني إلى مستشارين لحملات عسكرية كثيرة وجّهت إلى بلدان عربية مختلفة (٤).

وأخيراً فعلى الرغم من مراحل الضعف التي أصابت بناء الأمة في فترات مختلفة، فإنه لا أحد في عالمنا العربي وفي الأوساط العلمية والأكاديمية العالمية ينكر على لغتنا العربية عالميتها وتأثيرها في لغات عالمية كثيرة، وأنها صاحبة أهم تراث إنساني تباري الأمم المتحضرة في اقتناه، ودراسته، والمحافظة عليه، والاستدادة منه بقدر الإمكان.

أهوا ماش:

- ١- وكانت في ذلك الوقت العاصمة الإدارية لأنجلترا قبل أن تتحلّ تيرانا هذا الموقع في العصر الحديث.
- ٢- هذا الرسم الصحيح لاسم هذه الجزيرة. لنظر معجم البلدان (٤/٥٠٣)، وتعرف الآن بـ (قبرص).
- ٣- انظر على سبيل المثال البحث الذي كتبه الدكتور محمد موفاكو في كتابه «الثقافة الأنجلوسaxonية في الأدب العربي» (ص ٤٨-٥٩)، الصادر عن سلسلة عالم المعرفة في الكويت عام ١٩٨٣.
- ٤- انظر في تفاصيل هذا الأمر وما يتصل به في ما كتبه العلامة محمود محمد شاكر في كتابه «الهام زسلا» في الطريق إلى تفاقنا» للصادر عن سلسلة كتاب المهرجان في القاهرة عام ١٩٨٧ ، وهو من أهم الكتب التي يجب على كل منتقى قراءتها. وفي ما كتبه العالم البوسنوي الفاضل للدكتور محمد سليموفتش في كتابه «الهام للسنة الاستشراق ولثرتها في الأدب العربي المعاصر» (ص ١١٩-١٢٥)، لأنه عرف أهداف المستشرقين وغيرهم من الداخل وقضى حكايته على القراء العربي من خلال كتابه هذا الصادر عن مطبع دار المعرفة في القاهرة عام ١٩٨٠.



ندوة اللغة العربية

معالم الحاضر وآفاق المستقبل

دمشق ٢٩-١٠/١٩٩٧

د. محمد حسان الطياني

مجمع اللغة العربية بدمشق ندوة لغة العربية عنوانها : "اللغة العربية معالم الحاضر وآفاق المستقبل" شارك فيها نحو من خمسة وعشرين باحثاً من الأقطار العربية الشقيقة، ومن القطر العربي السوري، وحضرها لنحو من العلماء والباحثين من أعضاء مجمع اللغة العربية وأساتذة الجامعة. وقد عُقدت الندوة في قاعة المحاضرات في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ١٠/٢٦ حتى ١٠/٢٩ وانتهت بحلق افتتاح تمحى في مكتبة الأسد الوطنية تحت رعاية الدكتورة صالحة سفتر وزيرة التعليم العالي، وكانت الكلمة الأولى فيه للأستاذ الدكتور شاكر الخام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، والكلمة الثانية للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب رئيس الجمع السوداني ممثلاً لوفود المشاركين، ثم ختمت السيدة الوزيرة راعية الندوة بكلمة رحبت فيها بالضيوف العلماء ورجت لهم التوفيق والسداد في دعوتها.

حدّد القائمون على الندوة مسار بحوثها في محاور خمسة هي:

- ١- مشكلة الأداء في اللغة العربية.
- ٢- التعريب والمصطلح.
- ٣- تيسير مباحث العربية.
- ٤- المعجم العربي.
- ٥- مستقبل اللغة العربية.

واستجابت البحوث لهذا فتناولت محاور الندوة على نحو استعرافها، وطرح فيها العديد من وجهات النظر، إذ تعاقب على كل محور غير ما بحث ، فكان في ذلك غنىً للمحور، وتتوسّع في مناقشة ما يمكن أن يرد فيه من أفكار. هذا وقد توزعت بحوث الندوة على ست جلسات علمية، تم في أولها انتخاب الأستاذ

الدكتور شاكر الفحام رئيساً للندوة والأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر مقرراً لها . ثم بدأ إلقاء البحوث المشاركة تباعاً ، وخصص وقت في آخر كل جلسة للمناقشات والمداخلات والتعقيبات . وسأعرض فيما يلي لعنوانين البحث في كل محور متطرضاً في العرض والتحليل على بحثٍ مختلفٍ من كل محور منها بما يتضمنه المقام في هذا المقال :

المحور الأول: مشكلة الأداء في اللغة العربية

والمراد من هذا المحور تحديداً أسباب الضعف في أداء العربية الفصحى وبين أنجع الوسائل للقضاء على هذه الأسباب بغية الوصول إلى سلامة في الأداء وتمكن من العربية . وقد أقيمت فيه البحوث التالية :

- ١- مشكلة الأداء في اللغة العربية، أسباب الضعف ووسائل العلاج . للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب رئيس مجمع اللغة العربية في السودان ورئيس مجلس جامعة الخرطوم - من السودان .
- ٢- مشكلة الأداء في اللغة العربية . للأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر الأستاذ في جامعة دمشق، ورئيس قسم اللغة العربية فيها سابقًا - من سوريا .
- ٣- مشكلة الأداء في اللغة العربية . للأستاذ الدكتور مسعود بو بو رئيس الموسوعة العربية وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق - من سوريا .
- ٤- مشكلة الأداء في اللغة العربية للأستاذ الدكتور محمد مختار ولد أباه أستاذ الدراسات الإسلامية في دار الحديث الحسنية بالرباط - من موريتانيا .
- ٥- مشكلة الأداء في اللغة العربية . للأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد الأستاذ بكلية التربية بجامعة دمشق، والمدير الأسبق لإدارة التربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - من سوريا .
- ٦- مشكلة الأداء في اللغة العربية في المغرب . للأستاذ الدكتور محمد بن شريفة الأمين العام لأكاديمية المملكة المغربية . من المغرب .
- ٧- الإعلان وأثره في اللغة العربية . للأستاذ الدكتور عصام نور الدين أستاذ العلوم اللغوية بالجامعة اللبنانية - من لبنان .

في محاضرته "مشكلة الأداء في اللغة العربية، أسباب الضعف ووسائل العلاج " تناول الدكتور مسعود بو بو مفهوم الأداء فأ بين أنه لا يقتصر على الإيصال والتلاوة والإتقان وإنما يتجاوز ذلك إلى كل ما من شأنه أن يؤثر في اللغة العربية نطقاً وكتابة وتبييراً، مما يجعل المشكلة تتقدّم همومها العلمية والتعليمية وتمتد حتى تلامس الخطير القومي . ومن ثم بحث الدكتور بو بو عن أسباب المشكلة وحاول تحديدها موسعاً من دائرة هذه الأسباب ومخرجاً لها عن حيز الاقتصار على المدرسة أو الجامعة أو التعليم عموماً ، فهو يشرك كل هذه المؤسسات بالمسؤولية ويرز جانباً آخر له تأثير كبير في ضعف الأداء وهو غياب الحافز القديم على إتقان العربية، فقد كانت العربية مطلباً حيوياً أثيراً... وكان تحصيلها استجابة لمتطلبات العقيدة الإسلامية ، وهو خير سبيل لصون لغة القرآن من فساد الألسنة .

وبعد ذلك عرض الدكتور بو بو لمحاولات التجديد والتيسير في النحو قديماً وحديثاً وأشار إلى أسلوب

تناول المادة العلمية الذي يجري بطريقة إقائية أو إملائية تقينية كالقولاب الثانية من جهة المدرس، وخطيبة خالصة من جهة المتعلم، من غير حوار أو محاكمة أو استئناس، وبمعزل عن التدفق وتغير الطاقات الكامنة... وجعل من أسباب الضعف في الأداء أيضاً تأثر بعض الأقطار العربية لغويًا بالاستعمار ، وازدحام بعض الأقطار بالدخلاء الأجانب:

في هذا المضطرب زاجم العربية الدخيل واللغات المهجنة والتعدد اللغوي فرق ما تعانيه من ازدواج لغوی وجهل وأمية أحياناً ، نختت جهارة صوتها القديم.

ثم عرض الباحث لمظهر من أعظم مظاهر هذا الضعف في الأداء يتجلّى في وسائل الإعلام، حيث مثل بائلة عملية تبدى فيها مبلغ الجناية على العربية لدى بعض العاملين في الإعلام: "فإن هناك ضعفًا ملحوظاً في الأداء اللغوي الإعلامي: قراءة، وإلقاء، وصياغة أخبار وافتتاحيات، وتعليقات، وتحقيقات، ضعف يصل حدود الخطأ في القرآن الكريم...".

ولم يغفل الباحث ما للحكومات والهيئات والمؤسسات العلمية من عناية باللغة القومية تبتدأ في إقامة ندوات واجتماعات ومحاضرات وبحوث، ومواجهة الغزو اللغوي بالحدّ من نقش التسميات الأجنبية.

وقد أشار إلى الإجراءات التقينية التي تفرض العقوبات على المخالفين معتبراً هذه الإجراءات محركاً لفعل شيء في طريق صون لغتنا ، وداعياً إلى عدم قصر المسألة على جهة معينة، بل لابد من تحمل المسؤولية كاملة واشتراك كل المؤسسات (العلمية وغير العلمية) في هذه المسؤولية.

هذا وقد ختم الدكتور بوبو بحثه بجملة من الحلوں نشير إلى أبرز ما جاء فيها:

- ١- البدء بحملة لتعليم القراءة في خطوة منهجية شاملة.
- ٢- إخراج الكتب التعليمية مشكولة الكلم، والحرص على تغيير النصوص فيها، مما يمتع ويفيد من القديم والحديث، مع تعزيز منهج حفظ النصوص.
- ٣- العمل على إرساء تقاليد الأداء اللغوي السليم في المؤسسات والإعلام، وتعليم الخطاب بالعربية الفصحية قدر الإمكان، وتدريب الأجيال على ذلك.
- ٤- التركيز على النحو الوظيفي، واستقراء النصوص واستخلاص الأحكام بالتأمل والمحاكمة لا بالوعظ والعقاب.
- ٥- إخضاع فكرة تسهيل النحو لضوابط موضوعية حتى لا يؤول الأمر إلى التخلّي عن أصلّة العربية وأنسابها.
- ٦- إخضاع الكتب والمناهج التعليمية إلى اختباراً وتقديم، وعقد دورات جادة مطولة للمدرسين بغية إعدادهم الإعداد المطلوب، والتركيز على التكامل في تحصيل العربية، نحوً وصرفًا وبلاهة وإملاءً وأساليب....
- ٧- قصر التجديد اللغوي أو التطور اللغوي على أرباب اللغة العالمين بها.
- ٨- الإقبال على استخدام التقنيات الحديثة كالحواسيب والمخارب اللغوية وبرامج المعلوماتية الحديثة في الترجمة وتخزين المعاجم أو تصنيف القواعد....

الخور الثاني : التعريب والمصطلح

تناول هذا المحور بحوث أربعة هي:

- ١- المصطلح العربي في عصر العولمة: للأستاذ الدكتور أحمد محمد الضبيب - من المملكة العربية السعودية.
- ٢- نحو منهجية للتعريب اللفظي . للدكتور ممدوح خسارة المدرس في جامعة الكويت - من سوريا . (وقد اعترض عن عدم الحضور ولكن بحثه وزع على المشاركين).
- ٣- التعريب والمصطلح . للأستاذ شحادة الخوري الخبير السابق في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - من سوريا.
- ٤- من تاريخ التعريب والمغرب : تقريب الشيخ طاهر الجزائري - تهذيب الدكتور أحمد عيسى للأستاذ الدكتور عز الدين البدوي النجار - من سوريا.

في بحثه "المصطلح العربي في عصر العولمة" نبه د. أحمد الضبيب على الخطير المحدق بالعربية في عصرنا هذا عصر العولمة (Mondialisation) ويقصد بها جعل الشيء في دائرة اهتمام العالم أجمع وفي متناول أهلة أجمعين، ليعالج الجانب الأكثر خطورة وهو المصطلح العربي، داعياً إلى مواجهة هذا السيل الجارف من المصطلحات الدخيلة باستقرار قدرات لغتنا العربية في كلّ مجال قبل أن تستقبل الدخيل ونضمّه إلى معجمنا اللغوي.

وقد استعرض جملة من الجهود التي بذلها علماء عصر النهضة وخالقوهم من المجمعين، وهي جهود تراوح بين دعوة إلى إحياء المصطلح العربي القديم، وتساهل وتوسيع في استعمال الدخيل، ليخلص إلى أن الاتجاه عند معظم المتأخررين يسير نحو الترجمة الحرافية والتعريب دون تبع للأصول من الأنماط في ثانياً كتب التراث، وضرر بذلك أمتنا، اقتصر على واحد منها وهو مصطلح ورد في معجم مصطلحات النفط ونسمته: ادفع وتسليم . ترجمة للمصطلح الإنكليزي: Cacecy Cash and . يقول: "وعندني أن هذه الترجمة الحرافية لا تجري على العرف العربي، بل إن العجمة بادية عليها وkan بالإمكان ترجمة المصطلح بالمناجزة" وهو مصطلح يستعمله فقهاء المالكية في أبواب المعاملات المالية، ويعنون به قبض العوض عند العقد . ويقول العرب: بعنه ناجزاً بناجر أي يداً بيد.....".

ما يؤكد أن الترجمة - إن وجدت - يمكن أن تعد مرحلة أولى يلجن إليها كسباً للوقت ولا بد أن تتبعها مرحلة تالية يردد العلماء والمختصون واللغويون النظر فيما ترجم من مصطلحات كي يصوبوا ما قد يكون اعتبرها من قصور، ويضعوها في مكانها من اللغة العربية السائدة، فالمصطلح الأصيل المستمد من التراث أو ذلك المسكوك بالوسائل المتاحة للغة من قياس أو استئناف أو مجاز يجب أن يكون الهدف الأسمى لوضع المصطلح العربي.

يعربون الباحث بعد ذلك للشبهات التي واجهت هذا النوع من المصطلح الذي يدعو إليه فيناقشها واحدة واحدة مفاداً ما جاء فيها من ادعاءات لا ثبات على النظر.

- ويختبئ بحثه بربط مشكلة المصطلح بمشكلة أكثر خطورة وأشد تأثيراً وهي مشكلة البحث العلمي الذي لم يأخذ بعد مكانه اللائق به عندنا. ثم يوصي بأمور أبرز ما جاء فيها:
- ١- بث الوعي اللغوي بين أبناء الأمة وإيقاظ غيرتهم على اللغة.
 - ٢- إنشاء مؤسسات متخصصة في حقول الترجمة تشبه بيت الحكمة العباسى.
 - ٣- تكوين أجيال من العلماء مزيوجي اللغة تمكناً من ناصية العلم ومن اللقين العربى والأجنبى.
 - ٤- تيسير المادة اللغوية العربية بتصنيف التراث اللغوى فى كل العلوم حسب المعانى والاستعانة بالحاسوب لتنليل ذلك.

المحور الثالث: تيسير مباحث العربية:

- النحو، والصرف، والبلاغة، والعرض، والإملاء
تناول هذا المحور بحوث تസعة هي:
- ١- إحياء العروض . للدكتور محمد حسان الطيان مدرب اللسانيات في جامعة دمشق والباحث في مركزدراسات والبحوث العلمية بدمشق . - من سوريا.
 - ٢- العروض بين اللسانيات والإيقاع . للدكتور إسماعيل الكردي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دمشق (سابقاً) - من سوريا.
 - ٣- تيسير البلاغة . للأستاذ الدكتور أحمد مظلوب الأمين العام للمجمع العلمي بيغداد - من العراق .
(وقد وزع البحث على المشاركين دون أن يلقى لاعتراض الأستاذ الباحث عن الحضور).
 - ٤- نحو تيسير قواعد اللغة العربية . للأستاذ الدكتور أحمد حامد عضو مجمع اللغة العربية الفلسطيني ببيت المقدس - من فلسطين . (وقد وزع البحث على المشاركين دون إبقاء أيضاً لخالف صاحبه عن الحضور).
 - ٥- تيسير مباحث النحو والصرف . للأستاذ الدكتور سامي عوض رئيس قسم اللغة العربية بجامعة تشرين بالاذقية - من سوريا.
 - ٦- نظرات في قواعد الإملاء العربية . للأستاذ الدكتور عمر الدقاد رئيس اللغة العربية بجامعة حلب (سابقاً) - من سوريا.
 - ٧- إعادة صوغ قواعد العربية . للأستاذ يوسف الصيداوي الباحث المعروف وصاحب البرنامج التلفزيوني (اللغة والناس) - من سوريا.
 - ٨- إعادة بناء مفاهيم النحو . للأستاذة الدكتورة حورية الخياط أستاذة طرائق تدريس اللغة العربية بكلية التربية بجامعة دمشق - من سوريا.
 - ٩- العلل التعليمية وأهميتها في النحو العربي . للدكتور سعد الكردي مدرس النحو والصرف بجامعة البعث بحمص - من سوريا.

ونظراً لكثره بحوث هذا المحور فسأعرض لاثنين منها:

الأول بحثي "حياة العروض" الذي مهدت له بعرض أسباب صعوبة هذا الفن، فذكرت منها:

١- إغفال الصلة بين العروض والموسيقا والتغم والإيقاع.

٢- التوصل إلى تقطيع الأبيات بوضع الإشارات المختلفة التي تمثل المتحرك والساكن ولا تفيد شيئاً في معرفة الوزن.

٣- ربط علم العروض بفهم البحور التي لا تجدي شيئاً في تيسير معرفة الوزن.

٤- مواجهة الطالب بحشد من المباحث والمصطلحات العروضية المتداخلة.

٥- البدء بالصعب من البحور والتدرج نحو الأسهل.

ثم بيّنت أن في تجنب أسباب الصعوبة هذه تيسيراً لتعليم العروض وتقليلها لكثير من العقبات المعترضة طريقة، وأولت السبب الأول اهتمام البحث الأساسي فحاولت أن أعيد الصلة القديمة بين العروض والغناء من جهة، وبين العروض والإيقاع من جهة أخرى.

أما الغناء أو التغم فقد أوضحت أن كل بحر من بحور الشعر المشهورة يمكن أن ينطبق على أغنية محفوظة أو أكثر، فيعني كما تغني، أو ينطبق على نشيد محفوظ فينشد كما ينشد، ومن ثم تكون هذه الأغنية أو النشيد بمنزلة المقتاح لهذا البحر، فإذا ما حاول الطالب أداء بيت من الشعر ينتمي إلى هذا البحر على لحن تلك الأغنية طار عليه اللحن وانقاد له الغناء، وإذا كان البيت من بحر آخر تابي عليه اللحن ولم ينقد له الغناء. وقد ضربت مثلاً على ذلك بالبحر المتدارك الذي يمكن أن ينطبق على لحن قصيدة "يا ليلى المصبة" بأداء فیروز، أو لحن قصيدة "مضناك جفاه مرقدة" بأداء الموسقار محمد عبد الوهاب، أو لحن قصيدة "يا صاح الصبر وهي مني" بأداء الأستاذ صباح فخري.

واما الإيقاع فيقتضي أن نقابل كل حرف متحرك ببنقرة، وكل حرف ساكن بعدم النقرة، فإذا تابعت لحروف المتحركة تتابعت النقرات، وإذا جاء الساكن انقطعت، ففعليه: (فاغلن) تقابلها النقرات: تك تتك، و(فعون) تقابلها: بـتـك بـتـك وهكذا. وما يسر أن نطبق ذلك على البيت التالي:

قالوا أهلاً قوماً غربنا

بـتـك بـتـك بـتـك بـتـك بـتـك

ولا يقتصر الإيقاع على معرفة تقطيع البيت - بعد معرفة بحره غناء - وإنما يعين إلى ذلك على تحديد ما اعتراه من جوازات، وما أصحابه من علل وزجاجات.

والبحث الثاني الذي سأعرض له في هذا المحور هو بحث الأستاذ يوسف الصيداوي: "إعادة صوغ قواعد العربية" الذي قصد منه إلى قراءة تراثنا النحوي واستلال القاعدة منه خالصة من كل ما يحيط بها من تشعب الآراء وكل ما يلايسها من التحيز لهذا المذهب أو ذاك . ثم إعادة صوغها بأسهل الألفاظ وأقربها وصولاً إلى العقل. وهو عمل شاقٌ طويل، وجهد مبارك عظيم، أمضى الباحث فيه نحوِ من خمس سنوات، انقطع فيها إليه انقطاع المستغرق المفتون - على حد تعبيره - ثم بين مخطط عمله مشيراً إلى أنه كسر كتابه على ثلاثة أقسام:

الأول: فيه قواعد العربية، خالصة من كل ما عادها وسماء (الكاف) ليطابق اسمه مسماه.
والثاني: نماذج فصيحة، تتحقق بكل بحث، بين فيها موضع القاعدة، ودفع عن تجنبه ما تجنب،
والثالث: تبين لما استرشد به من المعلم والصوى، في ذهابه نحو القاعدة، ودفع عن تجنبه ما تجنب،
وأخذه بما أخذ، مع ذكر للمصادر والمراجع. وسماء (الصوى إلى الكاف).
وعرض الأستاذ الباحث نماذج من كتابه ، فتتصرّف هنا على واحد منها وهو (المستثنى بـ إلا)
ففيه متباعدة على ما وراءه:
• المستثنى اسم يذكر بعد (إلا) مخالفًا ما قبلها نحو: (جاء الطلاب إلا خالد).
وهو منصوب قوله واحداً، غير أنه إذا سبقة نفي أو شبهه، جاز مع النصب، إتباعه على البدالية مما
قبله.

حكمان:

الأول: قد ينتمي المستثنى على المستثنى منه، نحو: (لم يسافر إلا خالد أحد).
والثاني: قد يأتي المستثنى ولا صلة له بجنس ما قبله ، نحو : (وصل المسافر إلا أمتعته).
تم البحث بهذه هي قواعد المستثنى بـ (إلا) تامة.

المحور الرابع: المعجم العربي

رمي هذا المحور، كما جاء في نص ما تدور حوله الندوة من محاور، إلى وصف المعجمات المتوافرة في الوقت الحاضر، وبيان ما فيها من مآخذ ، ووضع مشروع معجم عربي حديث يغطي جميع المتطلبات.
وقد تناول موضوع هذا المحور بحث أربعة وهي:
١- المعجم العربي. للدكتور جورج متري عبد المسيح المشرف على القسم العربي في دائرة التحرير والمعاجم في مكتبة لبنان. من لبنان.
٢- المعجم اللغوي المنشود بين معاجمنا القيمة والحديثة. للأستاذ محمود فاخوري أستاذ النحو والصرف في قسم اللغة العربية بجامعة حلب - من سوريا.
٣- المعجم العربي اللاشتقافي. للأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان الاستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة البعث في حمص - من سوريا.
٤- المعجم الحاسوبي للعربية. للأستاذ مروان البواب رئيس مجموعة اللغة العربية في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بدمشق - من سوريا.
ولما كان هذا البحث الأخير مشتركاً بين المحور الرابع والخامس فساقصر في العرض عليه بعد ذكر بحوث المحور الخامس.

المحور الخامس : مستقبل اللغة العربية

والمراد من هذا المحور دراسة وسائل تحديث اللغة العربية، واستغلال الإمكانيات التقنية، ومنها الحاسوب ، لستطيع هذه اللغة مسيرة التطور العلمي والتكنولوجي المتتسارع.

وقد تناول موضوع هذا المحور بحوث أربعة وهي:

- ١- اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين. للأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة - من مصر.
- ٢- الحاسوب في خدمة اللغة العربية. للأستاذ الدكتور محمد مرادياتي مدير المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا بدمشق (سابقاً) - من سوريا.
- ٣- المجمع الحاسوبي للغة العربية. للأستاذ مروان البواب.
- ٤- أبواب الفعل الثلاثي. دراسة لغوية تحليلية احصائية باستخدام الحاسوب . للأستاذ الدكتور محمد جواد النوري نائب رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني ببيت المقدس - من فلسطين.
وهذا أوان الكلام على المجمع الحاسوبي.

عرف الأستاذ الباحث مروان البواب المجمع الحاسوبي بأنه مجمع لغة العربية يعمل بالحواسيب الشخصية على اختلاف أنواعها، يحتوي على بيانات وجداول وقواعد تمكنه من عرض جميع المعرفات المعجمية بسهولة ويسر، كما تمكن من إجراء عمليات بحث متعددة . فهو بذلك يلبّي حاجة المعلمين والمتطلعين، والمختصين ، وغير المختصين على حد سواء.

ثم ذكر الأستاذ الباحث أم مزايا هذا المجمع ، فمن ذلك : تضمنه جميع المعجمات المطبوعة، وقدرته على تصريف الأفعال والأسماء في جميع حالاتها الصرفية، وإيراده جميع المفردات القياسية والسماعية ، واعتماده في عرضه للمعارف اللغوية على الوسائل الحاسوبية الحديثة **Multmedia**، وما يمتاز به أخيراً سهولة التعامل وسرعة الأداء.

أما ما يتعلق بال نقاط التي ينبغي مراعاتها عند أعداد المجمع الحاسوبي ، فقد عرض الأستاذ الباحث ثلاثة نقاط هي :

- ١- حسم أوجه الخلاف بين المعجمات، واعتماد الرابعج واستبعاد المرجوح.
- ٢- استغراق المجمع جميع مواد اللغة، والشوادر والأمثلة والتراتيب اللغوية والعبارات الاصطلاحية.
- ٣- تحديد المعرف الصرفية والتحوية والدلالية ، كلزوم الفعل وتعديته، ونوع الكلمة، وجموع التصحيح والتكسير، والاستعمال الصحيح للكلمة.

ثم ختم البحث بعرض إحصاء للإقبال العربي في المجمع الحاسوبي، ذكر فيه طائفه من النتائج الإحصائية تعكس دقة العمل في هذا المجمع وجاذبها من وجوه الإقادة منه.

لقد آتت بحوث الندوة أكلها على خير وجه، إذ عرضت لكل ما جاء في محاور الندوة من موضوعات،

وكان الخير كل الخير في تعاقب أكثر من بحث على موضوع واحد، إذ أتاح المزيد من الإغاء وتعدد وجهات النظر، ومن ثم الخروج بمقترنات تغطي جميع الجوانب المطروحة. ولا شك أن في اجتماع هذا التليف من العلماء والباحثين على اختلاف أوطانهم وثقافاتهم ومواردهم النفع العميم للغربية في حاضرها الراهن ومستقبلها المشرق.

وبعد انتهاء أعمال الندوة عقدت جلسة ختامية للمقررات والتوصيات ترأسها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نوقشت فيها التوصيات والمقررات التي انتهت إليها الندوة ، وفيما يلي نصها الكامل :

أولاً : توجيه الشكر العميق إلى مجمع اللغة العربية والقائمين من أعضائه بتنظيم الندوة تقديراً للجهود التي بذلت في الإعداد للندوة وتنظيمها.

ثانياً : يسعى مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من كبار المختصين في البلاد العربية مهمتها تأليف مرجع ميسر لقواعد النحو والصرف والإملاء بمعزل عن تشبع الآراء والتعقيد ، ثم إخراجه في طبعة رخصة الثمن ليكون في متناول الناشئة والطلاب.

ثالثاً : يسعى مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع اتحاد المجاميع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من المختصين بالتراث العربي لوضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث موزعة على جملة المعارف الإنسانية لتعريف الباحثين والطلاب بعيون التراث العربي. وإصدار هذا الكتاب في طبعة رخصة ليكون في متناول المعنين بالتراث العربي.

رابعاً : بذل مزيد من العناية في أعداد مدرس اللغة العربية، وتقديم أساليب تعليم اللغة العربية باستغلال الوسائل التقنية الحديثة والوسائل السمعية والبصرية ، وإقامة ندوات لمدرسي اللغة العربية تطعيم على أنجع طرق التدريس وتدريلهم على استعمالها.

خامساً : يسعى في جعل اللغة العربية المبسطة تعلم في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وتشجيع الأطفال على استعمالها وال manus الوسائل المعينة على تعليمها لهم. وكذلك تشجيع الطلاب في المراحل الثانوية والعالية على استعمالها.

سادساً : يسعى لدى وزارة الإعلام في الأقطار العربية ولدى المسؤولين فيها لتوجيه مؤلفي المسلسلات والمسرحيات المذاعية أو المتنفسة إلى استخدام اللغة العربية المبسطة فيما يؤذونه، وكذلك الحد من طغيان العالمية في الإعلانات التي تنشر في الصحف أو تعلن في الشوارع.

سابعاً : إلزام المحل التجاري والمطعم دور الملاهي والمؤسسات العامة والخاصة وغيرها باستعمال الأنفاظ العربية في تسمية محالهم وعدم اللجوء إلى اللغات الأجنبية.

ثامناً : مطالبة الحكومات العربية باتخاذ القرارات التنفيذية الحاسمة بتربيت التعليم العالي والجامعي تعريباً كاملاً . دون إغفال إلزام الطلاب في مختلف الكليات والمعاهد العلمية بتعلم إحدى اللغات الأجنبية الحية.

تاسعاً : توجيه المعلمين والمدرسين في مراحل التعليم كافة إلى استخدام اللغة العربية المبسطة في مختلف المواد الدراسية لدى إلقائهم دروسهم ومحاضراتهم، وتشجيع طلبتهم على استخدامها.

عاشرًا : حد الماجماع اللغوية العلمية العربية على بذل مزيد من العناية في وضع المصطلحات العلمية والتقنية وفي مختلف مناحي المعرفة باستخدام المنهجية السليمة في وضعها واستخدام جميع الطرائق المتاحة كالاشتقاق والوضع والتعریب والتحت وغيرها والسعى في توحيد هذه المصطلحات بالتعاون مع اتحاد الماجماع اللغوية العلمية العربية، ثم إصدار هذه المصطلحات الموحدة في كتب أو نشرات توزع على أوسع نطاق ولا سيما وزارات الاعلام مع التمسك الوسائل الكفيلة باستخدام هذه المصطلحات في جميع المؤلفات والكتب المترجمة ووسائل الاعلام المختلفة.

حادي عشر: أن يعمل اتحاد الماجماع اللغوية العلمية العربية في إصدار معجم اشتقافي حيث يفي بجميع المتطلبات على أن يراعي فيه سهولة المراجعة وتطور دلالات الألفاظ واستصمام ما أقرّ من المصطلحات الموحدة وفاءً بحاجة الباحث المعاصر.

ثاني عشر: الاستفادة من الحاسوب والوسائل التكنولوجية الحديثة في الماجماع العربي واتحاد الماجماع اللغوية العلمية العربية لاختراق جمعي الألفاظ العربية والمصطلحات والمواد المعرفية وتسييلها في الاسطوانات والحافظات وأجهزة التسجيل لتمكين الباحثين من الاستفادة منها بطريقة ميسرة سريعة.

ثالث عشر: السعي في إصدار معجمات متخصصة في مختلف العلوم والمعارف وكذلك إصدار معجم تاريخي يبين تطور دلالات الألفاظ منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر.

رابع عشر: دعوة الماجماع اللغوية العلمية العربية إلى متابعة عقد ندوات حول اللغة العربية تعالج مشكلاتها ومستقبلاها

خامس عشر: إيصال توصيات هذه الندوة إلى المسؤولين في الأقطار العربية كافة ومناشدتهم السعي في إنفاذها.

سادس عشر: جمع بحوث هذه الندوة وإصدارها في كتاب يوزع على أوسع نطاق لتنتم الاستفادة منها.

سابع عشر: توجيه الشكر إلى الحكومة السورية لعقدتها هذه الندوة في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق وتحملها نقائتها وعانياها باللغة العربية وسعيها في ارتقائها، وتوجيهه برقيه شكر إلى القائد حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لرعايته الكريمة للغة العربية وعلمائها.

إنَّ ما بذله مجمع اللغة العربية بدمشق من جهود في سبيل عقد هذه الندوة والعمل على إنجاحها ، والسهور على متابعة بحوثها وتوزيعها كاملة على جميع المشاركين قبل إلقائها لخلق بالثناء والتقدير ، كف لا وقد استنفر في سبيل ذلك كل الجهود، واستنفر كل الطاقات، بدءاً برئيسيه الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ونائبه الدكتور إحسان النص وأعضائه المؤررين، وانتهاء بكل عامل فيه، فلهم جميعاً كل الشكر على ما بذلوه خدمة للغربية وصونها لها، وإبقاء على رأيتها خفافة عالية في دنيا العروبة والإسلام.

عالية الخط العربي

معرض محمد خلف

يتحقق طيبة ولينة في عالمها مع الخطاط، هي بالطبع طبيعة في تعاملها مع الشعب التي تختلف من شكل الكتابة العربية منها تلقاً لها، والذي عزّ ذلك تخاذلها الإسلام ديناً تهدي به. فهو الأطلالة الأولى لل المسلمين الأولى الذين فتوأوا اليه والأمس، يشرون اليدين الإسلامي الخفيف في كل بقاع الأرض ويعهم لغتهم العربية السليمة التي تكبت من زرع جنور الإبداع والخصوصية لهذه الرسالة الخالدة. فقضت على كثير من اللغات وحلّت محلها وأصبحت هي اللغة الرئيسية التي استخدمها أهل البلاد الأصوليون، فكتب بها الإدريسيون والسلاجقة والشاندون والأكراد والطاجيك والأوزبك وأهل بلاد الحبشة وكشمير وغيرهم.

وإن مجموع حركة الخط وما يتولد عنها من إشعاع موسيقي مطابق لشاعرية ساعية نحو الامرني كل ذلك يحدد ايقاع النص بالنسبة ليد الخطاط المبدعة.

وقد استطاع هذا الفن أن يملك قيمة جمالية وتشكيلية عالية، إضافة إلى كونه قيمة تعبيرية. وهذا ما رمى إليه "الصولي" عندما قال: ومن فضل حسن الخط أن يدعو الناظر إليه إلى أن يقرأ وإن اشتغل على لفظ مرذول ومعنى مجهر.

وهو أجمل خطوط لغات الأرض كلها. وللغة العربية أجمل لغات الإنسان وحسبها جمالاً وشرفاً أن اختارها الله سبحانه وتغلى لغة الوحي ولغة القرآن الكريم ولغة النبوة الخاتمة. والخط العربي هو وعاء الأدب فيزيده رونقاً وجمالاً فهو يحمل جميع العناصر الفنية ويضم جمالاً إلى جمال ورونقاً إلى رونق.

إنه فن رائع ملتصق باللغة العربية، غني بالبهاء والرواء، وقد يرى بعضهم أنه باب من أبواب الرسم. ولا شك أن له صلة بالرسم ولكنه باب متفرد عن أي باب من أبواب الرسم الأخرى، ذلك لأن الخطاط لا يملك في يده غير القلم البسيط وهذا القلم مسيطرته وهو سلطانه الذي يعيّن به أحجام الحروف، فهذا القلم يقوم باداء كل وظائف الآلات الأخرى التي يمتلكها الفنانون في سائر الفنون الأخرى.

فهو يتميز بوظيفته وطبيعته ولربطة بشرف لغة وكلم لدب وكثرة اصبع بهذا الارتباط جزءاً من الأدب، وبما لم يره بعضهم شكلاً من شكل الأدب فهو باب من أبواب اللغة العربية، خالص باللغة ذاتها. فهو تاج الفنون الإسلامية ومرتكزها.. تردد في المعانى بالأشكال وتختلف فيه الحكمة بالفن وتتجتمع فيه الفائدة بالجمل.

ويؤكد الشاعر الفنان خالد الفيصل بن عبد العزيز، أن أول ما يميز مسيرة الحرف العربي أنها رحلة وجودانية يستشعر المتنبي لها دفء الإيمان، وتوهج الرسالة وصدق الاتمام فالحروف ليست قطعاً جامدة ولكنها كائنات حية تتبع بمشاعر الفنان المسلم وتعكس إصراره وتقانيه لتحقيق أعلى درجات الإتقان والإحسان، فالحروف لا بد أن ترتقي إلى مستوى التعبير عن الرسالة، رسالة الخلق البديع إلى الناس أجمعين.

فقد نقل عن خليفة رسول الله، عمر بن الخطاب. رضي الله عنه قوله: إن الرجل ليكلمني في الحاجة فارذه عنها وكأنني أقسم حب الرمان الحامض، ليغضض استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يسترجبها فيعرب، فأجيبي إليها التذاذا لما أسمع من كلامه.

وردة الوالي عبد الله بن طاهر، مظلمة أحدهم لأنها لم تستكمل نفسها في خط جميل وكتب: /أردنا قبول عذرك فقطعنا دونه ما كابلتنا من قبح خطك، ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك، أو ما علمت أن حسن الخط ينفصل عن صاحبه ويوضح الحجة ويمكّنه من درك الغایة/.

وإليام الشيخ محمد عبده يقول: إذا كان الرسم ضرباً من الشعر الذي يرى ولا يسمع، والشعر ضرباً من الرسم الذي يسمع ولا يرى، فالخط هو اليد للشاعرة التي تسمع وتترى.

من هذه الشواهد يتضح لنا أن الأكلام نظام للأفهام، وكما أن اللسان يريد القلب فالقلب يريد اللسان، ويولد الحروف المسماة عن اللسان كتولد الحروف المكتوبة عن القلم، والقلم يريد القلب ورسوله وترجمانه ولسانه الصامت.

وقالوا: إن القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون بسرافر القلوب، على لغات مختلفة، من معانٍ معقدة بحروف معلومة مملة مسموعة. ولا السن محدودة، ولا حرکات ظاهرة، خلا قلم حرف باريه قطته ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه لوردة ما انشر عنه إليه، وشق رأسه ليحتبس المداد عليه، فهناك استند القلم بشقة وتنثر في القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكير، وجري على أسلته الكلام الذي سداد العقل، فلقطته الشفاه ووعته الأسماء من أنحاء شتى من صفات وأسماء.

يقول فيلسوف علم الاجتماع ابن خلدون: إن السمع أحد الأسس لتعلم اللغات. إذ عن طريقه يندرس الحس اللغوي السليم ليصبح ملكة طبيعية في الإنسان، وسيبل ذلك غرس الإيقاع لدى المتعلم وذلك يحمل بمارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتقطعن لخواص تراكيبه وليس تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استبطتها أهل صناعة البيان فإن هذه القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان ولا يفيد حصول الملكة بالفعل في محلها.

في حين تروح العين تتأمل ذلك الانسياب العنبر للخط التعليقي الفارسي، وكأنه سيل من ندى، أو تتأمل الخط الثلثي الذي ثبت على مر العصور كأحسن خط تريبني كأنه بحر لا حدود له من القوة والاحتشام والعظمة والكرياء الذي ينطلق منه، أو تتأمل الخط الديواني، ذلك الإبداع السادس الذي يلتقي على ذاته وكأنه ي يريد الرجوع إلى الدائرة حيث ولادته. حين يتم ذلك تفتح أمامنا نافذة تطل على أفق بعيد، وبأخذنا التأمل إلى الداخل.. دخلنا نحن كبشر، وقد قالوا:

إن الخط توفيق من عند الله جل وعلا. واستقاد البشر منه لتركيب حروفه عن طريق العقل البشري.

وقد فسر هذه النظرية عمر بن عتبة بقوله /عقل عقلان/ عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل. وعقل يستنده للمرء بأدبه وهو الفرع، فإذا اجتمعوا قوى كل منهما صاحبه، ترقية النار في الظلمة للبصر، واجتماع العقليين ألف عند الناس وأقرب للواقع فإنهم يبتلون دائماً ترقية العقل المهووب، بما يكتسب من ممارسة واستفادة من تجربة وتكرار حصل علم الكتابة الذي نسميه الخط.

يقول الأستاذ محمد طاهر الكردي المكي في كتابه للقيم. تاريخ الخط العربي وأدابه:

إن الخط ملكة تتضمن بها حرفة الأتأمل بالقلم على قواعد مخصوصة وهذه الملكة تتزين بالتعليم وتقوى بالتمرين والاجتهاد. وليس كل خطاط قابلًا لأن يكون خطاطاً وإنما البعض دون البعض، إذ أنه من أدق الأشكال الهندسية. وحسن الخط كائن في بعض الأفراد كمون النار في الحجر، لما وهب الله تعالى من الاستعداد الفطري. فإذا ما اشتغل به نبي نبوغاً عظيمًا من غير كبير عناء ومن لم يكن فيه هذا الاستعداد للفطري لتحسينه فلا ورجى له للنجاة والوصول إلى غايتها، مماها بذلك فيه من الجهد وصرف من الوقت، لكن قد ينال فيه قسطًا لا ينأس به، إذ لكل مجتهد نصيب، ولكن نصيحته هذا لا يرفعه إلى الترجمة التي يصح أن يطلق عليه فيها لفظ خطاط.

لما الحداثة في الخط ليس جديداً، (كذا) فالتحديث هو قلب تربة التراث وخرس بنور جديدة محلية وعالمية ومبتكرة بحيث تحفل العناصر الأليلة للناس مع أن العناصر التي يترتب منها الخط العربي غير فاسدة ولا يمكن أن يتخلو في يوم من الأيام إلى شيء ثالثي ولكن لشدة صعوبتها ولجا بعض الآخوة الخطاطين إلى اختراع نماذج معينة باسم الحداثة، فتقى كل درجة من القواعد الأساسية المعروفة التي أرسى دعائهما خطاطوئاً الأسلام.

وفي هذه المرحلة يتدخل الوعي البشري بالإرادة والتوجيه والانتقاء تدخلاً يهدف في النهاية إلى تحرير طبقات التفكير والتخييل والتعبير توصلًا إلى إبداع طريف وابتکار جديد جريء يتجاوزان مشارف الفن إلى الإنسان، بما هو فرد ومجتمع وم مشروع حضاري ينمو بذاته، نحو بحر من الإبداع.

فالحداثة في الخط هي تجاوز وتوغل في شيء جديد يتم خلاله الاستفادة من الأشكال المستحدثة مما يجعل الخطاط يتذبذب ببعض الحرية بينما لا يمتلك التاجر نفسه من الحرية والتجاوز فيما يختص بالالتزام بجوهر القواعد المنصوص عليها.

ونظرًا لقابلية الحرف وطوابعه فهي قادرة على أن تحقق بالجمالية مما كانت صورتها، شريطة أن توفر الحرية الكاملة للحرف والاستفادة المعازية لبعض المعرفة التي تشتراك في الصورة والحجم. فقد قامت الكوفة بتحديث الصورة المربعة وابعدت فيها حتى عرفت بها، كما ساهمت في تحديد الخط الدائري الذي استعمل في التدوين العادي. وكان للبصرة خطها اللين ونافست فيه الكوفة. وانتقلت الحداثة بالخط إلى دمشق في عهد الأمويين. ونال الخط نصيحتي من التحديث في شمال الشام وعرف به خط النسخ في صورته المعروفة لنا الآن.

وأول من اشتهر بحسن الخط من كتاب الدولة الأموية /قطبة المحرر/ وكان أكتب أهل زمانه وهو الذي بدأ بتحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن، وينسب إليه اختراع أربعة أعلام جديدة في مقدمتها القلم الجليل وقلم الطومار.

كما قام الخطاط التركي أحمد قره حصارى الذى ولد سنة ١٨٧٣ هجرية، وهو تلميذ الخطاط أسد الله الكرمانى الذى سار على طريقة ياقوت المستعصمى ولكنه /أوغنى الخطاط قره حصارى/ جمع بين قواعد شيوخه الذين أخذ منهم فاستطاع طريقة خطية خاصة به، تجمع ما اختلف فيه من الخصائص والطرق التي بدا بها لولا ما اختلف عن طريقة الشيخ حمد الله الأمسى بعض الشئ.

وقد تميز هذا الخطاط بخطه الجلى وأخذ قلمه به وبرع في كتابته، وتشهد له آثاره الخطية بطول باعه وعلى منزلته، تمتها كتاباته في جامع السليمانية، قال عنه المحوتون الاتراك إنه يتبرأ منزلة الخامسة بين الخطاطين الأكطب في تركيا، وفي متحف الآثار الإسلامية التركية مخطوط له مكتوب فيه سورة الأكمام على الصحفات الأولى مذهبة بخط الثلث للتعزيل، وبعدها سورة بخط النسخ ومن ثمة سطور بخط الثلث التعزيل، ثم سطران بخط الثلث التغريف، وفي متحف توب كابى مصحف آخر له. كتبه بخط المحقق والراغبى.

ومن ابتكارات الخطاط قره حصارى في مجال التحديد لصورة الخط كلمة (الحمد لولي الحمد) وسورة الأخلاص بالخط الكوفى البسيط، ثم البسملة بخط جلى مبتكر.

توفي رحمه الله سنة ٩٦٣ هجرية وقد نافرَ التسعين وقد كتب شاهد قبره بهذه دون أن يكتب تاريخه، إذ تركه إلى من بيده الأعمار عالم الغيب.

ويقول الدكتور شوكى ضيف في كتابه، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر ط٧ أن الخط العربي حدث له التطور والتعمق في العصور الجاهلية، فقد كانت بها حياة تجارية مزدهرة جعلتهم يأخذون الخط المعينى أولاً ويتطورون به إلى خطوطهم للجهادية والشمولية والصنوفية، ثم لما ظهرت مملكة النبط واستخدمت الخط الأرامى وتتطورت به، وتفرق أهلها بعد سقوطها في داخل الجزيرة العربية وعلى طول طريق القوافل التجارية نشروا كلهم النبطى، فمجر عرب العجاز القلم المعينى وأخذوا يحاولون النفوذ من الخط النبطى إلى خطهم العربي الجديد مستحدثين به ضرورا من التطور حتى أخذ شكله النهائي.

ومعنى هذا كله أن الخط العربي نشا وتطور شمالي العجاز وأنه لا يرجع في نشأته وتطوره إلى بلاد العراق، فالعجاز هو موطنها وهو الذي نشره في محيط العرب الشماليين على طول التروب والطرق التي كانت تسلكها قوافل المكيين التجارية.

وفي العجاز انطلقت حادة الكتابة العربية على مراحل، وفي مرايا متعددة. وذلك في عصر البوة لشدة لزومها ولتدورن القرآن الكريم.

ومن الخطاطين الذين يملكون أرضية خاصة من الحداثة، الاستاذ الشاعر محمد سعيد الصكار الذي يأتي في المتقدمة، فهو الفنان الذى اخترق جدار الحداثة باكتشافه للتصوير الخاص لشخصيات الحروف لصنفها إلى شخصيات أليفه متربدة وأخرى مكابرة أو عدوالية، فأرسى قواعدها شيء يقرب ما بينه وبين الخطاط التركى أحمد قره حصارى على الرغم من المسافة الزمنية التى تتجاوز ثلاثة قرون فيما بين الاثنين.

ويأتي على نمط تجربته الإبداعية في الحرف الاستاذ الخطاط رافت جيش من المملكة العربية السعودية فهو يسرى على نحو مطابق لا يختلف فيما بينهما إلا إيمضاء التوقيع الأمر الذي يجعل الاستاذ الصكار فى شيء من الضيق والخارج.

ومن سورية الاستاذ الدكتور محمد غنوم الذى جعل من الحرف العربي سمعونية يتغنى بها في أشكال

فريدة، ويحاول أيضاً تجغير الإمكانيات الجمالية الاحتياطية للحرف العربي ليكتشف الجديد، فاتخذ الحرف ملذاً له في لوحاته التعبيرية وذلك من خلال حركة الخطوط وغزانتها على اللوحة مما أكسب الخط جرافية شاسعة من الشرق فاتخذت من بلد الغرب استراحة محارب، وتتميز لوحاته بنكهة خاصة لامتزاجها بالأصالة والتراث مضافاً إليهما تلك الذاتية المبدعة التي يقول عنها جوته /بان في كل فن صلة نسب، فإنك إذا رأيت فناناً كثيراً فلا بد أنه وعلى أحسن ما عند أسلائه وأن هذا هو الذي جعله عظيماً.

لذلك فالأستاذ محمد غنوم قدّم إلى الخط العربي مكتبة زاخرة من نتاج الحرف العربي بلوحات ناطقة يحس لها النبض ارتعاشاً والنفس انتعاشاً وللعين موسيقى سرمدية تسحره وتنقله إلى شواطئ الإبداع والخيال الخصيب.

أما الخطاط منير الشعراوي فإن حداثته ذات تجربة متفردة على الرغم مما يملكه الخط العربي من زخم هائل لأنواعه المتعددة يكتسب جمالية خاصة لكل نوع على حدة. إلا أنه متسلك بالخط السنبلني الذي يوحى بالجمود والتحجر فيفتر إلى جمالية الحرف من حيث الحبكة الفنية ومع أن الأستاذ منير الشعراوي يعتبر من التلاميذ المجدين لأشهر خطاطي بلاد الشام المرحوم بدوي الديراوي، إلا أنه لم يرث من أستاده تلك الجمالية الخاصة التي كان يتمتع بها.

ومن جمهورية مصر العربية الخطاط أحمد مصطفى الذي ينطلق من الحرف الساكن، من الكلمة الرمز الدالة على معنى معين إلى لوحة تحفل بالдинاميكيّة وتكتظ بالتأقضات وتسدير وتحبني ثم ترتفع ومعها المشاهد إلى أعلى، كأن الحروف على وشك القفز بلا انضباط، على وشك مغادرة اللوحة. وهو لا يقدم اللوحة على نحو مقروء وواضع، لأن ذلك سيحرمه متعة الغموض والإبداع، كما سيحرم المشاهد متعة الإحساس بين قطبي مبدع اللوحة والمشاهد، حيث يختفي الزمان والمكان وتبدأ رحلة اللاهابية، رحلة الأزمان واللامكان.

فالأستاذ أحمد مصطفى ليس خطاطاً فقط، بل هو فنان يحاول أن يعيد إلى الفن الإسلامي، علاقة الود المفقودة بين القلم والريشة، ويطبع في الوقت نفسه أن يجمع بين اللوحة والموسيقى مستندًا إلى أن الموسيقى هي أعلى أنواع التجرييد، واللوحة التجريידية هي خطوة للاقتراب منها ، وجمالية الخط العربي وربطه بالموسيقى ليس جديداً، وإنما الجديد أن نجد من يواصل الطريق باحثاً ودارساً لمدة تزيد على الأربعين عاماً، قرأً مرة، وبالمصادفة، كلماً لابن مقلة يعود تاريخه إلى عام ٩٠٠ م، وابن مقلة كما هو معروف كان خطاطاً وعالماً توصل إلى طريقة جديدة في الكتابة أطلق عليها اسم /الخط المنسوب/ نحتت تلك المصادفة /أحمد مصطفى/ إلى مواصلة بحثه ليستخرج بعد ذلك أن فهم النص العربي أقل أهمية من التأثير البصري الناتج، بل وصار يعتقد بأن العين الغربية أقدر على التمعن بأعماله، لأن الأجانب لا يبحثون عن معنى الكلمات ولا يحاولون قراءة الحروف.

ويؤكد الأستاذ أحمد مصطفى أن العلاقة وشيخة بين الحروف المتوازية أو المتدلية أو المبعثرة من جهة والشكل النهائي المقصود بألوانه من جهة ثانية.

فاللوحة في النهاية... دراسة خطية وهندسية غنية بيلقاع داخلي لا يلتقطه إلا من يريد من الرائبين. وهناك رأي في فن الخط العربي للمؤلفين المغاربيين صاحبى كتاب /ديوان الخط العربي/ وقصة الحضارة العربية في حروف جميلة، وهما: عبد الكري姆 الخطيبى، الأستاذ الباحث فى جامعة الرباط ومؤلف

لمجموعة من الكتب في الفكر والأدب، والدكتور محمد المجلميسي. الدكتور في طب الأطفال الذي ألف في الفنون الشعبية والفنون التشكيلية في المغرب، بمساهمة الدكتور عبد الغني العائلي في إنتاج ذلك الكتاب، في طبعة العربية، بكتابه بعض الصفحات الخطية، وهو دكتور في القانون وأستاذ لخط العربي يعرف المؤلفان من الخط العربي بأنه زخرفة، أي أنه نص في مرآة يعكس الحلم الخالص بالتزامن للغة من حقوقها البشرية، وتقديمها لم شكل فني. وبشكل أكثر تعبيراً، وأن الخط هو الفن الذي يعتبر نفسه متوفراً على هذه الصفة وكانتا على بنية متعرزة، ولو قواعد هندسية وزخرفية. وعندما نقول من قائم بذاته، فإننا نعني أنه يستطيع في تخطيده، نظرية في اللغة وللي الكتابة، وبين كل شيء فإن هذا الفن يدخل في نطاق البنية اللسانية وبشكل معجماً ثانياً للرموز، منحدراً من اللغة، إلا أنه يلعب بها، ويضاغها عن طريق حركة مرئية، ومن ثم فنحن نستبعد جميع التعريفات العامة التي تطلق من الخط على كل رسم تقائي أو تجروي يذكرنا بالكتابية دون أن يخضع لمصلحتها. ذلك أن فن الخط لا تكون له أهمية حاسمة إلا إذا اقترب باللغة. ومع أن فن الرسم يلتقي أحياناً بمنطلقات فن الخط، فإن هذين الفنانين يختلفان في طريقة إبراز الإشارة المستندة من الحرروف وكذلك في طريقة إبعاد الحياة عنها، فالخط “فن الكتابة” من غير شك، إلا أنه، ليس عملاً كونياً، ذلك أن كثيراً من الشعوب لا توليه عناية خاصة، لكن بعضها يعتبره فناً ساماً. فالاليابيون مثلًا يداً لرادوا أن يصفروا شخصاً بالجمالية والرقة كانوا إن له خطأ جميلاً.

كما تنسى للحرف العربي أن يقيم في كل مجال توافر له سواء أكان ذلك في صفحة من كتاب أم لوحة جدارية أم مقطع من حاتم في مطبى أم آنية معدنية أم زجاجة أم قطعة تماثل أن يقيم طبها انه المترهل والمتألق في آية كرامة أو حديث شريف أو حكمة لو بيت شعر يستظهر فيه مكرمة خلقية وأن يسعى دوماً لأن يكون حقيقياً بما يحمل من أمر في نشر فضائل الإسلام، فيبرز في أجمل صورة وعلى مستوى ما كان الإسلام يؤكد من الأهمية الكبرى لإنشاع القراءة والكتابية وكلّهما من بعض متممات دين المسلم.

فهناك من استخدم الحرف في تكرار ليقاعي عبر قوم ضونية أو لونية مسيفاسية ليوحى وبعد منظوري يلوح لك وكأنه منعكس على مرآة، وهناك من كسر الحرف وتدرج في رسم نماذجه وكان الواحد صدى للأخر في تسجام تكاملي، وهناك من شفت حروف كلماته بهدت كلها ظلالاً متلاحقة لزوية ثابتة تتخذ من الجمال رداء لأجمل فن عرفه للبساطة.

مصادر البحث

- الأدب الإسلامي بشتيه وعلميته عدنان علي رضا النحوي - دار النحوي - طرابلس.
- الفن والعقيدة عmad الدين خليل مؤسسة الرسالة - بيروت.
- مجلة الوحدة / العدد المزدوج ١٩٩٠ / ٧١٧٠ ل الرابط الحرف العربي في الفن التشكيلي. بذلت العبدري.
- المقت الفريد ج ٢ لأن عبد رباه الأنصاري.
- صحفة التأثيرات ج ٣ للأستاذ الشيخ محمد علي الصابوني.
- مجلة المعرفة العدد ٦٧ سنة ١٩٨٤ دمشق.
- مجلة المجلة الأعداد ٣٦٦-٧٠٢-٦٧٧-٦٧٨/٦٧٣ - بيروت.
- مجلة الراحة بيونه ١٩٨٣.



المسلمة بخطِّ الفارسي
للخطاط عكلة الحمد
- سوريا -



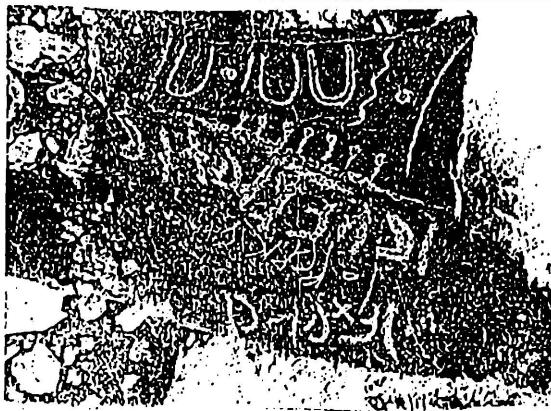
وأحسن كما أحسن الله إليك
/ قرآن كريم /
بخطِّ الثلث الجلي
لأشخص خطاطي بلاد الشام
المرحوم بدوي الديراني



يعلمون ما تفعلون / قرآن كريم /
بخطِّ ثلث جلي متناظر
للخطاط كاتب المقال سوريا.



نصر من الله وفتح قریب
/ قرآن کریم /
خط الدیرانی
محمد سعد حداد / مصر /



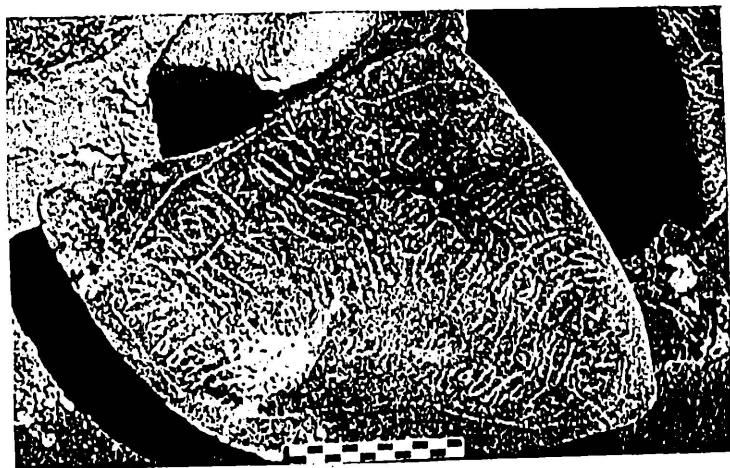
الصورة رقم ١٠

الصورة رقم ١٠



الصورة رقم ٢

| ٨ : ١ | C1.0 |



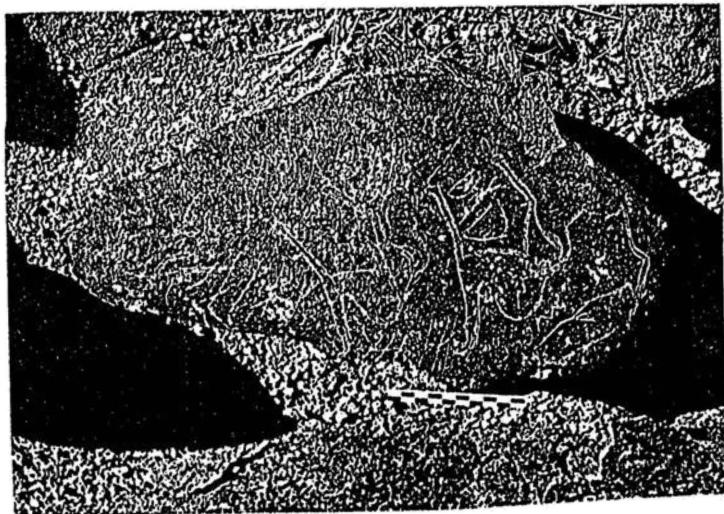
الصورة رقم ٣





الصورة رقم ٤

$\text{K}_2\text{O} \cdot \text{Na}_2\text{O} \cdot \text{CaO} + \text{SiO}_2$
 $\text{Al}_2\text{O}_3 \cdot \text{CaO} \cdot \text{Na}_2\text{O} + \text{SiO}_2$
 $\text{MgO} \cdot \text{CaO} \cdot \text{Na}_2\text{O} + \text{SiO}_2$



صورة رقم °





- ٢ -



اللوح رقم ١٠



اللوح رقم ١٢

جدلية القديم والحديث

ليس التقليد والإبداع

- القسم الثاني-

د. عمر موسى باشا

نشرت مجلة "تراث العربي" في العدد ذي الرقم ٧٠ "القسم الأول من دراسة د. عمر موسى نشرت" باشا، حول التقليد والجديد، والإبداع والتقليد بينهما. وفي هذا العدد تنشر للقسم الثاني والأخير من هذه الدراسة المهمة.

كان أمره، القيس بن حجر بن عمرو الكندي من أوائل من تحدث من الشعراء القدامى عن ذكرى الحبيب الأول والمنزل الأول في معلقته المشهورة التي وقف فيها واستوقف وبكي واستبكى. يقوله (٦٤):
فنا نبك من (ذكرى حبيب ومنزل) بسقط اللوى بين الدخول فومن

فقد غير الكندي الشاعر عن ذكرى الماضي القديم في أوائل عمره من خلال قوله: (ذكرى)، وفي هذه الدلالة رمز للمطلق من الماضي القريب أو البعيد، وفي هذين الفعلين الوقوف في الأمر الظاهري، والبكاء في الجوab الظاهري، مما يفسر لنا في الزمن الحاضر الزمن الماضي المتمثل في قصة ذكرى أيام الزمان.

ومن هذه الجدلية الشعرية في الشطر الأول من مطلع المعلقة الذهبية؛ تطالعنا قصة الشاعر وذكرة في ماضي الأيام في دارة ججل، وماجرى بها من أحداث مثيرة، وحاضرها بسقوط اللوى بين الدخول وحومل، يتضمن لنا ذلك كله في البيت العاشر من معلقته هذه، وقد بلغت واحداً وثمانين بيتاً، وهو قوله:

الارب (يوم) لك منهن صالح ولاميما (يوم) بداره ججل

(و يوم) عزرت للغارى مطبي فـيا عجبـا من كوزـها المـتعـمل

هذه الذكرى العزيزة على قلب الشاعر، هذا اليوم من أيام الماضي البعيد، هو أحسن هذه الأيام وأتها، ولا يوم من الأيام مثل يوم دارة ججل، يوم دارة الغدير، هكذا يتكرر ذكر اليوم ثلاث مرات في بيتين اثنين، ذلك لأنه يمثل هذه اللحظات السعيدة من حياة الشاعر.

هكذا يغدو أمره القيس أحد أوائل الشعراء الذين وضعوا أصول النهج في قصة الحبيب الأول، وتتمثل في حبيبه عزيزة ابنة شرحبيل، وقصة المنزل الأول المتمثل في دارة الغدير دارة ججل ويومه المشهود حين

عقر راحلته ونحرها، وجمعت له الإمام الحطب وأخذن يشווين له اللحم، ويشرب كؤوس الخمر متربعة، وسقاهم من هذه الخمرة....

ومن الحبيب الأول، ومن المنزل الأول عند أمرئ القيس وغيره من الشعراء إلى الشباب الأول لأنه متلصق حكماً بذكر الحبيب والمنزل معاً.

يؤكد ما نذهب إليه شاعر جاهلي آخر هو أبو كبير الهذلي، واسم عامر بن الحليل، فقد أبدع كل الإبداع في تقبيس الشباب الأول، ولا يُعرف من الشعراء القدماء من أنشأ أربع قصائد توجهها بذكر الشباب الأول، والشباب المدبر، المذكور مرتين، وشيبة المشيب المذكورة أربع مرات. يقول ابن قتيبة: «وله أربع قصائد، أو كلها شيء واحد ولا نعرف أحداً من الشعراء فعل ذلك»^(١).

أما مطلع القصيدة الأولى فقد خاطب بها ابنته زهرة مرخماً، ولا أعرف بين الشعراء من استهل قصيده بذكر ابنته، وفي هذا ستو أبيه يقوله:

أَزْهِرُ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ مِّنْ مَغْبِلٍ
أَمْ لَا سَبِيلٌ إِلَى الشَّابِبِ الْأَوَّلِ

ومطلع القصيدة الثانية:

أَزْهِرُ، هَلْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْ مَفْسِرٍ
أَمْ لَا سَبِيلٌ إِلَى الشَّابِبِ الْمَدْبُرِ

ومطلع القصيدة الثالثة:

أَزْهِرُ، هَلْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْ مَضِيرٍ
أَمْ لَا خَلُودٌ لِبَانِي مُنْكَرٍ

ومطلع القصيدة الرابعة:

أَزْهِرُ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ مِّنْ مَجْمِعٍ
أَمْ لَا خَلُودٌ لِبَانِي مُنْكَرٍ

قصائد أربع توجت بذكر ابنته زهرة الهذلي، روي الأولى اللام، وروي الثانية الراء من اسم ابنته، وروي الثالثة الفاء، وروي الرابعة الميم. ينذر أن الملاحظ هو ظهور الجدلية بين القديم والجديد. أما القديم فيتضخم في ذكره (شيبة) مكررة أربع مرات، وهو يتمثل في أبي كبير الهذلي، والشباب الجديد المتمثل في ابنته زهرة، لا الشباب الجديد الأول.

هكذا يتجلّى إبداع الهذلي في جدلية القديم والجديد في أربع قصائد جاهلية مما لا نعرف له نظيراً في التراث العربي القديم.

ومن للشباب الأول، إلى روضة الشباب، وقد صار هشيمياً، وذلك في هذه الصورة لفنية للشاعر أبي تمام يقوله:

أَصْبَحَتْ رُوْضَةً الشَّابِبَ هَشِيمَا
وَغَدَتْ رِيْحَهُ الْبَلِيلُ سَنْعَوْمَا

شَعْلَةً فِي الْمَطَارِقِ مَسْتَوْدِعَتِي
تَسْتَثِي الْهَمُومُ مَا لَكَنْ مِنْهَا

صَدَداً وَهِيَ تَسْتَثِي الْهَمُومَا

ذلك هو للشباب الأول في شعر أبي ذؤيب، وهذا الشباب الهشيم، وقد صوحت أزاهيرة شعلة المشيب فأصبح رماداً تذروه ريح الزمان وأعاصير الدهر.

المنزل الأول

قصة المنزل الأول وحبن الإنسان إليه مهما تباعد، وقصة الحبيب الأول وتسوق الإلف إليه وإن كان بعيداً، معروفة لأن الشعراء وغيرهم، ذلك لأنهم تحتنوا عن هذه الجدلية في الماضي والحاضر في معانٍ كثيرة وأغراض مختلفة، لذلك كان الاهتمام بالبيار والمنازل عامّة، والمنزل الأول خاصة، وكان الاهتمام أيضاً بالصواحب والأحباب عامّة، والحبّيب الأول خاصة.

هكذا كانت جدلية المنازل والبيارات العافية عامّة، يتبّع أن للمنزل الأول قدسيّة راسخة في أعماق النفس الإنسانية، وكذلك ذكرى الصواحب والأحباب عامّة، يتبّع أن للحبيب الأول منزلة راسخة في أعماق القلب والوجودان الحي.

من ذلك قول الشاعر الطاني الأكبر أبي تمام في مقطوعة رباعية استهلها بالتحدث عن الـبيـنـ الذي جـرـعـهـ نـقـيـعـ الـخـنـظـلـ،ـ وـخـلـصـ إـلـيـ قـوـلـهـ (١٥):ـ

والـبـيـنـ أـنـكـلـنـيـ وـإـنـ لمـ أـنـكـلـ	الـبـيـنـ جـرـعـنـيـ نـقـيـعـ الـخـنـظـلـ
حـمـرـاتـ قـلـبـيـ أـنـتـيـ لـمـ أـفـعـلـ	مـاحـسـنـتـيـ إـنـ كـدـنـ أـقـضـيـ إـنـماـ
مـاـحـبـ إـلـاـ لـلـحـبـبـ الـأـولـ	نـقـلـ فـوـادـكـ حـبـثـ شـتـ منـ الـهـوـيـ
وـحـبـنـيـ أـبـدـأـ لـأـولـ مـنـزـلـ	كـمـ مـنـزـلـ فـيـ الـأـرـضـ يـالـفـهـ الـفـتـيـ

هكذا يطغى على الشاعر حبه للقديم، وهو أول حبة عرقه في حياته، ويبيّن هذا الحب الأثير متمنكاً في نفسه لا تغيره الأيام والسنون، ولا يصدّعه أو يطغى عليه أي حبّ جديد أو هوئي حادث، وقد مثل ذلك في هذا التصوير الفني والتمثيل البلياني، والتشبّه الضمفي في هذا المقام الأول الذي شهد تفتح الإنسان على الحياة، فكان مرسوماً في ذاكرته وكامناً في أعماق نفسه، وحياناً في هيكل ذاته.

أبرز الجرجاني في أسرار بلاغته من خلال بيانه أهمية التمثيل البلياني وتأثيره فذكر "أن أنس النفوس موقف على أن تخزجها من خفي إلى جلي، وتاتيها بصريح بعد مكني.... فلهذا يحصل بهذا العلم الآنس من جهة الاستحكام والقوة، وضرب آخر من الآنس، وهو ما يوجبه تقدّم الإلف كماقول: (ما الحب إلا للحبيب الأول)، ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولاً من طريق العواس والطياع، ثم من جهة النظر والرواية، فهو ابن أنس بها رحماً، وأنوى لدتها ذمماً، وأقدم لها صحبة، وأندقتها في الشيء مشبهاً بمعنه عن الدرك بالعقل المحسّن، وبالفكرة في القلب إلى ما يدرك بالحواس، أو يعلم بالطبع، وعلى حدّ الضرورة، فانت كمن يتولّ إليها للغريب بالحريم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم فانت إذن مع الشاعر"(٦٦).

ومن الغريب العجيب حقاً أن الشاعر نفسه كان يجمع بين طرفي الجدلية الزمانية، فيستتره فيرض الإبداع الإنساني، وينسيه القديم التidi الأثير عنده، والمتمثل، في ذلك المنزل الأول، وذلك الحبيب الأول حين يطغى عليه صوب العقل المبدع ليسقي بدم الذكرى أطلال المنزل الأول لهذا الحبيب الأول، ويؤكد الشاعر الطاني هذا كله في قوله (٦٧):

حياضك عنه في الصور الذاهب ولو كان يقى الشعر أفقاه ما فرنت

سحاتب منه أعقبت سحاتب

ولكنه صوب العقول إذا اجلت

يقول التبريزى في شرحه: "فلا كان الشعر يقى لقنى من أجل ما مدخلتم به في الدهر القديم، فهذا هو الوجه".

كان إعجاب أبي العلاء بهذين البيتين كبيراً جداً لأنهما يمثلان فيض الإبداع الشعري عند الشاعر الطائنى، فقد خاطب عنترة في غفرانه مقارناً بين مطلع معلقته المذهبة السابقة: (هل غادر الشعراء من متربم؟!) وصوب العقول عند الطائى أبي تمام.

ويثور الشعراء المحدثون المتأخرن على المتقدين المبدعين، وربما كان تأثر عصرهم عقدة نقش تسارعهم فيما يتعلق بآيدياتهم ومكانتهم الشعرية. وهكذا تتغلل جدلية القديم والجديد في معانى الشعراء المتأخررين تغللاً جوهرياً، فتفدو قصة المنزل القديم والبيب الأول مأثورة يتعاور معانها الشعراء المتأخررون. ومن ذلك قول الشاعر الصفى الحلى السنسي الطائى الثالث الأصغر بعد الطائين أبي تمام والبحتري العباسيين يهزأ من قول الطائى الأكبر ويثر عليه قائلاً: (٦٨).

فاصرِفْ هوكَةَ عنِ الْبَيْبِ الْأَوَّلِ	لَا بِ الْبَيْبِ الْأَوَّلِ
تُنسِيكَ ماضِيَ العِيشِ بِالْمُسْتَقْبِلِ	وَدُعَ الْعَتِيقَ فَلَلَّادِيدِ حَلَوةً
فَقُنْنَ الْمَلَاحَ عَلَى حِسابِ الْجَمَلِ	أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الْحِسَابِ أَخْرَهَا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مَرْسَلٍ	أَنْشَكَ فِيَنَ النَّبِيِّ مُحَمَّداً

والملاحظ أن الشاعر الحلى أورد في أبياته الأربع ثمانية مصطلحات هي (الأول) مرتين، و(العتيق)، وهو في الاصطلاح اللغوى "القديم من كل شيء حتى قالوا: رجل عتيق، أي قديم"، و(الجديد)، و(الماضى)، و(المستقبل)، و(الأخير)، و(الآخر)، وهذه كلها تتنظم في جدلية القديم والجديد، بالإضافة إلى المستقبل، والملاحظ أيضاً أن الشاعر أبرز الصراع بينهما، فقد ذكر في الشطر الأول القديم ودعا إلى هجره في الشطر الثاني، وأكد ذلك في الحيث على ترك ذلك، ثم اختتم ذلك كله بالتعني بالجديد المحدث الذي يطغى على المرء نفسه، فينبئه ماضيه بالمستقبل الموعود الذي سيتحقق له آماله المرتجاة، لكنه لم يكتف بذلك كله وإنما يؤكد صحة نظرته بأسلوبين:

أولهما: أسلوب منطقى يعتمد على تسلسل المراتب العددية الهندية من اليمن إلى الشمال. أولها وأدنىها ذات اليمن، وأكثرها وأعلاها ذات الشمال، ثم يطلب بعد هذا العرض التمهيدى أن نعتمد حساب الجمل في حب الغوانى والملاجـ.

ثانىهما: أسلوب نفسى يعتمد على استخدام الدليل الدينى في نكره النبي محمد (ص)، فهو أفضل التنبين، على الرغم من أنه آخر الأنبياء المرسلين، لأن الحقيقة المحمدية كانت منذ وجود آدم. وهكذا تقدو الحداثة النبوية دليلاً جديداً دينياً على تقدس الجديد وتفضيله على القديم، ولابد من الإشارة هنا إلى أن الحداثة النبوية جمعت حقائق التراث الإنساني كله للأديان جميعاً، من لدن آدم، عليه السلام، فكان الرسول الأعظم (ص) رحمة للعالمين جميعاً.

ويستخدم الشاعر أيضاً رقوم الأعداد الهندية في المناهج النقدية الجديدة لفكرة الإبداع وتقسيم المبدعين من المحدثين بقوله (٦٩):

من التضليل وندرى حقوق مكتوب	مكانة النفس مني حقوق مكتوبها
قد كان قلبي في ماضي الأسطoir	لكن تأخر بي عصري وقد تم من
علو مرتبتي إفراد تأثيري	كاثني من رقوم الهند أوجب لي

كان الشاعر يؤمن بمنزلته العليا، وهو الطائي الثالث، ويؤكد وبالتالي أن قدره السامي يسامق لأدار السابقين والمعاصرين، بينما أنه يستدرك حكمه متربداً لكونه من المتأخرین، والمعلوم أن ميزان الفضل للمنتقدمين، وهم الذين خلدهم الزمن، لكن هذا كله لا يدفع في وجهه نظره من مكانة النفس المبدعة، وأنه لا يقل عن المنتقدمين إطلاقاً، ويدلل على صحة رأيه مستخدماً التشبيه التمثيلي الضمني من خلال تسلسل الرقامون الهندية، وبذلك يعلن الشاعر الإبداع عند المحدثين والمتأخرین.

ونقف أخيراً في المنزل الأول عند الإمام الغزالى، صاحب إحياء علوم الدين، فهو يرمز من خلال تصوّقه إلى الهوى القديم في التقويم بمصحوب أول منزل، ويصرّح معرضاً ومعرضًا عن الهوى المحدث، وهاجراً الهوى والتقرّن بليلى وسعادى. بقوله:

وغضت إلى مصحوب أول منزل	تركت هوئى ليلى وسُعَدَى بمعزل
منازل من تهوى روبيك فنزل	وأنشد بي الأشواق: مهلاً فهذه
لغزلى نساجاً فكسرت مغزلى	غزلت لهم غزلاً دقائقاً فلم أجد

وما أجمل قول الغزالى في بيته الأخير مجازاً في (غزلت) و(غزلاً) و(غزلي). وحقاً فإنه كان نساجاً ماهراً يغزل غزلاً دقائقاً، وهو يجاسس بين حروف اسمه وألفاظ شعره.

لقد أزمع أمره على هجر كلّ من يعرفه ويحبّه لأنّه يتنقى أن يصنّي جوهر المطلق من كلّ عرض حادث وهو جديد محدث، وهذا هو حقّ المخاض النفسي العسير لأنّه يمثل هذا الصراع المستديم بين جوهر القديم المطلق وعرض الجديد المحدث، ويفرق من ثمّ في هذه المواجه السلوكية، والشطحات الصوفية على اختلاف الأحوال.

هكذا كان الصراع محتملاً بين سور التقليد وحرية الإبداع من خلال جذالية القديم والجديد، وتمثل في عدّة ظواهر فنية، في المعنى والغرض الشعري والنّظرة النّقدية والمذهب الفني.

رهوز صوفية

أبرز ما يلاحظ أنّ أسطورة المنزل الأول أصبحت المنطلق في خضم فلسفة القديم الجديد، وغداً هذا المنزل التخلّل رمزاً صوفياً أصلّاً كما توضّح لنا في الإشارة إلى (ضمونون أول منزل) عند الإمام الغزالى بينما أنّ هذا المنزل الأول قد تغيّر وتطرّز عند هؤلاء المتصوّفة، فأصبح الرمز الأول للمنزل المخلّد الأبدي في دار القرار والبقاء، وهو المذكور في حكم التزير القرآنى: (يأقوه إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) (٧٠)، ودار القرار هي المقصودة بالمنزل الأول الذي يتغنى به المتصوّفة وهكذا قلبت هذه

الأية مفهوم المنزل الأول عند الشعراء ليصبح دار القرار في الآخرة.
أما ابن قيم الجوزية فيتحدث عن المنازل الأولى جمماً، لأن فيها المخيم، فقد ابتدأ بقول النبي، صلى الله عليه وسلم، لعبد الله بن عمر، رضي الله عنهما: كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل؛ وعلق على هذا الحديث النبوى، بقوله: «هذا هو في نفس الأمر ل أنه أمر أن يطالع ذلك بقلبه ويعرفه حق المعرفة، ولن من أبيات في هذا المعنى(٧١):

(منازل الأولى) وفيها (المخيم) نعود إلى أوطاننا ونسالم؟ لها أشح الأعداء فينا تحكم؟! وشطط به أو طفه ليس ينفع من العمر إلا بعد ما يتألم	وحي على جناته عنده فلتتها ولكننا متبني العدو فهو ترى وأي اختزاب فوق غربتنا التي وقد زعوا أن الغريب إذا نسي فمن أجل ذا لا ينعم العبد مساعة
---	--

هذا يسمى ابن قيم الجوزية في أبياته الخمسة السابقة ستوا إنسانياً، يعيده إلى صفاته الذاتي، وبقائه المتمثل في تلك المخيم الأبدى، وهو المقام في منازل الإنسان الأولى المخلدة، وتتضمن من خلال تلك جملة الزمن المرمز إليه بهذا العمر المتقلب بين النعيم والجحيم، والتعمق والتآلم، وهذا تقلب هذه الجملة من صيغتها السلبية إلى صيغتها الإيجابية، وتطرد ساعات العمر من خلال الإيجاب السليمي، إن صح التعبير.

كماكثر تحدث الشعراء والمتصوقة عن القديم والجديد أيضاً، ذلك لأن الرموز الصوفية، وطبيعة الشعر.. تجعلهم حازرين بين سراب الماضي الذي طوره الأيام، وهذا الحاضر الذي يستبدل بهم، ولاستima الشعراء المتصوقة، وربما كان الشاعر ابن الفارض متن وحد مفهومي القديم والجديد مما توحيداً صويفاً اعتماداً على جملة الوجود الكوني.(٧٢).

حديث قديم في هواها وما له

إن جديد حديثه في الهوى قديم أصيل، فهو يجمع الوجود من طرفيه، تلك لأن تقيمه حديث طريف، وحديثه قديم ثيد، وليس بعد هذا التوحيد المطلق قبل سابق، ولا بعد لاحق، فيبعد قبل، وقبيله بعد..
لقد اقتدى الشعراء المتصوقة وغيرهم بابن الفارض، وأكروا هذا المعنى كثيراً في اشعارهم، نذكر منهم، على سبيل المثال، المكزون السنجاري، فقد تحدث عن وجده وهواء، من خلال هذه الجملة، بقوله: (٧٣).

لقد اقتدى لك بالزبدة كلَّ إن تحدث بين الورى ومسلمح إن حدثوا	في هواك ولو عتي فلذاك كلَّي السن بحديثه
--	--

يرى الشاعر المكزون أن جهه قديم، وأن لوعة هواه حديثة تتجدد. فهي تمثل في نظره نزعة تطورية، إذ تندوكل لحظة حداة ترتبط بهذا القديم وتعلق به.

يتضمن الأمر نفسه عند الشاب الظريف، شمس الدين محمد، وهو ابن الشاعر الصوفي الكبير عنيف الدين سليمان التلمساني، شاعر الوحدة المطلقة، وقد قال في هذا المعنى(٧٥):

حديث غرامي في هواك قديم وفرض عذابي في هواك نعيم
--

وَمَا الْكُونُ إِلَّا صُورَةٌ أَنْتَ رُوحُهَا
وَجَسْمٌ بَعْدَ الرُّوْحِ كَفَ يَقُولُ؟!

تمثل الجدلية عند الشاعر في ذكره الكون، كما أنه يرمي إلى العدم المفهوم من المعنى في البيتين، ومن خلال هذه الجدلية الأبية، لا الفلسفية، في نعيم حبه، وجحيم عذابه يتحدث عن القديم والحديث، هذا الحديث الشائق، وتقدو الكونية نظرية شعرية جدلية بين القديم والجديد.

تطورت هذه الجدلية عند هؤلاء المتصوفة، ولأسباب المتأخرین منهم، فنجد مثلاً الصوفي الأكبر (أستاذ الأساتذة) عبد الغني النابلسي يشير إلى وحدة الوجود، وكأنما كان يعني بها الجدلية الحديثة في الفلسفة، وذلك من خلال قوله (٧٦):

فَقَطْعًا بِكَثْرَةِ الْمَوْجُودِ
كَنْ عَارِفًا بِوَحْدَةِ الْوَجْدَ
وَخَلْصَ النَّبْتِ مِنْ مَفْقُودِ
وَمِنْ الْحَادِثِ مِنْ قَدِيمِ

والملحوظ هنا اقتران الحادث بالقديم الأصل، والثابت بالمحفوظ وهذا المعنى نفسه هو الذي سبقه إليه الشعراء المتصوفة من قبل يضاف اقتران القديم بجدلية الوجود والعدم، والأرض والإنسان، وهكذا تتضمن لنا من خلال ذلك كله أهمية التصور في الفلسفة الجدلية، والحقيقة الوجودية بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهكذا يتولد من ذلك كله القديم والجديد، وما بين القديم والجديد، والقديم الجديد، والخلق الجديد، فكل من هذه الصيغ الأربع دلالة خاصة بها.

ومن هذا المنطلق الجدلاني أبرز ابن حجة هذا المعنى في خزانته، والمعرفة بتقدم أبي بكر، كما نعتها أصلاً، بقوله: «يعلم من تترى في هذه الحادث الزاهرة أن مارباع الآخر من ربيع الأول يبعد، وإذا تحقق أن لكل زمان بديعاً تتحقق بلدة الجديدة» (٧٧).

وضحت ابن حجة قوله هذا مستطرداً: «وهنا بحث لطيف، وهو أن الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرین ليس فيه نقص لأن البديع أحد العلوم الستة...».

الملحوظ أن ابن حجة قد تتمثل من خلال شهرين اثنين، وهما ربيع الأول، وربيع الآخر، وهما معبران عن الزمان، فاتخذهما منطلقاً عاماً للقديم والجديد معاً، أن ربيع الزمان مصدر للقديم المتمثل في (الأول) والجديد المتمثل في الآخر، وببقى للجديد الآخر لإدعاة المتميّز، إذ نتعه بلدة الجديدة، للكل جيد لذلة، وهذا السرُّ في فلسفة اللذة في الإبداع الإنساني، وهكذا يبقى الإبداع سواء عند المتقدمين وعند المولدين، وبنفس القضية نسبة لذمة ملاحظة دقيقة وهي أن ابن حجة مثل الإبداع بالربيع تشبيهها، يبتئ أنه قدم الإبداع في ربيع الآخر على إدعاة في ربيع الأول، فلكل جيد لذلة التغيير والتأخر الزمني، ومن هذا المنطلق تقف عند السلف والخلف، وال موقف من الحادثة والإبداع.

السلف والخلف

لم يقتصر الجدل بين القديم على مسابق ذكره، وإنما تجاوزه إلى الاجتهدان عند الفقهاء، وهل يجوز للتابعين وتبعيهم أن يجهدوا فيما لم يرد فيه النص عند الصحابة والفقهاء السابقين.

يقول شيخ الإسلام الشوكاني: «وبعد، فإنه لما شاع على ألسن جماعة من الرعاع اختصاص (سلف) هذه

الأمة ببارز فضيلة السبق في العلوم دون (خلفها) حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة تعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة، كما نقل عن البعض، وبعد المائة السابعة، كما زعمه آخرون، وكانت هذه المقالة بمكان من الجهة، لا يخفى على من له أدنى حظ من علم، وأنذر نصيب من عرفان، وأحرق حسنة من فهم، لأنها تضر للتنصل الإلهي، والفيض الرباني، على بعض العباد دون البعض، وعلى أهل عصر دون عصر، وأبناء دهر دون دهر، بدون برهان ولا قرآن...” (٧٨).

أمر هام خطير، على جانب كبير من الأهمية في وصف هذا الصراع بين القديم والجديد المتمثل في السلف والخلف، وتتضح فيه الثورة الفكرية للنصرة الجديدة في فهم الفقه أولاً، وفي آفاق الفكر الإنساني المبدع ثانياً، والملاحظ أن الشیخ الشوکانی تعرّض لقضية الاجتهاد في الفقه، وضرورة النظر في بعض أحكامه مما لم يرد عليه النص صراحة، ثم استطرد بعد هذه الخطبة المطولة يقول: “يلعلم صاحب تلك المقالة أن الله، وله النعمة قد تفضل على (الخلف) كما تفضل على السلف، بل ربما كان في أهل الصدور المتأخرة من العلماء المحبيين بالمعارف العلمية، على اختلاف أنواعها، من يقل نظيره من أهل العصور المicontنة...” (٧٩).

وما أثبته اليوم بالأمس، فنحن مازلنا نذكر الجدل في قضية الفقه الجديد، أو تجديد الفقه بين عالمين من علماء هذا العصر، وهذه المسالة هي موضوع الجدل والجدال بين السلف والخلف، وبين المتعاصرين أنفسهم، وهذا مظهر من مظاهر الجدلية بين القديم والجديد.

حداثة الإبداع

هكذا طرحت قضية القديم والجديد من قبل، وطرحت كذلك القضية نفسها حدثاً، وكان أستاذاني الفاضل المرحوم شقيق جيري شاعر الشام، من أوائل من طرحها من المعاصرین والمحدثین في بلاد الشام والوطن العربي بشكل مفصل قبل سبعين عاماً أو تزيد، كما طرحت في الوقت نفسه بمصر، أرض الكنانة، وذلك في مقالة هامة مؤلفة من إحدى عشرة صفحة، قدم بها ديوان شاعر العاصي صديقي المرحوم بدر الدين الحامد سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م.

استهل جيري تقدیمه بقوله: “إن لي نفساً تحب الانطلاق من كل قيد، فدعني أرسل الكلام على طبيعته، وأذكر من الأدب ما يتيسر ذكره في مثل هذا المقام.”

واستطرد يقول: “استعنفك من إطالة البحث في الأدب، فاسمح لي بأن يكون بحثي أشبه شيء بأحاديث يتساقطها أصدقاء يضمهم مجلس واحد.”

واستطرد يقول بعد ذلك التقدیم: “أشغل شيء لأدباء هذا العصر إنما هو القديم والحديث، ولقد جال كتاب مصر في هذا الميدان كل مجال، حرصن بعضهم على الأدب القديم، وتفننت طائفة منهم بالأدب الحديث، ولعمري، ما هو الأدب القديم؟ وما هو الأدب الحديث؟! وهل من أثر في الحقيقة لهذين الأدبين؟! القديم كان حدثاً في عصره، والحديث في هذا العصر سيكون قدماً في عصر غير عصرنا، فإذا قلنا: الأدب القديم، فإن قولنا هذا نسبيّ” (٨٠).

وقد علل ذلك بقوله: “ولكن الذي يختلف فيها إنما هو طراز إنشائها، أي الذي يختلف فيها إنما هو الفن ليس إلا، والأفكار واحدة، لم يغادر الشعراء من متردم..”.

وقف شقيق جيري مطولاً عند هذه المعركة، وما فعله الهدامون من أنباء العصر الذي أعيشت أيامه بوارق الحداثة، فجعلتهم يهاجمون أصلالة التراث العربي بقوله: «وكذلك بعض رجال الأدب في هذا العصر، فإنهم هدموا بناءً لأنهم القديم، ليشنوا لهم أنبياء حديثاً بحسب لوضع هذا الزمن، فالأدب، في الحقيقة، واحد لم يتغير، وإنما الذي يتغير فيه الفن، أي أصول الإقصاص عن عاطفة من العواطف، أو طرق تصوير فكر من الأفكار...».(٨١).

واستطرد جيري مبدئياً رأيه في هذه القضية النقدية بقوله:

«ليس في الأدب، على ما أعتقد، قديم وحديث، وإنما هي أفكار إذا عرضتها في معارض من القول مناسبة لأوضاع العصر كانت حديثة، وإذا أبرزتها في حتى من الكلام مخالفة لأحوال زمانك كانت غير حديثة...».(٨١).

كما تأمل جيري بعد هذا المطاف الطويل من القول برأي المفكر الفرنسي أناتول فرنس: «أي الرجال يستطيعون أن يغدر بهن فكر في أمر لم يفكرون فيه غيره؟ فالأديب يعلم علم اليقين أن الملك الناس بأجمعهم، فلا يقدر أحد أن يقول: (هذا الفكر لي). الأديب يعلم أن قيمة الأدب بالقلب الذي يفرغ فيه هذا الفكر، فإذا رأى فكرة في قلب حديثها هذا هو الفن كله، وهذا ما يستطيع البشر إبداعه وإنشائه، ليس الفكر بملك من يبدعه، وإنما هو ملك الذي يبنّيه في أذهان الرجال».(٨٢).

لقد تبني شاعر الشام جيري رأي أناتول فرنس، فإنه كان يرى رأيه، ذلك لأن شروط الفن من زمن هوميروس لم تتغير حتى يومنا هذا إلا قليلاً، وعلى ذلك بقوله:

«أناتول لا يخطر بباله أن هذه الشروط تتغير كثيراً من هذا اليوم حتى يوم القيمة».

هذه المقدمة النقدية الجبرية على غاية من الأهمية في ميدان النقد العربي الحديث، فقد عبر فيها جيري عن هذه المعركة الأدبية الحديثة بين أنصار القديم وعشاق الحديث في كل زمان ومكان، والمعيار النقدي عنده هو جوهر الإبداع في الفن التعبيري والإقصاص عن العواطف، وتصوير الأفكار مستشهدًا بقول الإمام علي (ع): «لولا أن الكلام يعاد لنفسه، وفي هذا القول فضل الخطاب».

لا انفصام إذا بين القديم والجديد، كما أنه لا انفصام بين السابقين واللاحقين، فكل قديم جديد، ولا يتولد الجديد إلا من القديم، ومن هذا المنطلق النقدي في أواصر العلاقة بين القديم والجديد يمكن فهم قول أمين الخولي: «قتل القديم فهماً أول كل جديد»، فعلينا من هذا المنطلق أن ننتكون من القديم فنتبرّر تراثه التليد لاستطاع الخوض في خضم الإبداع بذلة أنا يجب الانجمد ولا تنحرج على القديم، إنما يجب أن يكون هذا سبيلاً إلى سلوك دروب الابتكار والتشوف إلى آفاق الإبداع.

يضاف إلى آراء جيري والخولي مقالة لأحمد زكي نشرها قبل أربعين عاماً في عدد ممتاز لمجلة الملال عن (الجديد) والمقالة بعنوان (دفاع عن التقديم) وتتضمن مناقشة موضوعية عن مفهومي القديم والجديد، وربطهما عند بعضهم، بالرجوعية والتقدمية، وعلى ذلك كله بهذه الجدلية الموجودة في الحياة الإنسانية، فقال: «وأكثراً أصول الحياة ثابت لا يتغير مع الزمن، لبت الحياة ثابت على تتابع القرون، وإنما يتغير قشر الحياة ومظاهرها وأشكالها، فالحب في صميمه ثابت، والفضيلة في صميمها ثابتة، والحسن والطبع في جواهرهما ثابتان...».(٨٣).

ويستطرد أحمد زكي إلى القول: "فالحياة قديمة، والفناء قديم، وهو يعتران أهل الأرض الحبيثين والأقدمين، ومن القديم يفهم ويتعلم المستجد..." (٨٤).

ويخلص إلى قوله أخيراً: "وجرى الترتّب فيه بالرّبط بين القديم والرجعية، وبين الجدة والتقدّم، ولقد جانت ذلك الرباط، لأنّه رباط برغم العرف، مقطوع. إنه رباط غير مقدس، لا يباركه فكر ولا يقوم على منطق" (٨٥).

أبرز ميالاً لخط في قول الدكتور زكي أنه قد استخدم لفظ (الثابت)، وهو الذي استخدمه من قبل الصوفي النابليسي في قوله: "وخلص الثابت من مفهود"، وقد دافع عن القديم حين رأى بعضهم يقرن القديم بالرجعية والجدة بالتقديمية، ويبعدوا أن هذه النظرة وهذا التوجه قد ظهر في مرحلة الأربعينيات من هذا القرن في خضم الصراع بين الأصالة والحداثة في النظرة إلى التراث العربي القديم وتقويمه النقني، كما لاحظنا أنه عبر عن ذلك في دفاعه، ونفي وجود هذا الرباط الموهوم بين فكرة الرجعية والتمسك بالأصالة الموروثة والترااث العربي، ولذلك نراه يختتم مقالته القيمة بقوله: "إن الشيء القديم قد يحسن، ولا يستطيع فوات الزمان أن يغير من حسنه، والشيء الحديث قد يسوء، ولا يستطيع حداته أن تقلل من سنته" (٨٦).

يعني هذا الاتجاه الهام في نظر الكاتب أن القديم والجديد، والجيد والرديء متداخلان، فقد يكون من القديم ما هو رديء، وقد يكون من الحديث ما هو جيد، وهنا يبطل عند بعضهم بقصره الحديث أو الرديء على أحدهما دون باعتبار الزمن، وهنا لا يوجد أي ارتباط بين هذين المفهومين خيراً أو شرراً، وإنما يجيئا أو سلباً، وإنما الخير كامن فيما معاً وكذلك الشر، والأصل هو الإبداع في القديم وفي الجديد معاً، ذلك لأن الجديد سيغدو قديماً وتلك هي سنة الحياة التطورية.

ومما يسترعي الانتباه حقاً في مقال الدكتور أحمد زكي موقفه من هذا الربط الاجتماعي والجدة من خلال التقديم والتقديمية، وقد أنكر كل الإنكار هذا الربط الملهل لأنّه غير واقعي وغير منطق، فهو مرفوض حكماً في نظره وغير مقبول، وربما فاته أن القديم والتقديمية مشتقات من جذر لغوي واحد، وهو القاف والدال والميم، وهذا يؤكد وبالتالي الوحدة الوجودية في الجدلية الكونية، فلا يكون التقدم الحديث الجيد، أي التقديمية، إلا من خلال تمثل القديم الخير ليتمثل الإبداع الجديد في منهجه التطوري المحدث.

الظامامة والعصامية

هكذا يتضمن من خلال هذه النظرة الاجتماعية سلوك الإنسان ذاته ونفسيه الالكمالية، وافتخاره بالسابق الصالح من أبياته وأجداده السابقين، واعتداده بما وصل إليه وحصلته.. بجهده الذاتي وعرق جبينه، فبني عزه ومجد الشخصي، وحقق أماله. وفي أقوال العرب المأثورة، وأمثالهم التقديمة المشهورة: "قلان عصامي" وعصامي، أي شريف النفس والمنصب وفي الأمثال العربية المعروفة أيضاً: كن عصاماً ولا تكون عظامياً. وشرح هذا المثل بقولهم: "قمدح العصامي لاعتماده على نفسه في حاضره، ونم العظامي لأنكاله على غيره في ماضيه"، لأنّه متن يفتخر بالعظام النكرة كما شرحه ووضحه شارح القاموس المحيط (٨٧). كما ذكر اللغويون أن المراد بالمثل السابق قول الشاعر (٨٨):

نفس عصام سودت عصاماً وصنتئه ملماً هماماً

وعلّمه الكر والإقداما

يضاف إلى ذلك القول العربي المأثور: "ماوراءك ياصمام"؟ وقلوا: هو اسم صاحب النعمان بن المنذر، وهو عصام بن شهير الجرمي (٨٩). والملحوظ أن الاستفهام في هذا التساؤل الاستههامي: (ماوراءك؟) يوحى بالتعجب، ويشير إلى أحد طرفي الجدلية، وهذا النداء في قوله (ياصمام)، يشير إلى طرفها الآخر، وهو رمز الحاضر.

هذه الأقوال المأثورة كلها تؤكد الصلة الاجتماعية بين جملة الماضي والحاضر، وتوضّح بالتالي ارتباط الإنسان بها في نظره الزمني. والجديد هنا أننا رأينا الارتباط السلوكي في موقف الإنسان نفسه، وحكمه في العظامية الاتكالية، ضمن منظور الماضي الغابر، والعصامية الإبداعية ضمن المنظور التطوري، حاضراً أو مستقبلاً، في إطار الحداثة الجديدة ومنهجها التقدمي.

هكذا يبقى الصراع أبداً في جملة القديم والجديد، وبين الإنسان القديم الجديد هذا الرمز الخالد، تواصلاً ومتشارقاً، بنزعته الذاتية إلى طفولته الحلوة، وإلى أيام صباه الغضن، فهي ماثلة أمامه ومصورة في ذهنه، لها قدسيتها وجمالها ورسوخها في النفس الذي هيّبت إليه من محل الأرفع.

الكوني والكتني

يبقى علينا بعد أن أوردنا المثل المأثور السابق، (كن عصاماً ولا تكون عظامياً) وناقشت جملة العظامية والعصامية أن نتوقف عند فعل الكون (كان) من خلال (كن) و(لا تكون)، وأهميته الخلقتية في سرّ هذه الجملة في (كان) الكونية وهي الرمز في الكثر الإلهي المخفى المعروف في الجملة الفلسفية المعروفة هذه الثانية المؤلفة من الكون (NON ETRE) والعدم (Etre)، ومن تعاقبها التطوري الحتمي تكون الصيرورة الزمنية، أو السرمدية الكونية لهذا الاصطلاح الجلدي المنطقي (Devcnir) بالفرنسية، إن صح التعبير.

نستطيع بعد هذا التقديم في الجملة الكونية لتحدث عن الحاجة اللغوية المتمثلة في فعل الكون، ناقصاً أو تاماً، وتوضيحه من خلال الأصول اللغوية، وتشير إلى مصطلحي (الكوني) و(الكتني).

في التعريف اللغوي أن (الكون هو الحدث)، وقد (كان كوناً وكينونة)، كما ورد في اللسان، ومنه القول: (رجل كتني) أي كبير، وذلك أنه نسب إلى الفعل (كنت)، وقد قلوا: (رجل كتني) بزيادة التلون، قال الشاعر: وما أنا (كتني) ولا أنا عاجنَ

فاستخدم الوجهين معاً، وهذا يطلعنا على عبرية اللغة وطوابعيتها لمعنى الحال.

أما سيبويه فيرى أن إخراجه على الأصل أقيس، فنقول على حد ما يوجب النسب إلى الحكاية (٩١). وأما الجوهرى فيوضح ذلك بقوله: "يقال للرجل، إذا شاخ: (هو كتني)، كأنه نسب إلى قوله: "كنت في شبابي (٩٢)." (الكتنيون) هم الشيوخ. وفي الحديث: أنه دخل المسجد، وعامة أهله (الكتنيون)، هم الشيوخ الذين يقولون: (كنت كذا)، و(كان كذا)، و(كنت كذا)، فكانه منسوب إلى (كتني). يقال (كأنك، والله، قد كنت وصرت إلى (كان) و(كنت)، أي صرت إلى أن يقال عنك (كان فلان)، ويقال لك في حال الهرم: (كنت مرة كذا وكنت مرة كذا)...". (٩٣)".

ومما يسترعى الانتباه حقاً، فيما أورده ابن منظور، عبرية اللغة العربية، في ضروب النحو والاستثناء سواء أكان ذلك الاعتماد على الأصل، أم ما طرأ على هذا الأصل، وهذا الاستخدام للفعل الكوني، على هذا

المنهج الاستدلالي والنحواني بحسب الأصل أو الظاهر، خير دلالة وأفضل بيته، على مانحن بصدده الآن، بينما أن الذي يهمنا هنا وصف من يتغنى بشبابه الماضي، أو علمه الغزير، أو ما إلى ذلك من وصف الذات الإنسانية، أي: كيف كانت؟ وكيف مارت؟ وهي وجه من وجوه الجدلية بين القديم والجديد. وهي الرمز المخفى في الكون الإلهي.

القديم والحديث

أنكر بعض المحدثين القديم والحديث معاً، فـ«القديم» عندهم تجريداً، ولا حديث عندهم تأكيداً، وإنما يؤمنون بالقديم الحديث، لا انقسام بينهما، وفق المنهج الذي عرضناه، وسلكه ابن قتيبة من قبل، ومن مؤلأة المحدثين النقادن المعروفة الدكتور عمر فروخ والدكتور من زاده.

أما الدكتور فروخ فقد أبطل مفهومي القديم والجديد، وأنكر دلالتهما بقوله: «ليس في الوجود قديم وحديث، القديم والحديث مدرك خالي في حياة الفرد، هنالك جنة وردي في السلوك الإنساني، كل جيد دائم، وسيطان جديد، أما الردي، وأما الخطأ، وأما الضلال، فيجب أن تسمى قديمة، بمعنى أن العمل بهما يجب أن يقف (٩٤).»

أما الدكتور من زاده، فإنه يرى أن قضية الأصالة والمعاصرة وجهان لحقيقة واحدة، فهو يرى أن قضية الأصالة والمعاصرة وجهان لحقيقة واحدة، ويعتقد أنها قضية محورية من قضايا الفكر المعاصر، وذلك نظراً لأهمية ذلك في جدلية القديم والجديد.

بدأ الدكتور زiadة بتعريف الأصالة قائلاً: «الأصالة الحقة لا تعني التمسك بالماضي، وكل ماله علاقة بهذا الماضي.. الأصالة الحقة هي استئثار الماضي من أجل الحاضر والمستقبل، استئثار الماضي والإلقاء منه إيداعاً وإبتكاراً لتحقيق النواة بتجسيد الذات القومية من أجل حاضر ومستقبل الفرد والمجتمع...» (٩٥).

ويستطرد بعد ذلك متحثثاً عن المعاصرة، يؤكد أنه يراها مرتبطة ارتباطاً وشوجاً بالأصالة، وذلك من خلال قوله: «أما المعاصرة فلن تكون بمحاولات التخلص والتعميل من الماضي، وماله علاقة بالماضي، ولا بتناسى الموروث، المعاصرة تكون بالإلقاء من تجارب الآخرين في موران القائم والرئيسي بما يتناسب مع حاجاتنا وما يتناسب مع بيتنا وظروفنا وشخصية أمتنا وشعبنا ومجتمعنا، الأصالة تكون بأن نجمع بين العناصر المكونة لشخصيتنا، وعوامل التقدم أن ننفي لا أن ننقل، أن نتعظم لا أن ننقد، أن نبتكر لا أن نقتبس....» (٩٦).

ويخلص الباحث الناقد بعد هذا العرض الدقيق لهذه القضية المحورية ليؤكد لنا أن «الأصالة والمعاصرة وجهان لحقيقة واحدة، ليسا ضدتين ولا نقيضين، أحدهما لا يستترز نفي الآخر.. وعلى العكس يستترز الآخر لأنّه تمامه وكما له» (٩٧).

والملاحظ أن النقادين السابعين الدكتور فروخ والدكتور زiadة كانوا متقدرين في إبطال مفهومي القديم والحديث وإلقاءهما مثل غيرهما، لكنهما يختلفان في المنهج والهدف، فالاول ذو هدف اجتماعي له دلاته الخاصة، يعتمد على منهج معياري تقييمي، والآخر ذو هدف قومي يعتمد على منهج تكاملٍ ضمن وحدة عضوية لاتتفاصل فيها إيداعات المعاصرة عن أصالة التراث العربي.

زمن الشعر

تحدث أيضاً الشاعر أدونيس في حديثه أيضاً عن (زمن الشعر) في كتابه هذا، ونكر موقفه من قديم الشعر وحديثه ونظرته المستقبلية من خلال مظوره القديم الماضي والحديث المعاصر، وهكذا أضاف المستقبل كعنصر ثالث للثانية الجليلة المعروفة، يؤكد ذلك كله قوله: "لا نعجب بقدوم شعرنا لأنه أعظم وأغنى بالضرورة"، من حديثه، بل نعجب بقدوم شعرنا لأن حاضرنا نفسه تعمق واتسع في حركة تحضن الماضي إذ تفتح صدرها للمستقبل، ولأن من خصائص وعيينا الجمالي الحاضر أن يقرب إلىنا الشعر الماضي تحت ضوء من الحداثة، ولأن لحظتنا الشعرية في عناق مع العصور كلها (٩٨).

يستطرد بعد ذلك ليذكر لنا البعد الثالث، وهو المستقبل، وكأنما كان ينشئ جملة ثانية جديدة، في حديثه عن الثقافة الشعرية وبعدها الآخرين، وذلك من خلال قوله: "الثقافة الشعرية بعدها؛ بعد عرض الماضي في ضوء جديد، وبعد يشير إلى المستقبل. ثم يخلص إلى القول: "هكذا، في الواقع، لا نعجب من الشعر (القديم) من حيث هو شعر، بل نرفض أن نبعد ضمن إطاره الفنية والتلقافية التي صدر عنها" (٩٩).

الملاحظ أنه يقتصر في تحديد جملته على بعدين اثنين: بعد يحتضن الماضي القديم، وبعد مستقبل يحتضن الزمن الآتي، هكذا يتلاشى الحاضر الآتي بين السابق واللاحق، وهكذا تختلف النظرة التقاديمية في الموقف من القديم، وقد لاحظنا أن الأصلية فيه هي حتم على كل إنسان، فبعضهم يقبل به راضياً، وبعضهم يقبل به كارهاً، من هذا المنطلق، ومكذا كان زمن الشعر الأدونيسي ثورة ذكورية لأنه يرفض الإبداع وفق المنهج الذي صدر عنه، ضمن إطاره الفنية والتلقافية.

المنزل الجديد

عوداً على بدء، بعد المنزل الأول، المنزل القديم الذي تغنى به أبو تمام من قبل في تذكره الحبيب الأول، ومن خلال الجدلية الثانية بين القديم والجديد، مشفوعة بالعنصر المستقبلي الثالث، فإننا نصل إلى المنزل الجديد الذي انتقل إليه الشاعر الروسي المعروف رسول حمزاتوف، من خلال قصيدة جديدة ترجمت حديثاً، وهي تمثل الحداثة في كثير من صورها ومعانيها، بينما نجد في الوقت النزعة الأصيلة في الحنين إلى القديم، ثم يشفع ذلك كله بالاستسلام للمستقبل، على الرغم منه، ومما جاء في هذه القصيدة (١٠٠).

"انتقلنا إلى (بيت جديد)"

ولكننا لم نتبذل

أخلصنا (القديم) على الرغم

من استسلامه (المستقبل)

علّقنا صور (الشباب) على الجدران

ولكن الرأس لم يسمو

بل يبقى (الشباب).

بدكت عنوانه (القديم)

وَهَا أَنْذَا أَتَعُودُ عَلَى (الجَدِيد)
 وَلَكِنْ (الْمَاضِي) بِوَالْفَتِي
 حَتَّى الْعَيْنَةُ (الْجَدِيدَةُ)
 أَمَّا فَتَمِي فِي مَحْبَرَةِ مَدْرَسِيَّةٍ
 وَهَاهُي ذِي نَظَارَتِي زَانَدْ سَنَةً
 وَقَدْ ضَعَطْتُ فَلَيْلًا.....*

يكفي أن يستعرض الإنسان في هذه الأبيات من قصيدة رسول حمزاتوف بعض هذه المستوى المعتبرة عن جملة القديم والجديد.

أما اصطلاح (القديم)، فقد يتضح لنا من خلال قصيده في قوله: (التقديم)، و(القديم)، و(الماضي).
 وأما اصطلاح (الجديد) فقد يتضح لنا في قوله: (جديد) و (الجديد) و (الجديدة).

يضاف إلى القديم والجديد (المستقبل)، و(أثيب)، والشباب. يذكر أن الشاعر رسول حمزاتوف كان يسمى سمواً إنسانياً في تقديره الماضي، وذلك من خلال استطاعته الألوان المقدسة المنصوصة، وقد خلّد فيها ذكر هؤلاء الراحلين الذين طرّتهم الأزمان، ويأسى لمصير وطنه داغستان، ومصير من غثيهم التراب من هؤلاء العباقة المبدعين، دون أن يطلع العالم على مواهيبهم وإبداعاتهم، من المبدعين، والفنانين، والمعندين، والمحاربين، والمبصرين، وذلك في قوله (١٠١):

الْأَلْوَانِ الْمَقْنَسَةِ لَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الْقَرُونِ الْخَوَالِيِّ
 بِالْخَسَارَةِ!! لَكِنْ طَرِيقَتَا لَا يَنْتَهِي
 تَكَ الْفَضْسِيَّةُ الَّتِي بَدَأَهَا الْأَجَادِيدُ بِسُونَهُمْ
 أَكْلَمَهَا أَنَا وَبِرَاعِي فِي يَعْيَنِي....*

لكن حمزاتوف، على الرغم من ذلك كلّه، كان يحنّ إلى حكايات أمّه، بعد ملامح الأجداد وحكاياتهم، يذكر أن حكاية واحدة من هذه الحكايات بقيت مسيطرة في أعماق نفسه، ترى هل هي قصة حواء آدم، وقد احتوت البشرية جماء، وذلك في قوله (١٠٢):

فِي حَكَائِنَاتِي يَسْهُلُ عَلَيْنَا
 أَنْ تَذَكَّرَ (الْتَقْدِيم) (الْتَقْدِيم)
 مِنْ تَلْكَ الْحَكَائِنَاتِ الَّتِي أَعْدَنَتَهَا
 عَلَيَّ أَنْذِرَ وَاحِدَةً...*

ليس في هذا القديم المحدث أبونا آدم؟! وفي هذا المحدث القديم أتنا حواء؟!
 ترى هل هذه الواحدة هي حواء الخالدة رمز الماضي والحاضر والمستقبل.
 هكذا يتضح في هذه الأبيات أن حمزاتوف كان بارعاً في وصف هذه الجملة الكونية في حياة كل

إنسان، فهو يصف القديم والجديد وصفاً مبدعاً من خلال المنزل الجديد الذي انتقل إليه، ويذكر منزله القديم الأول في بيته العتيق، وقد ولد فيه، ويصور من خلالهما هذا الصراع النفسي العنيف بين الماضي الأسر والحاضر الغامر، والاستسلام للمقبل المجهول، إذ لا يستطيع أن يفلت من هذين الأسرتين معاً، بلة الثالث من خلال اشتعال شيب الرأس، واستحالة عودته إلى صباه وشبابه، ومن خلال نظراته المجددة. ذات الدرجات الست.

قد نتساءل عن بواعته الجوهرية في اختياره السادس من الأرقام البصرية، وربما كانت بصيرته النفسية، وراء هذا الاختيار، لأنها تمثل في نظره ذلك العليل السقيم الذي يزداد ضعفاً يوماً بعد يوم، رموزاً ذات دلالات نفسية، وأقباس نكرية، وأية ذلك فيما نحسبه أنها كانت تليحها لستة رموز: ثلاثة منها تعبر عن معنى واحد يمثل الماضي التليد في كلماته المشار إليها في القصيدة السابقة، وثلاثة أخرى تقابلها تغير عن الحديث الطريف.

ذلك كله يمثل وبالتالي هذه الجدلية الثانية، ذات الدلالة الثلاثية في كل منها. والملاحظ أن الشاعر حمزاتوف لم يقتصر عليها، وإنما شفتها باستسلامه للمقبل المجهول، ويولد من خلاله المستقبل الإنساني المجهول بلـ المستقبل الكلي المطلق.

إن قصيدة الإنسان في الزمان الذهري تمثل الماضي والحاضر والمستقبل، وفق هذه الجدلية الثلاثية في هذا العالم المخلوق وحده، نحن نجهل مصاير العالم الكونية الأخرى، ويبقى هذا الإنسان المخلوق آية الله فاطر السموات والأرض، في سفر الخلية والتكونين، فطرة المبدع الأول رب العرش العظيم. هكذا يتجلّي في هذا الإنسان المخلوق الإعجاز الإبداعي في هذا الخلق الجيد، وقد أكد ذلك كله في القرآن المعجز المنزل الإبداع والخلق، وأعطاهما من القدسية، مالاً حذ له.

تلك هي جملة القديم والجديد، بين الإبداع والخلق، فقد تولد هذا الجديد الطريف من التراث القديم التليد، فكان هذا الخلق في هذا الإبداع الفطري، من خلال الأرض والإنسان معاً، فكان هذا الإنسان في أحسن تكوين. هذا هو الإبداع الأصل في الخلق الإنساني المحدث في أكمـل وجهـه، وأجمل صورـه على هذه الأرض الطيبة.

الحواشي والهوامش:

١- سورة المجادلة ١/٥٨

ينظر في تفسيرها تفسير الجلالين ٢١٣/٢، وهامش تفسير الجلالين، وهو لباب التكوان في أسباب التزول ٢/١٥٤، وصفحة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف، ص ٧٠٦-٧٠٧.

٢- سورة النحل ١٢٥/١٦

٣- مختصر تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، ص ٣٥٢.

٤- سورة العنكبوت ٤٦/٢٩.

٥- سورة الكهف ٥٤/١٨.

- ٦- سورة للزخرف .٥٨/٤٣
- ٧- سورة النساء .١٠٩/٤
- ٨- من تراث الجاحظ ، ص .٢٨
- ٩- التعريفات للجرجاني ، ص .١٧٩
- ١٠- المصدر السابق ، ص .١٧٩
- ١١- المصدر السابق ، ص .٨٦
- ١٢- شرح ديوان النساء ، ص .٥٢-٥١
- ١٣- المصدر السابق ، ص .٥٢-٥١
- ١٤- المصدر السابق ، ص .٥١
- ١٥- ديوان أبي الطيب المتنبي .٢٤٠/٤
- ١٦- المصدر السابق .٢٠٩/٤
- ١٧- المصدر السابق .٢٤٣/٤
- ١٨- المصدر السابق .١٩٠-١٨٨/٤
- ١٩- المصدر السابق .١٩٨-١٩٧/٤
- ٢٠- المصدر السابق .١٩٨/٤
- ٢١- المصدر السابق .٢٣٠-٢٢٦/٤
- ٢٢- سورة إبراهيم .٢٤/١٤
- ٢٣- سورة البقرة .٣٦/٢
- ٢٤- سورة الروم .١٧/٣٠
- ٢٥- سورة الإنسان .١/٧٦
- ٢٦- سورة (ص) .٨٨-٣٨
- ٢٧- ديوان أبي الطيب المتنبي .٢٤٠، ٢٣٩/٤
- ٢٨- الحمامة للبحتري ، ص .٣٢٣-٣٢٢
- ٢٩- كتاب الأشجار للدكتور أسعد علي ، ص .١١٧-١١٥
- ٣٠- المصدر السابق ، ص .١١٧-١١٥
- ٣١- تحت راية القرآن (المعركة بين القديم والجديد) لمصطفى صادق الرافعي ، ص .٢٠٤
- ٣٢- المصدر السابق ، ص .٢٠٤
- ٣٣- الشعر والشعراء / ابن قتيبة ٧/١
- ٣٤- المصدر السابق .٧/١

- ٣٥- ناج العروس في مسرح القاموس للزبيدي ٢٨/١.
- ٣٦- المصدر السابق، ٢٨/١.
- ٣٧- المصدر السابق ٢٨/١٠.
- ٣٨- تحت راية القرآن - المعركة بين القديم والجديد / المصطفى صدقي لـ الـاعـيـ، من ٤٠٤.
- ٣٩- سورة العصر ٣-١/١٣.
- ٤٠- سورة يوسف ٩٥/١٢.
- ٤١- سورة يس ٣٩-٧٦.
- ٤٢- سورة الأحقاف ١١-٤٦.
- ٤٣- سورة الشـاهـ ٧٦-٢٦.
- ٤٤- سورة (من) ١/٢٨.
- ٤٥- سورة الأنبياء ٢/٢١.
- ٤٦- سورة الشـاهـ ٥/٥٦.
- ٤٧- ديوان البيوصري، من ٦٠.
- ٤٨- حوار مع الروائي ميشيل جوبير. مجلة (الأدب الـجـنـيـةـ) دمشق.
تحـادـ الـكتـابـ الـعـربـ - تـ المصـطـفـىـ لـ جـاهـيـرـيـ عـ ٤٠ـ سـنةـ ١٩٨٤ـ.
- ـ من ١٧٦ـ، ١٧٧ـ.
- ٤٩- سورة الأنبياء ١٠٤/٢١.
- ٥٠- سورة (ق) ١٥/٥٠.
- ٥١- سورة الإسراء ٤٩/١٧ و ٩٨.
- ٥٢- سورة إبراهيم ١٩/١٤ و سورة فاطر ١٦/١٥.
- ٥٣- سورة الرعد ٥/١٣ و سورة السجدة ١٠/٣٢ و سورة مـبـاـ ٧-٣٤ـ.
- ٥٤- سورة الذاريات ٥١-٢٠/٥١.
- ٥٥- وظيفة الفن الاجتماعية لمؤلفيه عزوموف وكاجان، من ٣٧.
- ٥٦- المصدر السابق، من ٣٧.
- ٥٧- سورة هود ٤٤/١١.
- ٥٨- الكلـمـلـ لـ المـبـرـدـ ٢٩ـ، وـ القـامـوـسـ الـحـبـيـطـ /ـ لـ لـقـيـرـوزـ لـ بـاديـ ١ـ، ٤ـ.
- ٥٩- المصـدرـ الـسـابـقـانـ.
- ٦٠- ديوان أبي تمام، بـ شـرـحـ التـبـرـيزـيـ، ١٦٢/٢ـ.
- ٦١- مقـتـمـةـ نـصـرـ الـهـورـيـيـ، بـ شـرـحـ القـامـوـسـ الـحـبـيـطـ ١ـ، ١٨ـ/١ـ.

- ٦٦- شرح المعلقات السبع للزوزنى، ص ١٨٣، ١٨٢، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٠٦/١.
- ٦٧- شروح سقط الزند لأبي العلاء، القسم الثاني، المفر الثاني.
- ٦٨- الفصيدة السادسة عشرة، ص ٥١٩-٥٥٢.
- ٦٩- شرح المعلقات السبع للزوزنى من ١٣٧-١٣٢ .
- ٧٠- والشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٥٢/٢.
- ٧١- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى ٣/٢٢٩، ٢٢٣.
- ٧٢- ديوان أبي تمام، ص ٤٥٧.
- ٧٣- أسلوب البلاغة للجرجاني، ص ١٣٧، ١٣٨.
- ٧٤- ديوان أبي تمام، ص ١٥٧.
- ٧٥- ديوان صفي الدين الحلي،
- ٧٦- المصدر السابق
- ٧٧- سورة غافر ٤٠/٣٩.
- ٧٨- مدارج السالكين بين منازل (إياك تعبد وإياك نستعين). لابن قيم الجوزية ٣/١٩٤، ١٩٥، ٢١٠.
- ٧٩- ديوان ابن الفارض، ص ٨.
- ٨٠- معرفة الله والمكرؤن السنجاري للدكتور اسعد علي ٦٣/٢.
- ٨١- المصدر السابق ٦٧٢.
- ٨٢- ديوان الشاب الطريف، ص ١٤.
- ٨٣- ديوان الحقائق ومجموع الرفائق للشيخ عبد الغنى النابلسى ١/١٤٩.
- ٨٤- خزانة الأدب لابن حجة الحموي، ص ٥.
- ٨٥- البدر الطالع للشوكاني، خطبة المؤلف ٢/١.
- ٨٦- المصدر السابق ، ٣/١.
- ٨٧- مقمة شاعر الشام أستاذى المرحوم شفيق جري، لـ ديوان شاعر العاصى صديقى المرحوم بدر الدين الحامد، ص ٩، ٨، ٧.
- ٨٨- المصدر السابق ص ٨، ٧، ٩.
- ٨٩- المصدر السابق، ص ٨، ٧، ٩.
- ٩٠- مقالة (دفاع عن القيم) للدكتور أحمد زكي، مجلة الهلال ، عدد خاص متاز عن موضوع (الجديد) .
- ٩١- المجلد ٥٣، ج ١/٥٨، ٦٢.
- ٩٢- المصدر السابق.
- ٩٣- المصدر السابق.

- ٨٧- المصدر السابق.
- ٨٨- لفظون المحيط لفirozابادي، مادة (عصم) ١٥١/٢.
- ٨٩- لسان العرب لابن منظور، مادة (عصم)، المجلد ١٢، ص ٤٠٨.
- ٩٠- وأسامي البلاحة للمخشري، مادة (عصم)، ص ٢٠٤.
- ٩١- المصادر للقوية السابقة.
- ٩٢- لسان العرب لابن منظور، مادة (كون) ٣٦٩-٣٧٠/١٣.
- ٩٣- المصدر السابق.
- ٩٤- المصادر السابقة.
- ٩٥- المصادر السابقة.
- ٩٦- المصادر السابقة.
- ٩٧- المصادر السابقة.
- ٩٨- حوار خاص مع الدكتور عمر فروخ، مجلة (الكافح العربي)، ركن عالم الثقافة، من ٤٦-العدد ٣٧٤ /١٠٦١ شرين الأول ١٩٨٥. (كل بلد في العالم متعدد الثقافات).
- ٩٩- زمن للشعر لأدونيس ، من ١٤٩، ١٥٠، ١٤٩ (١٩٩٠).
- ١٠٠- قصائد جديدة للشاعر رسول حمزقوف، ترجمة فؤاد العلوش، صحيفة تشرين، العدد ٤٤٦، تاريخ ١٩٨٨/٧/١٤.
- ١٠١- بدلي للشاعر رسول حمزقوف، ترجمة الأستاذ عبد المعين الملوي. ص ٤٣٥، ٤٣٦.
- ١٠٢- المصادر السابقة.

المصادر والمراجع

- ١- وأسامي البلاحة، لأبي القاسم جار الله محمود للمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) تحقيق عبد الرحيم محمود تقديم نعيم الخولي - الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ، ١٩٥٣م. القاهرة - مطبعة أولاد أورفان.
- ٢- اسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١ هـ) تحقيق أحمد مصطفى المراشي - المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة الاستقامة. القاهرة ١٣٥١هـ / ٥ م. ١٩٣٢م.
- ٣- البير الطالع بمحاسن من بعد للقرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، تحقيق محمد ابن زبارة اليمني.
- الطبعة الأولى - مطبعة المساعدة - القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ.

- ٤- بلدي للشاعر رسول حمزاتوف. ترجمة عبد المعين الملوحي، ويونس الحلاق، سلسلة الأدب العالمي، دار الجماهير العربية، دار للقارئ. دمشق ١٩٨٦.
- ٥- تحت ريبة القرآن - المعركة بين القديم والجديد، لمصطفى صادق الرفاعي - مطبعة الاستقلال بالقاهرة، المكتبة التجارية الكبرى.
- ٦- الحمسة لأبي عبادة للبحري. ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م. الطبعة الخامسة.
- ٧- خزانة الأدب (تعميم أبي بكر)، لابن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) - القاهرة - المطبعة المصرية بيولاق ١٢٩١ هـ.
- ٨- بيوان أبي تمام بشرح الخطيب للتبريزى.
- ٩- تحقيق محمد عبده عزّام - دار المعارف بمصر - ١٩٦٤ م.
- ١٠- بيوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكّري، وللسستي - (البيان في شرح للبيون)، ٢٤٠ / ٤. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م. تحقيق مصطفى السقا، وعبد الحفيظ شلبي، وإبراهيم الأيوبي.
- ١١- بيوان ابن اللارض. مكتبة القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.
- ١٢- بيوان بدر الدين الحامد. الطبعة الأولى. مطبعة الإصلاح بحمة، سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م.
- ١٣- بيوان البوصيري.
- ١٤- تحقيق محمد سيد كيلاتي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥.
- ١٥- بيوان النساء (بالإضافة إلى مراثي سنتين شاعرة من شواعر العرب). دار التراث ، بيروت، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
- ١٦- بيوان الحقائق ومجموع الرائقات للشيخ عبد الفتى النابلسى، دار الطباعة بمصر، سنة ١٢٧٠ هـ.
- ١٧- شرح المعلمات السبع للزوزنى.
- ١٨- تحقيق نحمد محمد شاكر - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م.
- ١٩- صفة البيان في تفسير القرآن للشيخ حسن بن محمد مخروف.

- الطبعة الثالثة- وزارة الأوقاف والشؤون الإعلامية الكويت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ١٩- القاموس المحيط للغورز أبيادي.
- الطبعة الأولى - المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة سنة ١٣٣٠ هـ
- ٢٠- الكامل لأبي العباس المبرد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته مكتبة نهضة مصر ومطبعتها - القاهرة سنة ١٣٧٦-١٩٥٦ م.
- ٢١- كتاب الأشجار الدكتور أسعد على.
- دار الغصون- بيروت لبنان- الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٢٢- كتاب التعريفات للشريف الهرجاني:
- مكتبة لبنان - بيروت سنة ١٩٧٨ م.
- ٢٣- لسان العرب ابن منظور.
- دار صادر - دار بيروت سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م.
- ٢٤- مختصر تفسير ابن كثير المسمى.
- اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني - دار القرآن الكريم - بيروت ١٤٠١ هـ .
- ٢٥- معرفة الله والمذكورون المستجاري - تحقيق ودراسة الدكتور أسعد على الطبعة الثانية، دار الرائد العربي - بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ٢٦- وظيفة الفن الاجتماعية تأليف غروموف وكاجان. ترجمة عدنان مداهات- دار ابن خلدون- بيروت - سنة ١٩٨٠ م.
- المجلات والصحف**
- ٢٧- مجلة (الأدب الأجنبية) حول مع الروائي ميشيل جوبير ، ت: المصطفى اجماسيوي . ع. ٤٠ سنة ١٩٨٤ ، دعشق منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- ٢٨- مجلة (الكتاب العربي) حول مع الدكتور عمر فروخ. ركن عالم الثقافة. العدد ١٠٦٠ / ٣٧٢ تشرين الأول سنة ١٩٨٥ م.
- ٢٩- مجلة (الهلل) عدد خاص عن (الجديد). مقال بعنوان (دفاع عن القديم) . العدد ٥٣ من ٥٨ - ٦٦.
- ٣٠- صحيفة (تشرين) قصائد جديدة للشاعر رسول حمزاتوف.
- ترجمة فؤاد العلوش. العدد ٤٢٤٦ تاريخ ١٤ آب ١٩٨٨.

النشر الزكيُّ فِي خَبَرِ نَدَامَةِ الْكُسْعَى للقاضي أبي بكر أحمد بن محمد بن جُزَيِّ الْكَلَبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (المتوفى سنة ٧٨٥ هـ)

تحقيق وتقديم: محمد أديب عبد الواحد جُمْران

تقديم

المؤلف:

أبو بكر أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن جُزَيِّ الْكَلَبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، ذكره ذلك ابن حجر. وقال: جُزَيِّ بالجيم والراء مصغراً وأخره تهتانة تعلقة(١). وترجم له السيوطي وجعله ابن جُزَيِّه بضم الجيم وبالزاي ثم بالياء المشددة، وبعدها همزة(٢).

أما البغدادي فذكر أنه ابن جُزَيِّ، ولم يضبطه(٣). وهو ابن جُزَيِّ عند كحالة(٤) وذكر الوادي آتشي في برنامجه أيام فخذه ابن جُزَيِّ، بالجيم والزاي والياء مصغراً(٥). وترجم له لسان الدين بن الخطيب، فابن كنيته وقال: هو القاضي أبو جعفر أحمد بن أبي القاسم محمد بن جُزَيِّ(٦). وذكره المغربي حين ترجم لوالده وضبطه ابن جُزَيِّ(٧).

إن هذا الخلاف في نسب المؤلف يمكن حصره في دائرة أضيق ليكون على النحو الآتي:

- ١- ابن جُزَيِّ، كما في بغية الوعاء، وبتبسيط الهمز يصبح ابن جُزَيِّ كما أورده الوادي آتشي في برنامجه والمغربي في نفح الطيب.
 - ٢- ابن جُزَيِّ كما في ثليل تحشيف الظنون وهدية العارفين ومعجم المؤلفين.
 - ٣- ابن جُزَيِّ كما ورد عند ابن حجر في الدرر.
- ونكاد نميل إلى ترجيح الرأي الأول لكنثرة وروده عند من ترجم له ولأبيه وإخوته وأل جُزَيِّه جمياً، وهم بيت كبير كان في الأندلس والمغرب.

حياته وأخلاقه:

ولد أبو بكر في مدينة غرناطة بالأندلس سنة ٧١٥ هـ(٨)، وبها نشأ وترعرع في كنف أبيه

العلامة محمد بن جزيء.

كان أبوه واحداً من أكابر شيوخ لسان الدين بن الخطيب الوزير والأديب المصنف. ذكره المقرري في كتابه^(٩) تفلا عن الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، وذكر كتب هذا الأبا، التي أربت على العشرين، وكانت في علوم الحديث والفقه والعقيدة والقراءات والعربيّة والتفسير^(١٠).

أما مترجمنا أبو بكر فقد عاش في هذا البيت الذي ورث فيه عن أبيه العز والشرف والتقة والفكير كبيراً عن كابر. وحسيناً أن نقرأ ما كتبه المقرري عن هذا البيت.. قال: (وبيت بني جزيء بيت كبير بال المغرب والأندلس^(١١)). وقال ابن الخطيب في معرض كلامه على والده وأسرته: قوله عقب ظاهر بين القضاة والكتابية. قال المقرري: يزيد بنيه: البراغ أبا بكر والعلامة أبا عبد الله والقاضي أبا محمد عبد الله^(١٢)). إنهم ثلاثة إخوة عاشوا في كتف أبيهم العالم، الذي مات شهيداً وهو يحرض الناس على قتال الأفرنج في التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ^(١٣)). أخوان من القضاة وهما والثالث أدباء، شعراء، مصنفوون.

ذلك هي البيئة وهذا هو الإرث الذي تلقى طلاله أبو بكر بن جزيء.

وقد عرف عن الرجل أنه كان من أهل الفضل والتزاهة وحسن السمع والهيبة والاستقامة^(١٤). وما هو ذا الأديب الوزير لسان الدين يصفه بالعلم والوراثة والتزاهة والضماء^(١٥).

لقد عمل أبو بكر زمناً في القضاة، فقد (تقى) كاضياً للجماعة بحضور غرناطة في الثامن من شوال عام ٧٦٠ هـ، ثم صرُفَ عنه^(١٦).

كما أنه ارتسم في الكتابة السلطانية لأول دولة أبي الحجاج ابن نصر، وولي القضاء ببرجه وباندرش، ثم بوادي أش، وكان مشكور السيرة معروفة النزاهة^(١٧).

وذكر لسان الدين بن الخطيب أن أبا بكر كان خطيباً بمسجد السلطان بغرناطة^(١٨). فقد تولى الخطابة في هذا المسجد بعد وفاة الأستاذ الخطيب العالم الشهير أبي سعيد فرج بن لب، وكان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة، ولئن عوضاً عنه استأذاناً وخطيباً عام ٧٨٢ هـ، ففيقي في هذا المنصب الرفيع حتى وفاته^(١٩).

لقد استحق أبو بكر هذه المناصب بجداره، لعلمه وورعه ونزااته وعلوه همة. ولو لم يكن أهلاً لها لما أنها وبقي في أجلها وأعظمها حتى وافتها المنية.

شيوخه وعلميه:

قرأ أبو بكر في أول أيام طليبه للعلم على والده، علامة عصره في الفقه والحديث والتفسير والأصول والعقائد والقراءات والأدب، ولازمة واستطهر بعض تأليفه، وتفقه وتتأدب به، كما قرأ على بعض معاصره أبيه^(٢٠)، وتتلذذ على لسان الدين بن الخطيب، وكان أبوه من أشياخ الوزير ابن الخطيب، قال المقرري: رأيت بخط بعض علماء المغرب أن أبا بكر روى عن لسان الدين بن الخطيب جميع توليفه، مع أنه كان مقاربة في السن^(٢١).

كما سمع أبو بكر من أكابر علماء عصره، أمثال أبي عبد الله بن سالم وأبي عبد الله الوادي أش، وأبي بكر بن مسعود وغيرهم، وأجاز له ابن رشيد وابن ربيع وأبو العباس بن الشحنة والبدر بن جماعة وأخرون^(٢٢).

ولكن.. مالعلوم التي حصلها أبو بكر ومهر بها وألف فيها كتاباً ومصنفات؟.

بحثنا ابن حجر العسقلاني بشيء من ذلك فيقول: كان أديباً فاضلاً عارفاً بالفرانص والعربية(٢٣). وقال عنه كمال: عالم مشاركاً في الفقه والعربيه والأدب والشعر والخط(٢٤) إن العلوم التي حصلها أبو بكر، إنما كانت نهراً ماداً من بحر لحيٍ محيط، أحاط به والده بكلٍ ما يحتاج إليه من ثقافات عصره وعمره. لقد عاش ابن النحيب أبو بكر مع والده العلامة ستة وثلاثين سنة ينهلُ من معينه الثر، ويقتبس من أخلاقه وعلمه الشيء الكثير.

وكان أبو بكر شاعراً يُلقي بذاته بين شعراً عصراً، لكنه لم يتبني بالشعر كثيراً. روى له المقرى(٢٥) شيئاً من شعره كقوله:

أرِ الناسَ يُلْوِنُ الْقَسْ كِرَامَةَ
وَيُلْوِنُ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَمَّ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءُوكُمْ أَحَدِيثُ جَهَنَّمَ
وَبَنِ لَمْ يَكُنْ أَهْلَنَرْفَهَةَ مَقْدَارَ

مصنفاتٌ: مات أبو بكر بن جزيء سنة ٧٨٥هـ. وترك للناس بعده مكتبة متواضعة نذكر كتبها منسوقة الترتيب الهجائي:

١- كتاب (الألوار السنتية): قيل: إنه له وقيل: إنه لأبيه(٢٦). وقد ذكر الكتاب منسوباً لأبيه عند من ترجم لوالده الشيخ(٢٧).

٢- كتاب (التقىيد على القوانين الفقهية) ذكره له البغدادي(٢٨) وحالته(٢٩). وهذا الكتاب تطبيق وشرح على كتاب أبيه (القوانين الفقهية في تخليص مذهب المالكية)(٣٠).

-(رجز في الفرانتص) ذكره له البغدادي(٣١) وحالته(٣٢).

٤- (شرح ألفية ابن مالك) ذكره له السيوطي(٣٣) وابن حجر(٣٤) والبغدادي(٣٥) وحالته(٣٦).

٥- (ختصر البيان في تفسير آل عدنان) ذكره له البغدادي(٣٧).

٦- (النثر الرزكي في خبر نذامة الكسعي) وهو هذا الذي نشره يوم لأول مرة، بل إنه الوحيد الذي طبع من مؤلفات ابن جزي وفيما نظم، والغريب في الأمر أننا لم نجد أحداً منمن ترجم لابن جزيء يذكر له هذا الكتاب مع ما ذكر من كتبه، فما الذي يجعلنا نطمئن إلى صحة نسبة إليه؟ وفضلاً عن هذا لم يرد للكتاب ذكر عند من فهرسو لتراثنا الخالد، ولم نقع على نسخة أخرى له على الرغم من بحثنا ونتصبّنا لخبره.

لقد وجدنا اسم المؤلف مثبتاً عليه، هذا أمر.. وأمر آخر وجذناً مساعداناً في تحقيق تلك النسبة وهو أن المؤلف أحال في كتابه وفي موضعين منه على كتاب له شرحاً فيه ألفية ابن مالك. وقد رأينا عند الكلام على كتب المصنف أن بينها شرحاً للألفية، ذكره له السيوطي(٣٨) وابن حجر(٣٩) والبغدادي(٤٠) وحالته(٤١).

وأمر ثالث، قد يفيدنا في تحقيق هذه النسبة، وهو أن في آخر النسخة المخطوطية عبارة (بلغ عراضها باصله) وفي أثناء المخطوط رأيت عبارة تصحيح ناتج عن مقابلة وعارض بالأصل.

- إن هذه الأمور مجتمعة تقوي صحة نسبة الكتاب إلى أبي بكر بن جزيء وتؤكد هذه النسبة.
- يقع أصل هذا الكتاب في أول مجموع، وجنته في بيت خالي وهو ابن أخي الشيخ مصطفى الغلايبي رحمة الله وصاحب المخطوط وقد ضم هذا المجموع سبعة كتب في الأدب واللغة وهي:
- ١- النشر الرازي في خبر ندامة الكسعي ويقع في ثماني ورقات.
 - ٢- كتاب في اللغة سقط أوله وهو في الحال خاصة درج الكتاب على ستعالها. لم يعرف اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه، وأوراقه ٤٨ ورقة.
 - ٣- أفضل الكلام فيما أخذ من الأغلاط على العام ١٢ ورقة، لم يذكر اسم مؤلفه.
 - ٤- الإلهام فيما لحن به العام نطي بن حمزه في ٢٠ ورقة.
 - ٥- المعدود والمقصور لابن الطبيب وهو في ٦ ورقات.
 - ٦- كتاب المذك و المؤنث لابن البشري النصري ١٠ ورقات.
 - ٧- كتاب الشاء لابن رئويه (ونظن صوابه: لابن درستويه) والنسخة قديمة جداً وغير مقروءة، ويقع في ١٦ ورقة.

وعدد أوراق هذا المجموع ١٢٥ ورقة. كتب بأقلام عدة ناسخين، وقد ظهر ذلك من مقارنة الكتب السبعة، وقد أغفل نسخ أربعة كتب منها ذكر أصحابهم لكن كتاب ابن جزيء كان بخط ناسخ ذكر اسمه وتاريخ النسخ، وهو محدث بن علي شمس الدين الشافعى، فرغ من نسخه عصر يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٠ هـ. إلا أنه لم يذكر مكان النسخ.

وأوراقه ثمان، في كل ورقة ١٥ سطرًا، وفيما الورقة الواحدة ١٤ × ٢٠ سم والمخطوطجيد، لولا بعض الطمس الذي أصاب شيئاً يسيراً من كلماته. وقد كتبه ناسخ بالخط الفارسي، وضبطه ضبطاً تماماً صحيحاً.

والمخطوط معارض بأصله، وقد يكون هذا الأصل بخط مؤلفه.

ويوجد على الورقة الأخيرة قيد تعليك جاء فيه: (ملكه بالشراء الشرعي مصطفى بن محمد سليم الغلايبي البيروتى، وهو في منفاه) في ٢٢ من ذي الحجة ١٣٤٢ و ٢٤ من تموز ١٩٤٢.

وبعد.. هذا عملي أرجو أن يجد صدى طيباً في نفوس القراء الأعزاء، وإن تكون الأخرى فاستميح فارني العذر في كل ما يدر من تقصير، وفوق كل ذي علم عظيم.. رب أوزعني أنأشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

والحمد لله رب العالمين

محمد ثيب عبد الواحد جمران / حمص
الخميس ١٤١٥ / الذي القعدة / ١٤٢٠
١٢ / نيسان / ١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه تقى
قال القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزيء، علم الأئمة، وحبر الأمة: الحمد لله ذي الحول والطول،

تراث العربي

ولا إله إلا الله ملهم الفعل والقول، ألمد حمد الشاكرين، وأشكر له انعامه وأصلني وأسلم على نبيه المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

فأليه من المعروف بين الخلق والمعلوم، أن علم العربية لغة ونحواً مرتبة^(٤٤) إلى سائر العلوم، بها يكتفى المجهول، ويعرف القول..^(٤٥) مما عزب عن الأذهان فهمه، ونأى عن الإلراك علمه.

ولقد سألتني من لا أقوى على رد طلبه، أن ذكر له ما انتهى إليه علمي من خبر الكسعي بعجلته وشغبته^(٤٦)، وإن أشرح له غامض اللغة في شعره، ليدرك معناه ويعرف الكامن من سره وفكره.

فاستعن بالواحد الأحد، الفرد الصمد، وطلبت كل العون، من مبدع هذا الكون، لأبي لأبي الحجاج^(٤٧)، السلطان يوسف ابن إسماعيل النصري^(٤٨) سلطان الديار، وخامي النمار، كل ما طلبة وابتغاء، أدام الله دولته وحقق رجاه، ونصر المسلمين به وأمكنته من كل من خالفة وعداه.

قال القاضي أبو بكر:

قالت العرب في بعض أمثالها: أندم من الكسعي^(٤٩).

ويقولون: ندم ندامة الكسعي^(٥٠) ويقال: من خالفة رأي الأمعي ندم ندامة الكسعي^(٥١) والكسعي هذا هو محارب بن قيس^(٥٢)، ينسب إلى كسبع^(٥٣)، بطون من حمير، قوم رماة، من أرمي البشر - قال ابن المظفر^(٥٤).

وقيل: هو من حي من قيس عيلان^(٥٥)، أو منبني سعد بن ذبيان^(٥٦).

وقيل: اسمه عامر بن الحارث^(٥٧)، أو أنه عامد بن الحارث^(٥٨) منبني ثعلبة بن سعد بن قيس عيلان، ولعل في الأخير تصحيفا.

قال حمزة^(٥٩) هو من كسبة، واسم محارب بن قيس^(٦٠)، وقيل: بن هو منبني محارب^(٦١)، شاعر راجز، به يضرب المثل بشدة الندم^(٦٢).

ومن خبره الذي رواه حمزة أنه كان يرعى إبله بواد معشب فيه حمض وشوحطة^(٦٣)، فبينا هو كذلك إذ بصر بتبعة في صخرة، فاعجبته، فقال: يتبغي أن تكون هذه قوساً^(٦٤). فجعل يتبعدها ويرصدتها^(٦٥)، حتى إذا أدركت قطعها وجفتها، فلما جفت اخذذ منها قوساً، وأشاراً يقول (من الرجز).

يارب وفقي لنجت قوسى

فاتها من لذتي لنفسى

واتفع بقوسي ولدي وعمرى

أتحتها صرارء مثل السورى

كيداء ليست كالقىسى النكس^(٦٦).

قال أبو بكر: كالقسي يا رب سديني (٦٧). ونحت القوس ينحتها، بالكسر: براها، ونحت القوس: برئها (٦٨). وقوله: فإنها من لذتي النفس. أراد أن حصولي على القوس وبريهما من سعادة نفسى وسروري. وقوله: ولدي دعرسى. قال صاحب المحم (٦٩) الولد والولد، بالضم: ما ولد لك أثناً كان، وهو يقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى، والمراد به هنا الجمع من الأولاد ذكوراً وإناثاً. وعرس الرجل: زوجة، وعرس المرأة: زوجها. قال: (٧٠) (من الرجز)

أَزْهَرَ لَمْ يُلْبِذْ يَنْجِمْ نَحْنُ

أَنْجَبَ عَرْسَ جَبْلَا وَعَرْسَ.

أراد أنجب عرس وعرس جبلاء. وقال الشاعر (٧١)، وقد ثنى: (من البسيط)
أَنْجَبَ عَرْسَنِ فِي الْبَيْضِ مَرْكُومٌ (٧٢)
 حتى تلقي، وقرن الشمعن مرتفعة

تلقي: تدارك، والأنجب: مبيض النعام في الرمل. وأراد بالعرسين الذكر والأنثى. والصفراء: القوس
 تلقي من نبع، وهو شجر معروف. قال (٧٣)
مَزْعَعَةً تَلَقَّى التَّيَابَ حَطُومٌ (٧٤)
 وصفراء من نبع كل عدادها

كَمَائِشَةَ الْمَخْنُوفِ زَنِ لِيَطْهَا (٧٥)

وقوله: مثل الورس. قال الأزهري: (٧٦) الورس: صبغ، وقال في الصحاح: / هو نبت أصفر يكون
 باليمين، تلقي منه الغمرة (٧٧) الوجه. وقال صاحب النبات: (٧٨) الورس ليس ببرى، يزرع سنة، فيجلس
 عشر سنين، أي أنه يتقي في الأرض، وبناته مثل بنات السمسم.
 وقوله: كبداء، أي قوس كبداء، وهي الغليظة الكبيرة، يملأ مقبضها الكفت. وكيد القوس: فوبيق مقبضها
 حيث يقع السهم. قال روبية: (٧٩)

سَوْئِي لَهَا كَبَدَاءَ تَنْزُو فِي الشَّنْقِ (٨٠)

نَعْنَيْةَ سَارِرَاهَا بَيْنَ النَّيْقِ

وقال أبو النجم يصف صانداً وقوساً:
 في كفه اليسرى على ميسورها (٨٢)

كَبَدَاءُ قَصَاءُ عَلَى تَأْتِيرِهَا

هَتَافَةَ تَخْفِضُ مِنْ نَذِيرِهَا

والقسي النكس: الضعف، والأصل أن هذه الصفة تكون في السهام، يقال: سهم نكس، بالفتح، أي أنه
 ينكسر، أو أنه الذي ينكسر فوقه، وسهام أنكس: ضعاف.

قال حمزه: ثم دهنها، وخطمها بوتر، ثم عمد إلى ما كان من برايتها، فجعل منها خمسة أسمهم، وجعل

يقلبها في كبه وينشد: (٨٥)

هُنْ وَدِبَى لَسْمَهُ حَسَانٌ

تَلَذُّلَرَامِي بِهَا الْبَنَانُ

كَلَهُ أَقْوَمَهُ مَوزَانُ

فَلَمْ شُرُوا بِالصَّبِيدِ (٨٨) مَا صَبَيَانُ

إِنْ لَمْ يَعْتَشِي الشَّوْمُ وَالْحَرْمَانُ

تلت: خطمها بوتر: ربطها وشدها، قال صاحب النبات: خطم القوس بالوتر / يخطمها خطماً وخطاماً: علقة عليها، وقد يستعار الخطام للدلول قال: (٨٩) (من الرجز)
إذا جعلت الدلو في خطمها (٩٠)

حَمَراءَ مِنْ مَكَّةَ أَوْ إِحْرَامَهَا

قوله: ورببي: قسم، والواو مختصة بالقسم، وكذلك التاء (٩١)، ولا يجوز نكر فعل القسم معهما (٩٢).
ذكرت ذلك في شرحني على الآلية (٩٣). وقد اعتبرت بالقسم بين المبتدأ والخبر.
وقوله: أنسهم حسان، بكسر الحاء جمع حسن، يكون للمذكر والمذكر، ويجوز أن يقول: حسان، بضم
الحاء، وهو مخفف من حسان، والحسان، بالتضييد أحسن من الحسن (٩٤).
والبيان: الأصياغ، وقيل: أطراها، الواحدة بناتة، وفي التزير: وأضرموا منهم كل بنان (٩٥). وقال
الشاعر: (٩٦) (من الرجز)

لَا هُنْ أَخْرَمْتَ بَنَى كَنَّاتَهُ (٩٧)

لَيْسَ لَحْيَ فَوْقَهُمْ بَنَاتَهُ

أراد ليس لأحد عليهم فضل قدر إصبع، أو طرف (٩٨) من الإصبع، شبه أسممه الحسان بالبيان، وهي
أطراف الأصياغ.

وميزان أصلة موزان، انتلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها.
وصبيان جمع صبيّ تقول: هؤلاء صبيان وصبيان - بضم الصاد وكسرها - والكسر أحسن، وهو صبية
وصبية وصبية وأصبية وصبيان وصبيان وصبيان، والأخيرة ضمت الصاد فيها بعد قلب الواو/
ياء:

ولم يعقصي: لم يصرفي ويحبسي. تقول: عاقدة (٩٩) عن الشيء وعوقة وتعوقة، والأخيرة عن ابن
جني، أي صرفة عنه وحبسه.

والشوم: خلاف اليمين، وقد شتم عليهم، وشوم، وشامهم، وتشاءم بالأمر (١٠٠). والحرمان: اسم

ومصدر من قوله: حرمة الشيء يحرمه، حرمة وحرماناً وحرمة وحرمة، أي منعه العطاء. قال جمزة (١٠١): ثم خرج ليلاً (١٠٢) حتى أتى قترة على موارد حمر، فكم فيها، فمر به قطيع منها، فرمي عيراً منها بضمهم، فامضطه، وجازه إلى الجبل (١٠٣)، فأورى ناراً، فظن أنه أخطاء، فلما يقول: (من الرجز)

اعوذ بمنها العزيز الرحمن (١٠٤)

من نكث الجد معه والحرمان

مالى رأيت السهم بين الصنوان

ينهدي شراراً مثل لون العقيان (١٠٥)

قد أخلف (١٠٦) اليوم رجاء الصبيان

قال أبو بكر: أعود بالله: الجا إلية، واعتضم به، وقد عاذ بالله عوذًا وعياذًا ومعاذًا: لجا إلية. (سما) لغة في الاسم، وفيه ست لغات (١٠٧)، نذكرتها في شرح الآنية (١١٠) والعزيز: من أسماء الله الحسنى، وصفاته الطيبة، قال الزجاج (١١١) في معناه: هو المعنٰى، فلا يغلبه مع رفعه وامتاعه. والرحمن: فعلان من الرحمة، ومعنى كثير (١١٢) الرحمة، من أسمية المبالغة، قال الزجاج: هو من أسماء الله عز وجل، مذكور في الكتب الأول، وحكي أبو منصور (١١٣) عن ثعلب (١١٤) أن الرحمن عبراني والرحيم عربي (١١٥).

والرحمن لفظ مقصور على الله عز وجل، والرحيم قد يكون لغيره. قوله: نكث الجد، بفتح الجيم: الحظ والرزق، وفي حديث الدعاء: "اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منه الجد" (١١٦) معناه من كان له حظ وغنى في الدنيا لم ينفعه ذلك في الآخرة، وإنما ينفعه العمل بطاعتك؟ والصوان، بالتشديد: حجارة يقدح بها. قال صاحب التهذيب: (١١٧) حجارة صلبة إذا مستها النار فتفتت، وربما كان تفتتاً تتدحر به النيران. قال الشاعر: (١١٨) (من الطويل)

برى وقع الصوان حد نسورها
فهن طاف كالصعاد النوايل

ويوري شراراً، من: أوري يوري، وقد ورت النار تري، ووري الزند يري، ووري يوري، ويزى، كله يعني اتقى (١١٩)، وقد أوريته أنا، ووريته (١٢٠)، قال الشاعر: (١٢١) (من الطويل)

وأطفي حديث السوء بالصمت إنته
متى شود ناراً للعتاب تأجبا

أي متى توقد. وهو من: أوري. والشرار والشرر: ما تطاير من النار. قال تعالى: "إنها ترمي بشرر كالقصور" (١٢٢) وقال الشاعر: (١٢٣) (من المنسرح)

أو كشارار العلة يضرها الـ
ـقين، على كل وجه تثبت (١٢٣)

ووحدة الشرر شررة، ووحدة الشرار شراره

والعقبان: الذهب، قاله الأزهري، وقال أبو الريحان (١٢٤): يقال لما استنقى عنه من الذهب بلخوصه عن الإذابة العقيان، وأظن أن منه سر العقيان، (١٢٥) وأنشد (١٢٦) (من الطربيد)

كما تخلص العطيان جاء بحثة وطلب على إحسنه حين يوقظ

والعقيان غير العقين الذي هو من الحجارة (١٢٧).

قال حمزة (١٢٨) ثم مكث في مكانه، على حاله، فمر به قطبيع من الخضر آخر، فرمى منها عيرا، فامْخَطَه السهم، وجاز إلى الجبل، وصنع صنيع الأول، ثم أنشأ يقول: (من الرجز)
لَا يُبَرِّكَ الرَّحْمَنُ فِي رَمَى الْقَتْرِ

أَعُوذُ بِالْخَالِقِ مِنْ سُوءِ الْقَتْرِ (١٢٩)

الْمُخْطَطُ السَّهْمُ لِإِرْهَاقِ الْبَصَرِ (١٣٠)

لَمْ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ اهْتِيَالِ وَنَظَرِ (١٣١)

لَمْ نَعْسُنْ يَقْتِي حَذَرَ عَنْدَ قَدْرِ (١٣٢)

قوله: لَا يُبَارِكَ الرَّحْمَنُ رَوِيَ: (١٣٣)

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ سُوءِ الْقَدْرِ

لَا يُبَرِّكَ الرَّحْمَنُ فِي أَمْ الْقَتْرِ

قلت: القتر: جمع قترة، وهي ناموس الصائد، أو الحفرة يحتقرها ليتمكن فيها.

وسوء القدر هنا سوء الطلقة والاستطاعة، إذ لا يصح للإنسان أن يتغوط بالخلق من سوء ما قدر له، لأن الله تعالى لا يقدر سوءاً، وفي الكتاب المزبور: (على الموسوع قترة وعلى المقتر قترة) (١٣٤) والقدر، بالتحرىك والتسكين، وقد قرنت الآية بهما؟ (١٣٥) قاله الفراء (١٣٦).

**وَالْبَصَرُ: الْعَيْنُ، وَقَبْلُهُ: حَاسَّةُ الرُّؤْيَا، وَجَعَلَهُ صَاحِبُ الْمُحْكَمِ حَسْنُ الْعَيْنِ. وَالْاِحْتِيَالُ وَالْحِيلَةُ وَالْمَحِيلَةُ
وَالْمَحَالَةُ: الْقَدْرَةُ وَالْمَحَاوِلَةُ. وَالنَّظَرُ: نَظَرُ الْعَيْنِ، وَنَظَرُ الْقَلْبِ، وَأَرَادَةُ الثَّانِي مِنْهُمَا.**

يقول: لَا يُبَارِكَ اللَّهُ فِي الصَّيْدِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ تَلْكَ الْقَتْرِ، وَإِنَّمَا الْوَذْ بَعْدَ اللَّهِ مِنْ سُوءِ طَاقَتِي، وَضَعْفِي
قدرتى على الصيد، فهل أخاب مهمي بسبب إجهاد العين وكلامها، أم أن إخفاقى في الصيد كان من سوء المحاولة، وعدم الاهتمام بالأمر؟ أم أن حذر الإنسان منها أشتد لا يمحى ما قدر له.

قال حمزة (١٣٨) ثم مكث على حاله، فمر به قطبيع آخر، فرمى عيرا، فامْخَطَه السهم، وصنع صنيع الثاني، وأنشأ يقول: (من الرجز)

مَا بِالْسَّهِمِيِّ يَوْقَدُ الْحَبَاجِيَا (١٣٩)

قَدْ كَتَتْ لَرْجُوَانْ يَكُونْ صَائِبَا

قد لمن (١٤٠) العرو، ولسى جتها
 لصارلى فيه ريا خبها (١٤٢)
 لظل منه فى الكتب داتبا (١٤٣)

بروى: فاختطا العير. (١٤٤)

قوله: يوقن الجاپب، أي نار الجاپب، على حنف المضاف، كقوله تعالى:
 (وَسَلَّقَ الْقُرْيَا) (١٤٥) أي أهل القرية. ونار الجاپب: ما يفتح من النار فصل (١٤٦) شراراً في الهواء بعد
 تصلم الحجارة، ولراد هننا لن سهمة لسطنم بحجاره الجبل، مطلق فيه شراراً ولورى ناراً.
 وكل صاحب (حياة) (١٤٧) الحيوان: قول: العياپب كهداد، حيون له جنانان كالنباب، يضيء بالليل
 كأنه النار، ضربت العرب به المثل، فقلت: أضعت من نار العياپب، وفيه: إن العياپب (١٤٨) رجل من
 بنى محارب بن خصبة، مشهور بالبخل، كانت له نار ضعيفة، وكان يضعها مخالنة نزول الضيوف به،
 فضرروا بناره المثل؟
 وقال في المرصى (١٤٩): يقال للنار القليلة التي لا يشتعل بها، وللنيل الطائر في الليل. أبو جياپب،
 غير مصروفه (١٥٠)

وقوله: صلابت من: أصلب فهو مصيبة على القوايس. وصلبة شاذ، وصلب السهم نحو الرمية يصوب
 صواباً وصيوبه إذا تصد ولم يهز. وصلب السهم الفرطان صلباً لغة في أصلبته (١٥١)، وهذا سهم صائب،
 أي قاصد، وفي المثل: مع الخواطيء سهم صلابت. (١٥٢) وجمع صلبي صواب قل: (١٥٣) (من الطويل)
إذا نهضت فيه تصعد نذرها **كفتر الغلاء** (١٥٤) **مستتر صوابها** (١٥٥)

وقوله: قد امکن العير، روی: وأخطأ العير. كما روی: إذ لمکن العير ولبدى جانبا (١٥٦). وأمکن
 العير: ظفر بالنجاة ولوى هاربا. يقال: ولنى الترسون وتولى إذا أبى، ولوى عنه، أي اعرض، ولوى
 الشيء (١٥٧) ولوى عنه بمعنى. ولوى جانبية: أعرض ولبس مظهرها جانبية، ويجوز أن يكون (ولى جانب)
 بمعنى ولنى عن جانبية، فخفف وأوصل، وهو كما قال للشاعر (١٥٩): (من الطويل)
إذا حاجة ولتك لا تستطيها **لخذ طرقا من غيرها حين تسبق** (١٦٠)

أراد: وللت الحاجة عنك.

وقوله: (فيه) الضمير راجع على السهم. و(جانباً) من الخيبة، وهي الحرمان والخسران، وقد
 خاب يخوب ويذيب، وبالواو والباء، أي خسر. والاكتتاب والكتابة: الحزن وسوء الحال، و(دانباً) من
 الذائب والذائب، وهو لفثان في العلة والشأن وملازمة الأمر. وقد داب يداب داباً وذوباً فهو دائب، إذا كان
 ملازماً للعلة والأمر.

قال حمزة: ثم مکث على حاله، أمناً يترقب، فمرّ به قطيع آخر، فرمى منها عيراً بسم، فامخطه،
 فصنع صنيع الثالث، فأنشأ يقول: (١٦٢) (من الرجز)

(١٦٣) يا لها للشوف والجذ النكذ
 (١٦٤) في قوم صدق لم توئز بلوذ
 (١٦٥) أخلف ما رجو لأهل وولذ
 (١٦٦) فيها ولم يفن العذار والجلذ
 (١٦٧) فخاب ظن الأهل جمعاً والولذ

كلت: يا أسفاء، من الأسف، وهو أشدُّ الحزن والغضب. وقد أسفَ فهو أنيفٌ وأسفٌ وأسفانٌ وأسفٌ وأسيفٌ، أي حزينٌ غاضبٌ. وقد يكونُ الأسفُ بمعنى الجزع. قال تعالى: (يا أسفنا على يوسف) (١٦٨)، أي يا جزعًا، قاله مجاهد^(٦٩) وقول في معنى الآية: واحدناء، قاله قتادة والحسن^(٧٠). قال الشاعر: (من الطويل)^(٧١)

فِي أَسْفٍ لِلْقَلْبِ كَيْفَ اتَّصِرَافُهُ
وَالنَّفْسُ لَمَا مَلَأَتْ فَتَسْلِيْتُ (١٧٢)

وأصله يا أسفى، بالياء، والألف بدل من ياء المتلكلم (١٧٣).

والآودُ: العوجُ.

قوله: أخلف ما أرجو، هو من الخلف والخلف، وهذا لغتان في نكث العهود والتخلّي عن الوعود،
ويجوز أن يكون على المجاز من: **أخلفت النجوم عن أنوائها إذا أمحلت ولم يكن لنونها مطر.** والحادي:
المحاذرة، والجادل: الشدة والتقوة والصبر.

قال حمزة: ثم مكت على حاله، فمر به قطليع آخر، فرمى منها غيراً بسم، فامخطه، فصنع صنعي
الرابع (١٧٤)، ثم أنشأ يقول: (من الرجز)

أبغض خمس قد حفظت عذها

احسن قوسی و ارید و رذہا

آخری الہی پیشہ و مذہب (۱۷۵)

وَاللَّهُ لَا تَسْأَمُ عَنِّي بِعَدْهَا

قلت: قوله: قد حفظت عذها، أي عدتها، وورُد القوس: نصيبيها، أي ما يقسم له من الصيد، وأصله أن الورد النصيبي من الماء، واستعاره لصيد قوسه. وروي: وأريد رذها (١٧٧).

وقولهن: أخزى إلهم: دعاء على قوسه بالخزي، وهو الذلة والهوان، وقد يكون الخزيُّ معنى الفضيحة، كقوله تعالى: (ذلك لهم خزيٌ في الدنيا) (١٧٨) وقد يجيء الخزيُّ بمعنى الهلاك والوقوع في تلقاء، وفي حديث شارب الخمر: "أخزاه الله" (١٧٩)

وقوله: لينها وشدها، أي أنها تعطي في النفع ينكون لينةً، وتمنع أن تؤثر لأن فيها شدة، واللذان والذئب في القوس سفتان فيها، قال الشماخ (١٨٠) يصف قوساً وذكر اللذين فيها: (من الطوبي)
وذاق فأعطيته من اللذين جاتياً كلي ولها أن يفرق السهم حاجزاً (١٨١)

لرجل أن رأيمها لين لرجل ان يفرق التبل فيها منعت ذلك لأن فيها ليناً وشدة، قوله: (من الرجز)
لـ **لـ في كلـه معطيـة متـوعـة**

وقال الكميـت (١٨٣): (من الخفيف)

حـطـتـعـيـ وـتـمـنـعـ الـتـوـتـيرـ (١٨٤)

أراد أنها تعطي في الرسم، وتمنع أن تؤثر، فيها لين وشدة.

وقال آخر (١٨٥) (من الرجز): شريانـة تـمـنـعـ بـعـدـ لـينـ

وقال الهنـليـ (١٨٦) ووصف صانـداـ: (من الواقرـ)

لـهـاـ مـنـ غـرـهـاـ عـمـهـاـ فـرـيـنـ يـرـذـ مـرـاحـ عـلـصـيـةـ صـنـقـوـقـ (١٨٧)

العاـصـيـةـ: القوسـ فيها صـلـابـةـ وـشـدـةـ. وـصـنـفـونـ: لـينـ لـينـ.

قولـهـ: وـالـلـهـ لـاـ تـسـلـمـ عـنـدـيـ بـعـدـهـ، كـفـمـ عـلـىـ كـسـرـهـ، وـأـنـهـ لـاـ يـرـجـوـ أـنـ لـهـ مـعـطـاهـ. وـمـاـ حـيـيـتـ: مـدـةـ
حيـاتـيـ.

قال حـمـزةـ: ثـمـ خـرـجـ مـنـ قـلـرـتـهـ عـلـىـ يـاـسـ مـلـهـ، فـعـدـ إـلـىـ قـوـسـهـ، فـضـرـبـ بـهـ صـخـرـةـ، فـكـسـرـهـاـ، ثـمـ بـاتـ
لـيـلـتـهـ عـلـىـ حـالـهـ عـنـدـهـ. فـلـمـ أـصـبـيـ نـظـرـ، فـإـذـاـ الحـمـرـ الـخـمـسـ مـمـزـعـةـ (١٨٨) حـوـلـهـ، وـأـسـمـةـ مـضـرـجـةـ
بـالـدـمـاءـ، فـنـدـمـ عـلـىـ كـسـرـ قـوـسـهـ، وـشـدـ عـلـىـ إـيـاهـمـ فـقـطـهـمـ، وـأـنـشـاـ يـقـولـ: (١٨٩) (من الواقرـ)

نـدـمـتـ نـدـامـةـ لـوـ أـنـ نـسـيـ نـطـاوـغـنـيـ إـذـاـ لـقـطـعـتـ خـمـسـيـ (١٩٠)

نـبـيـنـ لـيـ سـلـاـهـ الرـأـيـ مـنـيـ وـحـمـقـيـ بـالـغـ قـدـ زـادـ يـلـسـيـ

لـعـرـ اللـهـ حـيـنـ كـسـرـتـ قـوـسـيـ فـواـكـبـدـيـ لـمـاـ فـرـضـتـ حـمـقـاـ

قلـتـ: قولـهـ: نـطـاوـغـنـيـ: تـقـاذـ لـيـ وـتـرـاقـقـنـيـ، فـتـقـبـلـ طـاعـنـيـ وـتـذـعـنـ لـيـ. يـقـالـ: طـاعـنـ بـطـوـعـةـ، وـطـارـعـةـ
بطـارـغـةـ. قالـ الشـاعـرـ (١٩٢) (من الواقرـ)

لـطـاعـ لـهـ الـفـوـادـ وـمـاـ عـصـاـهـ وـقـدـ قـادـتـ هـوـادـيـ فـيـ هـوـاـهـ

وقـولـهـ: (قطـعـتـ خـمـسـيـ)، أـرـادـ أـصـابـعـ الـخـمـسـ، تـقـولـ: خـمـسـ أـصـابـعـ، فـتـونـثـ، وـخـمـسـةـ أـصـابـعـ، فـتـذـكـرـ،
لـأـنـ الإـصـبـعـ تـذـكـرـ وـتـونـثـ.

وـفـيـ لـغـاتـ حـكـاـهـاـ الـلـيـانـيـ عـنـ يـونـسـ وـهـيـ: الإـصـبـعـ وـالـأـصـبـعـ وـالـأـصـبـعـ وـالـأـصـبـعـ وـالـأـصـبـعـ.
وـالـأـصـبـعـ، وـهـيـ نـادـرـةـ، وـالـأـصـبـعـ.

وسفاه الرأي: خفة العقل والحلم، وهو السفهاء والسفهة والسفاهة. وقد سفة وسفة، لغتان بمعنى، والأولى أعلى، ولغة الضم كليلة. قال تعالى: (إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ) (١٩٤) ومنع بعضهم لغة الضم لأن (اللغل) لا يكون متعدياً؟ وحقّ بالغ أكيد.

قوله: (واكبيدي) ندبة. (و(ا) حرف مختص بالندبة، موضوع لها. قيل: الواو فيه بدل من ياء (يا) التي للذاء، والصواب أنه موضوع للندبة). وفرطت: فشررت وفرطت، بالتحفيف: أسرفت. وفي حديث الإمام علي كرم الله وجهه: لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً. بالتحفيف: المسرف وبالتسديد المقصر' (١٩٦).

والغفران (الله) قسم. عمر مبتدأ خبره محذوف على الوجوب (١٩٧) وروي: لعمر أليك (١٩٨) والغفران والعفران، لغتان فصيحتان، بمعنى الحياة، فإذا أسموا فالفتح لا غير. قال تعالى: (أَغْفِرْنَا إِنَّهُمْ فِي سُكْرَتِهِمْ يَعْمَلُونَ) (١٩٩).

قال أبو بكر: وسارث ندامته مثلاً لكل نادم على ما تجني يداه. وحتى المثل فيه كل من وصل إلى الخبر إليه ونثأه (٢٠٠).

واستعملته الشعراً، وتحدى عنه البلغاً وجملة الآباء. قال الحطيني: (٢٠١)
ذمت ندامـة الكـسى لـما ذـلت مـنـي مـطـلـقـة نـوارـ (٢٠٥)

لـصـبـح لـا يـضـيـء لـهـ نـهـارـ	وـصـرـتـ كـلـاقـيـ عـيـنـيهـ جـهـلـاـ
كـآـلمـ حـيـنـ لـجـعـ بـهـ الصـرارـ	وـكـاتـتـ جـنـتـىـ فـخـرـجـتـ مـنـها
لـكـانـ عـلـىـ لـلـقـدـرـ اـخـتـيـرـ	وـلـوـ ضـنـتـ بـهـ نـفـسـيـ وـكـلـيـ

وقال آخر: (٢٠٦) (من الوافر)
ذـمـتـ نـدـامـةـ الكـسـىـ لـما رـأـتـ عـيـنـاهـ مـا فـعـلـتـ يـدـاهـ

تم على يد مؤله، والحمد لله وحده، والصلة على من لا نبي بعده.
قال محرر هذه النسخة محمد بن علي، شمس الدين الشافعي، غفر الله له الذنوب، وستر في الدارين له العيوب..

كان فراغي من تحريرها عصر يوم الأربعاء، الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاثين ومائتين وألف للهجرة، على صاحبها أفضل التحية وأزكي السلام، والحمد لله رب العالمين.
- بلغ عرضاً بأصله -

الحواشي والتعليقات

- (١) الدرر الكلمة: ٢٩٣/١
 (٢) بغية الوعاء: ٣٧٥/١
 (٣) ذيل كشف الطنوون: ١١٩/١ وهدية العارفين: ١١٥/١
- (٤) الدرر الكلمة: ٢٩٣/١
 (٥) بغية الوعاء: ٣٧٥/١
 (٦) ذيل كشف الطنوون: ١١٩/١ وهدية العارفين: ١١٥/١
- (٧) فتح الطيب: ٥١٤/٥
 (٨) الكتبة الكلمة: ١٣٨ حواشى الحق.
 (٩) فتح الطيب: ٥١٤/٥
 (١٠) المصتر السابق: ٥١٥/٥ والمكتب مسماة فيه.
 (١١) المصتر السابق: ٢٨٢/٧
 (١٢) المصتر السابق: ٥١٥/٥
 (١٣) المصتر السابق.
 (١٤) المصتر السابق: ٥١٧/٥
 (١٥) الكتبة الكلمة: ١٣٨
 (١٦) فتح الطيب: ٥٢٥/٥
 (١٧) المصتر نفسه: ٥١٧/٥
 (١٨) الكتبة الكلمة: ١٣٨
 (١٩) فتح الطيب: ٥٢٥/٥
 (٢٠) المصتر نفسه: ٥١٧/٥
 (٢١) المصتر نفسه: ٢٨٢/٧
 (٢٢) الدرر الكلمة: ٢٩٣/١ وبغية الوعاء:
- (٤٢) نفي الشيخ مصطفى الغلايني إلى فلسطين بعد أن اعتقله الفرنسيون للمرة الثانية في ١٦ شباط سنة ١٩٢٤ لمدة خمسة عشر يوماً، ثم أطلقوا سراحه، ونفوه إلى فلسطين في الأول من آذار ١٩٢٤ فاختار مدينة حيفا دار إقامة له. انظر ديوان الغلايني: ١١٥ - ١١٦.
- (٤٣) في الأصل: ابن جرئي؟ انظر ما قمناه في اسمه ونسبه.
- (٤٤) المرقة: بفتح الياء وكسرها: الواحدة من مراتق الدرج.
- (٤٥) كلمة غير واضحة بسبب طمس بعض الحروف.
- (٤٦) الشتبّنُ و الشتبّبُ: لفظ في فعل الشر، يقال: شتبّنَه و شتبّبَ عليه.

- (٤٧) في الأصل: لأنني لأبني الحاجاج. وفيه غلط.

(٤٨) هو السلطان أبو الحاجاج النصري يوسف بن إسماعيل سليم ملك بنى الأحرار في فزانة، ولـي الملك سنة ٧٢٣٢ـ بعد مقتل أخيه، وتتابع قتال الأشبال وبيت لهم. وفي سنة ٧٥٥ـ طعنه رجل مجذون وهو يصلي صلاة عبد القطرين، فمات على الأثر الترور الكفنة: ٤٥٠/٤ - ٥١/٤ والحلل للستنسية ٤٥٦/٢ - ٤٩٩/٢

(٤٩) المثل في: الدرة الفاخرة: ٤٠٧/٢ ومجمع الأمثال: ٣٤٨/٢ والمستقسى: ٣٨٦/١ وجمهرة الأمثال للمسكري: ٢٢٤/٢ وشرح المقدمات للشريسي: ١٦٩/١، ومع المثل قصته في هذه المصادر.

(٥٠) الفاخر: ٩٠ وشارق القلوب للشالي: ١/٢٤٠ والمقدمة لابن عبد ربـه: ١١٢/٢

(٥١) أساس البلاغة: (كتـع)

(٥٢) لنظر: شعر المقوبي: ٢٤٠/١ والدرة الفاخرة: ٤٠٧/٢ ومجمع الأمثال: ٣٤٨/٢ والمستقسى: ٣٨٦/١ وشرح المقدمات: ١٦٩/١ والكتـوس وشرحه واللسان: (كتـع)

(٥٣) الفاخر: ٩٠ ومجمع الأمثال: ٣٤٨/٢ وشرح المقدمات: ١٦٩/١ ولـلسان والتاج (كتـع). وذكر أنه منسوب إلى كـمعة في: الدرة الفاخرة: ٤٠٧/٢. وإلى كـمعة في اللسان والتاج: (كتـع).

(٥٤) هو الليث بن المظفر، وساده بعضهم الليث بن نصر بن سيـار، صاحبـ الغليلـ وأخذـ عنه اللـغـةـ والـحـرـ، وأخذـ عنه كتابـ العـينـ نـاصـاـ، فـتـمـ كـماـ قـبـلـ بـعـدـ وـفـةـ الـغـلـلـ. كـانـ الـلـيـثـ رـجـلـ صـالـحـاـ بـارـعـاـ فيـ الـأـدـبـ بـصـرـاـ بالـشـرـ وـالـنـوـرـ وـالـزـرـيبـ؟ـ الـلـيـلةـ ١٦٤ـ وـبـنـهـ الـرـواـةـ ٤٢ـ/ـ٢ـ وـبـنـهـ الـرـوـعـةـ ٢٧٠ـ/ـ٢ـ وـالـمـزـهـ ٧٧ـ/ـ١ـ وـطـبـقـاتـ ابنـ الـعـتـرـ ٣٨ـ وـمـعـمـ الـأـدـبـ ٤٢ـ/ـ١ـ

(٥٥) اللسان: كـمعـ. (٥٦) الفاخر: ٩٠ وشرح المقدمات: ١/١٦٩ وذكر في التاج (كتـع) أنه من بـنـ ثـلـيـةـ بـنـ سـعـدـ بـنـ قـيـسـ عـيـلانـ.

(٥٧) شرح المقدمات: ١٦٩/١ (٥٨) ذكر ذلك للميداني في مجمع الأمثال: ٣٤٨/٢ وصاحبـ التاجـ فيـ (كتـع).

(٥٩) هو حـمـزةـ بـنـ الصـنـ الأـصـيـلـيـ صـاحـبـ كـتـبـ الـدـرـةـ الـفـاخـرـةـ فيـ الـأـمـاثـلـ الـسـافـرـيـ نـعـوـ سـنـةـ ٣١٥ـ

(٦٠) والنـقـلـ سـيـكـونـ دـهـاـ مـهـنـاـ عـنـ كـتـبـهـ الـدـرـةـ الـمـؤـلـفـ يـاـخـذـ عـنـ الـغـيـرـ وـالـشـرـ، وـيـشـرـعـ تـلـكـ فـيـ كـتـبـهـ. انـظـرـ الـدـرـةـ الـفـاخـرـةـ: ٤٠٧/٢

(٦١) المصدر نفسه. (٦٢) في مجمع الأمثال والتاج (كتـع) أنه من بـنـ كـعـيـثـ مـنـ بـنـ محـارـبـ.

(٦٣) لنـظـرـ الـحـوشـيـ: ٤٤ـ، ٥٠ـ، ٥١ـ.

(٦٤) في الدرة الفاخرة: (من حيثـ أنهـ كانـ يـرعـيـ بـلـانـهـ بـوـاـ كـثـيرـ الشـبـ وـالـخـطـ) وـشـةـ لـرـوـقـ أـخـرـيـ فـيـ روـيـةـ الـخـيـرـ فـيـ سـاـنـ الـصـاصـاـرـ. وـالـخـمـسـ كـلـ مـلـحـ لـأـخـرـ مـنـ الشـهـرـ إـذـ غـزـتـ وـرـقـةـ الـنـفـاـ بـالـسـاءـ وـكـانـ نـفـرـ الـمـشـمـ تـحـوـيـ التـعـيلـ وـالـخـرـافـ وـالـرـمـثـ وـالـطـرـفـاءـ. لـمـ اـشـوـطـ فـهـوـ ضـرـبـ مـنـ شـجـرـ الـنـبـعـ تـتـخـذـ مـنـهـ الـقـسـ، وـبـنـهـ كـنـبـاتـ الـأـرـزـ لـهـ قـضـبـانـ كـثـيـرـ، وـلـهـ ثـمـرـ يـوـكـلـ.

(٦٥) النـقـلـ حـرـفـيـ هـنـاـ عـنـ حـمـزةـ فـيـ الـدـرـةـ ٤٠٧/٢ـ وـفـيـ مـجـمـعـ الـأـمـاثـلـ ماـ يـخـالـفـ الـدـرـةـ وـالـمـؤـلـفـ وـالـمـيدـانـيـ فـيـ مـجـمـعـهـ يـقـنـعـنـ الـدـرـةـ لـحـزـةـ.

(٦٦) في الدرة: فجعلـ يـتـعـهدـ هـاـ كـلـ يـوـمـ وـيرـاقـهاـ.

(٦٧) المشـطـورـ الـأـخـيـرـ فـيـ الـفـاخـرـ ٩٠ـ وـالـدـرـةـ ٤٠٧/٢ـ: (صـلـادـهـ لـيـسـ كـتـقـيـ الـنـكـنـ) وـمـثـلـ تـلـكـ فـيـ مـجـمـعـ الـأـمـاثـلـ وـالـمـحـاسـنـ وـالـمـاسـاـرـ، وـلـكـ بـرـوـايـةـ (صـفـراـءـ...ـ). (٦٨) انـظـرـ هـذـهـ الـرـوـيـةـ فـيـ الـلـسـانـ وـالـتـاجـ: (كتـع).

(٦٩) في الأصل: (وـنـتـتـ الـقـوـنـ بـرـاـهـاـ) وـفـيـ هـذـاـ تـكـرـارـ، وـمـاـ بـيـتـهـ أـجـودـ.

(٧٠) صـاحـبـ الـمـحـكـمـ هوـ عـلـيـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ سـدـهـ الـأـذـلـيـ الـمـتـوـفـيـ سـنـةـ ٤٥٨ـهـ. مـنـ أـكـابرـ عـلـمـاءـ الـلـنـةـ وـالـنـحـوـ.

- (٢٠) هو العجاج عبد الله بن رؤبة التميمي راجز لموي ولد في الجاهلية وعمره حتى توفي سنة ٩٦هـ. والمشطور الأول في ذيوانه: ٨١؛ طبعة عزة حسن. وأدخل الديوان بالمشטור الثاني، وهما له في الكلمة واللسان والاتاج (عرض).
- (٢١) هو علقة بن عبد الفحل التميمي، شاعر جاهلي عاصر أمراًقيس، وكانت بينهما مساجلات شعرية، وفاتهن نحو سنة ٢٠ ق.هـ.
- (٢٢) البيت في ذيوان علقة من: ٢٦ وصف فيه ظليماً. وهو له في اللسان والاتاج (عرض).
- (٢٣) القائل هو الشاعر ساعدة بن جزية الهنلي، من مخترمي الجاهلية والإسلام، أسلم ولم تكن له صحبة، كان كثير التربيب في شعره.
- (٢٤) البيتان لساعدة في ذيوله، ضمن ذيول المهزليين: ٢٣١/١ وصوت لها في المعاني الكبير: ١٠٧، يصنف فيما القوس. وعداها: صوت حفيفها، وزمزوعة: أي كلن حفيفها حفيظ روح عاتية تحطم ما ترمي به والمحذف: الإزار القصير، ولطتها: لونها وقومن ذات لاز: صلبة شديدة وحاشك: حافل. وكتوم: أي هي قوس ليس فيها صدع أو شق.
- (٢٥) (يطلها) مطمسة، ونقلناها عن الذيول.
- (٢٦) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أحد أئمة اللغة والأدب، تبع بالعربية، ورحل في طلبها وألف كتابه العظيم تهذيب اللغة، وكانت وفاته سنة ٣٧٠هـ. ونقل المؤلف هبها عن التهذيب: ٥٧/١٣.
- (٢٧) في الأصل: المقوءة، وهو تحرير صوبيه عن المصباح (درر) لأن النقل عنه، والغمرة، ما انطلق به العروض من الورس.
- (٢٨) صاحب النبات، يرى صاحب كتاب النبات، وهو أبو حنيفة الدبيوري أحمد بن داود بن وتن، ميدنس مؤرخ، بيته، لغوي، كان من نوابي الدهر، وفاته سنة ٢٨٢هـ. وكتاب النبات من أعظم كتبه والنقد هنا عنه.
- (٢٩) هو رؤبة بن العجاج التميمي، راجز لموي مشهور، هو ابن العجاج الراجز، كان هو وأبوه وأبو النجم العجي من أكبر رجال عصرهم، كان يكثر من الغريب عاش معظم حياته في البادية لا يغشى المدن إلا ليكتسب مداهنه. وكانت وفاته سنة ٤٥هـ.
- (٣٠) المشطوران في ذيوان رؤبة: ١٠٧ من أرجوزة قالها في وصف المغاربة.
- (٣١) أبو النجم هو الفضل بن قدامة العجي، كان راجزاً وشاعراً ظريفاً، عاش منتقلأً بين البادية والبصرة و دمشق، ومنح بعض التقليد للأمويين. مات سنة ١٢٠هـ.
- (٣٢) المشطور الثلاثة من الأرجوزة (٣١) الشاطاير (٥٤-٥٢) من ذيوان أبي النجم بتحقيقنا.
- (٣٣) ربما كانت كلمة (الذى) ساقطة هنا، حتى تناسب ما بعده.
- (٣٤) في الأصل: وخبطها. وهو تحرير، والنقل عن الدرة الفاخرة لحمزة: ٤٠٧/٢.
- (٣٥) النقل هنا عرقى عن الدرة بدءاً من قوله: ثم دهنتها.. وحتى: وينشد. لما سائر مصادر الخير ففي الرواية خلاف، إلا أن نقل الميداني يكاد يكون أقرب إلى ما ذكره حمزة في الدرة الفاخرة.
- (٣٦) في شرح المقامات والباب واللسان والاتاج: ياذ. وفي اللسان: للرمي.
- (٣٧) في أصلنا وفي شرح المقامات: كلها.. وفي سائر المصادر: كلها..
- (٣٨) في جميع مصادر الآيات: بالخصب. وما اثبتناه عن أصلنا المخطوط.
- (٣٩) لم نقف على اسم الراجز . (٤٠) المشطوران دون عزة في اللسان: (خطم).

- (٩١) قال المؤشرى: ياء القسم هي الأصل، والباء بدل من الواو العبدل منها. الكشاف: ١٢٦ ومعنى اللبيب: ١٢٣/١٤٠.
- (٩٢) معنى اللبيب: ٤٠٠/١.
- (٩٣) يزيد شرح الفية ابن ملك، وهي من كتب ابن جزيه. انظر ما ذكرناه من مصنفاته.
- (٩٤) انظر للسان: (حسن). (٩٥) في الأصل: واضربوا فوق كل بنان. و تمام الآية: فاضربوا فوق الأعنان واضربوا منهم كل بنان. الأفال: ١٢.
- (٩٦) لم نقف على اسم الشاعر. (٩٧) المشطوران دون عزو في اللسان: (بنن) لام. أصله اللهم، أي يا الله.
- (٩٨) كذا جاء (طرف) بالجزء، فهي بما معطوفة على (اصبع) أي قدر اصبع، أو أنها خطأ صوابه (أو طرفاً من الاصبع) بالعطف على قدر.
- (٩٩) في الأصل: (علم) بالضم، تعريف، أو سهو من الناشر.
- (١٠٠) في الأصل: (الأمر) بقطع الباء. (١٠١) انظر شرة الفاخرة: ٤٠٨/٢.
- (١٠٢) كلمة: (يلا) سقطة من الللة الفاخرة، مع أنه التلل عنها. والقراءة، بحسب الصاند وعنه في لوراق المصيد.
- (١٠٣) في الللة: فرق قطيع منها، فرمى عنها غيرها، فلمخضه السهم، أي جازه ولأسباب الجهل.
- (١٠٤) في الللة ومجمع الأمثل والمستحب والمحذن والمساوي، والفارخر وشرح المقالات: (اعوذ بالله العزير الرحمن) وفي الطباب واللسان والتاج: (اعوذ بالمهين للرحمي) وإنفرد صاحب التاج بذكر الروي اللون، في حين قيده غيره.
- ١٠٥
- (١٠٦) في شرح المقالات: فأخلصن. وفي الطباب واللسان والتاج: (أخلف ظني ورجا الصبيان).
- (١٠٧) ذكر ابن فارس في: لوجز السير من: ٢٤ فيها لمرأة تمومة، ولم يذكر اسمها.
- (١٠٨) الحديث في الفلان: ٣٦/٢ واللسان (عود) ومعناه إبك هنت بمكان العياذ، وبمن للعائذين أن يعوذوا به، وهو الله عز وجل. انظر الفرق: ٣٦/٢.
- (١٠٩) في اللسان (سام) ثنا أربع لغت، وهي عدو بن عقيل في شرحه للثانية: ٣٥/١ ثمان.
- (١١٠) انظر للشاشة: ٩٣. (١١١) الزجاج هو يبراهيم بن السري بن سهل، علم باللغة وال نحو، مات في بغداد سنة ٢٩١هـ. له كتاب في معاني القرآن والاشتقاق والأمثال.
- (١١٢) في الأصل: كبير. ولعل الصواب ما أتيتني. (١١٣) هو الأذرحي لعبد بن محمد. مرت ترجمته.
- (١١٤) هو الإمام ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى، باسم أهل الكوفة في الللة والنحو، عاش أكثر من ٩٠ سنة، وكانت وفاته سنة ٢٩١هـ، خلت بعده مكتبة من تأليفه تزيد على ٤٠ كتاباً.
- (١١٥) في الأصل: لـ الرحن عربي والريحين غيراني. وانظر اللسان (رحم) وتنوير القرطيسي: ١٤٠/١.
- (١١٦) انظر الحديث في صحيح مسلم ٣٤٢/١ - ٣٤٧/٤ كتاب الصلاة برقمي ١٩٤ - ٢٠٥ طبعة فؤاد عبد الباطي وغريب الحديث للهروي: ٢٥٦/١.
- (١١٧) في الأصل: صاحب المهنت. تحرير (١١٨) هو للتباينة للذبياني والبيت في ديوانه: و اللسان: ١٤٥
- (صون) (١١٩) في الأصل: ارتد تحرير. (١٢٠) في الأصل: وأوريته. تحرير.
- (١٢١) هو للتباينة للذبياني والبيت في ديوانه: ١٤٥ وللسان: (صون)
- (١٢٢) في الأصل: ارتد - تحرير.
- (١٢٣) لم نقف على قائله فيما تحت من المظان وهو دون عزو في اللسان: (ورى) أنشده ابن بري.

(١٢٤) المرسلات: ٨٢. (١٢٣) لم ينف على اسمه.

(١٢٤) في الأصل: (ابن الريحاني)، وفيه تعريف. وأبو الريحان هو محمد بن أحمد البيروني الموزع الفيلسوف الرياضي، أقام في الهند زمناً واطلع على فلسفة الهند واليونان، وكتبه كثيرة منها كتاب الجماهر في معرفة البراهين، وكانت وفاته سنة ٤٤٠.

(١٢٥) قول البيروني في كتابه (الجماهر في معرفة البوهار) ص: ٢٢٢.

(١٢٦) لم ينف على قائله، والبیت في كتاب الجماهر: ٢٣٢ برواية (جاد حمکه).

(١٢٧) في الأصل: من البحار، وفيه تعريف.

(١٢٨) الذي قاله حزوة في البرة: ٠٠٧، (ثم مر به قطع آخر، فرمى منه عيراً، فلم يختطه السهم)، فصنع صنيع الأول، وفيه اختصار، وما في أصلنا ثلم.

(١٢٩) في شرح المقدمات والغايات: (.. من شر اللذ) وروي المشطوران (٤-١) في اللسان والتابع:
اعوذ بالرحمن من شر اللذ
لا برارة الرحمن في لم الفتـر

(١٣٠) في اللسان والتابع (كعب): (المختط السهم..) بالمعنى، وهذا معنى وروي المشطور في جميع مشارقه: (إلا هاق الضرر) وما أثبتنا عن الأصل.

(١٣١) في البرة الفاخرة والمستقصي: (من سوء المفتلر ونظر) وفي اللسان: (من سوء احتفال..).

(١٣٢) في الأصل: (إلا حذر عندي تذكرة) ومحضه عن سائر المصادر، والمشطور ساقط من: مجمع المثل والفاخر والمحسن والمسلوى). (١٣٣) نذكره في العائمة: (١٢٩) رواية قريبة منها.

(١٣٤) البرقة: ٢٣٦. وحزوة (١٢٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: (الذرة) بسكون الدال، وقرأ ابن عمر وحزوة والكتابي وعاصم في رواية حفص: (الذرة) بفتح الدال. قال الأخفش: وهذا لغتان فسيحتان بمعنى. تفسير القرطبي: ٢٠٢، وقال ابن خالويه في الحجة: ٩٨: الحجة لمن أدى أنه لزد المصدر، واللحجة لمن حرك ثم لزد الاسم. وقول: هاما لغتان وقال لي اللسان (قدر): وهي باللتقتون (أزيد باللتف) أعلى وأكثر.

(١٣٥) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء التيلمي، ولد بالكوفة، ونشأ بها، وتربى على شيوخها، وأخذ عن بعض البصريين، وكان زعيم الكوفيين بعد الكتائي، وفاته سنة ٢٠٧، وله كتب عظيمة في اللغة والنحو والتفسير.

(١٣٦) (أنظر ابن) كلمة غير واضحة في الأصل.

(١٣٧) في نظره عن كتاب البرة لحزوة: ٤٠٧، اختلف بزيادة بضم كلمات في الأصل هنا.

(١٣٨) في الأصل: (بعد العاجد) تعريف، صاحبناه عن سائر المصادر.

(١٣٩) في المستقصي ومجمع المثل والفاخر والبرقة: وألمكن للذرة.. وفي شرح المقدمات: لما خطط المير. وفي العباب واللسان: (إلا لمكن البير..) (١٤١) في الفاخر: وصار.. (١٤٢) في اللسان: (.. رأينا كائنا).

(١٤٣) المشطور الخامس ساقط من الفاخر والمحسن والمساري، ومجمع المثل وشرح المقدمات واللسان.

(١٤٤) ذكرنا هذه الرواية في العائمة: ١٤٠. (١٤٥) سورة يوسف: ٨٢.

(١٤٦) لعل الأصول: ظفار شراراً.

(١٤٧) الكلمة ساقطة من الأصل، والنتل عن حياة الحيوان للميري: ٢٠٥/١ وليس عن الحيوان للجاحظ كما يوهم النص أعلاه. (١٤٨) في الأصل: العباب. وفيه تعريف.

(١٤٩) المرصنع: كتاب ابن الأثير المزري مجذ الدين المبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

- (١٥٠) انظر قول ابن الأثير في كتابه المرصع من: ١٣٧ . ١٥١) في الأصل: صالح. ولا يصح.
- (١٥١) انظر المثل في: مجمع الأمثال: ٢٨٠/٦ و المستقصى: ٣٤٥/٢ و جمهرة الأمثال: ٢٢١/٢ و فصل المقال للتركي: ٤٣.
- (١٥٢) هو الشاعر أبو ذؤيب الهمذاني خويلد بن خالد الهمذاني، من مخترعاتي الجاهلية والإسلام. أسلم وحسن إسلامه. كان شاعراً فحلاً، مات وهو راجع من غزوة غزاهاما مع عبد الله بن سرح إلى إفريقية سنة ٢٧ هـ. فمات هناك وهو عائد مع عبد الله بن الزبير وجماعة وهم يحملون بشرح الفتح إلى عثمان بن عفان.
- (١٥٣) الكلستان غير وأصنفتين في الأصل، وما ابنته عن ديوان الهمذانيين.
- (١٥٤) الكلستان غير وأصنفتين في الأصل، وما ابنته عن ديوان الهمذانيين.
- (١٥٥) البيت في ديوان الهمذانيين: ٧٦/١ برواية مستدرأ صوابها. يصف أبو ذؤيب النحل. وفتر الغلام: واحدته فتر، وهو نصل السهم. والغلام: العغالاة في الرمي، ثيبة النحل بفتر الغلام.. والبيت في اللسان (صوب) برواية: كعنز الغلام مستدرأ.
- (١٥٦) كلام مكرر. انظر الحاشية: ١٤٠ . (١٥٧) الرواية في اللسان: (كسع).
- (١٥٨) في الأصل: ووليت عن الشيء. ولا يصح لذكر العبار، ولعله فهو من الناسخ.
- (١٥٩) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس، أو بصير، شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم، وكان من أصحاب العلاقات ومن الطبقة الأولى من فعول الجاهلية، وذ على ملوك العرب والفرس. وفاته سنة ٥٧ هـ.
- (١٦٠) البيت في ديوان الأعشى: ٢٢١ واللهان: (لي). (١٦١) لعن الأصوب: حزن وألم.
- (١٦٢) في الكلام هنا زيادة عما رواه حمزة انظر الدرة: ٤٩/٢.
- (١٦٣) في اللسان والتاج (كسع): (إني شؤمسي وشقائي ونند) وزيد بهذه فيما المنظور: إقد شفت مني ما أرى حر الكبد).
- (١٦٤) في شرح المقطمات: لم ترين بألوه. والمطلع ساقط من المستقصى ومجمع الأمثال والعباب واللسان والتاج (كسع). (١٦٥) روي في اللسان: ... لأهلى ووله.
- (١٦٦) المنظور ساقط من اللسان والتاج ومجمع الأمثال.
- (١٦٧) المنظور الأخير ساقط من اللسان والتاج ومجمع الأمثال. ولم ترد المشاطير الخمسة في الفاخر والمحسن والمساريء، وروي في المستقصى: (.. ظنَّ الأهل فيه...) (١٦٨) يوسف: ٨٤.
- (١٦٩) هو مجاهد بن جير المكي مولىبني مخزوم، تابي جليل، مفتر، أحد التفسير عن ابن عباس، وكانت وفاته سنة ١٥٤ هـ. انظر قول مجاهد في: تفسير القرطبي: ٢٤٨/٩.
- (١٧٠) قتادة والحسن: الأول هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري، مفتر حافظ ضرير، كان عارفاً بالعربية وأقام في العرب وأنسابهم، وفاته بطاعون واسط سنة ١١٨ هـ. أما الحسن فهو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي جليل، كان إمام أهل المصرة وحيث الأمة في زمانه، وأخذ العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان. وفاته سنة ١١٥ هـ. وانظر قول قتادة والحسن في: تفسير القرطبي: ٢٤٨/٩.
- (١٧١) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، صاحب عزة بنت حبيب الضمرية، شاعر متيم مشهور، من شعراءبني أمية، كان ديمياً مفترط القسر، وفاته بالمدينة سنة ١٥٠ هـ.
- (١٧٢) البيت في ديوان كثير: ٩٧ برواية:
- فإن سأل الواشون في صرمتنا
فقل: نفس حُر سليت فتسليت
- واظرره في: تفسير القرطبي: ٢٤٨/٩ . (١٧٣) القول للزجاج كما ذكر القرطبي في تفسيره: ٢٤٨/٩.
- (١٧٤) في قول حمزة زيادة عما في كتابه الدرة الفاخرة: ٤٠٩/٢ .
- (١٧٥) في الدرة والمحابين والمساوئ والفالغار ومجمل الأمثال والمستقصى وثمار القلوب وشرح المقطمات:

(أغنى الله..)

- (١٧٦) في الأصل: (أوردها) وبذكرها يطأة، وما ثبتناه عن سائر مصادر الخبر والآيات.
- (١٧٧) وردت هذه الرواية في: **الخنزير والدرة الفاخرة والمستنسى وشرح المقالات والغيب واللسان والتاج**. ولما ما ثبتناه فهو عن أصلنا، موجود عند المولاني في **مجمع المثل**: ٣٤٩/٢.
- (١٧٨) (١٧٩) لم تأت على الحديث فيما بين يدي من كتبه، ووجده بالفظه في اللسان (أغنى).
- (١٨٠) هو الشناخ بن ضرار الذياني وأسمه معن بن ضرار، شاعر فحل من محضرمي الجاهلية والإسلام، شهد القادية وغزا أذربيجان واستشهد في غزوة مؤغان سنة ٤٦هـ.
- (١٨١) **بيوان الشناخ**: ١٩٠ والبيت له في: **المعاني الكبير**: ١٤٤/٢.
- (١٨٢) نسب هذا المشطور إلى العكلي في: **المعاني الكبير**: ١٤٤/٢ و**ديوان المعاني للمسكري**: ٥٩/٢ والصانعون: ٣٤٤، ولم يذكر اسم هذا العكلي عند أحد، وشعراء عكل كثيرون، بعضهم من الشعراء للخصوص. (١٨٣) هو شاعر الباهيين الكهفي بن زيد الأسيدي، من أهل الكوفة، كان عالماً بآداب العرب ولغتها وأخبارها وأشعارها، خطيباً فقيها شاعراً، وفاته سنة ١٢٦هـ.
- (١٨٤) **بيت الكهفي**، في شعره المجموع: ٢٠٧/١ والمعاني الكبير: ١٤٤/٢ وللسان: (إنق).
- (١٨٥) المشطور في: **المعاني الكبير**: ١٤٤/٢ دون عزو. (١٨٦) هو أبو ذؤوب البهلي.
- (١٨٧) البيت في **ديوان أبي ذؤوب**: ١٠٠/١ من **ديوان البهليين**، هو له في **المعاني الكبير**: ١٠٦٨/٢.
- (١٨٨) زينت على اللسان كلمة (مطرحة) وبعدها: (صح).
- (١٨٩) ثلاثة الآيات بيتان في المصادر جميعاً، وزاد أسلنا المخطوط بيتاً جاءه صدره في أول البيت الأخير وعجزه في آخر الثاني هناء.
- (١٩٠) في اللسان (كشك): **لبرت حسبي**، وفي التاج: (القطعت) ثم ذكروا الرواية الأخرى.
- (١٩١) روى: (**الصر لبيك**) في: **الخنزير والدرة والصلعن والمساوي وشرح المقالات والمستنسى ومجمع المثل والعاب ولفظون والتاج** (كش)، وذكر الزبيدي الرواية الأخرى، وستذكر عند الشارح بعده.
- (١٩٢) هو الأحسون التصري عبد الله محمد، شاعر هزل، مذكورة من شعراء المسر الأموي، وفاته سنة ١٥٠هـ.
- (١٩٣) البيت في: **شعر الأحسون**: ٢٠٧ وللسان والتاج: (طوع). (١٩٤) البقرة: ١٢٠.
- (١٩٥) ذهب بعض النحوين إلى أن (و) يجوز لن في ينادي بها غير المتذوق فقول: وإزيد أهل. وقد أحاز ذلك ابن ملك في شواهد التوضيح: ٢٢ ونسبة إلى المبرد، وانتظر مع الهرام: ١٢٢/١ فقد نسب شاعر ذلك غصفور.
- (١٩٦) نظر قول الإمام علي في اللسان: (فرط). (١٩٧) كلمة ملموسة، ولعل الصواب ما ثبتناه.
- (١٩٨) نظر مasic في الحاشية: ١١١. (١٩٩) للحجر: ٧٧.
- (٢٠٠) نثار: من قوله: **ننا الحديث والخبر نثار**: حتى به وشاعه.
- (٢٠١) هو جرول بن أوس العبيسي، شاعر مخصوص هجاء، خبيث اللسان، لم يقدر سلم من أسلنه أحد. مات نحو سنة ٤٥هـ.
- (٢٠٢) البيت في **بيوان الحسينية**: ٣٤٧ وللسان والتاج (كش) والمستنسى: ٣٨٩/١.
- (٢٠٣) الفرزدق لقبه وأسمه همام بن غالب، من تيم، كان واحداً من ثلاثة شعراء كبار في عصر بن أبي لبيه هم جرير والفرزدق والأخطل، وهو أصحاب شعر القائلين، كان من شعراء الطريقة الأولى في الإسلام، وفاته سنة ١١٠هـ ببادية البصرة وقد قارب المائة السنة.

- (٢٠٤) هي البار بنت أعين الماجانية: تزوجها الغزوقي وهي كارهة له، وكانت ذات عقل وفصاحة ولابد.
- (٢٠٥) ثبات الغزوقي في ديوانه: ٣١٣ و مجمع الأمثال: ٣٤٩ /٢ و شرح العقائد: ١٧٩ /١ والثلاثة الأولى في: ثمار القلوب للتعليق: ٢٤٦ /٢ . وهي دون الثاني في الدرة الفاخرة: ١٠ /٢ ، والأول والثالث منها في جمهورة الأمثال: ٣٢٤ /٢ والمستقصى: ٣٨٩ /١ والصحاح واللسان والتاج: (كتاب).
- (٢٠٦) نسب البيت مع بيتهن آخرين إلى الحسين الصنحاني الخليج في طبقات ابن المعتر: ٢٧١ وهو دون عزب في: ثمار القلوب: ٢٤٢ /١ برواية: (أثر نذامة..) وفي الصحاح واللسان والتاج: (كتاب).

المصادر والمراجع للدرس التحقيق

- ١- أسل البلاعنة للزمخشري محمود بن عمرت/ ٥٣٨ هـ تج. عبد الرحيم محمود. طبعة أولى بالقاهرة ١٩٥٣/١٩٥٢.
- ٢- الأعلام: خير الدين الازركي ت ١٩٧٦م الطبعة الرابعة ١٩٧٩ دار العلم للملايين - بيروت.
- ٣- إحياء الرواية على أيام النهاية للقطبي علي بن يوسف سنة ٦٤٦ هـ تج أبو الفضل إبراهيم /دار الكتب ١٩٦٩.
- ٤- لوز السير لغير البشر لأبي الحسين أحمد بن فارس اللخوي ت سنة ٤٩٠ هـ. تج. محمد ثنيس مهرات - مؤسسة النابية حصن.
- ٥- برنامج الوادي الشي محمد بن جابر ت سنة ٧٤٩ هـ. تج. محمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي - أثينا: ١٤٠٠/١٩٨٠م.
- ٦- بغية الوعاء للسيوطى عبد الرحمن بن أبي بكرت/ ٩١١ هـ تج. محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة عيسى الحلبي ١٩٦٤/١٢٨٤.
- ٧- البلقة في تاريخ آئمة اللغة للتغوروزي البادى محمد بن يعقوب ت: ٨١٧ هـ تج. محمد المصري - دمشق ط. وزارة الثقافة ١٩٧٢/١٣٩١.
- ٨- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٥٠ هـ. طبعة الكويت.
- ٩- تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن عبد الله محمد بن أحمد ت ٦٧١ هـ. طبعة دار الكتب، مصورة عنها - بيروت - دار الكاتب.
- ١٠- التكملة والتأليل والصلة للصفاني الحسن بن محمد ت ٦٥٠ هـ. تج. عبد العليم الطحاوي - مجمع اللغة بالقاهرة - دار الكتب ١٩٧٠م.
- ١١- بهنبيب اللغة لأبي منصور الأزهري. تج. عبد السلام هارون وأخرين - ط. القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧.
- ١٢- جمهورة الأمثال السكري. تج. محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش - دار الجيل ودار الفتوح / بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨.
- ١٣- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه الحسين بن أحمد ت ٣٧٠ هـ. تج. د. عبد العال مكرم - ط. مؤسسة الرسالة ١٤١٠ / ١٩٩٠.
- ١٤- الحلول المتقدمة في الأخبار والآثار الانسنية: شكيب أرسلان - نشر المكتبة التجارية بال المغرب ط. القاهرة ١٤٥٥/١٩٣٢.
- ١٥- حياة الحيوان الكبير للمربي محمد بن موسى ت ٥٨٠ هـ ط. دار القاموس - بيروت.
- ١٦- الدرة الفاخرة في الأمثال السازرة: حمزة بن الحسن الأصبهاني ت نحو ٣٥١ هـ تج. عبد المجيد قطامش. دار المعارف بمصر.
- ١٧- النزر الكامنة في أعيان العادة الثامنة لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ت ٨٥٢ هـ. طبعة مصرية - دار

الجبيل - بيروت.

- ١٨- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قين، تتح. د. محمد محمد حسين - مكتبة الأدب بالقاهرة ١٩٥٠ م.
- ١٩- ديوان الحطينة جرول بن أوس البصري بشرح ابن السكينة والمسكري والمستاني تح. نعمان طه - مصر ١٩٥٨/١٣٧٨
- ٢٠- ديوان روزة بن العجاج تح. وليم بن الورد البروسي. دار الأفاق - بيروت - طبعة ثانية ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- ٢١- ديوان الشماخ: مغلن بن ضرار المتفاني شهيداً سنة ٢٢ هـ. تح. صلاح الدين الهادي دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١.
- ٢٢- ديوان العجاج عبد الله بن روزة ت ٥٩٦ هـ. تتح. د. عزة حسن ١٩٧١ م دار الشروق - بيروت.
- ٢٣- ديوان علامة بن عبد الفحل مع ديواني طرقه وعلمه. دار الفكر للجميع - بيروت ١٩٦٨.
- ٢٤- ديوان الفرزدق بشرح إسماعيل الصاوي. مصر سنة ١٣٥٤ هـ.
- ٢٥- ديوان كثير عزة تتح. د. إحسان عباس - بيروت - دار الفاقہ.
- ٢٦- ديوان مصطفى الغلاياني ت ١٩٤٤ م ط. المكتبة العصرية - بيروت. ط. أولى ١٤١٣ - ١٩٩٣.
- ٢٧- ديوان النابغة التميمي. تتح. محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م.
- ٢٨- ديوان الهمتين - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب - بالقاهرة ١٣٨٤ - ١٩٦٥ م.
- ٢٩- نيل كشف النقون: إيضاح المكون لاسماعيل محمد البغدادي - ط. مكتبة المتنى - بيروت.
- ٣٠- شرح ديوان أبي النجم العطبي الفضل بن قدمات ت ١١٢ هـ. وتحقيق محمد أيوب جمران.
- ٣١- شرح ابن عقيل للأغنية: عبد الله بن عقيل ت ١٧٦٩ م. تتح. محمد حسني الدين عبد العميد. طبعة مصورة. دار إحياء الكتب - بيروت.
- ٣٢- شرح مقلمات الحريري للشريسي أحمد بن عبد المؤمن ت ١٦٠ هـ. تتح. محمد عبد المنعم خفاجي ط. ثانية ١٩٧٩/١٤٩٩ مصر
- ٣٣- شعر الأحوص: عبد الله بن محمد الأنصاري ت ١٥٠ هـ. تتح. عادل سليمان جمال. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧.
- ٣٤- شعر الكمبيت بن زيد الأنصي. جمع وتحقيق د. داود سلوم - بغداد ١٩٦٩ أممٌ.
- ٣٥- شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مطر. تتح. محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة لجنة البيان العربي.
- ٣٦- صحيح مسلم - تتح. محمد فؤاد عبد الباقي ١٩٥٤/١٣٧٤.
- ٣٧- الصحاح (تابع اللغة) إسماعيل بن حمذان ١٣٩٣ هـ. تتح. أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم بيروت ط. ثانية ١٩٧٩/١٤٩٩.
- ٣٨- طبقات الشعراء لابن المعتز. تتح. عبد المستار فراج - دار المعارف بمصر.
- ٣٩- السابب الزاخر والباب الفاخر للصفاني الحسن بن محمد ت ١٦٥٠ هـ. تتح. محمد حسن آل ياسين ط. بغداد ١٤٠٠ - ١٣٩٧.
- ٤٠- العقد الفريد لابن عبد ربہ الأنطلي لحمد بن محمد ت ١٣٢٧ هـ. تتح. محمد سعيد العريان - دار الفكر - بيروت - طبعة مصورة.
- ٤١- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروري ت ٢٢٤ هـ. طبعة مصورة عن ط. جيدر لابد ١٣٩٦/١٩٧٦ - دار الفكر بيروت.
- ٤٢- الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة ت ١٣٩١ هـ. تتح. عبد العليم الطحاوي - تراثنا - وزارة الثقافة بمصر ١٣٦٠/١٣٨٠ - دار إحياء الكتب العربية.
- ٤٣- الفائق في غريب الحديث للزمخشري محمود بن عمر ت ٥٣٧ هـ. تتح. علي البحاري ومحمد أبو الفضل

- ٤٤- ابو اهيم - دار الفكر بيروت ١٣٩٩/١٣٧٩ .
- فصل المقال لأبي عبد البكري عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ . تتحـ إحسان عباس وعبد المجيد عابدين - دار الأشنة - دار الرسالة بيروت ١٣٩١ .
- ٤٥- لفظون المصحيط للغورو زيلدي محمد بن يعقوب ت ١٣٢٢ ط. بولاق ١٣٨٧ .
- ٤٦- القرآن الكريم .
- ٤٧- كتاب الجامع في معرفة البوادر لأبي الروحان البيروني محمد بن أحمد ت ٤٤٠ هـ . عالم الكتب - بيروت .
- ٤٨- الكتبة الكلمة - لسان الدين بن الخطيب تتحـ د. إحسان عباس ط. دار الثقافة - بيروت ١٩٦٣ .
- ٤٩- كشف الظنون: مصطفى بن عبد الله حاجي خلقة ت ٦٧١ هـ . ط. مكتبة المتن - بيروت .
- ٥٠- لسان العرب لأن منظور محمد بن الحكيم ت ٧١١ هـ . دار صادر - بيروت .
- ٥١- مجمع الأمثل للمدائني أحمد بن محمد ت ٥١٨ هـ . تتحـ محمد محبي الدين عبد الحميد . دار الفكر - بيروت ١٩٧٢/١٩٩٣ .
- ٥٢- المحاسن والمساوي: إبراهيم محمد البيهقي . تتحـ محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة نهضة مصر ١٩٦١/١٣٨٠ .
- ٥٣- المرسم لأن الآثار المبارك بن محمد ت ٦٠٦ هـ . تتحـ د. إبراهيم المساروي . وزارة الأوقاف العراقية ١٩٧١/١٣٩١ .
- ٥٤- المزهر للرسوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ . ط. دار الفكر - بيروت .
- ٥٥- المستقصي من أمثال العرب للزمخشي موسود بن صدر ت ٥٣٨ هـ . دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٧/١٣٩٧ مصورة عن ط حيدر آغا .
- ٥٦- المعاني الكبير لأن قتيبة عبد الله بن سلم ت ٢٢٦ هـ . تتحـ عبد الرحمن بن يحيى الهمائي - دار الكتب العلمية ١٩٨٤/١٤٠٥ .
- ٥٧- مجمع الأمثلاء ليقوط للحموي ت ٦٦٦ هـ . ط. الرفاعي بالقاهرة ١٩٢٢ . جمعي البيهقي الحلبـ .
- ٥٨- مجمع شواهد العربية: عبد السلام هارون طـ أولى ١٣٩٢-١٩٧٩ - مكتبة الماتجـ بيـرـوـتـ .
- ٥٩- مجمع المؤلفين: عمر رضا كحالـة - مكتبة المتن - بيروت ١٣٧٩/١٩٥٧ .
- ٦٠- مغني اللبيب لابن هشام عبد الله بن يوسف . ت ٧٦١ هـ . تتحـ د. مازن المبارك - دار الفكر ١٣٨١/١٩٦٤ .
- ٦١- تفحـ الطوبـ من غصن الأنبلـنـ الـطـوبـ لـالمـقـريـ أـحـمـدـ بـنـ مـصـدـ تـ ١٠٤١ هـ . تـتحـ دـ. إـحسـانـ عـبـاسـ دـارـ صـادـرـ بـيـرـوـتـ ١٣٨٨/١٩٦٨ .

أدب الفئات الهماسية

في العصر العباسي

أحمد الحسين

يُعنَى النظر في الدراسات والأبحاث المعاصرة التي صدرت على مدى نصف قرن وأكثر بخرج بانطباع راسخ أن هذه الدراسات لم تتعامل مع الأدب في عصوره المختلفة بروزية شمولية تطلق من اعتبار أن الأدب والحياة صنوان وأن الأدب شيئاً لم يُبْرِأْ ثرةً من ثمار التفاعل المهاهن أو المشاكس بين الأدب والمجتمع. وبعيداً عن هذا التفاعل ينوي الأدب، ويختنق الأدباء.

وليسو غفات جمالية ونقدية واجتماعية وقعت عشرات الدراسات والأبحاث في مطلب الانقاذية المكررة فلم تقدم لنا بالدورAMA تستوفي كل مظاهر الأدب التي كانت سائدة في عصر من العصور بل اهتمت بجوانب وأسقطت أخرى وأبرزت أسماء وأغفلت سواها أو رفعت من قيمة تiarات وحطت من شأن أخرى وفي ظل نظرة متاخرة لفنون الأدب الرسمي وما دار في فلكه. وكذلك الأمر بالنسبة لأدب الإعلام وما يسمى بـأدب القم فإن العين كان من نصيب التiarات والظواهر الأدبية التي نشأت في بيئة العامة وترسبت في أرضية الواقع الاجتماعي. وللتقرير هذه الصورة إلى الأذهان تأخذ من بين عصور الأدب العصر العباسي الذي كان يمور بكل ما هو جديد في الحياة والأدب.

ولكن الموقف المتعالي نفسه أو المحنّاز حال دون اكتشاف ما كان يجري في تلك العصر. وبأخذنا العجب حين نقارن بين موقف مجموعتين من الأدباء قديماً وحديثاً في رصد مثل هذه الظواهر الشعبية فقد كان الجاحظ وبديع الزمان والحريري والشعالي والتوكيد أكثر معاصرة من بعض أدبائنا المحدثين وأوسع آفاقاً وأعمق رؤية في غایاتهم بتiarات عصرهم. وبذلك عبروا عن نزعة شعبية وواقعية باهتمامهم بأدب الفئات الدنيا أو برصدتهم للظواهر المنبودة وهذا ما نلمسه في مؤلفاتهم التي تعد مصادر لا غنى عنها لكل باحث وأديب.

وابين هذا الموقف من مواقف كثير من الباحثين المعاصرین ومؤرخي الأدب الذين ظلوا بعيدين عن تiarات أدب القصاص، والشطار والطفيلين والحمقى والمعفليين وسائر فئات الشحاذين والمتسلولين المكدين، والمفلوكيين.

وبأخذنا العجب أكثر من تلك الدراسات التي لم تعد تضيف جديداً، وهي تجتر الآراء المعادة، والأفكار المطروقة في الوقت الذي لا نصادف فيه دراسة جادة تلم بملامح الوجه الآخر للأدب والحياة، الوجه المعبر

عن التشرد والاغتراب والمسكون بهواجس القلق ونوازع الاعراض.

هذا الأدب الذي أقصد هو أدب الفنات الهم الشية أو المهمشة وهو أدب من طراز يخالف ما هو سائد، أدب له سمائه وخصائصه ومضمونه المعبر عن حياة البسطاء المهمشين، وأحساس المعدمين المتنبؤين، وأصواتهم الساخطة المتمردة، ومولفthem الناقدة الرافضة.

وعلمونا لبينا أن ظاهرة التهميش تنشأ إثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتتمس في إطار العدن. وهي ظاهرة قديمة وجديدة لا يمكن تجاهل وجودها في تكوين المجتمعات.

ويشير د. اسماعيل قيرة إلى أن الهم الشيين هم "أولئك الأفراد الذين يعيشون على هامش أية فئة أو طبقة اجتماعية. وفي التراث السوسيولوجي استخدم مفهوم الرجل الهم الشي ليشير إلى الفرد الذي ينتهي إلى تناقضين أو مجتمعين دون أن يتندمج في أحدهما اندماجاً كلياً، وربما شجع ذلك بعض الدارسين على القول بأن هناك ارتباطاً بين الهم الشية والشعور بالغربة أو العزلة الاجتماعية"(١).

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا يرتبط ببعضهمون أدب الفنات الهم الشية كما يرتبط بالقضايا التي أثارت أولئك الأدباء. وربما يرتبط من ناحية أخرى بالواقع التي أدت إلى انخراط تلك الفنات في عالم التسلل، والتحامق، والتتجان، والتطفيل وسوها. ولا شك فإن الإيجابية عن تلك التناقضات لا يمكن أن تستوي في وقت قصير وبث موجز، ولهذا سنكتفي بإشارات سريعة تكون مفاتيح للدخول في عالم ذلك الأدب المتنبؤ. والمرفوض. وستكون وفتنا بشكل أساسي عند أدب الحق والمحامين وأدب المسؤولين والمكدين.

* بين الحماقة والتحامق.

إذا كان الحق باتفاق المعاجم نفيض العقل فإن التحامق بإجماع الآراء نفيض ذلك وخلانه لهم لا يرجع إلى تكوين ينشأ عليه المرء ولكنه ينطلق من تقييم مقصود بخلاف الحقيقة، فالتحامق شخص يرتدي ليس الأحق بالأسباب إذا ما عرفناها لمنكنا أن نفس انجراف الكثير من الأدباء والعلماء والمتصرفون إلى سلك الحماقة ونمط الرقاقة.

ولعل القراءة الدقيقة لنصوص أولئك المحامين، وتحليل اعتقادهم الشخصية تهدنا بأكثر تلك الأسباب وفي مقتتها يبرز دافع العمل والتكتسب، بالإضافة إلى أغراض أخرى منها النقد الاجتماعي، والخلاص من المآزر، والتحرر من سلطة الرقابة، والهرب من الواقع إلى دنيا الوهم والخيال.

وهذه الأسباب أو الدوافع تشكل مادة أدب الفنات الهم الشية، كما أنها تكشف عن الأرضية التي صدرت عنها مواقف أولئك الأدباء.

ولكي تتضح لنا هذه الجوانب نرى أن نمر على كل منها مروراً سريعاً فماذا سنجد؟

* التكتسب بالتحامق، والتسول:

في البداية نشير إلى أن الأزمات التي يمر بها الأدباء والمتقوّن ليست واحدة، كما أنها ليست مطلقة. والصورة المشرقة التي تقرأ في جوانبها عن شاعر أو لبيب كان ينعم بأسلوب الحياة الهائلة لعطاء أصبه أو جلالة فاز بها، هذه الصورة تقابلها صورة كافية عن بذل أبناء وشعراء وعلماء كانوا لا يجدون قوت يومهم، ورزق عواليهم(٢).

وفي المجتمع العباسي أخذت صورة البروس تتسع ولا سيما في مرحلة التفكك والضعف وبروز الاضطرابات. وفي أيام الزعامات، وما نجم عن ذلك من خلل اقتصادي أو نزاع سياسي، واجتماعي. وفي هذه البيئة انحدرت مكانة العلم، وانحطت منزلة العقل، وكستت بضاعة الأدب مما دفع الكثيرين إلى التشرد والاغتراب والجنوح إلى دنيا التسول، والتطفل، ومن هذا المنطلق صار التحامق وسيلة لكسب القوت والثروة أيضاً^(٣).

ويبدو أنأخذ دور المهرج المتحامق بيدوي إلى تحقيق هذه الغاية بأسرع أو أضمن من دور الجد والعقل ففي محاجرة "ابن أخي رامو" لبيدو نجد المهرج المتحامق المتجازن يخاطب الفيلسوف قائلاً: كنت ساوير مثل جميع المسؤولين الذين أثروا. كنت في السابق أسرق الأموال من تلاميذى، أما الآن فإني أكسب هذه الأموال على الأقل مثل الآخرين.

إن أهالي التلاميذ كانوا يغصون بثرواتهم المكتسبة الله يعلم كيف، لقد كانوا من رجال الحاشية ومن رجال الأعمال والنبلاء، وكبار التجار، فإذا كانت كل الأنوار تتصارع في الطبيعة فإن كل الأوساط تتقابل في المجتمع، إننا كنا نقيم العدالة على طريقتنا من غير تدخل القانون^(٤).

هذا النص يضيء جوانب هامة ليس في زمن بيدو ومجتمعه. ولكنه يضيء جوانب مشابهة في كثير من المجتمعات. ولعل ذلك مع بعض فروقات الزمان والمكان هو ما أحاط بأداء الفئات الهاشمية.

وعلى هذا الأساس كانوا يكسرون العال كالأخرين، لقد أرهقهم طريق العيش بالعقل والجد فرجموه بالتحامق والتجازن، والتسول والاستجداء، يقود إلى الثروة و المجالس الجاه، ومراكز السلطة لكنوا المهرجين والمضحكون الذين استطاعوا بهذه الطريقة انتزاع المال الذي يعلم الله بأية طريقة جمع وكسب.

هذا شاعر اسمه أبو العيز قال في مصادر التراث إنه حافظ لكل عين. جيد الشعر، ولم يكن في الدنيا صناعة إلا وهو يعملها ببيده^(٥) ورغم ذلك كان معدماً في نهاية النصب واللغنة^(٦) وكان المؤسف أن مجر أبو العيز العقل وسلك درب التحامق لإدراكه كما يقول ابن المعتز: أن الحمالة والهزل أنفق على أهل عصره^(٧) فكتب بححالاته كما يقول الأصفهاني: "أضعاف ما كسبه كل شاعر في عصره بالجد"^(٨).

وكان يرد ذكره في بعض المجالس، وتذكر حمالاته، وسقوطه فراراً يزيد بن محمد المهلي أن يقف على حقيرة أمره، فلأجاب عن ذلك محمد بن مذرك بالقول: "والله ما كان إلا ليبيأ فاضلاً، ولكنه رأى الحمالة أنفق، وأنفع له فتحامق"^(٩).

وشاعر آخر اسمه ابن ملولة كان جيد الشعر، مصابب الرأي، ولكنه محروم لا يزويه له ثنبذ العقل جانبها، ومال إلى التحامق، وأخذ في الهزل والعبث، فحسنت حاله، وراج أمره، حتى إن الملوك والأشراف ألمعوا به^(١٠).

وهذا أبو العجل الشاعر المتحامق يدعى عن تعلوته في عالم الحمالة بالمقارنة بين ما كانت عليه حياته زمن العقل والجد، وما صارت إليه في عهد الحمالة والرقابة فوقول: (١١)

أكفافاً ملتفةً محسنةً أو مجمّلاً منطمسولاً
فَدَهْنَتْ مُثْنَةً لِوَلَا
وَالشَّمْ نَسْمَةً موْبِلاً
لَهْنَتْ مُصْرَرْ دَارِضَهَا

نهائيٌ متنلاً
بالعقل كي أنمولاً
لغمضت أن اندولاً
حال العمقة أجملها
حتى أعود فاعطلاً

وقدِّي الجزيرة لم أدع
الاحتلة قضاة
وإذا التعامل حرقـة
فتقفر إلى أمانـة
من ذا عليه مؤنة

ونقرأ هذا الاعتراف مرة أخرى في قول ابن قادم (١٢) :
أيتها اللهمون في الحنف مهلاً
ولقد هلتْ حين اخروا بلوبي
ويموتون إن تعلقت هزلاً
حقني قلتم بقوت عالي

ذلك هي مأساة الأدب والعقل والجد كما عبر عنها أكثر من شاعر كان الشاعر الأحنف العكبري،
الشاعر المكدي، واحداً منهم إذ قال: (١٣) .

يكاد يدرك إلا بالتفاريق
ولا يشعرون ولكن بالمخاريق
فلمنتُ لائق إلا في الرساتيق
والناس قد عدوا أني أخو حيل

ومن هذا المنطلق كان اعتراف شاعر آخر بتظاهره بالجنون لأنَّه الوسيلة على ما يبدو لكسب القوت إذ يقول: (١٤) :

لائعٌ في ذا الزمان حرمان
جنت نفسي لكي أثال غنى

*النقد الاجتماعي:

والتقد الاجتماعي لمظاهر الخطأ والفساد هو المنطلق الآخر لأدب الفئات الهمامشية فالمحامقون يسيرون على خطى نبيشه في رفضهم التسلیم بظواهر الأشياء وتجاوز ذلك إلى الأعماق والخلفايا ويرون في تقدمهم أن الإيمان بالحقيقة هو الجنون بعينه (١٥) .

وفكرة هؤلاء الأباء أن الإنسان ما دام مستسلماً لنفوذ الظواهر المكرسة وخاضعاً لسلطتها فإن العقل لا يكفي لاكتشاف بطلانها إذ تبرز أمامه سدود صارمة رادعة زاجرة، وعندئذ فإن التجان أو التحامق هو السبيل لاختراق تلك الحواجز وهو المنهج للتوريض سلطة ما هو سائد ومفروض وذلك على غرار ما يقول فوكو في تاريخ الجنون: "لقد علمتنا التجارب أنه غالباً ما نستطيع التوصل إلى الحقيقة عن طريق اغتصاب العقل وأختراق حدوده القاسية" (١٦) .

والمعنى أن العقل ضمن منطق الحسابات قد يؤثر السلامة فيتناقض مع الواقع القائم في حين أن التحامق أو التجان أو يسقط مفهوم الحسابات فإنه يتجاوز حدود المنع. وتظاهر المحامقون بالجنون أو الهلوسة أسلف

عنهم عقاب المجتمع بذريعة غياب العقل وهذا ما جعلهم أكثر قدرة من الآباء الآخرين على ممارسة النقد الجارح والمعيق لمظاهر الفساد والخراب والقراءات كثيرة في الدلالة على عجز العقل في مواجهة سلطة الاستبداد أو الجهل المتنفس. وكتب التراث ترعرع بحوادث الاختيارات وأصناف التعذيب وأشكال المطاراتات والفنى والسجون.

ونقد المתחامقين أسلوب ذكي أو هو مواجهة ذكية للواقع بالوسائل التي تسجم مع منطق ذلك الواقع وبالطريقة الممكنة التي تحقق غرض أولئك الساخطين المتنفسين.

لقد تناول الحمقى والشحاذون كثيراً من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية بالنقد والتقييم ولم في ذلك جولات طافت مظاهر التسلط والظلم والتملّز والاستغلال. وتبين بين أيدينا المحاورات المشهورة بين سعد المجنون والمتوكل وبين بهلوان المؤسوس والرشيد وبين علي بن الهادي (١٧).

فهل كان سعدون المجنون قادرًا على مخاطبة الخليفة ونقده لو لم يكن مجنوناً أو متظاهراً بالجنون إذ يقول (١٨) :

لست قصراً حيث المسيل والفرق
لمستنة حيث لا سون ولا حرق
لدخلت لنفسك هنال الوراء يا حبلى
يا من يبني الفخر في الدنيا ومشينا
دو كنت تقسى بذخر ثنت ذاهرة
والموت مصطيح منكم ومفتقى

وللتتأمل هذا الموقف الذي اعتبر من فيه صباح المؤسوس موكب صاحب شرطة ابن هبيرة وبادره بالقول أمام الناس: «يا بن أبي الزرقاء لسمنت برتوكيلك وأهزنت دينك أما والله إن أسامك عقبة لا يجازها إلا المُفْعَل». فوقف ابن أبي الزرقاء. فقال له: هو صباح المؤسوس. فقال: ما هذا بمؤسوس» (١٩) .

وفي الجانب السياسي للمعبر عن التناقضات والاضطرابات والفووضى وتزاوج الزعامات ظهر المתחامقون معرفة دقيقة في لهم ما يجري فجئوا بالفقد الكافش الذي لا يحمل ولا يبتر ولا يداري ومن ذلك أن سببويه المجنون تعرّض في الأسواق لموكب جعفر بن الفضل بن الزرات ناكدا وهازنا إذ قال: «ما بالني أني الفضل قد جمع كتابه ولفق أحصيابه وحمد بين بيده حجله وشم لفته وساق للعسكر من خلفه؟ أبله أنه الإسلام طرق وأن ركن الكعبة سرق؟» قال له رجل: هو اليوم صاحب الأمر ومدير الدولة. فقال عجبنا: ليس بالأمس نهب الأتكراك داره ونكروا أثراه وأنهروا عواره وهو اليوم يدعونه وزيراً ثم صبروه أميراً. ما عجبنا منهم كيف نصبوه بل عجبنا كيف تولي أمر عوهم وررضوه» (٢٠) الذين على هذا النحو يعيين الخلاص والوزراء ثم يكون عزائم أو خلائم؟

والنقد بإظهار الجنون أسلوب عرفه الفرق والطوائف والأحزاب فقد أشار أبو دلف للغزرجي إلى المرور في قصيدة المشهورة: (٢١) .

غدا غيظ ببني البشر
ومتنا حمل مشرؤ

وجاء في شرح ذلك أن المعرورين توم وليسون الثياب الممزقة ويحلقون لعاصم ويوهمنون لهم موسوسون وأن المرار غلب عليهم فيشدلون بفتحة ويغمون أخرى وينسبهم الناس إلى الجنون فلا يزاخفونهم بما يقولون.

وفي مقام النقد يبرز صوت الأخفف العكברי المكدي وهو شاعر استطاع أن يكتشف خلل عصره وسبب سوء حاله وحال أقرانه من الأدباء الهمشرين فوجد علة ذلك في النهب والاستغلال والتسايز والتقارب الطبقي والاجتماعي وفي ذلك يقول: (٢٢)

مثل العروض تراعت في المقاصير
إذا تخلصت من أيدي الخنازير

رأيت في النوم نثنيتا مزخرفة
فقلت جودي. فقالت لي على عجل

وفي إطار نقده السياسي يصور لنا بتورية ذكية شخصيات السلطة ورموزها في عصره ليدل على أن سوء الأمور نتيجة منطقة لتصرات أولئك المغلقين الساذجين من الولاة والحكام فيقول: (٢٣)
قال: رؤيا المنام عندك حق
فتنت: هيئات كل ذلك بخار
فكيف المفطع والنخار؟
لبيت يقطنهم يصح له الأمر

هناك جوانب أخرى من نقد الأخلاق والعادات ومظاهر الرياء والتعلق لم تكن بعيدة عن اهتمامات أدب الهمشرين يمكن أن تصادف نماذج كثيرة تكشف عنها في بطون كتب التراث.

*التمرد الذاتي

ويبدو أن الجنون كما يرى فوكو ذو طبيعة كونية حين يرتبط بحدود الحرية التي تسمح بها ثقافة ما فالحرية "لها حدود سواء في مجال السياسة والأخلاق والدين والجنس والتعبير" (٤) ويبدو أن لكل "عصر وكل ثقافة قوانين قسرية" ومن يتمرس على سلطة هذه القوانين ويخترق حدودها يواجه غضب المجتمع ونقمته.

والقانون بعد ذاته لا يمكن أن يحقق مصلحة كل الفنات ولا أن يلبى رغبات الجميع ومن هنا تبرز المقارنة بين التوافق والتضاد.

ولعل أكثر الأدباء الهمشرين كانوا يحسنون في أعمالهم نزواً إلى التمرد والتحرر من سلطة المجتمع بشكلها المختلفة. وعندما لم يكن هذا الأمر ممكناً في الظروف المألوفة اتخذوا التحاكم أو التجانس وسيلة للخلاص من سلطة المجتمع والتمرد على نواظمه وقيمها وثقافته وتقاليده.

وهكذا عبر أدب الهمشرين عن تمرد غير مباشر اتخاذ شكل اختراق السائد والمألوف في السلوك الفردي ذي الاتجاه الواضح في الفرضي والعدمية كأسلوب في تقويض أساس ما هو قائم في إطار الصراع غير المتكافئ بين الطرفين.

فقد كان أبو العبر على سبيل المثال يأتي بكل ما يصدم المجتمع فهو يصطاد عارياً وقد ربط في كل عضو من أعضاء جسده الله من آلات الصيد (٢٥) دون أن يقيم وزناً سلطة المجتمع ويسر على أن يأتي من الأقوال والتصيرات والحركتات ما يناقض قيم مجتمعه وأعرافه بل نجده وفي كثير من المواقف يتمرس على طبيعة اللغة ويهزأ من الشعر ويقيم علاقات جديدة بين الأنفاظ والتراكيب تشكل تمرداً سرياليًا يهشم فيه اللغة وعلاقات المعنى مع ولع خاص بالخرافي والعبتي واللامعمول إذ كان يعقد مجالسه في الأسواق والساحات العامة في هيئة غريبة فهو يرتدي في رجليه قلنسوتين ويعتمر على رأسه خفاً وقد جعل سراويله

قديساً. وفقيسه سراويل(٢٦) ومن حوله جوقة تدق بالهواين حتى إذا ما اجتمع الناس وأشتد الصخب بدأ المشهد بطرح الأسئلة من الحاضرين فيرد عليهم أبو العبر بطريقة شير الضحك دون أن يكون هناك ترابط بين السؤال والجواب.

وقد وصف لنا ابن المعتر أحد مجالس أبي العبر وما كان يدور فيها قائلاً: سأله أحدهم: يا أبي العبر لم صار مجلة أعراض من الفرات والقطن أبيض من الكماة؟ فقال لأن الشاة ليس لها منقار وذنب الطاوس أربعة أثبار.

وقال آخر: لم صار العطار يبيع اللب وصاحب السقط يبيع اللبن؟ فقال لأن المطر يجيء في الشتاء والمنخل لا يقوّم به الماء. وقال آخر: لم صار كلّ خصيًّا أمرد والماء في حزيران لا يبرد؟ فقال لأن السفينة تجنح والقارب يرمح(٢٧).

لن ولع أبي العبر بالمُحال من الكلام يكشف عن نزعة واضحة في العبث والتسلل من مكانة اللغة والبالغة في الإطار الرسمي الذي يجري على أساسه تنظيم الشعراء إلى مجالس الخفافش والأمراء. أمّا هو فقد اختفى نعمًا خاصاً به وجد له سوق رائحة في الواقع الاجتماعي ونال به إقبالاً واسعاً وقد كشف عن سر طريقة في الكلام قائلاً:

كنت أبكر فأجلس على الجسر ومعي دواة وذرّاج فاكتتب كلّ شيء أسمعه من كلام الذاهب والجاهي والملاحين والمكاريين حتّى يملأ التردد من الوجهين ثم أقطعه عرضًا وألصقه مخالفًا فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحمق منه*(٢٨).

وربما يتضح لنا تمرده على الأدب الرسمي في قصائده التي يقيم فيها علاقات لغوية أو دلالات معنوية تتسم بالتكلّك وعدم الترابط وكأنه ينثر على اللغة والمعنى والمصور والألفاظ والقواعد في نزعة تحطيمية سريالية ومن ذلك قوله(٢٩) ..

ومروا في الحرير	أقر الشعراً أنس
ثم جلد القيد بعدم	فقطعت الرأس منه
من طبول الخد بعدم	فصلنا منه طبلًا
ثم بعدم ثم بعدم	لضرينا به ندم
كنت معكم كالملائكة	عجاً يا قوم مني

وللتأمل هذا القول:(٣٠)

والطيسان قرابية الخفاف	الخوخ يعنق وكنسة الرمان
فسممت منه حموضة الكتان	يا منْ رأى قلبى فعرفت أنتَ

* خلاص واستر خاء

ويكشف أدب الفئات الهاشمية عن استحالة الخلاص الجماعي ولهذا مثل لنا هذا الأدب الدعوة إلى

الخلاص الفردي وهذه سمة غالباً ما نجدها في مواقف الأفراد عندما تمر المجتمعات في تحولات صعبة أو تواجه أخطاراً كبيرة.

وفي ظل الإحباط أو اليأس والعجز يعتقد الفرد أن الخلاص يكون حين يدبر المرء ظهره للقيم الجماعية ويبحث عن منفذ فردي.

وهذا ما نجده في أدب الحمقى والمحامقين وهو ما يبرز في أصوات الشحاذين والمتطلفين الذين اكتشفو أن المواجهة غير المتكافئة بين سلطة الثروة والفقير وبين بطش الحكماء عجز العامة وقد دفعت بهم إلى ضرورة من أنماط السلوك والاتجاهات فارتضوا ذلك ما دامت أسباب التغيير مستحبة.

ولهذا نجد بين المحامقين من يقول بالتحامق ويدعو إليه كالغنوبي إذ يقول: (٣١)

الروح والراحة في الحقِّ
وفي ذوال العقل والخزيِّ

فليلزم الجهلَ مع الحقِّ
فمن أراد العيشَ في راحةِ

ويفهم من ذلك أن هذا المسلك التهميسي الذي تتخذه النخب المختلفة تاريخياً يعبر عن سياسة مقصودة في محاصرة تيارات المعارضة أو شرائح الساسطيين والمعتدين إذ تدفع بهم إلى اليأس والإحباط والاستسلام في قبول ما هو مفروض عليهم. ويسوق أكثر من أديب رأيه أو شهادته في التغيير عن هذه الحالة فقد كان صالح ابن علي التصيبيني يقول: "جذنتْ فسقينَ ثم تحمستْ فارحَتْ واسترحتْ" (٣٢) .

وهكذا يصبح الاستسلام واقعاً يستحيل التخلص منه إلا بالقبول به فما جدوى العقل في زمن مجنون وما نفع العلم في زمن جاهل. وباختصار فإن المقبول وما يجب أن يكون هو الخاسر أو المغيب أمام قوة اللامعقول وما يجب ألا يكون. وهذه الحاكمة هي التي تجعل شاعراً متھماً يقول في دعوة تمثل العجز والتحول والاستسلام: (٣٣)

إذاً كانَ الزمانُ زمانَ حُمُّنِي
فِيَانَ العُقْلَ حِرْمَانَ وَشُومَ

أَرَى النَّبِيَا بِدُولَتِهِمْ تَدُومُ

فَكُنْ حَيْقَانًا مَعَ الْحَقِّ فَبَتِي

فَطَبَنَنَا خَذَنَ الْأَوْقَانِ

ويكاد خطاب تلك الشرائع يتفق في هذا الجانب فأنت تجد لدى المتطلفين تاكيداً أن حياة التطبيق هي الخلاص من المعاناة وفيها راحة البال من عناء المتابعة وصعوبات الحياة وتقرأ ذلك في خطاب المتسولين فهذا أبو دلف الخزرجي يرى على لسان الشحاذين أن الكمية بظفوسها وأساليبها هي الباب إلى الخلاص وفيها تتحقق حرية المكدي ويجد الراحة والنجاة وفي ذلك يقول: (٢٤) .

فَطَبَنَنَا خَذَنَ الْأَوْقَانِ

فَمَا نَنْفَذَكُمْ مِنْ صَمَّى

فَأَلْحَى مَا وَجَدْنَا الْعِيشَ

وَمَا نَنْفَذَكُمْ مِنْ صَمَّى

وفي ذلك نلمس انحراف الفئات الهامشية وسقوط الكثير من أفرادها قديماً وحديثاً في حياة الجنس والمخرارات والإيمان للأسباب التي يمررون بها ويعانون تأثيراتها المختلفة.

عزلة واغتراب؟

ولكن تلك الأصوات التي تجد في ذلك الاستسلام خلاصها كانت من جانب آخر تفصح عن المصير الذي دفعت إليه في سياق آلة التهميش حيث تنتهي الحياة بأساحتها إلى تجربة مرارة الاغتراب والحرمان والانزواء في دهاليز الوحدة والعزلة وبذلك تعمق مظاهر التأثير فتصبح الفرد غائباً مغيضاً صامتاً لا شأن له في كل ما يجري من حوله وبذلك يفقد وجوده معناه ويخسر إنسانيته إذ يصبح شيئاً منبوداً لا يكترث به ولا يسأل عنه وبذلك يبدو كانياً محبطاً عاجزاً عن الفعل أو المشاركة في تحمل المسؤولية.

هذا ما كان يشعر به الأخنف العكبري من اختناق وضياع واغتراب بمرارة الاسحاق إذ يقول:(٣٥)

عذت في ذلة وكلة مل
واغتراب في مفترى أذال

ولعل ذروة المعاناة تكمن حين يفقد الإنسان روابط الإخاء والاتنام التي تشهد إلى أبناء جنسه ومجتمعه فيشعر أنه منبوذ ممزول ووحيد وهذا مصدر صعب كان شاعرنا من خلاله يحسد الحشرات والدواب لأنها لم تبلغ ما بلغ من مظاهر الانكسار والإيجاب والحرمان حيث يقول:(٣٦)

ناوي إليه ومالي مثنه وطن
وليس لي منها إلفا ولا مسكن

والواقع أن أدب الفنات الهمشية يطرح قضايا أخرى كثيرة قد لا نلحظها في الأدب الرسمي وهي على غاية من الأهمية إذ تكشف على نحو مباشر أو غير مباشر علاقة المثقف بالسلطة أو علاقة الواقع بالقمة فهذا الأدب نقل لنا صورة الواقع الاجتماعي للفنات المسحوقة ورسم ملامح الواقع بقائمتها ودون تزوير أو تتميم.

وقد يأخذ البعض على ذلك الأدب مستوى اللغري أو التقني فينبذه من حظيرة الأدب الرаци ولهذا يعني تكريس سلطة فنية مستدنة من مفهوم سلطة النخب المعتقدة فذلك الأدب استمد لغته وشكله ومضمونه من خلال مفردات البيئة التي تكون فيها لأنه كان تعبيراً عنها ولم يكن موجهاً إلى تلك النخب ليخاطبها وفق المعايير التي ترغب وترتاضي.

وإذا كان كما يرى أن السريالية (٣٧) تمدد مطلق وعصيان كامل وتخرّب منظم ووضع كل شيء موضع الاتهام فإن أدب الهمشيين غير بعيد عن ذلك. وإذا كان السورالييون يصفون أنفسهم بأنهم "دعاة الهزيمة في كل مكان"(٣٨) فإن أدباء التهميش كانوا دعاة هزيمة كبيرة وشهود انكسارات فجائحة عبر عنها الكتتجي المتocom بالقول: "تحن في زمان رأى العقلاء قلةً منفعنة العقل فتركتوه ورأى الجهلاء كثرةً منفعنة الجهل فلزمواه فبيطله هؤلاء لما تركوا وهؤلاء لما لزموا فلا ندرى مع من نعيش"(٣٩) ويبقى السؤال الجوهري: هل من الممكن أن تبلغ الأمور إلى هذا الحد الذي عبر عنه الكتتجي؟

وهل من المعقول أن تبلغ المأساة ذلك الدرك العميق من التهميش والعدمية والضياع لو كان المجتمع سليماً لا تخفي في كيانه الأمراض والأزمات والهزائم والاهتزارات؟

وبمعنى آخر هل كان تلك الفنات من الأدباء والمؤرخين والفلاسفة والشعراء أن تختار المصير الذي صارت إليه لو كان مجتمعها ينهض على أرضية متينة من العدالة والحرية والمساواة؟ قد تطول التساؤلات وتبين وجهات النظر وتختلف الآراء ولكننا نعتبر أن أدب الهمشيين يحمل إجابات شافية وعيبة اتسمت بقدر كبير من الأهمية في هذا المضمار.

- (١) كتاب جدل: للعدد ٤ سنة ١٩٩٣ مقال: نحو رؤية جديدة لدراسة فقراء المدن د. اسماعيل قورة ص ١٥.
- (٢) الانتاج والمؤلفة: أبو حيان التوحيدي، تصحيف أحمد نون، وأحمد الدين نشر مكتبة الحياة بيروت ٢٢٦/٣ ويمكن الرجوع إلى كتاب (الفلاحة والمطروحون) أحمد بن علي الدلنجي، مطبعة الشعب، مصر ١٤٢٦.
- (٣) أدب لكتيبة في العصر العباسي: لأحمد لحسين، نشر دار المعارف ١٩٨٦ وفيه دراسة ولحية عن تحرّط الأباء في عالم التسول والاستجداء.
- (٤) عالم النّكّر الكوريتية المجلد ١٨، العدد الأول: مقال الجنون في الأدب الفرنسي، محمد علي الكردي من ٣٩.
- (٥) للهورست: ابن النديم، تحقيق رضا تجدد من ١٦٩٠، وتاريخ بغداد: الخطيب البغدادي طبع مكتبة الخطيب (القاهرة) والمكتبة العربية (بغداد) ٤٠/٥.
- (٦) للهورست من ١٦٩٠.
- (٧) طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق عبد المستざ طراح، دار المعارف، مصر من ٣٤٦.
- (٨) الأشخائي: أبو الفرج الأصفهاني، بولاق، نشر صلاح يوسف الخليل، دار الفكر، بيروت ٩٠/٢٠ ونشر نواد الخلقاء: أبو بكر الصولي، نشر دار المسيرة، بيروت ط ٣ من ٣٤٣ ومعجم الآباء: يعقوب الحموي، تحقيق أحمد فريد، مطبعة الملون ١٢٢/٦.
- (٩) الأشخائي ٩٦/٢٠، ونشر نواد الخلقاء من ٣٦٠.
- (١٠) علاء المجتنين: الترسليوري، تحقيق محمد زغلول، نشر دار الكتب العلمية من ٣٥.
- (١١) طبقات الشعراء من ٣٤٦.
- (١٢) علاء المجتنين من ٤١.
- (١٣) بيتيمة لدبر: الشعالي، طبعة الصاوي ١٠٥/٣.
- (١٤) علاء المجتنين من ٣٥.
- (١٥) علم النّكّر الكوريتية المجلد ١٨، العدد الأول مقال: الجنون في الأدب رشا الصباح من ٣ وكل ذلك مقال: العقل واللاعقل في خطاب الجنون عن ديدرو محمد على الكردي من ٢٢.
- (١٦) مجلة الكرمل، العدد الثالث عام ١٩٨٣ مقال (أليسوف لفاعة الثالثة) هشام صلاح من ٢٦.
- (١٧) علاء المجتنين: من ٥٣-٦٦.
- (١٨) علاء المجتنين: من ٦١.
- (١٩) العقد للفرید: ابن عبد ربہ، تحقيق أحمد نون ورفقاء، القاهرة ١٩٤٩، ١٩٤٩، ١٥٠/٦.

- (١٩) العقد الفريد: ابن عبد رب، تحقيق أحمد أمين ورفقا، القاهرة ١٩٤٩، ٦/١٥٠.
- (٢٠) مجمع الأدباء ٤/١٦٨.
- (٢١) بيتيمة الدهر: الشاعري، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ٦/١٦٦.
- (٢٢) بيتيمة الدهر ٣/١٢٣.
- (٢٣) بيتيمة الدهر ٣/١٢٤.
- (٢٤) مجلة الكرمل للعند ٣ من ٢٢.
- (٢٥) الألغاني ٢٠/٩٢.
- (٢٦) جمع الجوادر في الملح واللوكولر: القبروني، تحقيق محمد علي البجاري، من ٨٢.
- (٢٧) طبقات الشعراء من ٣٤٣.
- (٢٨) الألغاني ٢٠/٩١.
- (٢٩) طبقات الشعراء من ٢٤٢.
- (٣٠) جمع الجوادر في الملح واللوكولر من ٨١.
- (٣١) عقلاه للمجاتن من ٣٦.
- (٣٢) عقلاه للمجاتن من ٣٦.
- (٣٣) عقلاه للمجاتن من ٣٧.
- (٣٤) بيتيمة الدهر ٢/٣٥٨.
- (٣٥) بيتيمة الدهر ٢/١٢٣.
- (٣٦) بيتيمة الدهر ٣/١٢٣.
- (٣٧) لسلة المcriالية: ٦٧.
- (٣٨) لسلة المcriالية: فريدينن لكيه، ترجمة وجيه العمر، منشورات وزارة الثقافة من ٧٤.
- (٣٩) للهرست من ١٧٠.